جامعة الوصل-دبي

مركز بحوث السنة النبوية

الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبوي الشريف

التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق

19 - 20 / فبراير / 2025م

(بحوث الندوة مُحَكَّمة)

الجزء الأول

دولة الإمارات العربية المتحدة

جامعة الوصل - دبي

مركز بحوث السنة النبوية

الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث الشريف

بعنوان:

التنمية المستدامة في السنة النبوية، واقع وآفاق

19 - 20 فبراير 2025 م

(بحوث الندوة مُحَكَّمة)

الجزء الأول

لجنة نشر الكتاب

إشراف:

أ. د. إياد أحمد إبراهيم
نائب مدير الجامعة لشؤون البحث العلمي

رئيس لجنة النشر:

د. محمد عبد الخالق

الأعضاء:

1- د. لمياء عبد الفتا ح

2- د. مزمل الشريف

3- د. وفاء الحمو د

4- د. شيماء عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد

فقد انعقدت بحمد الله تعالى وتوفيقه، الندوة الدولية الثانية عشرة للحديث النبويّ الشريف في رحاب جامعة الوصل بدبي، في يومي الأربعاء والخميس 19 و20 فبراير 2025م، وعنوانها: «التنمية المُستدامة في السنة النبوية .. واقعٌ وآفاقٌ»، وقد وقع الاختيار على هذا العنوان تزامُنًا مع إعلان دولة الإمارات العربيَّة المتحدة هذا العام عامًا للتَّنْمِيَّة المُستدامة، وقد عُقدتْ الندوةُ بنظام المؤتمرات الهَجِين، والتي تَجمع بين المُشَاركة الحُضُورية، والمُشَاركة عن بُعْدٍ، إذ شارك فيها نُخْبَةٌ من الباحثين من مختلف الأقطار العربية والإسلامية.

وقد أَسْهمَتْ البحوثُ المقَدَّمةُ في تحقيق أهمِّ أَهداف الندوة وهي:

1. إبرازُ أثر السنَّة النبوية كمصدر أَصيل للتشريع، صالحٌ لكل زمان ومكان، يَجعلُ من نظرية التنمية المُستدامة حلًّا لمُشكلات الواقع المعاصر.
2. تَأصيلُ مَظاهر التنمية المُستدامة، وإبرازُ تَجلياتها في السنَّة النَّبوية.
3. المُساهمةُ في تطبيق آليات التنميةِ المُستدامة في شتى مجالات الحياة (الاجتماعية، والاقتصادية، والبيئية)؛ لتحقيق التَّقدُّم والازدهار الحَضارِيِّ، والحياة الآمنة للإنسان.

وفي سبيل تحقيق هذه الأهداف تَمَّ صياغةُ مجموعة من المحاور لتكونَ مَشاعلَ نورٍ يَهتدي بِها الباحثون أثناء كتاباتهم، وهذه المحاور هي:

1. المحور الأول: التنمية المُستدامة في مجال بناء الإنسان في السنَّةِ النَّبويةِ.
2. المحور الثاني: التنمية المُستدامة في المجال الاقتصاديِّ في السنَّةِ النَّبويةِ.
3. المحور الثالثُ: التنمية المُستدامة في المجال الاجتماعيِّ في السنَّةِ النَّبويةِ.
4. المحور الرابعُ: التنمية المُستدامة في المجال البيئيِّ في السنَّةِ النَّبويةِ.
5. المحور الخامس: آفاقُ التنمية المُستدامة في السنَّةِ النَّبويةِ: التحدياتُ والحلولُ.

وحرصًا على أن تكون الإفادة من البحوث المُقدَّمة في الندوة مستمرةً، يدوم نفعُها، ويطول أمدُها فإن المركز يُقَدِّمُ للقُرَّاءِ الكِرامِ كتابَ الندوةِ الْمُحَكَّم، والذي يجمعُ بين طَيَّاتِه ستةً وعشرين بحثًا، حُكِّمت تحكيمًا علميًا تميز بالدقة والإتقان إلى حدٍّ كبير؛ إذ تم تحكيمها على مرحلتين، من قِبَلِ أساتذةٍ متخصصين في السنَّةِ النَّبويةِ وعلومها بحسب المعايير العلمية الأكاديمية المُتَعارف عليها في هذا الشأن.

وقد كَشَف الباحثون من خلال مشاركاتهم البحثية على اختلاف محاورها عن مدى عناية رسول الله ﷺ بدَعْمِ أصحابه، والاهتمام بتربيتهم وتعليمهم، وجَعْلِهم أكثر انطلاقًا في الواقع العمليّ، وأكثر إخلاصًا وكفاءةً وعطاءً لأنفسهم ولمجتمعهم، حرصًا منه على دعم ما نسميه اليوم بـ (التنمية المُستدامة)، والتي يُعَبَّر عنها بأنها: «مجموعةٌ من العمليات الحيويّة التي توفرُ وسائل الحياة للكائنات الحية بمختلف أنواعها، ممّا يساعدها في المحافظة على تعاقب أجيالها، وتطوير وسائل نموها مع مرور الوقت»، وهذا - بلا شك - مما يَنْشُدُهُ الفردُ والمجتمع، رغبةً منهم في تطوير الواقع المعاصر إلى واقع يَحْلُمُون به، يكون واقعًا نموذجيًا، تَنْدَحِر فيه كلُّ أسباب الفقر والعوز والكسل؛ تحقيقًا للتنمية المُستدامة في شتى مجالات الحياة.

وختامًا: فإن مركز بُحوث السنَّةِ النَّبويةِ يتقدَّمُ بالشكرِ والعِرْفان إلى مَعَالي جُمعة المَاجِد، رئيس مجلس أمناء جامعة الوصل ومؤسسها، على جهوده المبذولة في خِدْمةِ السنَّةِ النَّبويةِ ونشرها.

كما يتقدم المركز بالشكر الجَزيلِ إلى الأستاذ الدكتور محمد أحمد عبد الرحمن مدير الجامعة ونوابه على اهتمامهم ومتابعتهم الحَثيثة، ودعمهم لنجاح الندوة.

والشكرُ مَوصولٌ لكل من قَدَّم خدمة، أو أسدى معروفًا، أو أسهم في إنجاح هذه الندوة، من مشاركة بحثية، أو تحكيمٍ، أو مناقشةٍ، أو تصحيحٍ، أو إخراجٍ حتى يصل هذا الكتاب إلى الصورة المرضية.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

د. محمد عبد الخالق

مدير مركز بحوث السنة النبوية

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	3
جدلية الإنسان والعمران: بناء الإنسان أساس التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية. ■ **أ. د. أحمد الخاطب**	7
بناءُ الشبابِ وتحقيقُ التنميةِ المُستدامةِ بينَ المتطلباتِ والمكتسباتِ مِن منظورِ السنةِ النبويّةِ. ■ **أ. د. رقية بوسنان**	53
الرفق في الهدي النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة. ■ **أ. د. عماد حمدي**	83
الأعمال الإنسانية والمجتمعية في ضوء السنّة النبوية وصِلتها بالتنمية المستدامة "مؤسسات العمل الإنساني والخيري في الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا". ■ **د. كلثم عمر الماجد المهيري**	121
التنميةُ المُستدامةُ في السنةِ النبويّةِ وأثرها في بناءِ الإنسانِ. ■ **د. رشيد ترفاس**	151
التفكير الإبداعي في السنة النبوية وأثره في تحقيق التنمية المستدامة. ■ **د. زكريا الخوة**	197
الاقتصاد الأخضر كآلية لتحقيق التنمية المستدامة في السنة النبوية. ■ **أ. د. سيد حسن عبد الله. -** ■ **د. ليلى أحمد سالم المشجري**	237
دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة - المجال الاقتصادي أنموذجًا. ■ **أ. د. عبد الستار إبراهيم الهيتي**	277
البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة من منظور السنة النبوية. ■ **أ. د. ميلود زنكري -** ■ **أ. د. سميرة سعيداني**	311
أثر معالجة قضايا البطالة في تحقيق التنمية المستدامة في السنة النبوية. ■ **د. أبو عَلَوِي ضاحي عبد الرؤوف**	347

التنميةُ المُستدامةُ في المجالِ الاقتصاديِّ في السنةِ النبويّةِ. ■ **د. أيمن جبرين جويلس**	**381**
التوجيهاتُ النبويّةُ نحوَ مُواجهةِ الأمراضِ النفسيّةِ المُتعلقةِ بالمالِ وأثرها في تحقيقِ التنميةِ المُستدامةِ. ■ **د. مصطفى ضاحي عبد الرؤوف**	**425**
الحياةُ الزوجيّةُ في السنةِ النبويّةِ، عوامل البناء ووسائل الاستدامة. ■ **أ. د. عوض إبراهيم منصور بابكر**	**461**

جدلية الإنسان والعمران:
بناء الإنسان أساس التنمية المستدامة
من خلال السنة النبوية

أ. د. أحمد الخاطب
أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية،
مؤسسة دار الحديث الحسنية، جامعة القرويين، المغرب

ملخص

تأتي أهمية هذا البحث من مركزية الإنسان في الإسلام من جهة، وفي التنمية المستدامة من جهة أخرى؛ وخطورة ما يترتب عن السلوك البشري إزاء أخيه الإنسان وإزاء المنظومة البيئية من اختلالات في منظومة التنمية المستدامة وتهديد لحاضر ومستقبل البشرية.

وفي سبيل ذلك، يطرح الموضوع إشكالاً مركزيًّا للدراسة والتحليل، وهو: ما أثر الإسلام في بناء الإنسان الجدير بإقامة العمران والحضارة وتحقيق التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية؟

وقد انتظم البحث في مبحثين، تناول الأول مكانة الإنسان في الإسلام بين شرف التكريم ومسؤولية الاستخلاف؛ بينما تناول الثاني جملة من خصائص الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة في الإسلام انطلاقًا من السنة النبوية. وقد تمت صياغة هذه الخصائص في شكل ثنائيات تربط بينها علاقة جدلية، وهي: جدلية الإيمان والتنمية المستدامة؛ وجدلية الصلاح والإصلاح والتنمية المستدامة؛ وجدلية الأخلاق والتنمية المستدامة: وجدلية العلم والتنمية المستدامة؛ وجدلية الإيجابية والتنمية المستدامة: وجدلية الرحمة والتنمية المستدامة؛ ثم جدلية التسامح والتنمية المستدامة.

وتوصل البحث إلى جملة من النتائج. من أهمها: التأكيد على الأولوية القصوى التي يحتلها بناء الإنسان وتكوينه على أساس القيم التي تزخر بها السنة النبوية باعتبارها مرجعًا علميًّا ودينيًّا وتربويًّا لمقاربة قضايا البيئة والتنمية المستدامة ومعالجة اختلالاتها، تفاديا للمآل الخطير الذي يتهددها والبشرية معها، بفعل انتشار الممارسات والسياسات غير الرشيدة في التعامل مع المنظومة البيئية.

الكلمات المفاتيح: الإنسان- العمران - السنة النبوية - البيئة - التنمية المستدامة.

Abstract

This research is important because of the central role of the human being in Islam on one hand and in sustainable development on the other; and because of the grave consequences that result from human behavior toward fellow human beings and the environmental system - consequences that can lead to imbalances in sustainable development and threaten the present and future of humanity.

In this context, the topic raises a central problem for study and analysis, which is as follows: What is the impact of Islam on building the human being capable of establishing civilization and culture and achieving sustainable development through the Prophetic tradition?

The research is organized into two sections. The first discusses the status of the human being in Islam, situated between the honor of exaltation and the responsibility of stewardship; while the second examines a series of characteristics of the human being deemed worthy of achieving sustainable development in Islam based on the Prophetic tradition. These characteristics have been formulated as dialectical pairs that are interrelated, namely: the dialectic of faith and sustainable development; the dialectic of righteousness and reform in sustainable development; the dialectic of ethics and sustainable development; the dialectic of knowledge and sustainable development; the dialectic of positivity and sustainable development; the dialectic of mercy and sustainable development; and finally, the dialectic of tolerance and sustainable development.

The research reached several conclusions, the most important of which is the emphasis on the utmost priority of building and shaping the human being on the basis of the values inherent in the Prophetic tradition. This tradition should serve as a scientific, religious, and educational reference for addressing environmental issues and sustainable development challenges and for remedying their imbalances—thus avoiding the grave outcome that threatens both sustainable development and humanity due to the widespread adoption of unsound practices and policies in dealing with the environmental system.

Keywords: The Human Being, Civilization, the Prophetic Tradition, the Environment, Sustainable Development.

مقدمة البحث

بعد عقود من انشغال البشرية في العالم المعاصر بمفهوم «التنمية الاقتصادية»، والتي يعد النمو الاقتصادي محورها الأساس؛ وبعد الجاذبية التي اكتسبها مفهوم «التنمية البشرية» مع مطلع الألفية الثالثة باعتبارها نظرية في التنمية الاقتصادية-الاجتماعية والتي تهدف إلى دعم قدرات الفرد وتحسين مستوى معيشته وأوضاعه الاجتماعية؛ أصبح مفهوم «التنمية المستدامة» من المفاهيم المركزية في تحليل أزمات التنمية في العالم الراهن واستشراف آفاقها المستقبلية. ذلك أنه أمام الاختلالات الكبرى التي تعتري المنظومة التنموية العالمية، على مختلف المستويات، وخاصة على المستوى البيئي، لم يعد التفكير في راهن التنمية ومستقبلها منفصلا عن التفكير في وضعية المنظومة البيئية ومستقبلها أيضًا؛ مشكلا بذلك هاجسًا مؤرقًا لحكماء العالم وقادة الرأي والمجتمع الدولي بصفة عامة. فالتنمية المستدامة، إذن، تشكل جيلاً جديدًا من أجيال المقاربات الأممية لإشكاليات التنمية في العالم المعاصر، لا تلغي أهمية التنمية الاقتصادية والتنمية البشرية؛ بل تؤسس عليهما رؤيتها للتنمية في الحاضر والمستقبل، ولكنها تضيف إليهما ركنًا أساسيًّا من أركان التنمية ظل مغيَّبًا في المقاربات السابقة، ويتعلق الأمر بالمنظومة البيئية بمختلف مكوناتها الطبيعية، باعتبار أن البيئة ليست فقط الوسط الذي يحتضن كفاح الّإنسان في سبيل التنمية؛ بل أيضًا باعتبار المقاربة البيئية للتنمية هي المقاربة الكفيلة بمراعاة حقوق الأجيال الحاضرة والمستقبلية في استدامة التنمية والبيئة معًا، ومعالجة مختلف الأخطار التي تهدد مستقبل الحياة الطبيعية والبشرية فوق سطح الأرض؛ ولذلك تشكل التنمية المستدامة «دعوة عالمية للعمل للقضاء على الفقر وصون الأرض وتحسين المعايش في كل مكان»[1] في جدلية لا تقبل التفكيك. وبعبارة أخرى، فالتنمية المستدامة دعوة عالمية لاستدامة العمران البشري -أي الحضارة الإنسانية- فوق سطح الأرض، وتفادي ما يمكن أن يلحق به من الخراب والدمار نتيجة التصرفات البشرية غير المتوازنة إزاء البيئة[2].

1- انظر الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: https: //www.un.org/sustainabledevelopment/ar/ تاريخ التصفح: 01/11/2024.

2- يعتمد البحث مفهوم العمران البشري بمعنى الحضارة البشرية، مستندا في ذلك إلى نظرية ابن خلدون في العمران. ذلك أن السؤال الجوهري الذي تحكم في نظرية العمران عند ابن خلدون في المقدمة هو كيف يمكن للإنسان أن يعمر الأرض أو المعمورة؟ أي كيف يمكن له أن يقيم حضارة فوق الأرض ويحافظ عليها؟ وفي سبيل ذلك، اهتدى إلى سن مجموعة من القوانين العمرانية التي تتحكم في نشأة العمران وتضبط تطوره الإيجابي أو السلبي. وتبين أن ابن خلدون أولى أهمية كبرى للعلاقة بين العمران والبيئة. انظر: ابن خلدون ت808هـ، 1406م، المقدمة، تحقيق إبراهيم شبوح وإحسان عباس، ج1، تونس، 2006م.

وفي سبيل ذلك، انعقدت العديد من الملتقيات والمؤتمرات الدولية حول البيئة والتنمية المستدامة، وصدر الكثير من التقارير العالمية، وأعلن عن سلسلة من التوصيات والاتفاقيات والمعاهدات الدولية تحت سقف الأمم المتحدة، تصب في مجملها في ترشيد السلوك البشري إزاء الموارد الطبيعية والبيئية والحفاظ عليها وتقليل أخطار التلوث والاحتباس الحراري وغيرها من الآفات المناخية، حماية للحياة في الحاضر والمستقبل ضمانًا لحقوق أجيال المستقبل في حياة آمنة مطمئنة[1]. غير أنه وعلى الرغم من الجهود الكبرى المبذولة على مستوى الأمم المتحدة وعلى المستويات المحلية وخاصة في بيئتنا العربية والإسلامية؛ إلا أنه يلاحظ على مجمل المبادرات المعتمدة في معالجة إشكاليات التنمية المستدامة، غياب المقاربات التكاملية بين العلوم في هذا المجال، وخاصة العلوم الإسلامية، سواء من حيث التشخيص والبحث في العوامل والأسباب، أو من حيث التماس الحلول وعلاج الاختلالات. ولعل مما يؤكد ذلك، غياب أو تغييب علماء الدين عن مراكز ومنتديات صناعة القرار الدولي بشأن التنمية المستدامة، سواء تعلق الأمر بمؤتمرات الأرض والتغيرات المناخية أو غيرها من القضايا[2].

في هذا السياق، يكتسي مؤتمر جامعة الوصل حول «التنمية المستدامة في السنة النبوية»، أهمية كبرى باعتباره فرصة علمية دولية للنخب العالمة لتنوير البشرية بما تكتنزه السنة النبوية الشريفة من قيم ومبادئ وأحكام وتوجيهات لصياغة المواقف وتأطير الممارسات في سبيل التنمية المستدامة الراشدة. ويشرفني أن أتقدم بهذه المشاركة، تحت عنوان: «جدلية الإنسان والعمران: بناء الإنسان أساس التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية»[3]. وتأتي أهمية هذا البحث من مركزية الإنسان في الإسلام من جهة، وفي

1- انظر الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: https: //www.un.org/ar/conferences/environment تاريخ التصفح 10/11/2024.

2- انعقدت مؤخرًا في 5 نوفمبر 2024م في العاصمة الأذربيجانية باكو القمة العالمية لقادة ورموز الأديان التي نظمتها إدارة مسلمي القوقاز، بالتعاون مع مجلس حكماء المسلمين، ورئاسة مؤتمر الأطراف COP28، وبرنامج الأمم المتحدة للبيئة، واللجنة الحكوميَّة للمؤسسات الدينية في أذربيجان. تحت عنوان الأديان العالمية من أجل كوكب أخضر؛ بحضور أكثر من 300 من قادة ورموز الأديان، وممثلي الحكومات، ومنظَّمات المجتمع المدني، وصناع القرار والسياسات من مختلف أنحاء العالم.

3- نشير إلى وجود جملة من الدراسات التي اعتنت بالتنمية المستدامة من منظور إسلامي، غير أن الدراسات التي اعتنت بإشكالية تأهيل الإنسان للاضطلاع بمسؤولية هذه التنمية، تبقى محدودة. ومن أهمها: عودة راشد الجيوسي، الإسلام والتنمية المستدامة (رؤية كونية جديدة)، عمان، الأردن، 2013م؛ ركزت هذا الدراسة على بعض مقومات التنمية المستدامة: التعليم، والتراحم الاجتماعي، والحكم =

التنمية المستدامة من جهة أخرى؛ وخطورة ما يترتب عن السلوك البشري إزاء أخيه الإنسان وإزاء المنظومة البيئية من اختلالات في منظومة التنمية المستدامة وتهديد لحاضر ومستقبل البشرية.

وفي سبيل ذلك، يطرح الموضوع إشكالاً مركزيًّا للدراسة والتحليل، وهو: ما أثر الإسلام في بناء الإنسان الجدير بإقامة العمران والحضارة وتحقيق التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية؟ وتتفرع عن هذا الإشكال المركزي، تساؤلات من أهمها: ما مدى حضور خطاب التنمية المستدامة في السنة النبوية؟ وما أهمية ذلك الحضور في بناء منظور راشد للتنمية المستدامة؟ كيف تتجلى علاقة الإنسان بالتنمية المستدامة في السنة النبوية؟ ما ماهية الإنسان المؤهل لخوض معركة التنمية المستدامة والنجاح فيها من خلال السنة النبوية؟ كيف يمكن للسنة النبوية الإسهام في بناء الإنسان المؤهل لبناء العمران وتحقيق التنمية المستدامة في العصر الراهن؟ أين يقف الإنسان اليوم، وعلى أية أرضية فكرية وثقافية يجد نفسه، وهو يواجه اختلالات المنظومات التنموية المعاصرة نتيجة المقاربات الخاطئة؟ أي إنسان يمكنه أن يظفر بكسب ثمار مقاصد التنمية المستدامة وفق هدايات الإسلام والسنة النبوية بشكل خاص؟ وماذا بإمكان الإنسان المسلم أن يقدم للإنسانية اليوم في معركة التنمية المستدامة؟

= الرشيد والعدالة، والتلوث والفساد المناخي... في حين تناولت بعض الدراسات والبحوث الجامعية مظاهر التنمية المستدامة في السنة النبوية، مثل: فراس بن ساسي، التنمية المستدامة في السنة النبوية، بحث لنيل الماجستير في الحديث الشريف، المعهد العالي للحضارة الإسلامية، تونس، 2017-2018م. ركزت هذه الدراسة ومثيلاتها على مجالات التنمية المستدامة: التنمية الاقتصادية المستدامة، والتنمية الاجتماعية المستدامة، والتنمية البيئية المستدامة، مع معالجة بعض عوائق التنمية. دون أن نغفل بعض الدراسات والبحوث التي راكمتها ندوة الحديث الشريف في دوراتها السابقة وخاصة الندوة العلمية الثالثة حول القيم الحضارية في السنة النبوية والتي تطرقت إلى جملة من القيم والتي عالجت قضايا فرعية (البيئة، التربية والتعليم، معاملة الأعداء وقت الحرب، معاملة ذوي الحاجات الخاصة...). لذلك، نعتقد أن المقاربة النسقية لإشكالية تأهيل الإنسان للاضطلاع بمسؤولية التنمية المستدامة ما تزال في أمس الحاجة للدرس والتحليل. ويطمح هذا البحث إلى الإسهام في بناء تصور نسقي في هذا المشروع الحيوي: مشروع بناء الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة.

المبحث الأول: الإنسان في الإسلام بين شرف التكريم ومسؤولية الاستخلاف

المطلب الأول: الإنسان وشرف التكريم:

اقتضت المشيئة الإلهية أن يخلق الله تعالى الكون بمختلف كائناته ومكوناته، من الذرة إلى المجرة، وما دون ذلك، مما لا يعلمه إلا الخالق ﷻ؛ وأن يجعل الإنسان خليفة له في الأرض. فكرّمه وفضّله على سائر المخلوقات. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ الإسرَاء: 70. وقال (عز وجل): ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البَقَرَة: 30.

وبموجب التكريم والاستخلاف الرباني للإنسان، بيّن الحق ﷻ خصوصية الإنسان بين جميع المخلوقات، فأكدَّ خصوصية خلقه وخلقته، إذ خلقه الله تعالى بيديه ونفخ فيه من روحه، ثم أمر الملائكة بالسجود له تعبيرًا عن سمو مكانته في الكون. قال سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ ص: 71 - 73. وتكريمًا للإنسان؛ أمر الله تعالى بحفظ النفس البشرية وأحاطها بكامل العناية. بل إنه أخرج إبليس من الجنة بسبب عصيانه لأمر الله تعالى بالسجود لآدم عليه السلام وتكبره عليه باعتبار أصل خلقته. بين القرآن الكريم ذلك من خلال الحوار بين الخالق ﷻ وإبليس بشأن هذه المسألة، فقال تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ ص: 75 - 78. وحرّم ﷻ قتل النفس البشرية، فقال: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ الإسرَاء: 33. وبيَّن الحق ﷻ أن من قتل نفسًا بشرية بغير حق فكأنما قتل جميع الناس، لما في ذلك من الاعتداء على حياة الإنسان وكرامته، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ المَائِدَة: 32.

وأكدت السنة النبوية الشريفة حرمة قتل النفس البشرية بغير حق. فقال رسول الله ﷺ: «لَزوالُ الدُّنيا أهونُ على اللهِ من قتلِ رجلٍ مسلمٍ»[1]. وقال أيضًا: «لوْ أنَّ أَهْلَ

1- أخرجه الترمذي في جامعه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، 1998م، أبواب الديات عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن، (3/69) حديث رقم (1395).

السَّمَاءِ وَأَهْلَ الْأَرْضِ اشْتَرَكُوا فِي دَمِ مُؤْمِنٍ لَأَكَبَّهُمُ اللهُ فِي النَّارِ»[1]. ودعا إلى اجتناب السبع الموبقات، ومن بينها «قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق»[2]. وخطب في حجة الوداع مؤكدا حرمة المساس بدم المسلم وعرضه، فقال: «كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ...[3]». وشدّد على تحريم قتل الإنسان المعاهد، فقال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا[4]». وكما حرم الإسلام قتل النفس البشرية إلا بالحق، فقد حرم أيضًا قتل الإنسان لنفسه، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ النِّسَاء: 29. وقال النبي ﷺ: «مَنْ تَرَدَّى مِنْ جَبَلٍ فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَتَرَدَّى فِيهِ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ تَحَسَّى سُمًّا فَقَتَلَ نَفْسَهُ فَسُمُّهُ فِي يَدِهِ يَتَحَسَّاهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِحَدِيدَةٍ فَحَدِيدَتُهُ فِي يَدِهِ يَجَأُ بِهَا فِي بَطْنِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدًا مُخَلَّدًا فِيهَا أَبَدًا»[5]. وفي إطار حفظ الحياة البشرية وسلامتها، دعا الإسلام إلى حفظ العقل، فحرّم كل ما يضر به من الخمر وكل المسكرات والمخدرات التي تفسد العقول والأبدان والأديان والأموال بنص القرآن[6]. وقال ﷺ: «كُلُّ

1- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الديات عن رسول الله ﷺ، باب الحكم في الدماء (3/71) حديث رقم (1398).

2- قال رسول الله ﷺ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). أخرجه البخاري في صحيحه، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما (4/10) حديث رقم (2766).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (8/10) حديث رقم (2564).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (4/99) حديث رقم (3166).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه والخبيث (2/96) حديث رقم (5778).

6- من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ المَائِدَة: 90 - 92.

شَرَابٍ أَسْكَرَ فَهُوَ حَرَامٌ»[1]. وقال أيضًا: «كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وَكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[2]. وتتوالى الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة لتثبت المكانة السامية للإنسان في الكون وتؤكد دعوة الإسلام إلى حفظ النفس البشرية وحفظ عقله وعرضه. فكان ذلك من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية. يقول الإمام الشاطبي في بيان قصد الشارع في وضع الشريعة: «اتفقت الأمة - بل سائر الملل- على أن الشريعة وضعت للمحافظة على الضروريات الخمس: وهي الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل»[3]. ويؤكد الفكرة ذاتها قائلا: «ومجموع الضروريات خمسة، وهي: حفظ الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل، وقد قالوا: إنها مراعاة في كل ملة»[4].

ولما كان الاضطلاع بمسؤولية خلافة الله في الأرض يقتضي تمكين الإنسان من المقومات البيولوجية والروحية لذلك، فقد زوَّد الحق ﷻ الإنسان بما يكفل له القيام بهذه المهمة على أمثل وجه، فمكّنه من «العلم» الذي لم يمنح لغيره من المخلوقات وفي مقدمتهم الملائكة، رغم سمو مكانتهم وجليل خدمتهم بتنفيذ أوامر الله تعالى، ومنها تبليغ الوحي. فقال تعالى: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ البَقَرَة: 31 - 33.

وفي علاقة بالعلم وتأكيدًا على تنوع مصادره بين السماء والأرض، أي بين الوحي والكون، أنعم الله تعالى على الإنسان بنعمة العقل، وجعله الأداة الكبرى للمعرفة والتفكير، والبحث والنظر في الكون، بل وتحقيق الاستخلاف وعمارة الأرض على ضوء الوحي. فدعاه إلى إعمال العقل والتفكر والتدبر في آيات الكون لتعرف الخالق سبحانه وتوحيده وعبادته، والتماس الرزق في الحياة الدنيا، والسعي لتحقيق التنمية المستدامة، مسترشدا بالوحي. إذ الإنسان المسلم مطالب بتحقيق التكامل وتنزيل التحالف بين النقل والعقل في تدبير

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب لا يجوز الوضوء بالنبيذ ولا المسكر (1/58) حديث رقم (242).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (6/100) حديث رقم (2003).

3- الشاطبي، كتاب الموافقات، تحقيق وتعليق/ الحسين أيت سعيد، منشورات البشير بنعطية، فاس المغرب، ط1، 1438هـ، 2017م، (2/50).

4- المصدر نفسه (3/18).

معاشه الدنيوي ومآله الأخروي. فالعقل على ضوء المنظور التنموي المادي أداة للكسب الدنيوي المادي فحسب، لكنه من المنظور الديني الإسلامي هو أداة لتحقيق المقاصد الشرعية من خلق الإنسان في الدنيا والآخرة، بتحالف مع الوحي. ولذلك جاءت الدعوات القرآنية للتفكر والتعقل لأغراض تخص أحيانا المصالح الدنيوية والأخروية للإنسان، مثل قوله (عز وجل): ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ البَقَرَة: 164. ومن آيات التكريم الرباني للإنسان أن جعل العقل مناط التكليف. فقال ﷺ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَعْتُوهِ - أَوْ قَالَ: الْمَجْنُونِ - حَتَّى يَعْقِلَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَشِبَّ.»[1]. فلا تكليف خارج نطاق العقل. فهو الفيصل بين المسؤولية واللامسؤولية في ميزان الله تعالى.

ومن آيات التكريم أيضًا، تمييز الإنسان عن باقي الخلائق بخاصية التخلق، فهي عنوان تكريم الإنسان، وعنوان كرامته أيضًا. فكما أنه لا إنسانية للإنسان بدون عقل وتعقل؛ فكذلك لا إنسانية للإنسان بدون تخلق بالأخلاق الفاضلة. ولذلك، جعل الله تعالى رسالات الأنبياء في جوهرها دعوة إلى التوحيد والتحلي بفضائل الأخلاق، مؤكدةً على ضرورة بناء المجتمعات الإنسانية على أساس القيم الأخلاقية التي تسمو بالإنسان إلى أعلى مراتب الفضيلة، والترقي به عن مرتبة الرذيلة، إلى أن ختمها الله تعالى برسالة الإسلام على يد نبيه محمد ﷺ. وقد أجمل الرسول الكريم ﷺ رسالته في تتميم مكارم الأخلاق، فقال: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»[2]. أو «صَالِحَ الْأَخْلَاقِ» [3]، ووصفه القرآن الكريم بأعلى أوسمة الأخلاق، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ القَلَم: 4. ولذلك، دعا الإسلامُ الناسَ جميعًا إلى التحلي بالقيم الأخلاقية الفاضلة من التسامح والعفو والخير والرحمة وحفظ العهد وغير ذلك من مكارم الأخلاق والفضائل التي تحفظ للإنسانيةَ خصوصيتها وتحافظ لها على أصول التكريم الرباني وتضمن لها استدامة الحياة في أجمل صورها. ودعا بالمقابل

1- أخرجه أحمد في مسنده، جمعية المكنز الإسلامي، دار المنهاج، ط1، 1431هـ، 2010م، مسند العشرة المبشرين بالجنة وغيرهم، مسند علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) (1/264) حديث رقم (971).

2- أخرجه البيهقي في سننه الكبير، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن، الهند ط1، 1352، 1355هـ، كتاب الشهادات، جماع أبواب من تجوز شهادته ومن لا تجوز، باب بيان مكارم الأخلاق ومعاليها (10/191) حديث رقم (20839).

3- أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة (رضي الله عنه) (2/1879) حديث رقم (9074).

إلى تجنب الرذائل والمفاسد الأخلاقية الفردية والجماعية من الظلم والفساد بمختلف ألوانه وأشكاله التي تهدد استقرار وسلامة الحياة الإنسانية، فضلا عن كونها طريق للمصير السيء في الحياة الأخروية. فقال ﷺ: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي فِي الْآخِرَةِ مَسَاوِئُكُمْ أَخْلَاقًا...»[1].

لم يقتصر التأهيل الرباني للإنسان من أجل الاضطلاع بمسؤولية الاستخلاف على مقومات التكريم الآنفة الذكر، خلقًا وتخليقًا وعقلا وعلمًا وتعليمًا؛ بل مكنه من القدوة الصالحة والهداة المرشدين، من خلال بعث الأنبياء والرسل لتبليغ الرسالات السماوية وهدايته إلى الحق ودعوته إلى الصلاح والإصلاح في الأرض وبناء الحضارة والعمران وتحقيق التنمية والنماء على هدى من الله وتقواه ضمانًا للفلاح في الدنيا والآخرة وتحقيق مقاصد الاستخلاف، فجعلهم حلقة الوصل بين الله ﷻ: المستخلِف، والإنسان: المستخلَف. فجاؤوا عليهم الصلاة والسلام مبشرين ومنذرين[2]. وجعل ﷻ اكتمال الإيمان مشروطا بالإيمان بجميع الأنبياء والرسل. فالإيمان بهم هو الركن الرابع من أركان الإيمان. قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ البَقَرَة: 285. وجاء الخطاب القرآني زاجرًا بالنهي عن التفريق في الإيمان بين الأنبياء والرسل، حيث جعله كفرًا. وعرّف ﷺ الإيمان بقوله: «الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ»[3]. فالإيمان بالرسل والأنبياء جميعهم من مقومات الإيمان الصحيح. كل ذلك وغيره من الأدلة والبراهين الواردة بوضوح في كتاب الله وسنة نبيه الكريم تكريمًا للإنسان وتأهيلاً له للاضطلاع بمسؤولية الاستخلاف وعمارة الأرض وتحقيق العبودية لله تعالى.

1- أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث أبي ثعلبة الخشني (رضي الله عنه) (7/3979) حديث رقم (18009).

2- قال عز وجل: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡۚ عَلَيۡكَ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴾ النِّسَاء: 163 - 165.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام (1/19) حديث رقم (50).

المطلب الثاني: الإنسان ومسؤولية الاستخلاف:

جاءت مسؤولية الاستخلاف التي أنيطت بالإنسان مقرونة بالأرض باعتبارها مسرح الاستخلاف. فقد اقتضت المشيئة الإلهية أن يكون الإنسان مستخَلفًا في الأرض، جاعلة منه محور الفعل التاريخي والحضاري في الأرض عبر الزمن، تجسيدًا وتنزيلاً واختبارًا لمسؤولية الاستخلاف الإنساني؛ وجاعلة من الأرض في نفس الوقت مسرح البيئة الحاضنة لعملية الاستخلاف، باعتبارها موطن الاستقرار الدنيوي للإنسان، بما فيها من مكونات طبيعية جعلت ملائمة لقيام حياة إنسانية فوقها. ومعنى هذا أن نجاح الإنسان في القيام بمهمة الاستخلاف متوقف على حسن تدبيره لما في الأرض وما عليها من مكونات.

لذلك جاء ذكر الاستخلاف في القرآن الكريم مقرونًا بالأرض أكثر من مرة، منها قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ ﴾ النُّور: 55. ومنها قوله تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ ص: 26. ومن أجل ذلك، سخر الله تعالى للإنسان ما في السماوات والأرض من المخلوقات، وأنعم عليه بها. فقال سبحانه: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ ﴾ لُقمَان: 20. فسخّر له الأنعام للركوب، والأكل، والمنافع، والمشارب، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ يس: 71 - 73.

ومن كرم الله تعالى على الإنسان وسائر المخلوقات، الإنعام عليهم بالماء الذي جعله منبع الحياة، قال سبحانه: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ كُلَّ شَيۡءٍ حَيٍّۖ ﴾ الأَنبِيَاء: 30. ولفت الخالق ﷻ أنظار الإنسان إلى نعمة إعداد الأرض للزراعة بسبب نعمة نزول المطر، فقال سبحانه: ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ٢٤ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ٢٥ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ٢٦ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ٢٧ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ٢٨ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ٣٠ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ٣١ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ ﴾ عَبَس: 24 - 32. وارتباطًا بنعمة الماء، سخر الله تعالى للإنسان البحار والأنهار، وما تكتنزه من الثروات للأكل والزينة وتحقيق مختلف المنافع. كما سخر له الرياح باعتبارها مصدرًا للخير في البر والبحر. وسخر له ما في باطن الأرض من ثروات معدنية وغيرها، وأرشده إلى حسن استعمالها تحقيقا للمصالح ودرءًا للمفاسد. فقال تعالى عن معدن الحديد مبينًا فضله وبأسه في نفس الوقت:

﴿ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ الحَدِيد: 25. وقال عن معدن النحاس: ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴾ الرَّحمٰن: 35. وقال عن الذهب والفضة باعتبارهما من شهوات الإنسان في الدنيا: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ آل عِمرَان: 14. وأوجب الله تعالى شكر النعم والاعتراف بها لنيل رضوان الله ودوامها، وجعل جحودها والاستعلاء بها على العباد من أسباب زوالها والحرمان منها. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ إبرَاهِيم: 7. وتتوالى الأدلة على مبدأ التسخير المتولد عن مبدأ التكريم والاستخلاف، مما يؤكد جدلية الإنسان والعمران في المنظور الإسلامي، تحقيقًا لعبودية الله تعالى.

غير أن استخلاف الله تعالى للإنسان ليس مطلقًا، بل إنه مقيد بشروط؛ وبقدر ما هو تكريمٌ منَّ به الله تعالى على الإنسان، بقدر ما هو مسؤولية واختبار له في الدنيا ومحدد لمصيره في الآخرة. ولذلك، ورد العديد من الآيات القرآنية التي ربطت مآل الإنسان بحسن اضطلاعه بمسؤولية الاستخلاف. فجاء الإيمان والعمل الصالح طريقا للاستخلاف. قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ النُّور: 55. وقال سبحانه: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ القَصَص: 5. وفي مقابل ذلك، فإن الإخلال بشروط الاستخلاف يؤدي إلى المآل الآخر، وهو نزع نعمة الاستخلاف واستبدال القوم المستخلفين بقوم آخرين غيرهم والتمكين لهم. قال تعالى: ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴾ هُود: 57. وقال سبحانه: ﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِف مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴾ الأَنعَام: 133.

وهكذا، اقتضت المشيئة الإلهية أن تناط مسؤولية الاستخلاف بالإنسان، مع ما يترتب عن ذلك من مسؤوليات عمارة الأرض وإقامة العمران البشري. وبعبارة أخرى: فالإنسان هو المسؤول عن التنمية في الأرض، وهو أساس التنمية المستدامة، وغايتها، والقائم بها وعليها. فما هي إذن مواصفات الإنسان الجدير بتحقيق هذه التنمية انطلاقًا من السنة النبوية الشريفة؟ وما التوجيهات النبوية الشريفة لبناء الإنسان المؤهل للاضطلاع بهذه المسؤولية العظمى؟.

المبحث الثاني: أضواء على خصائص الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة

تبين من خلال المبحث الأول أن مسؤولية الاستخلاف التي أناطها الله تعالى بالإنسان جاءت مقرونة بإعمار الأرض، باعتبارها المجال الطبيعي لقيام الحياة البشرية. وبالتالي فهي محل اختبار مدى قدرة الإنسان على النجاح في مهمة الاستخلاف في تدبير علاقته بخالق الكون ﷻ من جهة، وتدبير علاقته بالأرض ومكوناتها البشرية والطبيعية وتحقيق التنمية المستدامة من جهة أخرى. في هذا الإطار، رسمت السنة النبوية الشريفة معالم الشخصية البشرية الجديرة بتحمل مسؤولية التنمية المستدامة في الأرض. وسنحاول إبراز ذلك من خلال التركيز على أهمية العلاقة الجدلية بين جملة من المفاهيم المهيكلة لتلك الخصائص والتنمية المستدامة. ومن أهمها ما يلي:

المطلب الأول: جدلية الإيمان والتنمية المستدامة:

لعل أول خاصية يجدر التأكيد عليها في سياق الحديث عن التنمية المستدامة من منظور ديني عام وإسلامي خاص، هي خاصية الإيمان. فما علاقة الإيمان بالتنمية؟ وكيف يمكن تأطير العلاقة بين الإيمان والتنمية المستدامة على ضوء الحديث الشريف؟ في محاولة للإجابة عن هكذا تساؤلات، ينبغي التأكيد على الخصوصية الحضارية لمفهوم التنمية من منظور إسلامي. ذلك أن التنمية في الإسلام ليست مجرد إشباع لحاجات مادية للإنسان وتحقيق مؤشرات اجتماعية واقتصادية؛ بل هي في جوهرها تجسيد لمفهوم الاستخلاف الذي شرَّف الله به الإنسان في الأرض عن سائر المخلوقات. ولذلك، ترتبط التنمية بعلاقة جدلية بالإيمان في المنظور الإسلامي. وقد أكد الحق ﷻ على تلك العلاقة في القرآن الكريم، من خلال جعل الإيمان شرطًا للإنعام على الإنسان بجملة من النعم. وجاء ذلك بصيغة المفرد المحدد للنعمة المقصودة، وأحيانًا بصيغة الجمع دلالة على النعم كلها. ومن ذلك قوله تعالى بشأن نعمة الأمن: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ الأنعام: 82، ومن ذلك قوله تعالى بشأن نعمة الحياة الطيبة: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ النَّحل: 97. ومن النعم التي خصها الله تعالى بشرط الإيمان أيضًا، نعمة الخير والبركة في الرزق من السماء والأرض، وهي دلالة على شرط الإيمان للنماء والرخاء والازدهار، أو ما يمكن التعبير عنه بالازدهار التنموي، فقال سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ

وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾ الأَعرَاف: 96. والإيمان من منظور القرآن الكريم ملازم للعمل الصالح الذي ينفع صاحبه في الدنيا والآخرة. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴾ مَريَم: 96. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴾ طه: 112. وقال (عز وجل): ﴿ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴾ طه: 75. وفي المقابل، يترتب عن الكفر بالله زوال النعم المادية والمعنوية في الدنيا، فضلا عن سوء المآل الأخروي. فقال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ النَّحل: 112. وهكذا، يجعل الله ﷻ الإيمان سبيلا للنماء والتنمية الإنسانية بمختلف أبعادها المادية والروحية والمعنوية، فهو السبيل للحياة الطيبة والأمن الروحي والمادي والرخاء الاقتصادي، وهو سبيل كسب ونماء الخيرات والبركات والأرزاق من السماء والأرض...

وبينت السنة النبوية الشريفة العلاقة الجدلية بين الإيمان والتنمية تنظيرًا وتطبيقًا. فقال رسول الله ﷺ معرِّفا الإيمان ومبينًا أوجه علاقته النظرية والعملية بالتنمية: «الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»[1]. فهذا الحديث الشريف وحده كافٍ للتأكيد على العلاقة النظرية والعملية بين الإيمان والتنمية، إذ يؤكد أن الإيمان يمتد عموديًّا وأفقيًّا، من الإقرار بالألوهية والوحدانية لله ﷻ، إلى إماطة الأذى عن الطريق. وبين أعلى قمة الهرم الإيماني وقاعدته، تندرج مختلف الأفعال والتصرفات والأفكار والأقوال التي تسهم في بناء منظومة التنمية بصفة عامة والتنمية المستدامة بمختلف أبعادها الروحية والمادية بصفة خاصة. فالإيمان الكامل كما يخبر النبي ﷺ في الحديث الشريف أعلاه درجات، ويشتمل على أعمال وأفعال وأصناف من الصالحات، يصل عددها إلى بضعٍ وسبعين -أو بضعٍ وستّين- جزءًا، وكلها بانية للتنمية المستدامة وخادمة لها، بشكل مباشر أو غير مباشر. فالإيمان ذو خصال متعددة، ويشتمل على أعمال كثيرة، منها أعمال القلوب، ومنها أعمالُ اللِّسانِ، ومنها أعمالُ الجوارحِ. أعلاها درجة الإيمان بالله وإقرار التوحيد والعبودية له وحده ﷻ، والاعتراف بكونه الإله الواحد المدبر للكون المستحِق للعبادة وحده دون ما سواه، والعمل بمقتضى ذلك الإيمان. وقد بيّنا من خلال الأدلة القرآنية كيف أن الإيمان يعتبر

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان (1/ 46) حديث رقم (35).

مفتاح التنمية والنماء الدائمين. وأقل أعمال الإيمان حسب الحديث الشريف تنحية الأذى وإبعاده عن الطريق، والمراد بالأذى كل ما يؤذي الناس، من حجر، أو شوك، أو نفايات، أو تلوث، أو غيره... وهو ما يختزل إشارة نبوية حضارية عميقة إلى أن إماطة الأذى-أيًّا كان- عن الإنسان يعتبر سبيلاً لتجسيد معنى الإيمان. وهو سلوك حضاري وأخلاقي وتنموي بامتياز، تتبين أهميته بتزايد خطورة الأذى وما يلحقه من أضرار بالإنسان والبيئة والتنمية. ومن الأمثلة الواقعية المعبرة عن أهمية ذلك الفعل وعلاقته الوطيدة بالتنمية المستدامة، إزالة النفايات المسببة للتلوث البيئي من تلوث التربة والهواء والماء عن التجمعات السكانية كالمدن وغيرها؛ والتقليل من استخدام المواد الملوثة بكثرة في الصناعة ووسائل النقل وغيرها المهددة للصحة العامة للناس...

وأخبر النبي ﷺ في الحديث الشريف أيضًا أن الحياء درجةٌ وعمل وخصلةٌ من خصال الإيمان. وحقيقةُ الحياءِ خلق يبعث على تركِ القَبيحِ، ويمنع من التقصيرِ في حق اللّٰهِ تَعالَى. فهو بهذا المعنى أقوى باعثٍ على فعل الخيرِ، وأعظم رادعٍ عنِ فعل الشر. وخصّه بالذكرِ لكونه أمرًا خلُقيًّا ربّما يذهل العَقل عَن كَونِه من الإيمانِ؛ فدلَّ على أن الأخلاق الحسنةَ أيضًا من أعمالِ الإيمانِ ودرجاتِهِ. فجمع هذا الحديث الشريف بين الاعتِقادِ والعَمَلِ والأخلاقِ، وأنها كلها مُكمِّلاتٌ للإيمانِ. ونعتقد أنها تشكل أسسًا قوية للتنمية المستدامة في المجتمع المسلم، بل إنَّ أثرها يتعدى المجتمعات الإسلامية، ليشمل الإنسانية ككل. فعلى ضوء قراءة نسقية تكاملية لمكونات الحديث الشريف، فإن كل درجات وشعب وخصال الإيمان تسهم في بناء سليم لمنظومة التنمية بأبعادها المختلفة الروحية والاجتماعية، والبيئية، والأخلاقية، وغيرها. وتأكيدًا على أهمية العلاقة بين الإيمان والعمل الصالح في المفاضلة بين الناس، يقول النبي ﷺ في حديث آخر: «إِنَّ اللّٰهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ، وَأَعْمَالِكُمْ»[1]. فما يتفجر من القلوب من التقوى والإيمان والصدق والإخلاص، وما تترجمه الجوارح من الأعمال الصالحة هو معيار المفاضلة بين الناس، وليس مظاهرهم الجسدية وممتلكاتهم المادية. فالجمع بين الإيمان والعمل الصالح من شروط نجاح الشخصية المسلمة في الدنيا والدين. وبذلك، تتكامل الأدلة القرآنية والحديثية لتجعل من الإيمان شرطًا لقيام التنمية في المنظور الإسلامي.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره (8/11) حديث رقم (2564).

المطلب الثاني: جدلية الصلاح والإصلاح والتنمية المستدامة:

في إطار العلاقة بين الإيمان والتنمية من المنظور الإسلامي، تندرج خاصية أخرى من خصائص الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة، ألا وهي خاصية الصلاح والإصلاح وعدم الفساد في الأرض. فالصلاح والإصلاح منهج الأنبياء والمرسلين والمؤمنين في الأرض، وطريق الفلاح في الدنيا والآخرة، والنجاة من الهلاك والدمار، وتحقيق وراثة الأرض. وهو رسالة شاملة لكل مجالات الحياة. فالعمل الصالح سبيل للحياة الطيبة والأمن والأمان. فقال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ النَّحل: 97. وقال (عز وجل): ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ هُود: 117. وجعل الحق ﷻ التمكين في الأرض واستحقاق وراثة الأرض من نصيب العباد الصالحين، فقال: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ الأَنبِيَاء: 105.

وفي مقابل الثناء على مبدأ الصلاح والإصلاح والدعوة إلى تبنيهما منهجا في الحياة تجسيدًا لمقتضيات الإيمان بالله ﷻ، والفوز في الدنيا برسالة إعمار الأرض، ونيل مرضاة الله في الآخرة؛ تعددت الشواهد القرآنية لتحريم والنهي عن الفساد في الأرض مبدأ ومنهجًا، قولاً وفعلاً، باعتباره مسلكًا لا يؤدي إلا إلى تخريب وتدمير العمران البشري، أي القضاء على التنمية؛ وإلى سخط الله والهلاك في الآخرة. إذ لا نماء ولا تنمية مع الفساد والإفساد. فعبر الله تعالى عن سخطه وكرهه للفساد والمفسدين، ودعا عباده إلى عدم الفساد في الأرض، فقال (عز وجل): ﴿ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ القَصَص: 77. فالفساد مهلك للإنسان وللتنمية، قال (عز وجل): ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ البَقَرَة: 205. وقال سبحانه: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ الأَعرَاف: 56. وقال (عز وجل): ﴿ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ الشُّعَرَاء: 183. وجعل الحق سبحانه جزاء الفساد في الأرض متعديًا إلى الحياة الآخرة، فقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ القَصَص: 83. وفي تصوير قرآني بليغ عن العلاقة الجدلية بين عمل الإنسان وانتشار الفساد وتدهور التنمية المستدامة، يقول سبحانه: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الرُّوم: 41.

هذا، وقد بيَّنت السنة النبوية موقف الإسلام الداعي إلى الصلاح والإصلاح وعدم الفساد

في الأرض. فحذر النبي ﷺ في عدد من الأحاديث الشريفة من جملة من الممارسات المدمرة للأخلاق وللتنمية. ذلك أن التخلي عن الأخلاق القويمة والسقوط في هاوية المعاصي يخلف آثارًا سلبية على حياة الإنسان وعلى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومستقبلها. قال ﷺ:»يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خِصَالٌ خَمْسٌ إِنِ ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ وَنَزَلْنَ بِكُمْ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا ظَهَرَ فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَنْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمُؤْنَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنَ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَنْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللهُ عَلَيْهِمْ عَدُوَّهُمْ، ثُمَّ غَزَوْهُمْ وَأَخَذُوا بَعْضَ مَا كَانَ فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ يَحْكُمُوا بِكِتَابِ اللهِ إِلَّا جَعَلَ اللهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1].

من خلال قراءة متأنية للحَديثِ الشريف على ضوء تحديات التنمية المستدامة، يظهر لنا أن النَّبيّ ﷺ وهو يحذر جماعة المهاجرين ومن خلالهم كل المسلمين من الابتلاء بخمسة مناكر موجبة لغضب الله ﷻ وسخطه، فهو يحذر من خمسة موانع للتنمية الاجتماعية والاقتصادية. تتمثل الأُولى في استفحال الفاحشة في المجتمع وعقابه انتشار الطاعون. وبالتالي فالتحذير النبوي من الابتلاء بمنكر الزنا وفشوِّه في المجتمع، يقصد من بين ما يقصد إليه من مقاصد شرعية حماية النسل والعقل في المجتمع المسلم، وهما شرطان بيولوجيان أساسيان لبناء إنسان سليم قوي وقادر على النهوض بأعباء التنمية وتحقيق الإنتاج.

وتتمثل الثانية في نقص المِكيال والميزان، وهو سَرِقةُ ما يُكالُ ويُوزَنُ عندَ البيعِ والشِّراءِ، وعقابه الإصابة بالقَحْطِ، والجَفافِ، وعَدَمِ نُزولِ المَطَرِ، وقِلَّةِ الماء، «وشِدَّةِ المؤنة»، أي الغَلاءِ وقِلَّةِ الزادِ والقوتِ، «وجَورِ السُّلطانِ»، أي انتشار ظُلمِ الوُلاةِ لهم. ويبدو من خلال التحذير النبوي من المنكر الثاني الذي هو الغش في الممارسة التجارية بين الناس، علاقته المباشرة بالتنمية الاقتصادية المستدامة. إذ يقدم تفسيرًا واضحًا لأخطر الاختلالات الطبيعية والسياسية التي تهدد التنمية المستدامة، وهو احتباس المطر والجفاف وندرة الماء، وانتشار الجور والظلم. وهو ما يترتب عنه قلة الإنتاج من الأقوات والأطعمة وانتشار الغلاء وتهديد الأمن الغذائي والروحي والسياسي في المجتمع. ومعلوم أن عقاب الله تعالى للممارسين لهذا النوع من الغش لا ينحصر في الدنيا، بل يتوعدهم ﷻ بالويل في الآخرة،

1- أخرجه الطبراني في الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ط1، 1415هـ، 1995م، باب العين، من اسمه عبد الرحمن، عبد الرحمن بن عمرو الدمشقي (5/61) حديث رقم (4671).

حين قال ﴿ :ﷻوَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴾ المُطَفِّفِين: 1 - 4. ففي المنظور الإسلامي، هناك علاقة جدلية بين سلوك جماعة المسلمين ووضعيتها التنموية، في حالة الرخاء أو في حالة الشدة. ويشمل المعنى نفسه الحالة الثالثة، المتعلقة بمنكر منع الزكاة الذي يعد سببًا مباشرًا لمنع المطر، وبالتالي سببًا للجفاف وما يترتب عنه من انعكاسات سلبية على الأمن الغذائي والاقتصادي بشكل عام.

وبدوره يعد التحذير النبوي من منكر نقض عهود الله ورسوله تنبيهًا نبويًّا شريفا إلى أحد أخطر الموانع الخارجية للتنمية، وهو تسلط الأعداء الخارجيين وما يترتب عنه من سلب للأموال والممتلكات والبلدان. فقال ﷺ في الرابِعَةِ: «ولم يَنقُضوا عهدَ اللّهِ وعهدَ رسولِه»، أي إذا أخَلُّوا بالعُهودِ والمَواثيقِ التي أخَذَها اللّهُ ورسولُه عليهم من الوَفاءِ لكُلِّ ذي عهدٍ وميثاقٍ، «إلَّا سلَّط اللّهُ عليهم عَدُوَّهم من غيرِهم»، أي استَولَوْا على بعضِ ما عندَهم من الأموالِ، والمُمتلَكاتِ، والبُلدانِ. وختم النبي ﷺ بالتحذير من منكر تعطيل العمل بشرع الله في المجتمع المسلم. وهو من أخطر مسببات الفتنة الداخلية التي لا تمنع فقط المجتمع من تحقيق التنمية المستدامة، بل تقضي على أسس التنمية ومقوماتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، حيث قال ﷺ في الخامِسَةِ: «وما لم تَحكُمْ أئِمَّتُهم بكتابِ اللّهِ ﷻ ويتخَيَّروا فيما أنزَلَ اللّهُ»، أي إذا امتَنَعَ الأئِمَّةُ عن الحُكمِ بما جاءَ في كِتابِ اللّهِ كُلِّيةً، أو اختاروا بعضَ ما فيه مما لهم فيه مَصلحةٌ، فطبَّقوه وأمَروا به، وامتَنَعوا وعطَّلوا بقيَّةَ أحكامِه، فكانوا كمَن يُؤمِنون ببعضِ الكِتابِ ويَترُكون بعضَه، «إلَّا جَعَلَ اللّهُ بأسَهم بينهم»، أي جَعَلَ اللّهُ بعضَهم أعداء لبعض، وحَلَّتْ عليهم عقوبة رب العالمين.

وهكذا، يشخِّص الحديث النبوي الشريف أخطر الموانع الداخلية والخارجية للتنمية في المجتمع المسلم. فهذه المناكر الخمسة التي حذّر منها النبي ﷺ تعتبر بمنطوق الحديث الشريف من موانع ومهددات التنمية الاقتصادية والاجتماعية في الحاضر وفي المستقبل، فضلا عن العقوبات الأخروية المترتبة عنها. ولذلك، فهو دعوة إلى تجنبها تحقيقا للتنمية المستدامة بأبعادها المادية والمعنوية، ومنها الأمن والرخاء والازدهار الاقتصادي والتماسك الاجتماعي ومواجهة الأخطار الخارجية.

المطلب الثالث: جدلية الأخلاق والتنمية المستدامة:

إذا كان من المسلّم به أنَّ الإسلام دين الأخلاق، فمن الواجب أيضًا التسليم بأنَّ الإسلام دين التنمية؛ حيث يتميز الإسلام بجملة من الخصائص أهمها الكمال والشمول، مصداقا لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ المَائِدَة: 3، ويتميز أيضًا بالتوازن، والتكامل، والاعتدال، والوسطية. وفق هذا الإطار، يتميز المنظور الإسلامي للأخلاق والتنمية بالتكاملية والشمولية لشؤون الدين والدنيا، فهو منظور يبتغي تحقيق الحياة الطيبة في الدنيا بتحقيق التنمية والرخاء والازدهار الاقتصادي والاجتماعي، وتحقيق مرضاة الله تعالى الموجبة للفوز في الحياة الآخرة. ولذلك، حضَّ القرآن الكريم في آيات كثيرة على وجوب التحلي بالأخلاق الحسنة، منها قوله (عز وجل): ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النَّحل: [1]90. وعبرت آيات أخرى عن حب الله تعالى للمؤمنين الذين يتحلون بالأخلاق الحسنة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ البَقَرَة: 195، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ المَائِدَة: 42...

وتزيد السنة النبوية الشريفة في بيان أهمية الأخلاق في الحياة. فقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»[2]. وقال أيضًا: «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[3]. وتتعدد الأدلة القرآنية والحديثية عن الأخلاق وأهميتها القصوى في الإسلام. ويهمنا أساسًا في هذا السياق إبراز علاقة الأخلاق بالتنمية. وهي علاقة تتأسس -بدون شك- على الأثر العظيم الذي تحدثه التقوى في القلوب وتعكسها الجوارح عبر التحلي بالأخلاق الحميدة. فالتقوى باعتبارها محددًا باطنيًّا للأفعال توجه صاحبها نحو التحلي بالأخلاق

1- ونبه القرآن الكريم إلى جملة من المفاسد الأخلاقية في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ الحُجُرَات: 11، 12.

2- أخرجه أبو داود في سننه، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (4/400) حديث رقم (4799).

3- أخرجه ابن حبان في صحيحه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1993م، كتاب البر والإحسان، باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أكمل المؤمنين إيمانا من كان أحسن خلقا (2/227) حديث رقم (479).

الفاضلة، وتشعره بالمسؤولية المنوطة به في الأرض، مما يجعله مؤهلاً لدمج الثوابت الدينية والأخلاقية مع المعارف الدنيوية في بناء الأنساق التنموية الناجحة. وبذلك، تتأسس الخطط والبرامج والنماذج التنموية على أسس أخلاقية، وتتحرك الدوافع المادية للتنمية في إطار شرعي وأخلاقي. وانطلاقا من هكذا منظور أخلاقي، تصبح التنمية سياسة حكيمة لجلب المنافع والمصالح ودفع المفاسد والأضرار على تقوى من الله ﷻ. ومكارم الأخلاق هي التي تصنع من المؤمن ذلك الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة المنضبطة بضوابط شرع الله تعالى، في التعامل مع الله ومع الإنسان ومع المحيط البيئي والاقتصادي، لضمان استدامة النماء والتقدم الذي يعود بالنفع على الإنسانية وضمان استمرارية الحياة بشكل طبيعي ومتوازن فوق سطح الأرض، دون تجاوز لحدود شرع الله تعالى.

فمن مكارم الأخلاق الحفاظ على البيئة بمائها وتربتها وهوائها ونباتها، وتبني السياسات الرشيدة في الحفاظ عليها باعتبارها المجال الطبيعي لعيش الإنسان وتحقيق رسالته الاستخلافية والعمرانية. ومنها كذلك أيضًا ترشيد استخدام الثروات الطبيعية السطحية والباطنية التي تزخر بها الأرض، وتجود بها السماء على الإنسان. جاء القرآن الكريم زاخرًا بالآيات التي تعرف بأهمية الماء في مختلف مظاهره من الأمطار والبحار والانهار...، مبينة أهميته باعتباره منبع الحياة في المنظومة البيئية؛ وموجهة للإنسان للانتفاع به، وتحسيسه بالمسؤولية عن حسن استعماله والمحافظة عليه دون إسراف أو تبذير[1]، فقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ الأَعرَاف: 31. وعززت السنة النبوية التوجيهات القرآنية، بالدعوة إلى الحفاظ على الماء والاقتصاد في استعماله وعدم تبذيره، والحفاظ على نقاء وصفاء طبيعته. روي عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَرَّ بِسَعْدٍ، وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟ فَقَالَ: أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ»[2]. وروي عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ، وَيَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ»[3]. ولما كانت أمنًا عائشة (رضي الله عنها) حريصة على نشر

1- محمد بن أحمد الأمراني، «كيف أمر الإسلام بالمحافظة على الثروة المائية» مجلة دعوة الحق، عدد: 299، 1993م، (ص104) وما بعدها.

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، أبواب الطهارة وسننها، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه (1/272) حديث رقم (425) وأحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) (3/1489) حديث رقم (7186).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد (1/177) حديث رقم (325).

السنة النبوية، فقد أسهمت في التعريف بالهدي النبوي في الاقتصاد في الماء، وهي تسأل عن موضوع الغسل من الجنابة من طرف الرجال. قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يغْتَسِلُ فِي الْقَدَحِ وَهُوَ الْفَرَقُ وَكُنْتُ أَغْتَسِلُ أَنَا وَهُوَ فِي الْإِنَاءِ الْوَاحِدِ (...) قَالَ سُفْيَانُ: وَالْفَرَقُ ثَلَاثَةُ آصُعٍ»[1]. وهكذا، حرص ﷺ ومعه الصحابة الكرام، على تربية الأمة على أخلاق الاقتصاد في استعمال الماء في أهم العبادات وهي الصلاة، مما يفيد بوجوب الحفاظ عليه من التبذير في كل شؤون الحياة الدنيوية والأخروية. وفي ذلك درس عظيم الأهمية في التنمية المستدامة بالحفاظ على الثروة المائية. كما دعت السنة النبوية إلى الحفاظ على الماء من التلوث. فنهى رسول الله ﷺ عن تلويث المياه بقضاء الحاجة من بول أو براز في الماء الذي يستعمله الناس في وضوئهم واغتسالهم وسائر شؤونهم، وكذا في طريقهم، وفي ظلهم، وفي موارد مياههم كالسواقي والأنهار وقنوات المياه ومجاريها... قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَالظِّلِّ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ»[2]. وفي مسند الإمام أحمد: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ، قِيلَ: مَا الْمَلَاعِنُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ يَقْعُدَ أَحَدُكُمْ فِي ظِلٍّ يُسْتَظَلُّ فِيهِ، أَوْ فِي طَرِيقٍ، أَوْ فِي نَقْعِ مَاءٍ»[3]. فالإسلام دين يراعي مصالح العباد ومنافعهم؛ لذا كان النبي الكريم ﷺ شديد الحرص على تربية صحابته الكرام ومن خلالهم كل المسلمين على الحفاظ على البيئة بمختلف عناصرها، ومن ذلك تجنب الملاعن الثلاث. وفي ذلك إشارة نبوية أخلاقية خادمة للتنمية المستدامة، ترمي إلى منع كل أسباب ووسائل التلوث التي تصيب الماء بسبب تصرفات الإنسان سواء الطبيعية البيولوجية أو غيرها مما اقتضته سياقات التطور العمراني والصناعي...

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد (1/175) حديث رقم (319).

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (1/218) حديث رقم (353).

3- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ﷺ، حديث رقم (2741).

المطلب الرابع: جدلية العلم والتنمية المستدامة:

من المقومات الرئيسة لشخصية المؤمن لتحقيق التنمية المستدامة، العلم والتعليم. فإلى جانب الغذاء الروحي الإيماني والأخلاقي، لابد من العلم والتعليم لتكوين شخصية قادرة على الاستثمار السليم لما سخَّره الله تعالى له من مخلوقات في الأرض والسماء. فجاء الوحي من القرآن والسنة مؤكدًا على فضل العلم وأهميته في الحياة وعلى مكانة العلماء وفضلهم في الحياة الدنيا والآخرة، ورغّب في العلم والتعليم. قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه: 114. وبين مكانة أهل العلم، فقال (عز وجل): ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ الزُّمَر: 9. وقال أيضًا: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ المُجَادلَة: 11.

وبيَّن النبي ﷺ فَضلَ طلب العلم، وحثّ عليه في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»[1]، وقوله: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّه لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ»[2]. وفي حديث أبي الدرداء مزيد من التفصيل في فضل العلم والعلماء، حيث قال: «فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ» [3]. يقتضي العلم في التصور النبوي أن تتعدى منفعته إلى الناس، لكي ينتفعوا به في شؤونهم الدنيوية والأخروية. كما أن العلم من مقتضيات مسؤولية الاستخلاف التي أنيطت بالإنسان في الأرض، يسأل عنها يوم الحساب. قال ﷺ: «لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ» [4]. وبيَّن النبي المعلم أن رسالته قائمة على أساس الهدى والعلم، حيث قال ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب السنة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (1/151) حديث رقم (224).

2- أخرجه الترمذي في جامعه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996، 1998م، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم (4/385) حديث رقم (2646).

3- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب العلم، باب في فضل العلم (3/354) حديث رقم (3641).

4- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب في القيامة، (4/217) حديث رقم (2417).

اللّٰهُ بِهِ مِنَ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ الْغَيْثِ الْكَثِيرِ أَصَابَ أَرْضًا، فَكَانَ مِنْهَا نَقِيَّةٌ، قَبِلَتِ الْمَاءَ، فَأَنْبَتَتِ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ، وَكَانَتْ مِنْهَا أَجَادِبُ، أَمْسَكَتِ الْمَاءَ، فَنَفَعَ اللّٰهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَتْ مِنْهَا طَائِفَةً أُخْرَى، إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ، لَا تُمْسِكُ مَاءً، وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللّٰهِ، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللّٰهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللّٰهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ»[1].

وكان النبي الكريم يستعيذ من العلم غير النافع، بقوله: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَعِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَدَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»[2]. واعتبر الرسول الكريم أن العلم النافع من الأعمال المستدامة التي يستمر نفعها للإنسان بعد وفاته، فهو من الصدقة الجارية. قال ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[3]. وكان من دعاء رسول الله ﷺ الزيادة في العلم والانتفاع به. وفي ذلك إشارة نبوية إلى الجمع بين العلم والعمل لتحقيق المنافع للبشرية. فلا يكفي أن يبقى العلم مجردًا لا علاقة له بالواقع وبالمعيش اليومي للإنسان، أي بالتنمية عامة والتنمية المستدامة خاصة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي وَزِدْنِي عِلْمًا الْحَمْدُ لِلهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ» [4]. ومن ذلك، دعوته إلى نشر العلم وعدم احتكاره. فقال ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[5]. كما حذر النبي ﷺ من الرياء والتباهي بالعلم والخروج به عن مقصده الشرعي. حيث قال: «لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ لِتُبَاهُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ، وَلَا تُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ، وَلَا تَخَيَّرُوا بِهِ الْمَجَالِسَ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَالنَّارَ النَّارَ»[6].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب فضل من علم وعلم (1/27) حديث رقم (79).

2- أخرجه النسائي في سننه، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ، 2007م، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من العجز (1/1046) حديث رقم (5473/1).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (5/73) حديث رقم (1631).

4- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الدعوات عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (5/549) حديث رقم (3599).

5- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب العلم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في كتمان العلم (4/387) حديث رقم (2649).

6- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر وصف العلم الذي يتوقع دخول النار في القيامة لمن طلبه (1/278) حديث رقم (77).

على ضوء هذه النماذج من الشواهد القرآنية والحديثية حول العلم والتعليم، يتبين أن مفهوم العلم في الإسلام شامل لكل العلوم الدينية والدنيوية، فهو منظومة متكاملة لخدمة الإنسان من مختلف الأبعاد الروحية والعقلية والنفسية والطبيعية وغيرها من أجل تأهيله علميًّا للاضطلاع بمسؤولية التنمية المستدامة في الأرض. ومن هذه العلوم نذكر علوم البيئة وعلوم البحار وعلوم الفضاء وعلوم الزراعة وعلوم الماء وعلوم الطب وغيرها من العلوم التجريبية والكونية؛ بالإضافة إلى علوم العقيدة والشريعة الإسلامية...فلكل من هذه العلوم والمعارف أهميتها وإسهاماتها في خلق التنمية والحفاظ على استدامتها. فلابد من الاعتناء بهذه العلوم ونشرها وتعليمها في المجتمع الإسلامي وفق مقتضيات العصر وعلى ضوء مقاربة تكاملية لتحقيق التكوين العلمي المتين للشخصية المسلمة حتى تكون جديرة بتحمل مسؤولية التنمية المستدامة خدمة لأوطانها وللإنسانية ككل.

المطلب الخامس: جدلية الإيجابية والتنمية المستدامة:

سعت السنة النبوية إلى تربية الإنسان المسلم على الإيجابية في الحياة باعتبارها شرطًا معنويًّا للاطلاع بمسؤولية الاستخلاف وعمارة الأرض التي أناطها الله تعالى به على الوجه الأكمل، ونهى عن العجز والكسل. فقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ...»[1]. وكان كثيرًا ما يتعوذ من «العجز والكسل»[2].

ومن أعظم التطبيقات العملية لذلك، دعوة ﷺ الإنسان المسلم إلى المبادرة بغرس فسيلة في لحظة من أشد اللحظات الحرجة التي يمكن أن يعيشها الإنسان وهي لحظة الشعور بقيام الساعة. قال ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»[3]. فالمعنى المباشر للحديث الشريف، يفيد أن النبي ﷺ يوصي الإنسان بغرس الفسيلة حتى ولو كانت الدنيا على وشك الانتهاء بقيام الساعة. ويكتسي هذا الحديث الشريف أبعادًا ودلالات تنموية وحضارية لا يستطيع العقل البشري المقيد بالماديات والمنشغل

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله (8/56) حديث رقم (2664).

2- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الحزن (1/1045) حديث رقم (5468/1).

3- أخرجه البزار في مسنده، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت ط1، 1430هـ، 2009م، مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (14/17) حديث رقم (7408) كما ورد الحديث بصيغة قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا"، أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (5/2727) حديث رقم (13100).

فقط بالشؤون الدنيوية أن يستوعبها. ففي لحظة من أصعب لحظات التاريخ الكوني، وهي لحظة وشوك قيام الساعة، تأتي وصية النبي ﷺ للإنسان الذي يعيش تلك اللحظة العصيبة بالمبادرة بغرس فسيلة في الأرض إن كانت بيده إن استطاع إلى ذلك سبيلا. مما يفيد أن الدين الإسلامي هو دين الأمل ودين التنمية المستدامة بامتياز، إذ ليس من الضروري أن يفكر الإنسان في جني ثمرة عمله مباشرة، فكل ما عليه هو التوكل على الله والمبادرة بفعل الخير في الأرض، فهو دين يشجع الإنسان على إعمارِ الأرضِ مهما كانت الظروف والأحوال، مرسخًا بذلك قيم الإيجابية في الإنسان في كل الأحوالِ، متوخيًا بذلك تحقيق النفع في الكون. فقد حثَّ النبي ﷺ على كل فعل من أفعال الخير والنماء حتى ولو لم ير الفاعل ثمرته، كما جاء في هذا الحديثِ: «إن قامت الساعة»، أي: إذا ظَن أحدكم ظنا أكيدا أن القيامة بأشراطها ومواصفاتِها قد قامت «وفي يدِ أحدِكم فسِيلةٌ»، أي نبتة صغيرة مِنَ النخلِ، «فإنِ استطاع ألا تقوم حتى يغرِسها فليغرِسها»، أي يزرعها في التربةِ، ولا يترك عمل الخيرِ والنفعِ. وهذا حث استثنائي على العمل المنتج وفعلِ الخيرِ حتى في أصعب الظروفِ، ولو ظن صاحبه انعدام الانتفاعِ به. وفي ذلك توجيه نبوي إلى استمرارية الإنسان في عمل الخير والنماء إلى آخِرِ لحظة من عمره، بل إلى آخر لحظة من الدنيا. ومن نماذج الأحاديث الداعية إلى العمل في مجالات أخرى من الحضارة والعمران، في البناء والعمران مثل قوله ﷺ: «مَنْ بَنَى بُنْيَانًا مِنْ غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ أَوْ غَرَسَ غَرْسًا فِي غَيْرِ ظُلْمٍ وَلَا اعْتِدَاءٍ كَانَ لَهُ أَجْرٌ جَارٍ مَا انْتَفَعَ بِهِ مِنْ خَلْقِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»[1]. وفي مجال الطب: قال ﷺ: فَقَالَ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ اللِّه، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً»[2]. وحضَّ على العمل والتجارة. فقد «سُئِلَ رَسُولُ اللِّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ أَوْ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[3]. وقَالَ أيضًا: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[4]. ونوه ﷺ بإتقان العمل، فقال: «إِنَّ اللَّه ﷻ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ»[5]. هذه نماذج فقط من تجليات روح الإيجابية

1- أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم معاذ بن أنس الجهني (رضي الله عنه) (6/3327) حديث رقم (15856).
2- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الطب، ذكر الأمر بالتداوي إذ الله جل وعلا لم يخلق داء إلا خلق له دواء خلا شيئين، (13/426) حديث رقم (6061).
3- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، دار المعرفة، بيروت، لبنان، كتاب البيوع، ليس منا من غشنا (2/10) حديث رقم (2168).
4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2072).
5- أخرجه الطبراني في الأوسط باب الألف، من اسمه أحمد، أحمد بن يحيي الحلواني (1/275) حديث رقم (897).

التي يبثها الرسول الكريم في المؤمن من أجل العمل المنتج في مختلف مجالات العمران والحضارة والتنمية المستدامة، محفزًا على إتقان العمل لنيل محبة الله تعالى. وتلك درجة عظمى في الدنيا والآخرة.

المطلب السادس: جدلية الرحمة والتنمية المستدامة:

إذا تقرر لدينا في السابق أن الإسلام دين الأخلاق، فهو أيضًا دين الرحمة. فمن أسماء الله الحسنى الرحمن الرحيم وهي من البسملة التي تفتتح بها سور القرآن الكريم، وهو الغفور الرحيم، وأرحم الراحمين... والرحمة صفة من صفات الله تعالى التي تكرر ذكرها في القرآن الكريم على نطاق واسع في سياقات مختلفة، مما يؤكد أهمية صفة الرحمة في علاقة الله تعالى بخلقه، وفي مقدمتهم الإنسان. قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ الأَعرَاف: 156 وقال على لسان ملائكته الكرام: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ غَافِر: 7. وقال سبحانه تعليمًا لرسوله ﷺ ردًّا على المشركين إن هم كذبوه: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ الأَنعَام: 147. وقرر سبحانه أنّ الرحمةَ لا تزول عنه أبدًا، فقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الأَنعَام: 54. وأكدت السنة النبوية على رحمة الله تعالى. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَمَّا قَضَى اللهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ: إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي»[1]. وعنه أيضًا أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاحَمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أَنْ تُصِيبَهُ»[2]. تأكيدًا على أهمية خلق الرحمة، لخص الحق ﷻ مقصد بعثة الرسول الكريم، فجعلها رحمة للعالمين. فقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأَنبِيَاء: 107. وأثنى على صفة الرحمة في خلق الرسول الكريم، فقال عنه (سبحانه وتعالى): ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ التَّوبَة: 128. وجعل ﷻ القرآن الكريم كتاب رحمة. فقال (عز وجل): ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأَعرَاف: 52. وقال سبحانه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النَّحل: 89.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده (4/106) حديث رقم (3194).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب جعل الله الرحمة مائة جزء (8/8) حديث رقم (6000).

وأكدت السنة النبوية قيمة الرحمة في منظومة الأخلاق الإسلامية، منها قوله ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ اللهُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»[1]، وقوله ﷺ: «مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ»[2]، وقوله ﷺ: «لاَ تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلاَّ مِنْ شَقِيٍّ»[3]. غير أن الرحمة لا تشمل فقط الإنسان في علاقته بأخيه الإنسان؛ بل تشمل علاقته بمختلف الخلائق، مما يشكل حافزًا وموجهًا قويًّا للتنمية المستدامة. فقد ذكر النبي ﷺ في أحاديث عديدة جملة من الأعمال والتصرفات التنموية التي تبين بوضوح تلك العلاقة. ومن ذلك الحديث عن فضل الغرس والزرع وحفر الماء وغيرها من أعمال التنمية والنماء والخير، لما تحققه من الرحمة بالإنسان والحيوان والطير بتوفيرِ موارد العيش وتحقيق مختلف المنافع للإنسان وجميع المخلوقات. عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: َقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلَ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ».[4] وعَنْ جَابِرٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَى أُمِّ مُبَشِّرٍ الْأَنْصَارِيَّةِ فِي نَخْلٍ لَهَا فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ غَرَسَ هَذَا النَّخْلَ ؟ أَمُسْلِمٌ أَمْ كَافِرٌ ؟ فَقَالَتْ: بَلْ مُسْلِمٌ، فَقَالَ: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا، وَلَا يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ»[5]. يبين النبي ﷺ في الحديثين الشريفين فضل الغرس والزرع في الحياة الدنيا والآخرة، لما فيهما من النفع والخير والرحمة بالخلائق من الإنسان وغيره. وفي ذلك أيضًا حضٌّ من النبي ﷺ على العمل التنموي المنتج في المجال الفلاحي، من غرس الأشجار والزراعة، وهو عمل يتعدى نفعه بالتأكيد الإنسان المنتج إلى غيره من المخلوقات من الإنسان والطير والبهيمة... ولذلك يضمن له الرسول الكريم أجر عمله المنتج عند الله تعالى معتبرًا إيَّاه من الصدقة التي يؤجر عليها عند الله تعالى.

1- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة (4/285) حديث رقم (4941). والترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة المسلمين (3/483) حديث رقم (1924) ثم قال: «هذا حديث حسن صحيح».

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (8/7) حديث رقم (5997).

3- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في رحمة الناس (3/482) حديث رقم (1923).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب فضل الغرس والزرع (5/27) حديث رقم (1552)، و(5/28) حديث رقم (1552).

وفق نفس التصور لأهمية العمل الزراعي، تحدث ﷺ عن أهمية حفر الماء، مبرزا أثره الخيري والتنموي في نفس الوقت. فقال: «مَنْ حَفَرَ مَاءً لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ كَبِدٌ حَرَّى مِنْ جِنٍّ وَلَا إِنْسٍ وَلَا طَائِرٍ إِلَّا آجَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ بَنَى مَسْجِدًا كَمَفْحَصِ قَطَاةٍ أَوْ أَصْغَرَ بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ»[1]. في هذا الحديثِ أيضًا يُبيِّنُ النَّبيُّ ﷺ صورة أخرى من صور العمل الخيري والتنموي الذي يجسد قيمة الرحمة، ألا وهي حفر الماء لما يترتب عنه من رحمة بالعباد والبهيمة والطير. فيقولُ النَّبيُّ ﷺ: «مَن حَفَرَ ماءً»، أي: مَن حَفَرَ بِئرَ ماءٍ؛ لِيَسقيَ منه الناسَ، ما دام أنَّه حَفَرَه بهذه النِّيَّةِ ابتغاءَ مَرْضاةِ اللهِ سُبْحانَه، فقد نالَ أجْرَه، «لم يَشرَبْ منه كَبِدٌ حَرَّى من جِنٍّ، ولا إنسٍ، ولا طائِرٍ»، أي: إنَّ كُلَّ كائِنٍ قد شَرِبَ من هذا الماءِ، هو أجْرٌ يُكتَبُ لصاحِبِه يَنتفِعُ به في الآخِرَةِ، وقَولُه: «كَبِدٌ حَرَّى» من الحَرِّ، يُريدُ أنَّها لشِدَّةِ حَرِّها قد عَطِشَتْ ويَبَسَتْ من العَطَشِ، وقيل: أرادَ بالكَبِدِ الحَرَّى حَياةَ صاحِبِها؛ لأنَّه إنَّما تكونُ كَبِدُه حَرَّى إذا كان فيه حَياةٌ. وهكذا، يصوِّر لنا النبي ﷺ قيمة الرحمة من خلال هذا العمل الجليل الذي هو حفر الماء. وجعل هذا الفعل مقرونًا بفعل خيري آخر وهو بناء مسجد ولو كان صغيرًا في حجمه فإن جَزاءه عند الله أنْ يَبْنيَ له بيتًا في الجَنَّةِ. فدَلَّ هذا الحديثُ على سَعَةِ فَضْلِ اللهِ وكَرَمِه على عِبادِه، ودَلَّ أيضًا على أنَّ الإنسانَ لا يَنبَغي عليه أنْ يَدَّخِرَ الوُسْعَ في فِعلِ الخَيرِ، ولو كان قليلًا، فهو عِندَ اللهِ عَظيمٌ. وهو حديث يزخر بمعاني الرحمة والتنمية المستدامة من خلال التحفيز على حفر الماء باعتباره مصدر الحياة. وجمع الرسول الكريم في حديث آخر، بين فضل الماء والغرس، باعتبارهما من العمل الذي يجري نفعه للإنسان بعد موته، فقال ﷺ: «سَبْعٌ يَجْرِي لِلْعَبْدِ أَجْرُهُنَّ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ: مَنْ عَلَّمَ عِلْمًا، أَوْ كَرَى نَهَرًا، أَوْ حَفَرَ بِئْرًا، أَوْ غَرَسَ نَخْلًا، أَوْ بَنَى مَسْجِدًا، أَوْ وَرَّثَ مُصْحَفًا، أَوْ تَرَكَ وَلَدًا يَسْتَغْفِرُ لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ»[2].

وارتباطا بموضوع الماء، تتوالى صور الرحمة النبوية الخادمة للتنمية المستدامة من خلال بيان أثر الماء في المنظومة البيئية. ولعل في قصة الكلب في الحديث الشريف خير نموذج لتجسيد العلاقة الجدلية بين قيمة الرحمة والتنمية البيئية المستدامة من خلال توفير نعمة الماء للحيوانات. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَا رَجُلٌ بِطَرِيقٍ، اشْتَدَّ

1- أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، دار الميمان، الرياض، السعودية، ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب الصلاة، جماع أبواب فضائل المساجد وبنائها وتعظيمها، باب في فضل المسجد وإن صغر المسجد وضاق (2/444) حديث رقم (1292).

2- أخرجه البزار في مسنده، مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) ، (13/483) حديث رقم (7289).

عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَإِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا ؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ»[1]. وفي الصحيحين وغيرهما، يروي أبو هريرة قصة مماثلة تجسد معنى الرحمة إزاء الكلب أيضًا من قبل بغية من بني إسرائيل، وما ترتب عن فعلها من فضل وخير للطرفين معا في الدنيا والآخرة: سقي الكلب وإنقاذ حياته، ومغفرة ذنوبها في الآخرة. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: «قَالَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ»[2].

وفي مقابل هذا السلوك المجسد لقيمة الرحمة وأثرها في خدمة مختلف مكونات البيئة، يقدم لنا النبي ﷺ نموذجًا مخالفًا من باب التحذير والاعتبار، ويتعلق الأمر بقصة المرأة التي دخلت النار بسبب الهرة التي حبستها، فمنعتها من الطعام والماء. عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَدَعْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ [3]. وفي رواية أخرى عن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا، فَلَمْ تُطْعِمْهَا وَلَمْ تَسْقِهَا وَلَمْ تُرْسِلْهَا فَتَأْكُلَ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ»[4]. وإجمالًا، كان رسول الله ﷺ يحرص على تربية أمته على خلق الرحمة، لما فيه من فضل في الدنيا والآخرة. عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»[5]. وفي مسند الحميدي، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها (3/132) حديث رقم (2466)، ومسلم في صحيحه، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (7/44) حديث رقم (2244).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان (4/173) حديث رقم (3467)، ومسلم في صحيحه، كتاب قتل الحيات وغيرها، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (7/45) حديث رقم (2245).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب خمس من الدواب فواسق يقتلن في الحرم (4/130) حديث رقم (3318)، ومسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تَعَالَى وأنها سبقت غضبه (8/35) حديث رقم (2619).

4- أخرجه أحمد في مسنده، مسند أبي هريرة (رضي الله عنه) (3/1585) حديث رقم (7663).

5- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في الرحمة (4/440) حديث رقم (4941).

«الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ أَهْلُ السَّمَاءِ»[1].

وهكذا، يؤكد الرسول الكريم أهمية خلق الرحمة في المنظومة البيئية والتنموية. فتصرفات الإنسان وسياساته المبنية على قيمة الرحمة والتراحم، لابد أن يكون لها الأثر الطيب على التنمية المستدامة التي يتعدى نفعها للإنسان إلى باقي الكائنات، وتسهم بشكل عملي في التنمية. فالعمل والإنتاج في الزراعة وغيرها من القطاعات الإنتاجية يحقق التراحم بين الإنسان وأخيه الإنسان بتلبية حاجياته الضرورية للعيش. ويبدو ذلك واضحًا مثلا، من خلال حالات الدعم والمساعدات الغذائية والماء الشروب للمجتمعات التي تعاني من الاضطرابات الطبيعية والعسكرية من الحروب والحروب الأهلية. كما يحقق التوازن والاستدامة في المنظومة البيئية بتوفير مقومات الحياة لفائدة الكائنات الحية. وبغض النظر عن الحالات الاستثنائية التي تمر بها البشرية، فالتشجيع على الإنتاج الزراعي والاقتصادي عموما في الإسلام بقدر ما يمكن الإنسان من تحقيق حاجياته التنموية؛ بقدر ما هو مظهر من مظاهر عبادة الله تعالى، فهو سبيل لنيل الأجر والثواب عند الله ﷻ. وهي ميزة عظمى يمكن أن تشكل أقوى حافز للإنسان المسلم للاجتهاد في التنمية.

المطلب السابع: جدلية التسامح والتنمية المستدامة:

ينبني القول في هذه الجدلية على التوجيهات النبوية للتعامل بين المؤمنين داخل دائرة الإسلام، ثم مع غير المسلمين. في مقدمة الأحاديث النبوية الشريفة التي نراها خادمة لهذا المبدأ قول الرسول ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ [2]». وفي رواية: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُحِبَّ لِجَارِهِ، أَوْ قَالَ: لِأَخِيهِ، مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» [3]. وفي رواية أخرى: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»[4]. وفي رواية تنحو نحو تعميم الحكم ليشمل كافة الناس، قال رسول

1- أخرجه الحميدي في مسنده، المحقق/ حسين سليم أسد الداراني، دار المأمون للتراث، دمشق، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1423هـ، 2002م، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) (1/503) حديث رقم (602).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه (1/12) حديث رقم (13).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير (1/49) حديث رقم (45).

4- أخرجه النسائي في المجتبى، كتاب الإيمان وشرائعه، باب علامة الإيمان (1/971) حديث رقم (5032/5).

الله ﷺ: «لَا يَبْلُغُ عَبْدٌ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ»[1]. بتعدد روايات الحديث الشريف الصحيح تتعدد أبعاده ودلالاته الخيرية. يشترط النبي الكريم في هذا الحديث أنه لا يكتمل إيمان المؤمن حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه من مختلف الطاعات والفضائل والخيرات في الدين والدنيا، ويكره له ما يكره لنفسه. فالمؤمن إذن مأمور بأن يؤسس موقفه وسلوكه على مبدأ الإيمان إزاء أخيه المؤمن. فكل أنواع التصرفات من الطاعات والفضائل التي يحبها المؤمن لنفسه، والتي تجلب له النفع في علاقته بنفسه وخالقه وأخيه الإنسان وبيئته ومحيطه، يجب أن يحبها لأخيه المؤمن. وبالمقابل، يكره المؤمن لأخيه المؤمن ما يكره لنفسه من الأفعال والتصرفات، والتي تجلب له الضرر في دينه ودنياه. وباعتمادنا على الشمولية في المفهوم حسب روايات الحديث، تتمدد هذه المعاني لتشمل كل الناس.

وبناء عليه، ولما كان الإيمان قول وعمل، يظهر جليًّا أن الحديث النبوي الشريف يشكل دعوة صريحة إلى إشاعة قيم الحب والتآخي والخير والفضيلة بين عموم الناس، ونبذ قيم الكراهية والبغضاء وكل التصرفات والأفعال المشينة التي لا يرضاها الإنسان لنفسه، وبالتالي لا يرضاها لأخيه المسلم ولأخيه الإنسان بصفة عامة حسب التوجيه النبوي. لتسود بذلك الحياة الطيبة في مجتمع المؤمنين وفي المجتمع الإنساني عامة. وهي قيم أساسية للتماسك الاجتماعي والإنساني الشامل، كما أنها في نفس الوقت. شرط أساسي للتنمية المستدامة في المجتمع البشري. إذ لا يمكن أن تتحق التنمية أو التنمية المستدامة ويستفيد منها المجتمع والإنسانية بكافة فئاتها وأطيافها في غياب الإيمان بقيم التآخي والمحبة والتآزر والتضامن والتكافل بين أبناء المجتمع الإسلامي والبشرية ككل. فالإسلام من هذا المنطلق لا يقبل أن تسود قيم الحقد والكراهية الطبقية أو الفئوية أو العرقية أو الدينية أو غيرها بين أبناء المجتمع البشري وتسميم العلاقات بينهم، لما يترتب عنها من عواقب ومآلات سيئة في الدين والدنيا، من الحروب والاضطرابات وانعدام الأمن وانتشار الخراب والدمار، وبالتالي القضاء على التنمية. ولذلك، كان من الأعمال الجليلة التي قام بها ﷺ بعد الهجرة إلى المدينة تطبيق مبدأ المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين. ومن خلال التأمل في أولى قرارات التطبيق العملي لهذا المبدأ، أنها اتخذت أبعادًا تنموية اقتصادية،

1- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ما جاء في صفات المؤمنين، ذكر البيان بأن نفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه إنما هو نفي حقيقة الإيمان لا الإيمان نفسه (1/470) حديث رقم (234)، و(1/471) حديث رقم (235).

كما اتخذت أبعادًا اجتماعية. فقد بادر الأنصار مباشرة إلى اقتراح تقسيم ممتلكاتهم مع المهاجرين.عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ. قَالَ: لَا، فَقَالُوا: تَكْفُونَا الْمُؤْنَةَ، وَنَشْرَكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا[1].

ويحدثنا عبد الرحمن بن عوف ﷺ عما وصلت إليه درجة هذه المؤاخاة، حيث فاقت القبول باقتسام الثروة المادية، إلى القبول باقتسام الزوجات على أساس شرعي. فيقول: «لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا»[2]. هذه الروح من المؤاخاة عند الأنصار، وجدت في المقابل روحًا من الزهد والتوكل على الله عند المهاجرين، «فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ، هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعَ، قَالَ: فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: تَزَوَّجْتَ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: وَمَنْ، قَالَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: كَمْ سُقْتَ، قَالَ: زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ»[3].

خلّد القرآن الكريم هذا النوع الفريد من الأخوة بين الأنصار والمهاجرين في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ الحَشر: 9.

ولم يكتف النبي الكريم بالمؤاخاة بين المؤمنين المهاجرين والأنصار؛ بل أقر مبدأ التعايش بين المسلمين واليهود في مجتمع المدينة، وهو ما يسمى بـ«الموادعة»، حيث «كتب رسول الله ﷺ كتابًا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه يهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم»[4]، وذلك في إطار وثيقة دستورية فريدة من نوعها في التاريخ الإنساني، تعرف باسم

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا قال اكفني مؤونة النخل وغيره وتشركني في الثمر (3/104) حديث رقم (2325)، وفي كتاب الشروط، باب في المعاملة بالمثل (3/190) حديث رقم (2719)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب إخاء النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار (5/32) حديث رقم (3782).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض (3/52) حديث رقم (2048).

3- الحديث نفسه.

4- ابن هشام، السيرة النبوية، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت، (2/119).

«الصحيفة»[1]، وهي «كتابه ﷺ بين المهاجرين والأنصار واليهود وهو دستور الدولة البلدية بالمدينة»[2]؛ مؤسسًا بذلك لمفهوم المواطنة باعتباره النواة المركزية لبناء المجتمع والدولة في الإسلام، وأساس السلم المجتمعي الذي يعد أساس التنمية المستدامة.

فقد كتب رسول الله ﷺ في دستور المدينة: «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين»، وتكفّل لهم بجميع أنواع الحقوق؛ في مقدمتها حق الحياة والوجود بمجتمع المدينة في ظل دولة الإسلام، وحق التدين، فأقر ﷺ أن: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم»؛ وحق الحماية والدفاع، حيث كتب ﷺ: «وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنّ بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة». وأقر لهم كذلك حق العدل في المعاملة ورفع عنهم الظلم، حيث جاء في الصحيفة: «وأنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم». وأقر لهم حقوقًا أخرى منها حق التملك، فلم يصادر أملاك أحد منهم، بل أقر المسلمين على التجارة معهم[3]. وكان ﷺ يعامل اليهود بالمال، ويفي لهم معاملتهم. عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَعْطَى خَيْبَرَ الْيَهُودَ، عَلَى أَنْ يَعْمَلُوهَا وَيَزْرَعُوهَا، وَلَهُمْ شَطْرُ مَا خَرَجَ مِنْهَا [4]. كما تعامل معهم تجاريًّا. فعَنْ عَائِشَةَ ﷺ قَالَتِ: اشْتَرَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ يَهُودِيٍّ طَعَامًا، وَرَهَنَهُ دِرْعَهُ [5]. ولم تتغير علاقتهم بهم إلا بعد نقضهم العهود والمواثيق التي تجمعهم بالدولة النبوية. وكان ذلك طبقًا لدستور المدينة الذي جاء فيه: «لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم نفسه وأثم، فإنه لا يوتِغ - أي: يُهلِك - إلا نفسه وأهل بيته»[6].

وعلى غرار اليهود، أقر النبي ﷺ التعامل مع أهل الكتاب من النصارى واعترف لهم بالفضل حين تطلب الموقف ذلك. ولعل أوّل موقف سجله النبي الكريم في هذا السياق هو شهادته بالعدل لملك الحبشة النجاشي الذي كان على دين النصرانية. إذ لما رأى

1- المصدر نفسه.

2- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية (ص-59 62).

3- المرجع نفسه.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، في كتاب الحرث والمزارعة، باب المزارعة مع اليهود (3/105) حديث رقم (2331).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرهن، باب الرهن عند اليهود وغيرهم (3/143) حديث رقم (2513).

6- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية (ص62)، أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة (1/313).

رسول الله ﷺ أصحابه وما يصيبهم من البلاء والشدة، وأنه لا يقدر على منعهم وحمايتهم من قومهم، وأنه ليس في قومهم من يمنعهم كما منعه أبو طالب، وجههم للهجرة إلى أرض الحبشة، قائلاً لهم: «إن بها ملكا لا يظلم الناس ببلاده، في أرض صدق، فتحرزوا عنده حتى يأتيكم الله ﷻ بفرج منه ويجعل لي ولكم مخرجًا»[1]. وهو ما تحقق بالفعل. «فهاجر رجال من أصحابه إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرّوا إلى الله ﷻ بدينهم. واستخفى آخرون بإسلامهم»[2]. وعاشت جماعة المهاجرين على الإسلام في ظل عدل الملك النجاشي. وحين وفاته، أقام النبي ﷺ صلاة الغائب عليه. عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، خَرَجَ إِلَى الْمُصَلَّى فَصَفَّ بِهِمْ وَكَبَّرَ أَرْبَعًا»[3]. وفي رواية أخرى عَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ حِينَ مَاتَ النَّجَاشِيُّ: «مَاتَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَقُومُوا فَصَلُّوا عَلَى أَخِيكُمْ أَصْحَمَةَ»[4]. وكلتا الروايتين تؤكد تعظيم النبي ﷺ لهذا الملك العادل في حياته ومماته.

ومع تطور الدعوة الإسلامية، أقرَّ ﷺ عهدًا مع نصارى نجران حين قدومهم عليه عقب غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، وهو عهد «يمثل قمة من قمم العدل والسماحة والحرية، تمكن بفضله الرسول ﷺ من استيعاب كل النصارى؛ نصارى نجران وكل المتدينين بالنصرانية، في صلب الأمة الواحدة، ومن تبديد هاجس خوف النصارى الذي ظل نصارى نجران يعانون منها طيلة سنوات خلت[5]. وضمن الرسول الكريم بموجب هذا العهد جملة من الحقوق للنصارى، منها حرية الاعتقاد؛ حيث نص العهد على أنه «لا يجبر أحد ممن كان على ملة النصرانية كرهًا على الإسلام»، وحرية ممارسة الشعائر التعبدية واحترام الأساقفة والرهبان وعدم التعرض لهم بالتغيير، وحق إقامة المعابد، وحمايتها، وحرية التزوج مع المسلمين دون مساس بحرية الاعتقاد. وضمن لهم حقوقهم المالية، بتطبيق العدل في القضاء والمساواة في تحمل الأعباء المالية، فريضة إلهية شاملة لكل الأمة على اختلاف معتقداتها الدينية؛ إذ نصَّ العهد على أنه «لا خراج ولا جزية إلا على من يكون في يده ميراث

1- ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق (ص154).
2- المصدر نفسه.
3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الرجل ينعى إلى أهل الميت بنفسه (2/72) حديث رقم (1245).
4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، باب موت النجاشي (5/51) حديث رقم (3877).
5- عبد الهادي بوطالب، من قضايا الإسلام المعاصر (ص76)، فاروق حمادة، العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي (ص113، 117).

من ميراث الأرض ممن يجب عليه فيه للسلطان حق، فيؤدي ذلك على ما يؤديه مثله، ولا يجار عليه، ولا يحمل منه إلا قدر طاقته وقوته على عمل الأرض وعمارتها وإقبال ثمرتها، ولا يكلف شططًا، ولا يتجاوز به حد أصحاب الخراج من نظرائه»[1].

وضمن لهم ﷺ كل الحقوق التي ترقى إلى تحقيق المساواة الكاملة مع المسلمين بقوله: «لأني أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين. وعلى المسلمين ما عليهم بالعهد الذي استوجبوا حق الذمام، والذب عن الحرمة، واستوجبوا أن يذبَّ عنهم كل مكروه، حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم، وفيما عليهم»[2]. كما اشترط عليهم واجبات من صميم الانتماء إلى الأمة والدولة التي احتضنتهم، وضمنت لهم المواطنة الكاملة في إطار المساواة والحرية مع مختلف الشركاء باختلاف أديانهم. وتعزز بعض الأحاديث النبوية الشريفة هذا المنهج النبوي المثالي في حماية أهل الذمة. منها قول الرسول الله الكريم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3]. وقوله كذلك في حماية حياة المعاهد: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا»[4].

إن التدبير النبوي للاختلاف الديني بترسيخ قيم التعايش والتسامح مع أهل الكتاب، يتجاوز كونه فقط تطبيق مثالي لمبدأ حرية الاعتقاد، الذي يلخصه قوله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ البَقَرَة: 256 وقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡ ﴾ الكَهف: 29؛ بل إنه تدبير تنموي بامتياز. ذلك أن ضمان حقوق أهل الكتاب في الأمة والدولة في العهد النبوي، ومن خلالها الأمة الدولة الإسلامية عبر التاريخ، يمكن من استيعاب مختلف مكونات المجتمع رغم اختلاف انتماءاتها الدينية، وتحقيق التماسك الاجتماعي والأمن الروحي والاجتماعي،

1- محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية (ص188).

2- المرجع نفسه (189-188).

3- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارة (3/136) حديث رقم (3052)، والبيهقي في سننه، الكبير، كتاب الجزية، جماع أبواب الشرائط التي يأخذها الإمام على أهل الذمة وما يكون منهم نقضا للعهد، باب لا يأخذ المسلمون من ثمار أهل الذمة ولا أموالهم شيئًا بغير أمرهم إذا أعطوا ما عليهم وما ورد من التشديد في ظلمهم وقتلهم (9/205) حديث رقم (18799).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (4/99) حديث رقم (3166)، وفي كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم (9/12) حديث رقم (6914).

وتحرير طاقات مختلف الفئات الاجتماعية الدينية، وتوجيهها نحو العمل والإنتاج والإسهام في تحقيق التنمية المستدامة التي تعود بالنفع العميم على كافة المجتمع. في حين أن غياب مثل تلك السياسة النبوية الرشيدة يؤدي بدون شك إلى طغيان النزعة الطائفية وزعزعة الأمن الروحي والاستقرار الاجتماعي، مما يؤثر سلبًا على وتيرة التنمية المستدامة.

ولم تقتصر دروس التدبير النبوي للاختلاف الديني على المستوى الداخلي، بل تجاوزت ذلك إلى المستوى الخارجي، بتدبير العلاقة مع الآخر المخالف في الدين، على أساس العدل وحسن الجوار والسلم، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ المُمتَحنَة: 8. قال ﷺ في توجيه عملي لعلي بن أبي طالب ﷺ لما بعثه إلى خيبر، وأمره أن يدعو اليهود إلى الإسلام: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[1]. وأرسى ﷺ قواعد الدبلوماسية الدولية من خلال مراسلته لعدد من زعماء وملوك عصره لدعوتهم إلى الإسلام، بأسلوب يراعي المقام، ويبعث على الاحترام ويحترم السيادة. فكان في كل رسائله يصف الملك أو الزعيم بالعظمة. ومن ذلك قوله ﷺ مخاطبا ملك الحبشة: «هَذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ إِلَى النَّجَاشِيِّ الأَصْحَمِ، عَظِيمِ الْحَبَشَةِ...» [2]. وفي رسالته إلى قيصر الروم، يقول: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ...»[3]؛ وفي رسالته إلى كسرى فارس، يقول: «مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى كِسْرَى عَظِيمِ فَارِس...»[4]؛ ويقول في رسالته إلى المقوقس حاكم مصر: «مِنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ إِلَى الْمُقَوْقس عَظِيمِ الْقِبْطِ...»[5]. وكان ﷺ حريصًا على الاهتمام بالوفود الدبلوماسية التي تفد إليه على اختلاف أديانها ومعتقداتها، فكان يكرمها استقبالًا وضيافةً وتجمُّلًا وإهداء...وبلغ به الأمر أن أوصى بهم، وهو في اللحظات الأخيرة من حياته، فكان

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ الناس إلى الإسلام (4/47) حديث رقم (2942)، وفي كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم على يديه رجل (4/60) حديث رقم (3009).

2- انظر نصوص رسائل النبي ﷺ في: محمد حميد الله، الوثائق السياسية (ص100).

3- المرجع نفسه (ص109).

4- المرجع نفسه (ص143).

5- المرجع نفسه (ص135).

مما أوصى به ﷺ عند وفاته بثلاث، منها وصيته: «وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُ أُجِيزُهُمْ»[1]. ومعناه: «أَجِيزُوا الْوَفْدَ أَيْ أَعْطُوهُمْ، وَالْجَائِزَةُ الْعَطِيَّةُ»[2].

كثيرة، إذن، هي الدروس والعبر التي يمكن استثمارها من خلال الهدي النبوي الشريف في التعامل الدبلوماسي مع الآخر/ المخالف في الدين على مستويات مختلفة من تدبير العلاقات الاجتماعية والدولية من منظور إسلامي وإنساني عالمي. ولعل من أهم تلك الدروس والعبر التي يمكن التوقف عندها ونحن نحاول تشكيل صورة الإنسان الجدير بتحقيق التنمية المستدامة، هي شرعية التأسيس لتحالف إنساني كوني من أجل التنمية المستدامة، يجمع كل الإنسانية باختلاف انتماءاتها الدينية والثقافية والسياسية من أجل إنقاذ المنظومة البيئية ومعها الحياة البشرية من الانهيار والدمار الذي يتهددها، وعلاج الاختلالات الخطيرة التي تنتج عن التصرفات والسياسات والممارسات غير الرشيدة للإنسان في مواجهة الطبيعة. والإسلام بأصوله التشريعية، ومنها الحديث الشريف موضوع اشتغالنا في هذا البحث، وبتجربته التاريخية والحضارية كفيل بترشيد الوعي والسلوك البشري نحو مزيد من التعاون على الخير والمعروف لتحقيق التنمية المستدامة لفائدة الإنسانية.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستشفع إلى أهل الذمة ومعاملتهم (4/69) حديث رقم(3053).

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض، ط1، 1426هـ، 2005م، كِتَاب الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَاب جَوَائِزِ الْوَفْدِ وبَاب هَلْ يُسْتَشْفَعُ إِلَى أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُعَامَلَتِهِمْ (7/301) حديث رقم (3053)، وفي كِتَاب الْمَغَازِي، بَاب مَرَضِ النَّبِيِّ ﷺ وَوَفَاتِه (9/590) حديث رقم (4431).

خاتمة البحث

في ختام هذا البحث، يمكن تسجيل النتائج التالية:

أولا: دراسة وتحليل علاقة الإنسان بالتنمية المستدامة من منظور السنة النبوية، تشكل قيمة مضافة في مقاربة قضايا وإشكالات التنمية المستدامة في العصر الراهن؛ بما يسهم في تعزيز دور البحث العلمي في التأكيد على أهمية السنة النبوية باعتبارها مصدرًا تشريعيًّا تعنى بمعاش الإنسان ومعاده من جهة، وباعتبار الحاجة الملحة للبشرية إلى التوجيه النبوي في زمن الاضطرابات العقدية والاختلالات في النماذج التنموية المهددة للحياة البشرية فوق سطح الأرض من جهة أخرى.

ثانيًا: المنظور الإسلامي في تحقيق التنمية المستدامة ينطلق من مكانة الإنسان المركزية في الكون، باعتبار شرف التكريم الذي حظي به الإنسان دون سائر الخلائق؛ وعليه تتأسس مسؤولية الاستخلاف في الأرض التي تقتضي منه النهوض بواجب التنمية المستدامة وبناء العمران في الأرض وفق الضوابط الشرعية.

ثالثًا: بناء الإنسان شرط أساس للنهوض بواجب التنمية المستدامة. فالإنسان الجدير بتحمل مسؤولية التنمية المستدامة على ضوء السنة النبوية، لا بد أن تتوفر فيه جملة من الخصائص التي تشكل منظومة من القيم النابعة من عمق العقيدة والشريعة الإسلامية البانية للإنسان والعمران معًا. وفي هذا السياق تضمن البحث جملة من الخصائص التي بحثنا عن سندها الشرعي في السنة النبوية، مع محاولة تشخيص علاقتها الجدلية بالتنمية المستدامة، حيث تمت صياغتها على شكل ثنائيات مفاهيمية تربط بينها علاقة جدلية، وهي كالتالي: جدلية الإيمان والتنمية المستدامة؛ جدلية الصلاح والإصلاح والتنمية المستدامة؛ جدلية العلم والتنمية المستدامة؛ جدلية الأخلاق والتنمية المستدامة؛ جدلية الإيجابية والتنمية المستدامة؛ جدلية الرحمة والتنمية المستدامة؛ جدلية التسامح والتنمية المستدامة.

رابعًا: هذه الخصائص/القيم السبع تشتغل في إطار منظومة نسقية تكاملية لبناء وتأهيل الإنسان الصالح والجدير بتحمل مسؤولية التنمية المستدامة.

خامسًا: على الرغم من استناد هذه القيم/ الخصائص إلى أساس شرعي يمثل الخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية من خلال السنة النبوية، إلا أنها تكتسب طبيعتها

الإنسانية العابرة للخصوصيات، خاصة وأنها لا تتخذ من المعتقد حاجزًا دون التحالف بين بني البشر للنجاح في معركة التنمية المستدامة والحفاظ على الكوكب الذي يعيش عليه الجميع؛ بل هي محاولة لتوظيف الحديث النبوي على واجهتين: داخلية تخص المسلمين، باعتماد الهدي النبوي في التحفيز والتأطير للمواقف والممارسات في التنمية المستدامة؛ وخارجية لتبليغ التوجيهات النبوية إلى كافة البشر وإبراز العمق الإنساني والتنموي والبيئي للحديث الشريف؛ استلهامًا للهدي النبوي في ترسيخ الإيمان بمسؤولية الإنسان عن مآل العمران البشري والتنمية المستدامة، وتعضيده بالعلم والأخلاق والإيجابية والرحمة والتسامح. كل ذلك في سبيل بناء تحالف إنساني من أجل التنمية المستدامة فوق كوكب الأرض.

أهم توصيات البحث:

يوصي البحث بما يلي:

1. التنويه بمشروع جامعة الوصل لعقد مؤتمرات سنوية للحديث الشريف، باعتبارها فرصة علمية دولية لعلماء الإسلام لتنوير البشرية بما تكتنزه السنة النبوية الشريفة من قيم ومبادئ وأحكام وتوجيهات لصياغة المواقف وتأطير الممارسات والسياسات حول قضايا الإنسانية ومن أهمها التنمية المستدامة.

2. بذل مزيد من الجهود للتعريف بالقيم والأحكام الدينية الإسلامية المستمدة من السنة النبوية في مجال البيئة والتنمية المستدامة، وتعزيز حضور السنة النبوية في مقاربة قضايا البيئة والتنمية المستدامة في البرامج التعليمية والإعلامية والملتقيات الدولية المتخصصة.

3. إيلاء مزيد من العناية والاهتمام بتربية الأجيال الناشئة على التحلي بقيم الإيمان والعلم والأخلاق والصلاح والإيجابية والرحمة والتسامح في سبيل حماية البيئة وتحقيق التنمية المستدامة.

4. تعزيز دور المعرفة الدينية الصحيحة في مقاربة قضايا البيئة والتنمية المستدامة في البرامج التعليمية والإعلامية والملتقيات الدولية المتخصصة.

5. تعزيز دور علماء الدين في الملتقيات والمؤتمرات العالمية للبيئة والتنمية المستدامة،

إلى جانب المتخصصين في مجالات أخرى ذات الصلة بالموضوع.

6. تشكيل تحالف عالمي إنساني للبيئة والتنمية المستدامة بمشاركة علماء الأديان السماوية تحت إشراف الأمم المتحدة.

7. تشجيع البحث العلمي في الجامعات العربية والإسلامية في السنة النبوية حول قضايا البيئة والتنمية المستدامة.

8. صياغة مشاريع استراتيجية إسلامية للبيئة والتنمية المستدامة انطلاقا من القرآن الكريم والحديث الشريف، وتقديمها إلى الأمم المتحدة والهيئات الدولية المهتمة لتقديم الإسهام الإسلامي في التنمية المستدامة.

9. إحداث جائزة دولية للبحث في الحديث النبوي الشريف تخصُّ القضايا والتحديات المعاصرة للبشرية، منها: جائزة الحديث النبوي الشريف للبيئة والتنمية المستدامة.

لائحة المصادر والمراجع

المصادر:

- القرآن الكريم.
- البحر الزخار المعروف بمسند البزار، للإمام أبو بكر البزار، أحمد بن عمرو، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ط1، 1430-1409هـ، -1988 2009م.
- جامع الترمذي، للإمام الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1996 - 1998م.
- سنن ابن ماجه، للإمام ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
- السنن الكبرى للإمام البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، مجلس دائرة المعارف العمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط1، -1352 1355هـ، (ترقيم الأحاديث، وفق ترقيم شركة حرف؛ وهو ما يظهر في خدمة التخريج وقوائم نتائج البحث؛ لعدم وجود ترقيم في النسخة المطبوعة).
- سنن النسائي، للإمام النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1428هـ، 2007م.
- سيرة ابن إسحاق المسماة بكتاب المبتدأ والمبعث والمغازي، لابن إسحاق، المحقق/ محمد حميد الله، نشر معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1396هـ، 1976م.
- السيرة النبوية، لابن هشام (ت218هـ)، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، د.ت.
- صحيح ابن حبان، للإمام ابن حبان، محمد بن حبان البُستي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط2، 1414هـ، 1993م.

- صحيح ابن خزيمة، للإمام ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق، دار الميمان، الرياض، السعودية، ط1، 1430هـ، 2009م.
- صحيح البخاري، للإمام البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، دار طوق النجاة، بيروت، ط1، 1422هـ.
- صحيح مسلم، للإمام مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، للإمام ابن حجر العسقلاني، اعتنى به أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض،ط1، 1426هـ، 2005م.
- المستدرك على الصحيحين للإمام النيسابوري، أبي عبد الله الحاكم، دار المعرفة، بيروت، لبنان (ترقيم الأحاديث، وفق ترقيم شركة حرف؛ وهو ما يظهر في خدمة التخريج وقوائم نتائج البحث؛ لعدم وجود ترقيم في النسخة المطبوعة).
- مسند أحمد، للإمام ابن حنبل، أحمد بن محمد، جمعية المكنز الإسلامي، دار المنهاج، ط1، 1431هـ، 2010م.
- مسند الحميدي، للإمام الحميدي، أبو بكر عبد الله بن الزبير الحميدي، دار المأمون للتراث، دمشق، دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض، ط2، 1423هـ، 2002م.
- المعجم الأوسط للإمام الطبراني، سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ط1، 1415هـ، 1995م.
- المقدمة، لابن خلدون (ت808ه/1406م)، المحقق/ إبراهيم شبوح وإحسان عباس، ج1، تونس، 2006م.
- الموافقات، للإمام أبي إسحاق الشاطبي، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي (ت790هـ)، تحقيق وتعليق/ الحسين أيت سعيد، منشورات البشير بنعطية، فاس المغرب، ط1، 1438هـ، 2017م.

المراجع الحديثة:

- الإسلام والتنمية المستدامة (رؤية كونية جديدة)، عودة راشد الجيوسي، عمان، الأردن، 2013م.
- التنمية المستدامة في السنة النبوية، فراس بن ساسي، بحث لنيل الماجستير في الحديث الشريف، المعهد العالي للحضارة الإسلامية، تونس، 2018-2017م.
- السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط6، 1996-1415م.
- العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، 2004م.
- القيم الحضارية في السنة النبوية، ندوة دولية علمية ثالثة، الأمانة العامة لندوة الحديث الشريف، كلية الدراسات الإسلامية والعربية، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1428هـ، 2007م.
- من قضايا الإسلام المعاصر، عبد الهادي بوطالب، مطبعة النجاح، البيضاء ط1، 2004م.

المقالات:

- "كيف أمر الإسلام بالمحافظة على الثروة المائية" للأمراني، محمد بن أحمد، مجلة دعوة الحق، عدد 299، 1993م.
- الموسوعات والمواقع الإلكترونية والبرامج الحاسوبية:
- الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: مؤتمرات https://www.un.org/ar/confer-ences/environment
- الموقع الإلكتروني للأمم المتحدة: التنمية
- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar
- (https://www.guidetosunnah.com/ar/websites/show/160)

- برنامج جامع خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز للسنة النبوية المطهرة.
- مصحف المدينة للنشر المكتبي، نسخة 2.6، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،المدينة المنورة، 1438هـ.

بناءُ الشبابِ وتحقيقُ التنميةِ المُستدامةِ بينَ المتطلباتِ والمكتسباتِ مِن منظورِ السنةِ النبويّةِ

أ. د. رقية بوسنان
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة – الجزائر

ملخص

يهدفُ البحثُ إلى تحديد العلاقة بين الشباب والتنمية المستدامة، عن طريق توضيح المفهوم والسمات، وتقدير المتطلبات والمكتسبات، واستخدم البحث منهج الاستقراء الذي يستقرئ جزئيات الموضوع من الأدبيات المختلفة، ومنهج الاستنباط الذي يستدل به من نصوص السنة النبوية، عن طريق تحديد الخطاب الخاص بالشباب، والخطاب العام الذي يتضمن هذه الفئة، وتوصل البحث إلى نتائج هامة أقرت بأن نصوص السنة النبوية تحرص على بناء الشباب لتحقيق التنمية المستدامة، ومن المتطلبات التي أشارت إليها النصوص، تعليمه التوحيد الخالص، إسناده المهمات الثقيلة، إشراكه في حل المشكلات، وتحذيره من اهدار المرحلة، تحفيزه على العمل، وأما المكتسبات فقد شملت البعد الاجتماعي الذي ركز على توفير العمل والعدالة الاجتماعية، والبعد الاقتصادي الذي ركز على مجتمع الغابة وحفظ الثروة المائية، والمحافظة على المال العام، والتحذير من التعاملات المالية المحرمة شرعا.

الكلمات المفتاحية: الشباب، التنمية المستدامة، المكتسبات، المتطلبات.

Abstract

The research aimed to identify the relationship between youth and sustainable development by clarifying the concept and characteristics and estimating the requirements and gains. The research used the inductive method, which extrapolates the parts of the topic from various literatures, and the deductive method, which infers it from the texts of the Prophetic Sunnah, by identifying the specific discourse on youth, and the general discourse that includes this category, and the research reached important results that recognized that the texts of the Prophetic Sunnah are keen on building of youth to achieve sustainable development, and the requirements referred to in the texts include teaching him pure monotheism, assigning him heavy tasks, engaging him to solve issues, warning him against wasting.

Keywords: Youth, sustainable development, achievements, requirements.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه ومن اقتدى بهديه إلى يوم الدين...

يعدُّ الشبابُ في كل عصر ومصر أساسا لبناء المجتمع، ولبناء الحياة بكل أطيافها بناء سليما، فالنظر إلى مستقبل الأمة يعني العناية بالشباب من أجل استنهاض مكامن القوة التي تجري في أوصالها، فالشباب في حياة الإنسان مجموع طاقات جامحة، فإذا كانت موجهة نحو الاستقامة والخير، فهي تهيئ للأمة خيرًا كبيرًا، أما إذا تركت هذه الطاقات تتجه نحو الشذوذ والانحراف، فإنه يتهيأ للأمة كلها من هذه الطاقات شر كبير، ولهذا ندرك أهمية إعداد الشباب، والمحافظة عليهم، فالشباب بحيويته ونشاطه يشكل إمدادا قويا لحياة المجتمع كله[1].

ولعل من أهم المجالات التي تتطلب العناية بالشباب، مجال التنمية المستدامة وهو المصطلح الشائع في القرارات الأممية والدولية والوطنية، ومن خلالها تدعو إلى تأمين مستقبل الشباب في مستويات عدة، تتركز بلغة التخصص في المجالين الاجتماعي والاقتصادي، ففي المجال الاجتماعي يتحدد وفق التنمية المستدامة، العدالة الاجتماعية، وتوفير فرص العمل للجميع، وتحقيق الاستقرار، وفي المجال الاقتصادي يتحدد مصطلح البيئة والطاقة، ويشملان، مجتمع الغابة، وتنظيم المياه، بالإضافة إلى المحافظة على المال العام، وتحريم التعاملات الاقتصادية المضرة بالفرد والمجتمع.

اعتمد البحث منهجي الاستقراء والاستنباط، حيث تم من خلال الأول إدراج كل الجزئيات الخاصة بموضوع البحث تحت محاوره الرئيسة، ثم قراءة جزئيات الموضوع انطلاقا من منظور السنة النبوية، وتم من خلال الثاني، الانطلاق من القاعدة الكلية، ليستنبط منها ما يصلح من قواعد يمكن تطبيقها على الجزء، ووضع تصورات محددة، لتوقع ما يتوصل إليه من نتائج.

تم تقسيم الورقة وفقا لاعتماد المنهجين، إلى ثلاثة مباحث، تناولت في المبحث الأول، مفهوم الشباب من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وسمات الشباب في السنة النبوية، وتناول المبحث الثاني، متطلبات بناء الشباب في السنة النبوية، فركزت على جانب قاعدة التوحيد

1- المهدي، صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال، وزارة الثقافة، ط1، 2009م، (ص109).

وضرورة تعليمه للشباب باعتباره منطلقا وميزانا لنجاح أي عمل، ثم قاعدة إسناد الشباب المهمات الثقيلة لتهيئتهم واختبار قوتهم وجلدهم، وأيضًا قاعدة إشراك الشباب في حل المشكلات الطارئة والتي تستدعي الذكاء والقوة العقلية، وقاعدة التحذير من إهدار المرحلة المهمة والتي يميزها العطاء المستمر، وأخيرا قاعدة التحفيز على العمل الذي تنطلق منه أساسيات التنمية المستدامة، وتحددت في المبحث الثالث، مكتسبات التنمية المستدامة وهي مخرجات للسمات والمتطلبات، وتم التركيز على جانبين، الجانب الاجتماعي الذي ركز على ضرورة العمل والعدالة الاجتماعية، والجانب الاقتصادي الذي أشار إلى مجتمع الغابة، والمحافظة على المياه، والمال العام، وتحريم المعاملات الاقتصادية المضرة ببيئة التنمية.

ويمكن القول أن الجديد كقيمة مضافة في هذا البحث، هو الانطلاق من مقاربة توجهات الأمم المتحدة التي سبقت إلى طرح موضوع التنمية المستدامة في أبعاده المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، للوصول إلى عرض مقاربة السنة النبوية، والتأكيد على مدى استيعابها للموضوع وقدرتها على وضع الحدود البحثية ومساءلة الواقع، ومحاولة تقديم الأفضل في ظل الأطروحات المجانبة للطرح الإسلامي، والمنبعثة من تقصير رؤية الإنسان وعزوفه عن الامتثال لقوانين المرجعية الإسلامية المؤطرة بالقرآن والسنة، وتم تذييل البحث بخاتمة تتضمن النتائج المتوصل إليها، وتوصيات للمؤتمر من أجل تثمين أهدافه واستشراف أعماله.

المبحث الأول: مفهوم الشباب وسماته

المطلب الأول: مفهوم الشباب:

الفرع الأول: مفهوم الشباب لغة:

لا تختلف قواميس اللغة في تعريف مفردة الشباب على أنها الحداثة والفتوة وهي عكس الهرم، وقد اقترنت هذه المفردة بوصلات ومفردات أخرى لتعطي دلالات متعددة، «كاندفاع الشَّباب أي طيشه وتهوّره، حُميَّا الشَّباب: حدّته ونشاطه، رونق الشَّباب: أوَّله وطراوته، ماؤه ونضارته، عزّ الشّباب، عنفوان الشّباب، غُلَوَاء الشّباب: أوّله ونشاطُه، في رائعة شبابه، في مقتبل عمره»[1]، ومعنى الشباب أيضًا، من أدرك سن البلوغ ولم يصل إلى سن الرجولة[2].

«وَالشَّبَابُ جَمْعُ شَاب، قَالَ الْأَزْهَرِيُّ: لَمْ يُجْمَعْ فَاعِلٌ عَلَى فَعَالٍ غَيْرُهُ وَأَصْلُهُ الْحَرَكَةُ وَالنَّشَاطُ. وَهُوَ اسْمٌ لِمَنْ بَلَغَ إِلَى أَنْ يُكَمِّلَ ثَلَاثِينَ، هَكَذَا أَطْلَقَ الشَّافِعِيَّةُ، حَكَى ذَلِكَ عَنْهُمْ صَاحِبُ الْفَتْحِ، وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ: يُقَالُ لَهُ: حَدَثٌ إِلَى سِتَّ عَشْرَةَ سَنَةً ثُمَّ شَابٌّ إِلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ، ثُمَّ كَهْلٌ قَالَ الزَّمَخْشَرِيّ: إِنَّ الشَّابَّ مِنْ لَدُنْ الْبُلُوغِ إِلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَقَالَ ابْنُ شَاسٍ الْمَالِكِيُّ فِي الْجَوَاهِرِ: إِلَى أَرْبَعِينَ وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْأَصَحُّ الْمُخْتَارُ أَنَّ الشَّابَّ مَنْ بَلَغَ وَلَمْ يُجَاوِزْ الثَّلَاثِينَ، ثُمَّ هُوَ كَهْلٌ إِلَى أَنْ يُجَاوِزَ الْأَرْبَعِينَ، ثُمَّ هُوَ شَيْخٌ وَقَالَ الرُّويَانِيُّ وَطَائِفَةٌ: مَنْ جَاوَزَ الثَّلَاثِينَ سُمِّيَ شَيْخًا، زَادَ ابْنُ قُتَيْبَةَ إِلَى أَنْ يَبْلُغَ الْخَمْسِينَ»[3].

تعددت مرادفات الشباب، منها مثلا مراهق، وفتى، وصبي، وهي كلمات لا تدل على مراحل عمرية محددة ومفصلة بقدر ما تشير إلى خصائص جسمية ونفسية لفترة من الحياة، وهي تعني القوة و النشاط والحركة والحماس [4]، وقد وردت في القرآن الكريم في مواضع معينة على سبيل المثال لا الحصر، فوردت كلمة فتى في قوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأَنبِيَاء: 60)، ووردت كلمة الفتية في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف: 10)، وكلمة صبي في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (مَريَم: 12)، وكلمة

1- عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، السعودية، ط1، 2008م، (2/156).
2- مجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 1972م، (1/470).
3- الشوكاني، نيل الاوطار، دار الحديث، مصر، ط1، 1993م، (ص121).
4- العطوي، سوسيولوجيا الشباب المغربي، دار طوبس بريس للنشر، الرباط، ط1، 2004م، (ص12، 13).

غلام في قوله تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (يُوسُف: 19).

والمتأمل في هذه الآيات يدرك أن النبوة أوتيت في مرحلة الشباب لمزايا هذه المرحلة ومقوماتها، «فالعمر الحقيقي الفعال هو في سن الشباب، ذلك أن الشباب هو ميدان العمل والتحصيل، كما هو ميدان الإنتاج والإعطاء، والقوة وافية، والهمة عالية، والأمراض والعلل والعوائق - لقلة العلائق - نائية.

الفرع الثاني: مصطلح الشباب:

تم تعريف الشباب اصطلاحا وفقا لمؤشرات مختلفة، كالمرحلة العمرية، والخصائص والسمات التي يتميز بها، وقد وقع اختياري على بعضها على سبيل الوصف وليس الحصر، فالشباب، «هي شريحة اجتماعية تشغل وضعا متميزا في بنية المجتمع، فهو كفئة عمرية من أكثر الفئات حيوية وقدرة على العمل والنشاط، وهو من ناحية البناء النفسي والثقافي مكتمل على نحو يمكنه من التكيف والتوافق والتفاعل والاندماج والمشاركة، التي تسمح له بتحقيق اهداف المجتمع»[1].

وعرف الشباب على فترة العمر التي تقع بين الخامسة عشر وسن الثلاثين، حيث أن هذه الفترة تتسم بكثير من الخصائص، كالقابلية للنمو والتعليم والقدرة على الإنتاج والابتكار والرغبة في إحداث التغيير والتطوير في المجتمع[2]، وارتأيت للضرورة البحثية، أن اعرف الشباب من وجهة نظر الأمم المتحدة التي وضعت أيضًا مفهوم التنمية المستدامة، «على أنهم الأشخاص ممن تتراوح أعمارهم بين 15 و24 عاما»، ونشأ هذا التعريف في سياق الأعمال التحضيرية للسنة الدولية للشباب (1985)، وأقرته الجمعية العامة في قرارها لعام 1981، وتستند جميع إحصاءات الأمم المتحدة بشأن الشباب إلى هذا التعريف، كما توضح الحولية السنوية للإحصاءات التي تنشرها منظومة الأمم المتحدة حول الديموغرافيا والتعليم والعمل والصحة.[3]

1- أعضاء هيئة التدريس، الطفل والشباب في التنمية الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية قناة السويس، ط1، 2006م، (ص113).

2- فهمي وسلامة، إدارة الأزمة مع الشباب، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1، 2008م، (ص130).

3- الأمم المتحدة، الشباب، https: //www.un.org/ar/global-issues/youth

قد يبدو التعريف الذي وضعته الأمم المتحدة والذي يحصر الشباب في فئة عمرة قصيرة المدى، مجانبا للصواب، وهذه الفترة من وجهة نظري هي لاكتمال نمو الشاب ونضجه، وفيها تظهر أثار العصبية والاختلالات الهرمونية، أي بما يدعى سن المراهقة، ولا يمكن أن تمثل مرحلة العمل الجاد وتقديم المشاريع التنموية واعتمادها من طرف جهات الاختصاص، وهي فترة يكمل فيها الشباب تلقيهم المعارف العلمية عبر مرحلتين دراسيتين آخرها المرحلة الجامعية.

المطلب الثاني: سمات الشباب في السنة النبوية:

تعددت سمات الشباب في السنة النبوية، من الناحيتين الروحية والجسدية، فالناحية الأولى طاقة تزود هذه الفئة من الناحية الثانية بالمرونة والقوة والحركة والذكاء والبداهة، والسرعة في الإنجاز، ، وكان عطاء الخراساني يقول: «الحوائج إلى الشبان أسهل منها إلى الشيوخ، ألم تر أن يوسف عليه السلام قال لإخوته: كما جاء في الآية القرآنية: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ (يوسف: 92) وقال أبوهم: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (يوسف: 98)، وقال الصولي: «إن الشيب لا يقدم مؤخرا ولا يؤخر مقدما بل ربما عدل بجلائل الأمور ومهمات الخطوب عن المشايخ إلى الشبان لاستقبال أيامهم وسرعة حركاتهم، وحدة أذهانهم، وتيقظ طباعهم لأنهم على ابتناء المجد أحرص، وإليه أصبى وأحوج، وقد أخبر الله تعالى عن إعطاء يحيى بن زكريا عليه السلام الحكمة في سن الصبابة»[1] بقوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: 12)، (مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا شَابًّا)[2].

ولما كان من خصائص بعض الشباب من تغلب عليه الحرارة والرطوبة، فتغلب عليه الشهوة ويشتد به الهوى، وعليه كان خلاص الشباب من موجبات الهوى أمرا عجيبا[3]، فقال الرسول ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَعْجَبُ مِنَ الشَّابِّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوَةٌ»[4].

1- الثعالبي، اللطائف والظرائف، دار المناهل، بيروت، ط1، د.ت، (ص250).

2- أورده الألباني في ضعيف الجامع الصغير، المكتب الإسلامي سوريا، د. ت.(ص728) حديث رقم (5037)، ضعيف.

3- أورده السيوطي في كتاب الجامع الصغير وزيادته (ص321) حديث رقم (11281)، ضعيف.

4- أخرجه ابن حنبل في المسند، مؤسسة الرسالة، سوريا، 2001م، (28/600) حديث رقم (17370)، حسن لغيره.

يؤكد النص النبوي في قوله ﷺ: «خَيْرُ شَبَابِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِكُهُولِكُمْ، وَشَرُّ كُهُولِكُمْ مَنْ تَشَبَّهَ بِشَبَابِكُمْ»[1]، على أهمية السمات الشبابية التي ترتقي إلى مرحلة إدراكية أخرى تتميز بالحكمة والرزانة، وهي مرحلة الكهولة، فالخير كل الخير أن يدركها الشباب لتصبح قيمة مضافة إلى الخصائص الأخرى، ويبدو أن من الفئات العمرية التي تعمر بها الجنة، هي فئة الشباب، وفي هذا تكريم لها والاعتراف بأهميتها وحيويتها، ونظارتها وصلاحيتها الأبدية، كما جاء في الحديث النبوي: «مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ»[2]، وفي الحديث أيضًا: «أَهْلُ الْجَنَّةِ شَبَابٌ، جُرْدٌ، مُرْدٌ، كُحْلٌ، لاَ تَبْلَى ثِيَابُهُمْ، وَلاَ يَفْنَى شَبَابُهُمْ»[3].

وتكون صفة أهل الجنة من الفئات العمرية التي تمثل الشباب، وعليها يستقر حال الفرد، فهي دائمة يصاحبها النعيم الذي يورث من العمل لصالح، كما جاء في الحديث النبوي: «نَادِى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَحْيَوْا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْتَئِسُوا أَبَدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ (الأعراف: 43)[4]، وهي الفئة التي يرعاها الله إذا التزمت العبادة والأخلاق الحسنة، لقوله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»[5].

1- أخرجه الطبراني في المعجم الاوسط، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت، (6/94) حديث رقم (5904)، غريب.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، 1955م، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في دوام نعيم أهل الجنة (4/174) حديث رقم (2836).

3- أخرجه الدارمي في سننه، دار المغني، السعودية، 2000م، كتاب الرقائق، باب ما أعد الله لعباده الصالحين (2/939) حديث رقم (2855)، حسن.

4- أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب دوام نعيم أهل الجنة، وقوله تعالى: {ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون} (4/218) حديث رقم (2837).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، دار ابن كثير، دمشق، 1993م، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين (2/517) حديث رقم (1357).

المبحث الثاني: متطلبات بناء الشباب

تتطلب التنمية المستدامة في أبعادها المختلفة (الاجتماعية والاقتصادية والبيئية) العناية الفائقة بالشباب، والتأسيس لقواعد بناءهم وإرشادهم للإسهام في تطوير المجتمع، وهو الشيء الذي دعت إليه السنة النبوية، فركزت على قواعد البناء والقيام بالواجبات على أكمل وجه، انطلاقا من بعد التوحيد وهو الجانب الروحي والتعبدي وهو أساس كل القواعد، ونهاية إلى التحفيز على العمل وهو جوهر عملية التنمية المستدامة ويمكن حصر هذه القواعد في:

المطلب الأول: تعليم التوحيد الخالص:

لا يوجد ما يدعو إلى الشك بأن التوحيد هو عامل مهم في بناء الشباب على المستوى النفسي والجسدي، فهو طاقة روحانية تولد الاستقرار والصحة والقوة، وتجلي البصر والبصيرة في القيام بالمهمات التعبدية والعملية، فكلما أدرك الشباب معناه ومبناه انطلق إلى العمل مع اليقين بالنجاح والتوفيق، وهو ما يسهم في التنمية التي تحرص عليها النصوص الدولية، وأفردت لها اهتماما بالغا.

يعرف التوحيد بأنه: «إفراد الله بالعبادة وإثبات اتصافه بما وصف به نفسه ووصف به رسوله وتنزيهه عن النقائص والعيوب ومشابهة المخلوقات» وهو نوعان، نوع في العلم والاعتقاد ونوع في الإرادة والقصد، وغالب سور القرآن، بل كل سورة في القرآن فهي متضمنة لنوعي التوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله فهو التوحيد العملي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي[1].

وتحمل الكثير من نصوص السنة دلالات التوحيد في جانبها العلمي والإرادي، وما ينجم عنهما من ضرورة الالتزام بهما، فالتسليم التام لوحدانية الله وعبادته واتباع أوامره وترك نواهيه، هو حفظ للنفس والجسد والرزق (ما يدخل في التنمية الاجتماعية)، بل هو تحقيق لكل مقاصد الشريعة، وهو ما ورد في قوله ﷺ: «يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ،

1- الحريقي، التوحيد وأثره في حياة المسلم، دار الوطن، الرياض، ط1، 1993م، (ص17-12).

وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1].

يتبين في الكثير من النصوص الحديثية أن ثمرات التوحيد في جانبه التعبدي أو العبادات تتحدد بمحبة الله ﷻ لذلك الصنف الفئوي، فجاء في الحديث النبوي: «إِنَّ اللَّه ﷻ يُحِبُّ الشَّابَّ الذي يُفْني شبَابه فِي عِبَادَةِ اللَّه، والإِمَامَ الْمُقْسِط، وأجْرُه كَأجْرِ مَنْ يَقُومُ ستِّينَ سنةً»[2]، وهي المحبة التي تفضي إلى تكريمه في الدار الآخرة وأي تكريم من أن يظل الله ذلك الشاب الذي اجتهد في عبادة الله، ومن بعض أصناف هذه العبادات، القيام بالصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، يقول الرسول ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ بِعِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْمَسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ ﷻ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْه...»[3].

ومن معالم التوحيد والتسليم المطلق لله، الرجاء غير المنقطع والخوف منه، ففي الحديث النبوي: عَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟» قَالَ: أَرْجُو اللَّهَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَأَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو، وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ»[4]، يولد هذا الخوف والرجاء الثقة في الله واليقين بأنه المدبر والمتعهد بتسيير شؤون الفرد من الناحية البدنية والعملية.

المطلب الثاني: إسناد المهمات الثقيلة:

تؤكد هذه القاعدة على قدرة الشباب في إنجاز المهمات الموكلة لهم، وسواء كانت المهمات أمنية أو اقتصادية، فكلها تتطلب خصائص هذه المرحلة من باب الإسهام في المحافظة على سلامة الوطن وسلامة أفراده، وإن تعذر على قرارات الأمم المتحدة وضع مواد خاصة بالأمن والسلام ضمن متطلبات التنمية المستدامة، فهي من وجهة نظري من الأهمية بمكان، فلا تنمية بلا استقرار ولا استقرار إلا بالمحافظة على الأوطان.

1- أخرجه الترمذي في سننه، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، 1975م، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع (4/667) حديث رقم (2516)، صحيح.

2- أورده السيوطي في الجامع الكبير (2/255) حديث رقم (5242)، ضعيف.

3- أخرجه ابن حنبل في المسند (15/141) حديث رقم (9655)، صحيح.

4- أخرجه ابن ماجه في سننه، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2009م، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد (2/423) حديث رقم (4261)، حسن.

كان الرسول ﷺ يثق في قوة الشباب واستعدادهم البدني للذود عن حياض الأمة ودفع العدوان عنها، فكان يحثهم على الجهاد ويجهزهم لهذا المهمة الصعبة والجسيمة التي قد تزهق فيها الأرواح، ويضحي فيها المجاهد بالنفس والنفيس، ولأن الجهاد فن وتخطيط، فلا بد من له من تلك القوة الشبابية التي تحسم المعركة لصالحها، فالرسول ﷺ على وجود صحابة كبار، يختار أسامة ليكون القائد ويدافع عليه فيمنحه الثقة بالنفس والإقدام من غير إدبار، فقد جاء في الحديث النبوي: «بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَطُعِنَ فِي إِمَارَتِهِ، وَقَالَ: إِنْ تَطْعَنُوا فِي إِمَارَتِهِ فَقَدْ كُنْتُمْ تَطْعَنُونَ فِي إِمَارَةِ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ، وَايْمُ اللَّهِ إِنْ كَانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمْرَةِ، وَإِنْ كَانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَإِنَّ هَذَا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَه»[1].

ومما يؤكد على انتداب الشباب للقتال ما ورد عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، «قَال: َ تَقَدَّمَ - يَعْنِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ - وَتَبِعَهُ ابْنُهُ وَأَخُوهُ فَنَادَى مَنْ يُبَارِز؟ فَانْتَدَبَ لَهُ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: لَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمْ إِنَّمَا أَرَدْنَا بَنِي عَمِّنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يَا حَمْزَةُ، قُمْ يَا عَلِيُّ، قُمْ يَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْحَارِثِ، فَأَقْبَلَ حَمْزَةُ إِلَى عُتْبَةَ، وَأَقْبَلْتُ إِلَى شَيْبَةَ، وَاخْتُلِفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَالْوَلِيدِ ضَرْبَتَانِ فَأَثْخَنَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، ثُمَّ مِلْنَا عَلَى الْوَلِيدِ فَقَتَلْنَاهُ، وَاحْتَمَلْنَا عُبَيْدَة»[2]، «وَأَجَازَ رَسُولُ اللّه ﷺ يَوْمَئِذٍ سَمُرَةَ بْنَ جُنْدُبٍ الْفَزَارِيّ، وَرَافِعَ بْنَ خَدِيجٍ، أَخَا بَنِي حَارِثَةَ، وَهُمَا ابْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَكَانَ قَدْ رَدّهُمَا، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إنّ رَافِعًا رَامٍ، فَأَجَازَهُ، فَلَمّا أَجَازَ رَافِعًا، قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ، فَإِنّ سَمُرَةَ يَصْرَعُ رَافِعًا، فَأَجَازَهُ»[3].

المطلب الثالث: إشراك الشباب في حل المشكلات:

لابد من الإشارة إلى أن حل المشكلات ليس من السهولة بمكان، ولا يهتدي إلى ذلك إلى أصحاب العقول المستنيرة، والرؤى الثاقبة، وقد صور لنا القرآن الكريم كيف تمكن الفتى إبراهيم من إقناع قومه بأن ما يعبد مجرد تماثيل لا تنفع حتى نفسها، فهي لا تتحرك ولا تستجيب ولا تقدر على حماية نفسها، يقول تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا

1- أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب من لم يكترث بطعن من لا يعلم في الامراء حديثًا (9/73) حديث رقم (7187).

2- أخرجه أبو داود في سننه، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، كتاب الجهاد، باب في المبارزة (3/52) حديث رقم (2665)، صحيح.

3- السهيلي، الروض الأنف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1412ه، (5/426).

يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا فَسۡـَٔلُوهُمۡ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾ (الأَنبِيَاء: 62، 63)، ويقول تعالى أيضًا: ﴿ قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ﴿٦٦﴾ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ (الأَنبِيَاء: 67)، وهذا يوسف عليه السلام، يهتدي إلى تأديب إخوته وهم من أوقعوه في مشكلة بإلقاءه في الجب ثم في الأسر، فخطط ليجمعهم وأبويه تحت ظل حكمه، فجاء في الآية: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا وَأۡتُونِي بِأَهۡلِكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (يُوسُف: 93)، وظهر في الأثر أن الصحابة كانوا يراهنون على الشباب في حل المشكلات التي تطرأ على المجتمع، وإشراكهم يعني الاعتراف بمقدرات وخصائص مرحلتهم، وقد أظهرت في السمات ما يفيد ذلك ومنها القدرات العقلية التي يتميزون بها، «فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه كَانَ إِذَا نَزَلَ بِهِ الْأَمْرُ الْمُعْضِلُ دَعَا الْفِتْيَانَ فَاسْتَشَارَهُمْ يَبْتَغِي حِدَّةَ عُقُولِهِمْ»[1].

المطلب الرابع: انتدابهم للقيام بشؤون المجتمع:

تعد الأسرة النواة الأساسية في المجتمع، ويتوقف صلاحه على صلاحها، فهي مؤسسة التنشئة الأولى للفرد من طفولته إلى شبابه، والتنشئة للمرحلة التالية بالشكل الصحيح يعود عليها بالفائدة في تسليم أساسيات وأساليب التوجيه والمشاركة البناءة في عمليات التعليم، فالرسول ﷺ يشير إلى تبادل الأدوار وتمكين الشباب من قيادة أسرهم إلى الطرق السليمة من أجل تماسك النسيجاء في الحديث النبوي»: «عَنْ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رضي الله عنه ؛ قَالَ: أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَنْ مَنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا. فَأَخْبَرْنَاهُ. فَقَالَ «ارْجِعُوا إِلَى أَهْلِيكُمْ. فَأَقِيمُوا فِيهِمْ. وَعَلِّمُوهُمْ. وَمُرُوهُمْ، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لِيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ»[2].

ولا يتوقف القيام بشؤون المجتمع عند الأسرة، بل يتعدى ذلك إلى خدمة المسجد من تدارس وإمامة، وخدمة الصالح العام، من وضع ثمرات العمل تحت الوصاية، هذا ما يتجلى في الحديث النبوي: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: «كَانَ شَبَابٌ مِنَ الْأَنْصَارِ سَبْعِينَ رَجُلًا يُسَمَّوْنَ الْقُرَّاءَ قَالَ: «كَانُوا يَكُونُونَ فِي الْمَسْجِدِ فَإِذَا أَمْسَوْا انْتَحَوْا نَاحِيَةً مِنَ الْمَدِينَةِ، فَيَتَدَارَسُونَ وَيُصَلُّونَ يَحْسِبُ أَهْلُوهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْمَسْجِدِ، وَيَحْسِبُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ أَنَّهُمْ عِنْدَ

1- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1994م، (ص365).
2- أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب من أحق بالإمامة (1/465) حديث رقم (674).

أَهْلِيهِمْ، حَتَّى إِذَا كَانُوا فِي وَجْهِ الصُّبْحِ اسْتَعْذَبُوا مِنَ الْمَاءِ، وَاحْتَطَبُوا مِنَ الْحَطَبِ، فَجَاءُوا بِهِ فَأَسْنَدُوهُ إِلَى حُجْرَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَبَعَثَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ جَمِيعًا، فَأُصِيبُوا يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَتَلَتِهِمْ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فِي صَلَاةِ الْغَدَاةِ)[1].

المطلب الخامس: تحصين الشباب:

يقصد بذلك توجيه الشباب إلى المحافظة على نفسه وجسده من الآفات الاجتماعية، يقول الرسول ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ»[2]، والزواج هو الحصن المنيع يحول دون وقوعهم في الأمراض النفسية والجسدية المستعصية، والصوم حصن له أيضًا، يقول الرسول ﷺ: «فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[3]، وفيه فوائد كبيرة تحول دون وقوع الشاب في المعاصي وما ينجم عليها من فساد عظيم على مستوى الفرد والمجتمع.

ولم يتوان الرسول ﷺ من ممارسة صلاحياته في مجال تحصين الشباب وإبعادهم عن الشبهات، فقد مارس الرقابة على مجرد النظر وما يخفيه من هوى نفسي ومدخل شيطاني، فعمد إلى ليِّ عنق ابن عمه، «فهذه جَارِيَةٌ شَابَّةٌ مِنْ خَثْعَمٍ اسْتَفْتَتْهُ، فَقَالَتْ: إِنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ أَدْرَكَتْهُ فَرِيضَةُ اللَّهِ فِي الحَجِّ، أَفَيُجْزِئُ أَنْ أَحُجَّ عَنْهُ؟ قَالَ: «حُجِّي عَنْ أَبِيكِ»، قَالَ: وَلَوَى عُنُقَ الفَضْلِ، فَقَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ لَوَيْتَ عُنُقَ ابْنِ عَمِّكَ؟ قَالَ: «رَأَيْتُ شَابًّا وَشَابَّةً فَلَمْ آمَنِ الشَّيْطَانَ عَلَيْهِمَا»[4].

وباستحضار لغة المنطق والبرهنة وإقامة الحجة على من لم يستطع تأمين نفسه ضد غرائزها، يصغي الرسول ﷺ إلى ذلك الشاب الذي طلب المستحيل، بل تجرأ على طلب الحرام وهو الأمر العظيم في قومه الذين استغربوا ورفضوا وتعالت أصواتهم الحادة، فأظهر الرسول ﷺ قدرته على احتضان المشكلة وحاور الشاب بهدوء ليتم إقناعه وإعفافه فجاء في الحديث النبوي: «إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ. مَهْ. فَقَالَ: «ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا». قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ

1- أخرجه ابن حنبل في المسند (21/126) حديث رقم (13461)، صحيح.

2- أخرجه النسائي في سننه، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1930م، كتاب النكاح، باب الحث على النكاح (6/109) حديث رقم (3210)، صحيح.

3- أورده السيوطي في الجامع الصغير وزيادته (ص750) حديث رقم (7507)، صحيح.

4- أخرجه الترمذي في جامعه، أبواب الحج, باب ما جاء ان عرفة كلها موقف (2/396) حديث رقم (900)، حسن.

لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا... وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ» قَالَ: «فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ [1]، ولاستكمال ثمرات الإقلاع عن الحرام، أثبت الحديث «إنّ اللّه تَعَالَى يُحِبُّ الشّابَّ التّائِبَ»[2].

وورد في حديث عمر بن الخطاب ﷺ وهو ينصح الشباب ما يبعده عن تقليد المخالف في العقيدة والتشبث بالأصالة والهوية التراثية أو الشعبية التي تحول دون زعزعة التقاليد والأعراف المحمودة، قَالَ: «اتَّزِرُوا وَارْتَدُوا، وَانْتَعِلُوا وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَالسَّرَاوِيلاتِ، وَأَلْقُوا الرُّكُبَ وَانْزُوا نَزْوًا، وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعَدِّيَّةِ، وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَذَرُوا التَّنَعُّمَ وَزِيَّ الْعَجَمِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْحَرِيرَ»[3]، ومثل هذه التوجيهات إنما هي فلسفة نبوية تعلمها الصحابة عن رسول الله ﷺ لتكون السنة هي الأصل في الاتباع وترك الابتداع.

المطلب السادس: التحذير من إهدار المرحلة:

تؤكد جميع الأدبيات الخاصة بدراسة فئة الشباب أنها مرحلة هامة للإنجاز والعطاء، في مجالات متعددة، فهي الفئة التي تنهض بالمجتمع، ولهذا عد التخطيط ضروريا لمستلزمات هذه المرحلة، وأي تقصير سيكون مآله الإخفاق والذي ينجر عليه الحساب الأخروي الذي لا نتخيل حجمه وطرقه، فجاء في الحديث النبوي: «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[4]، وقد أظهر الحديث، وهو يرتب الخمس فيبتدئ بهذه المرحلة الهامة في قوله ﷺ: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[5]، وجاء في الحديث النبوي أيضًا: «كَانَ السَّرِيُّ يَقُولُ لَنَا وَنَحْنُ حَوْلَهُ: «أَنَا لَكُمْ عِبْرَةٌ، يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، اعْمَلُوا فَإِنَّمَا الْعَمَلُ فِي الشَّبِيبَةِ»[6].

1- أخرجه ابن حنبل في المسند (36/545) حديث رقم (22211)، صحيح.
2- أورده السيوطي في الجامع الصغير وزيادته (ص524) حديث رقم (3624)، ضعيف.
3- أخرجه ابن حنبل في المسند (1/394) حديث رقم (301)، صحيح.
4- أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة (4/512) حديث رقم (2416)، حسن.
5- أخرجه النسائي في كتاب المواعظ (10/400) حديث رقم (11832)، ضعيف.
6- أخرجه البيهقي في الزهد الكبير، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1996م، باب الورع والتقوى (ص199) حديث رقم (429).

قال الشيخ حافظ الحكمي معلقا على حديث الخمس: «اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هِرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاءَكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[1]، ويعني أن هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة، هي أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجيء أضدادها ولا ينفعه التمني للأعمال بعد التفريط منه والإهمال في زمن الفرصة والإمهال، فإن بعد كل شباب هرما وبعد كل صحة سقما وبعد كل غنى فقرا وبعد كل فراغ شغلا وبعد كل حياة موتا، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا الغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات ويطلب الكرة وهيهات وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لا مدفع للحسرات[2].

ويمتثل الصحابة الشباب لتحذير الرسول ﷺ من إهدار هذه المرحلة على الرغم من محاولة التخفيف بالتوجيه إلى ضرورة التخطيط لها وعدم تكليفها ما لا تستطيع، فجاء في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ قَالَ: «جَمَعْتُ الْقُرْآنَ فَقَرَأْتُهُ كُلَّهُ فِي لَيْلَةٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَطُولَ عَلَيْكَ الزَّمَانُ وَأَنْ تَمَلَّ، فَاقْرَأْهُ فِي شَهْرٍ» فَقُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي عَشْرَ» قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، قَالَ: «فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ» قُلْتُ: دَعْنِي أَسْتَمْتِعْ مِنْ قُوَّتِي وَشَبَابِي، فَأَبَى»[3]، فينبغِي أَن يغتنم التَّحصيل في وقت الفراغِ والنَّشاط، وحال الشَّبابِ وقُوَّة البدن، ونباهة الخَاطِرِ، وقِلَّة الشَّواغلِ، قبل عوارِضِ البطالة، وارتفاع المنزِلة[4].

1- المنذري، الترغيب والترهيب، كتاب التوبة والزهد الترغيب في التوبة والمبادرة بها وإتباع (4/125)، صحيح.

2- الحكمي، معارج القبول، دار ابن القيم، الرياض، ط1، 1410ه، (2/711-712).

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2009م، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب بختم القرآن (1/428) حديث رقم (1346)، صحيح.

4- الأهدل، الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1، 2010م، (ص134).

المطلب السابع: التحفيز على العمل:

نتفق جميعا على أن العمل هو أساس التنمية المستدامة، ولا يمكن لمجتمع يعيش أغلب شبابه بطالة مقنعة أن ينهض بمجالاتها، وعليه فقد حرصت السنة النبوية على الحث على العمل بشكل مباشر وحذرت من الانحياز إلى الكسل والعطالة، وما ينجر عنها من انكسار النفس وسقم الجسد، بقول الرسول ﷺ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[1]، ولا يمكن أن يعتمد الشباب على الغير في تحصيل الرزق وكسب القوت، والمشاركة الاقتصادية في انعاش الجانب التنموي، ففي الحديث النبوي: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُور»[2]، ويؤكد الرسول ﷺ في حديث آخر: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[3] على صفة هذا الكسب وأنه لا يقترن بمنصب، وضرب مثلا يحتذى به وهو نبي الله داوود الذي ملكه على بني إسرائيل حيث «كان يصنع الزرود، أي: يصنع القمصان من الحديد ليلبسها المجاهدون ويبيعها ويأكل من هذه الصنعة»[4]، «وسخر الله له الجبال والطير والحديد وآتاه السلطان مكافأة له على شجاعته الحربية، فمع هذا الملك والسيطرة، وما تبعهما من الغنى والثروة لم يستنكف من العمل بيده ليشجع العمال على المضي في أعمالهم»[5].

ومن أوجه الحث على العمل إضفاء صورة للنموذج الأمثل، فالخير كل الخير لمن يعمل وينفق ويجزل العطاء ويسهم في تطوير مجتمعه، خير من الذي لا يعمل ويتقاعس ويكون عالة على مجتمعه، يقول الرسول ﷺ: «الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَالْيَدُ الْعُلْيَا الْمُنْفِقَةُ. وَالسُّفْلَى السائلة»[6]، وتصنيف طبيعة هذا العمل في دائرة الحلال واجتناب الحرام؛ لأنه ترتب عن الجهد الشخصي، ثم انعكاسه على المحيط الاجتماعي الأقرب فالأقرب، ويقر بذلك قوله ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ ما أكل الرَّجلُ من كَسْبِه، ووَلَدُه من كَسْبِه»[7].

1- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (2/535) حديث رقم (1402).
2- أخرجه ابن حنبل في المسند (28/502) حديث رقم (17265)، حسن لغيره.
3- أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (2/730) حديث رقم (1966).
4- حطيبة، شرح رياض الصالحين (ص38/8).
5- الخولي، الأدب النبوي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 2002م، (ص32).
6- أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة، وأن السفلى هي الآخذة (2/717) حديث رقم (1034).
7- أخرجه النسائي في كتاب البيوع، باب الحث على الكسب (7/467) حديث رقم (4452)، صحيح.

المبحث الثالث: مكتسبات بناء الشباب لتحقيق التنمية المستدامة

يعد الاهتمام بالشباب مرحلة سابقة عن المكتسبات التي تعد من مخرجات البناء وقد أشرنا في المحور السابق إلى أهم قواعده، وهي الأسس التي تنطلق منها الأجندة المختلفة الدولية والمحلية لتحقيق الإنجازات الهامة لهذه الفئة على مستويات عدة، ويمكن حصرها في تحقيق الأمن الاجتماعي، والأمن الاقتصادي، وهي ثنائية لا تنفصل عن مفهوم التنمية المستدامة التي تلبي احتياجات الحاضر، دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة، ومما يميز هذا المحور هو استشراف تحقيق التنمية المستدامة في المجالين عن طريق توظيف الخطاب النبوي الخاص والعام الذي تدخل فيه فئة الشباب، وينعكس في توجهين، فالأول يمس الشباب مباشرة، والثاني يوجه الشباب نحو الاستثمار وبناء المشاريع.

المطلب الأول: تحقيق الأمن الاجتماعي:

إن الأمن الاجتماعي ضرورة ملحة للتنمية المستدامة، وإشراك الفئة الشابة في صناعة هذا الأمن من الأهمية بمكان، فلا تنمية بلا أمن ولا أمن بلا شباب، ومن أوجه تحقيق الأمن الاجتماعي، استقرار الشباب، وتوفير سبل هذا الاستقرار، كالعمل والمسكن والملبس والمشرب، وهذا يساعد على الإبداع والانطلاق إلى المجتمع وخدمته على أكمل وجه، والانخراط في العمل هو من أولويات النصوص النبوية، فيدخل في الخطاب العام للرسول ﷺ: «مَنْ أَمْسَى كَالًّا مِنْ عَمَلِ يَدَيْهِ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ»[1]، ومن الأعمال التي أوكلها الرسول ﷺ للشباب، القضاء، فجاء في الحديث النبوي: «أَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَ عَلِيًّا، يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: تَبْعَثُنِي وَأَنَا رَجُلٌ حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَيْسَ لِي عِلْمٌ بِكَثِيرٍ مِنَ القَضَاءِ؟ قَالَ: فَضَرَبَ صَدْرِي رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «اذْهَبْ. فَإِنَّ اللَّهَ ﷻ سَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، وَيَهْدِي قَلْبَكَ» قَالَ : «فَمَا أَعْيَانِي قَضَاءٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ»[2]، ومن الاعمال أيضًا قيادة الجيوش، كما جاء في الأثر «أما أسامة، فإن النَّبِيّ ﷺ استعمله عَلَى جيش، وأمره أن يسير إِلَى الشام أيضًا، وفيهم عمر بْن الخطاب، فلما اشتد المرض برسول اللَّهَّ ﷺ أوصى أن يسير جيش أسامة، فساروا بعد موته ﷺ»[3].

1- أورده السيوطي في كتاب الجامع الصغير وزيادته (ص236) حديث رقم (12263)، ضعيف.

2- أخرجه ابن حنبل في المسند (2/356) حديث رقم (1144)، صحيح.

3- ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1994م، (1/197).

لم يفاضل الرسول ﷺ بين طبيعة العمل الذي يوكل للشباب، فكلها ميزان واحد، بشرط أن يحقق العمل مقصدا شرعيا يفضي إلى حماية الآخرين، فقد جاء في الحديث النبوي: «غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ تَبُوكًا فَمَرَّ بِنَا شَابٌّ نَشِيطٌ يَسُوقُ غُنَيْمَةً لَهُ فَقُلْنَا: لَوْ كَانَ شَبَابُ هَذَا وَنَشَاطُهُ فِي سَبِيلِ اللهِ كَانَ خَيْرًا لَهُ مِنْهَا فَانْتَهَى قَوْلُنَا حَتَّى بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «مَا قُلْتُمْ؟» قُلْنَا: كَذَا وَكَذَا قَال: «أَمَا إِنَّهُ إِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدِهِمَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى عِيَالٍ يَكْفِيهِمْ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ ﷻ)» [1].

ويتحقق في الخطاب العام الذي يشمل الشباب، مفهوم العدالة وهو مصطلح تلح عليه التشريعات الدولية والأممية، ويدعو إليه نص السنة النبوية: «الْمُقْسِطُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ، وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الْمُقْسِطُونَ عَلَى أَهْلِيهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ وَمَا وَلُوا»[2].

نظّمت الوثيقة أيضًا العلاقات بين سكان المدينة، وهي تقر بمبدأ العدالة، ووضّحت التزامات جميع الأطراف داخل المدينة، فقد شملت المعاهدة الخاصة بموادعة الرسول ﷺ لليهود، كما أوضحت التزامات كل من المهاجرين والأنصار في جانبي الحقوق والواجبات[3]، ولابد من الإشارة إلى المعاهدة التي أبرمت بين اليهود والمسلمين والتي تكفلت بتنظيم العلاقة والتعاون بينهم، في جو من الإنصاف وتحقيق العدالة الاجتماعية، فكان مما نصت عليه: وَإِنَّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارِبِينَ، وَإِنَّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمَّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ، إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ فَإِنَّهُ لَا يُوتِغُ إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِه «وَإِنَّ عَلَى الْيَهُودِ نَفَقَتَهُمْ وَعَلَى الْمُسْلِمِينَ نَفَقَتَهُمْ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النَّصْرَ عَلَى مَنْ حَارَبَ أَهْلَ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ بَيْنَهُمُ النُّصْحَ وَالنَّصِيحَةَ وَالْبِرَّ دُونَ الْإِثْمِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَأْثَمِ امْرُؤٌ بِحَلِيفِهِ، وَإِنَّ النَّصْرَ لِلْمَظْلُومِ، وَإِنَّ يَثْرِبَ حَرَامٌ جَوْفُهَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصَّحِيفَةِ، وَإِنَّ الْجَارَ كَالنَّفْسِ غَيْرَ مُضَارٍّ وَلَا آثِمٍ، وَإِنَّهُ لَا تُجَارُ حُرْمَةٌ إِلَّا بِإِذْنِ أَهْلِهَا» [4].

1- أخرجه البيهقي في كتاب النفقات، باب نفقة الأبوين (7/787) حديث رقم (15741)، غريب.

2- أخرجه ابن حبان في صحيحه، دار ابن حزم، بيروت، 2012م، كتاب السير، باب في الخلافة والإمارة - ذكر وصف الأئمة في القيامة إذا كانوا عدولا في الدنيا (1/487) حديث رقم (717)، صحيح.

3- مجموعة مؤلفين، نضرة النعيم، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، ط1، د.ت، (1/270).

4- ابن كثير، السيرة النبوية، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1395ه، (2/322).

المطلب الثاني: تحقيق الأمن الاقتصادي:

يعتبر الأمن الاقتصادي من أولويات برامج التنمية المستدامة التي يحفظ للأجيال الثروات التي تزخر بها أوطانهم، ففي برامج الأمم المتحدة الإقرار «بمجتمع الغابة[1]» أو الأشجار المثمرة، الذي يسهم في تنمية البيئة ويعتبر الرئة التي تتنفس بها، كما يسهم في التغذية والمحافظة على الكائنات الحية، هذا النوع من المجتمع يتقاطع مع الحديث الذي يحث على الغرس والزراعة في كل مصر وعصر وفي كل وقت، ونص الحديث تكليف لجميع الفئات ومنها فئة الشباب، فجاء في الحديث النبوي: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا[2]، ويستشرف الحديث أهمية هذا الغرس على المستوى البيئي من تغذية الإنسان والحيوان والمستوى الأخلاقي الذي يتجسد في مفهوم الصدقة وأثارها الإيجابية، يقول الرسول ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[3]، وينهي أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن حرق وقطع الأشجار: (وَإِنِّي مُوصِيكُمْ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ فَاحْفَظُوهُنَّ: لَا تَقْتُلُنَّ شَيْخًا فَانِيًا، وَلَا ضَرْعًا صَغِيرًا، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا تَهْدِمُوا بَيْتًا، وَلَا تَقْطَعُوا شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلا تَعْقِرُنَّ بَهِيمَةً إِلا لأَكْلٍ، وَلا تَحْرِقُوا نَخْلًا»[4]، وهو ما تدعو إليه أيضًا» المبادرة المعززة لخفض الانبعاثات الناجمة عن إزالة الغابات وتدهورها)[5].

1- منظمة الأغذية والزراعة، https: //www.fao.org/redd/ar

2- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، المطبعة السلفية، القاهرة، 1989م، باب اصطناع المال، (ص168) حديث رقم (479).

3- أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320).

4- أورده السيوطي في جامع الأحاديث (24/405) حديث رقم (27385).

5- منظمة الأغذية والزراعة، https: //www.fao.org/redd/ar

وكان الرسول ﷺ يأمر بغرس الشجر بعد قطعه، حتى لا يختل الغطاء النباتي أو الغابي فجاء في الحديث النبوي: «قَالَتْ لَهُ بَنُو حَارِثَةَ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ههنا مَسَارِحُ إِبِلِنَا، وَمَرْعَى غَنَمِنَا، وَمَخْرَجُ نِسَائِنَا، يَعْنُونَ مَوْضِعَ الْغَابَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ قَطَعَ شَجَرَةً فَلْيَغْرِسْ مَكَانَهَا وَدِيَّةً، فَغُرِسَتِ الْغَابَةُ»[1].

تركز التنمية المستدامة في مجال الأمن الاقتصادي أيضًا، على موارد المياه، وهو الجانب الذي يجب أن توليه السياسات بالعناية، فالماء هو الحياة وهو أصل كل الصناعات والمنتوجات، وتوجيه الشباب استراتيجيا للاهتمام بهذا المورد الطبيعي يحقق الكثير من النتائج، ومن النافل القول بأن السنة النبوية لم تغفل هذا الجانب وقد أكدت نصوصها على الاستثمار فيه، وأوضحت أساليبا لهذا الاستثمار، ومن أهمها حفر الآبار للمحافظة على الثروة الحيوانية، هذه الثروة تعتمد بشكل كبير على مخزون هذه المياه التي تتعرض أحيانا لمشكلات طبيعية تحول دون توفرها ففي الحديث النبوي: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَفَرَ بِئْرًا، فَلَهُ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا عَطَنًا لِمَاشِيَتِهِ»[2]، ويمكن أن يتجاوز حفر الآبار إلى المحافظة على الثروة النباتية أيضًا، واستحداث مشاريع بنائية وصناعية وتجارية، وفقا لما تقتضيه مساحة الاستثمار التي يسمح له بها»، فَعنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَاطَ حَائِطًا عَلَى أَرْضٍ فَهِيَ لَهُ»[3].

ويهتدي الرسول ﷺ إلى فكرة تنظيم المياه، فقد قَضَى فِي وَادِي مَهْزُورٍ أَن يُحْبَسَ الْمَاءُ فِي الأَرْضِ الى الكعبين، فإذا بلغ الكعبين أُرْسِلَ إِلَى الأُخْرَى، لا يَمْنَعُ الأَعْلَى الأَسْفَلَ»، كما «قَضَى فِي مَشَارِبِ النَّخْلِ بالسَّيْلِ للأَعْلَى عَلَى الأَسْفَلِ حَتَّى يَشْرَبَ الأَعْلَى وَيرْوِىَ الْمَاءُ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ يَسْرَحُ الْمَاءَ إِلَى الأَسْفَل، وَكَذَلِكَ حَتَّى تَنْقَضِي الْحَوائِطُ أَوْ يَفْنَى الْمَاءُ[4].

1- البلاذري، فتوح البلدان، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1، 1988م، (ص19).
2- أخرجه ابن ماجه في كتاب الرهون، باب حريم البئر (2/331) حديث رقم (2486)، حسن.
3- أخرجه أبو داوود في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الموات (3/179) حديث رقم (3077)، ضعيف.
4- أورده السيوطي في الجامع الكبير (19/492) حديث رقم (154).

توجه السنة النبوية إلى المحافظة على الثروة المعدنية التي لا يجب ان يتملكها الأفراد، بل هي إرث للجميع وهي إرث للوطن وأبنائه وأجياله، كما يدل على ذلك الحديث النبوي: عَنْ أَبِي عِكْرِمَةَ، مَوْلَى بِلالِ بْنِ الْحَارِثِ الْمُزَنِيِّ، قَالَ أَقْطَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِلالًا أَرْضًا فِيهَا جَبَلٌ وَمَعْدِنٌ، فَبَاعَ بَنُو بِلالٍ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ أَرْضًا مِنْهَا فَظَهَرَ فِيهَا مَعْدِنٌ أَوْ قَالَ مَعْدِنَانِ، فَقَالُوا إِنَّمَا بِعْنَاكَ أَرْضَ حَرْثٍ وَلَمْ نَبِعْكَ الْمَعَادِنَ[1].

ولا يتحقق الأمن الاقتصادي في مجال التنمية المستدامة إلا بالمحافظة على المال العام، ومحاربة كل الطرق غير الشرعية للكسب، فقد حاربت السنة الربا بجميع أشكاله، فجاء في الحديث النبوي التصريح بذلك: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُوكِلَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَكَاتِبَهُ)»[2]، وأوضح النص النبوي الأصناف المختلفة من العملات والثمار التي لا يجوز فيها إلا بمقدار التساوي والكيفية، يقول الرسول ﷺ: «الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ[3]، كما حاربت السنة النبوية التطفيف في الكيل والميزان، كما يبرز في الحديث النبوي: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا، وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ، وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ، وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ...»[4].

تؤكد السنة النبوية على ضرورة خفض البطالة ومحاربة الفقر وتقليل الانحراف في توزيع الثروة، ومحاربة مشكلة التفاوت الاقتصادي الفاحش؛ فتقر بنظام الزكاة، كوجه من أوجه تحقيق عدالة التوزيع، وتقارب الملكيات في المجتمع، فالزكاة أول تشريع منظم في سبيل الضمان الاجتماعي وإعادة توزيع الثروة لصالح الفقراء، وكل ذلك وارد في الحديث النبوي: «ادْعُهُمْ إِلَى: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أطاعوه لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أطاعوه لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ

1- البلاذري، فتوح البلدان، (ص23).
2- أخرجه الترمذي في أبواب البيوع، باب ما جاء في أكل الربا (3/504) حديث رقم (1206)، حسن صحيح.
3- أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الشعير بالشعير (3/74) حديث رقم (2174).
4- أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات (2/1332) حديث رقم (4019) في الزوائد هذا حديث رقم صالح للعمل به. وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، حسنه الألباني.

أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِ»[1].

يمكن القول في ختام هذا المحور أن السنة النبوية أحاطت وتحيط بقرارات المنظمات الدولية في بناء الشباب لتحقيق التنمية المستدامة، وتوجه نصوصها إلى مجالات هذا البناء ومنها مجال الاجتماعي والمجال الاقتصادي وتحديدا مكسب الأمن فيهما، فلا يمكن أن تتحقق التنمية المستدامة في ظل البطالة والفقر والجوع، ولا يمكن ان تتحقق أيضًا في ظل الاحتكار والمعاملات المحرمة شرعا، وهذا ما تغفله النصوص الدولية التي تفتقر إلى أخلقة الحياة في جميع جوانبها، مع ملاحظة بعضا من التوجه المؤسساتي إلى أسلمة المعاملات الاقتصادية لكن ذلك يحدث بعيدا عن الأسلمة أو الأخلقة العامة التي تدعو إليها السنة النبوية.

1- أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (2/505) حديث رقم (1331).

خاتمة البحث

لا يسعني في خاتمة هذا البحث إلا أن أدرج النتائج المتوصل إليها، والتي تعتبر في المستقبل دليلا لأبحاث أخرى، تعمل على إثراء هذا النوع من الموضوعات الهامة والتي تواكب حاضر الأمة وآمالها في مستقبل مزهر يضمن للشباب الاستمرارية من غير مشكلات قد تثقل كاهله فيعجز عن مواجهتها، ويمكن أجمال هذه النتائج في الآتي:

- أولت السنة النبوية عناية كبيرة بالشباب، فأوضحت سماتهم المتعددة وهي السمات التي تتفق عليها بحوث علم الاجتماع وعلم النفس، ومنها القوة البدنية والعقلية والنشاط والحيوية.

- انطلقت السنة النبوية وفقًا لمتطلبات بناء الشباب لتحقيق التنمية المستدامة من تعليم التوحيد باعتباره منطلق صحة جميع الأعمال حيث يسهم في تحصين الفرد وتربيته على السلوكيات الصحيحة والتي تسهم في بناء المجتمع وتنميته.

- ركزت نصوص السنة ضمن المتطلبات أيضًا على إسناد المهمات الثقيلة للشباب كالجهاد وتأمين الحدود، ودفع الأعداء لتحقيق الاستقرار والذي يعد من أساسيات التنمية.

- أوصت السنة النبوية بتحصين الشباب وتوفير سبل العيش الكريم وتأمين المسكن والمأكل والمشرب، وركزت على الزواج كمتطلب أساسي للاستقرار، الذي يسهم في إحداث بيئة متوازنة تنطلق منها أبعاد التنمية.

- انتدبت السنة النبوية الشباب للقيام بشؤون المجتمع ومنها شؤون الأسرة، من باب المسؤولية المشتركة، فالشباب الصالح هو من يصلح خلايا المجتمع بطريقة أفقية.

- حذرت السنة النبوية من إهدار مرحلة الشباب وهي المرحلة التي يكثر فيها العطاء والإنتاج، ودعت إلى المحافظة عليها من أجل إنجازات تتوافق كل مرحلة زمنية.

- دعت السنة النبوية إلى ضرورة تأمين العمل لكل الشباب، عبر وضع الخطط والإستراتيجيات، وفي جميع المجالات وخاصة مجالات التنمية المستدامة التي تشمل المناخ والبيئة والطاقة.

- أوضحت السنة النبوية في مجال الأمن الاجتماعي والذي يعد من مكتسبات التنمية

المستدامة إلى المزيد من الاهتمام، بضمان العمل لكل الشباب وحمايته من الفقر، وتحقيق العدالة الاجتماعية لأنها من أساسيات التنمية المستدامة.

- أقرت السنة النبوية لتحقيق الأمن الاقتصادي في مجال التنمية المستدامة، بضرورة تجسيد فكرة مجتمع الغابة أو الأشجار المثمرة التي دعت إليه الأمم المتحدة، مع المحافظة على المياه، والمحافظة على المال العام.

اقترح البحث جملة من التوصيات التي تعزز توجهات الندوة وأهدافها وأبعادها المستقبلية تمثلت في:

- ترجمة الأبحاث إلى اللغة الإنجليزية والإشراف على توزيعها الكترونيا وورقيا للهيئات الأممية ومؤسسات البحث.

- استصدار أدلة جامعة لنتائج الأبحاث واستخلاص مباحث أخرى تخدم موضوع التنمية المستدامة.

- تنظيم ورشات لتقديم مشاريع خاصة بالتنمية المستدامة وفقًا للمرجعية الإسلامية ومنها السنة النبوية.

- تنصيب خلية جودة لمتابعة أبحاث السنة النبوية لمعالجة الواقع العربي والإسلامي في مجال التنمية.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم (مصحف المدينة).
- إدارة الأزمة مع الشباب لمحمد سيد فهمي ومحمد سلامة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 2008م.
- الأخلاق الزكية في آداب الطالب المرضية لأحمد بن يوسف الأهدل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2010م.
- الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، 1989م.
- الأدب النبوي لمحمد عبد العزيز الخولي، دار المعرفة، بيروت، 2002م.
- أسد الغابة لمعرفة الصحابة لأب الحسن عز الدين ابن الأثير، دار الكتب العلمية، بيروت، 1994م.
- التوحيد وأثره في حياة المسلم السعودية لحمد بن ابراهيم الحريقي، دار الوطن، الرياض، 1993م.
- جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي، طبع على نفقة حسن عباس زكي، المكتبة الشاملة.
- الجامع الصغير وزيادته لجلال الدين السيوطي، المكتبة الشاملة. د. ت.
- الجامع الكبير لجلال الدين السيوطي، الأزهر الشريف، القاهرة، 2005م.
- جامع بيان العلم وفضله لأبي عمر يوسف ابن عبد البر، دار ابن الجوزي السعودية، 1994م.
- حسن التنبيه لما ورد في التشبيه لنجم الدين الغزي، دار النوادر، سوريا، 2011م.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لأبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1412هـ.
- الزهد الكبير لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1996م.

- سنن ابن ماجه لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة، دار الرسالة العالمية، بيروت، 2009م.
- سنن أبي داوود لأبي سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني أبو داوود، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.
- سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي، مكتبة مصطفى بابي الحلبي، مصر، 1975م.
- السنن الكبرى لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 2001م.
- سنن النسائي لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1930م.
- سوسيولوجيا الشباب المغربي لعبد الرحيم العطري، دار طوبس بريس للنشر، الرباط، 2004م.
- السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1395هـ.
- شرح رياض الصالحين لأحمد حطيبة، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، متاح على الرابط: http: //www.islamweb.net
- صحيح ابن حبان، لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البُستي، دار ابن حزم، بيروت، 2012م.
- صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1993م.
- صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، القاهرة، 1955م.
- صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال لحسين بن محمد المهدي، وزارة الثقافة، 2009م.

- ضعيف الجامع الصغير (وزيادته: الفتح الكبير) لناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر، سوريا، د. ت.
- الطفل والشباب في إطار التنمية الاجتماعية والاقتصادية لأعضاء هيئة التدريس، دار المعرفة الجامعية، قناة السويس، 2006م.
- فتوح البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر بن داوود البلاذري، دار مكتبة الهلال، بيروت، 1988م.
- اللطائف والظرائف لأبي منصور الثعالبي، دار المناهل، بيروت، د. ت.
- مسند الدارمي لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، 2000.
- المسند لأبي عبد الله أحمد بن محمد ابن حنبل، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، سوريا، 2001م.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد بن علي الحكمي، دار ابن القيم، الرياض، 1410هـ.
- المعجم الأوسط لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ت.
- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، عالم الكتب، الرياض، 2008م.
- المعجم الوسيط لمجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1972م.
- منظمة الأغذية والزراعة، https: //www.fao.org/redd/ar
- منظمة الأمم المتحدة، الشباب، https: //www.un.org/ar/global-issues/youth
- نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ لمجموعة مؤلفين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، د. ت.

- نيل الاوطار لمحمد بن علي الشوكاني، دار الحديث، مصر، 1993م.

الرفق في الهدي النبوي
وأثره في تحقيق التنمية المستدامة

أ. د. عماد حمدي إبراهيم
أستاذ الفقه وأصوله – جامعة الوصل – دبي

ملخص

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد، فقد أصبحت التنمية المستدامة من أكثر الموضوعات والأهداف التي تشغل دول العالم والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتها ومشاربها؛ غير أن هذا الاهتمام - وللأسف - قد بدأ متأخرًا جدًا؛ فقد تم إلحاق أضرار لا تخطئ العين ملاحظتها في كل بقعة من بقاع الأرض بل وفي مختلف المجالات.. وشمل الضرر كل شيء من حولنا البيئة بمختلف مكوناتها بحار وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب وتعرضت الحيوانات لأضرار يصعب حصرها، أما الإنسان فذلك شأن آخر لقد أصاب الضرر بشكل لا يمكن استيعابه كل شيء في الإنسان: صحته وذلك شأن ظاهر وفوق ذلك وقبل ذلك وبعده أخلاقه ومبادئه وقيمه العليا التي تمثل المشترك الإنساني الحقيقي.

وإن المتأمل في نصوص ومبادئ الهدي النبوي، سيقف على مدى سعة وشمول تلك المبادئ وتنظيمها لعلاقة الفرد بخالقه من ناحية وبالمجتمع من ناحية أخرى، ولعل مبدأ الرفق يُعد واحدًا من أهم مظاهر الهدي النبوي الذي يمكن أن يلعب دورًا كبيرًا في خدمة قضايا التنمية المستدامة، والعناية بمجالاتها، وترشيد حركتها، ويُسهم في ديمومتها ويضمن بقائها واستمراريتها، لاسيما مع وجود وانتشار الأضرار سالفة الذكر.

وتكمن إشكالية هذا البحث وتبرز أهم أهدافه في محاولة بيان حقيقة التنمية المستدامة، وما أهميتها وأبعادها، وحقيقة الرفق وأهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة، وصولا إلى التعرف على كيفية توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة التنمية المستدامة وترشيدها، وقد توسل الباحث في سبيل تحقيق ذلك عددًا من المناهج كالاستقرائي والتحليلي، ولعل من أبرز ما خلص إليه البحث من نتائج أن الإنسان هو أساس التنمية المستدامة، وهو غايتها ومقصدها، وهو محورها الأول، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها؛ ولذا فقد أعلت السنة النبوية من قيمة الإنسان، واهتمت بالنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، إن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكلفيهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به.. يدفعهم إلى القيام بأعمالهم بمودة وطيب خاطر، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، وعلى مقدراتها.

الكلمات المفتاحية: الرفق - الهدي النبوي - التنمية المستدامة - ترسيخ قيم

Abstract

All praise is due to Allah, the Lord of the Worlds, and may peace and blessings be upon the one sent as a mercy to all creation.

Sustainable development has become one of the most pressing topics and objectives of global concern, occupying the attention of nations, organizations, and civil society institutions across various orientations and perspectives. However, regrettably, this concern has emerged quite late, after extensive and undeniable damage has already afflicted every aspect of the environment - seas, deserts, mountains, coastal regions, even the air and clouds. The harm has not only impacted animals in ways difficult to quantify but has also affected human beings in profound ways. The damage to human beings extends beyond their physical health to their morals, principles, and the higher values that constitute the true shared foundation of humanity.

A careful study of the texts and principles of Prophetic guidance reveals the comprehensive nature of these principles in regulating the relationship between the individual and their Creator on one hand and their society on the other. Among these principles, the principle of rifq (gentleness) stands out as one of the most significant aspects of the Prophetic Sunnah. It plays a crucial role in serving the objectives of sustainable development, supporting its fields, refining its course, contributing to its continuity, and ensuring its sustainability - particularly in the face of the widespread harms mentioned earlier.

This study seeks to address several key questions: What is the true nature of sustainable development? What are its significance and dimensions? What is rifq, and what is its importance? How does it contribute to achieving sustainable development? Ultimately, the study aims to explore how rifq can be effectively employed to support and refine sustainable development. To achieve this, the researcher adopts various methodologies, including inductive and analytical approaches.

Among the study's most notable findings is that human beings are the foundation, objective, and primary focus of sustainable development. They are responsible for its realization and continuity. Accordingly, the Prophetic Sunnah elevates the status of human beings, emphasizing the importance of caring for the human soul and the necessity of treating others with gentleness. When workers, laborers, and employees are treated with kindness and fairness and are not burdened with tasks beyond their capacity, they are more likely to perform their duties with goodwill and sincerity. This, in turn, fosters their loyalty to the institutions they serve, enhances their sense of belonging, and strengthens their commitment to preserving and safeguarding the resources and assets of these institutions.

Keywords: Gentleness - Prophetic Guidance - Sustainable Development - Strengthening Values.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد، فقد أصبحت التنمية المستدامة من أكثر الموضوعات والأهداف التي تشغل دول العالم والهيئات والمنظمات ومؤسسات المجتمع المدني على اختلاف توجهاتها واختلاف مشاربها؛ لما لها من ضرورة حتمية في الحفاظ على حاضر ومستقبل البشرية.

غير أن هذا الاهتمام - وللأسف - قد بدأ متأخرًا جدًا؛ فقد تم إلحاق أضرار لا تخطئ العين ملاحظتها في كل بقعة من بقاع الأرض بل وفي مختلف المجالات. فلم يسلم من هذا الضرر المفجع الذي صنعه الإنسان المتمدن الباحث عن الربح - بأي وسيلة كانت - شيء لم تسلم منه دولة ولا مجتمع وشمل الضرر كل شيء من حولنا البيئة بمختلف مكوناتها بحار وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب وتعرضت الحيوانات لأضرار يصعب حصرها، وقد أخبر الحق سبحانه وتعالى عن ذلك في وقت مبكرٍ جدًا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [1].

أما الإنسان فذلك شأن آخر لقد أصاب الضرر بشكل لا يمكن استيعابه كل شيء في الإنسان: صحته وذلك شأن ظاهر وفوق ذلك وقبل ذلك وبعده أخلاقه ومبادئه وقيمه العليا التي تمثل المشترك الإنساني الحقيقي.

ومن ناحية أخرى ورغم حداثة مصطلح التنمية المستدامة والذي ظهر في الأدبيات الاقتصادية المعاصرة خلال القرن العشرين إلا أن أي باحثٍ جادٍ متعمقٍ في السنة النبوية المشرفة يجد أن مفهوم الاستدامة متأصل في قواعدها وتطبيقاتها منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان.

بل إن المتأمل في نصوص ومبادئ الهدي النبوي، سيقف على مدى سعة وشمول تلك المبادئ وتنظيمها لعلاقة الفرد بخالقه من ناحية وعلاقته بالمجتمع الإنساني بأسره من ناحية أخرى، ولا غرو فقد اشتملت تلك النصوص على الكثير من النظم والنظريات والقواعد والضوابط الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والبيئية مما لا نجد في أي اجتهاد تشريعي آخر.

1- سورة: الروم، آية [41].

ولعل مبدأ الرفق (بمفهومه العام والشامل) يعد واحدًا من أهم مظاهر الهدي النبوي الذي يمكن أن يلعب دورًا كبيرًا في خدمة قضايا التنمية المستدامة، والعناية بمجالاتها، وترشيد حركتها، وتحقيق أهدافها، ويُسهم في ديمومتها ويضمن بقائها واستمراريتها. ففي الصحيح أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ» إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[1]. وقال أيضا: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[2].

والرفق المقصود هنا: هو الرفق بمفهومه العام والشامل، رفق الإنسان في علاقته بنفسه، ورفقه في علاقته بخالقه ورفقه في علاقته بأخيه الإنسان، ورفقه في علاقته بالبيئة المحيطة به من نباتات وحيوانات وصحاري وجبال ومناطق ساحلية حتى الهواء والسحاب.. ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الموسوم بـ (مبدأ الرفق في الهدي النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة).

إشكالية البحث:

تكمن إشكالية هذا البحث في محاولة الإجابة على عدد من التساؤلات على النحو الآتي:

- ما حقيقة التنمية المستدامة، وما أهميتها وأبعادها؟
- ما حقيقة الرفق، وما أهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة؟
- كيف يمكن توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، وتحقيق أهدافها؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعل من أهمها:

- بيان حقيقة التنمية المستدامة، وأهميتها وأبعادها.
- بيان حقيقة الرفق، وأهميته، وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ، 1955م، كتاب: الفضائل، بَابُ: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2593).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، بَابُ: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2592).

- بيان يمكن توظيف الرفق وتفعيل دوره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، وتحقيق أهدافها.

منهج البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي وذلك من خلال جمع الأحاديث النبوية التي تناولت مبدأ الرفق، ثم المنهج التحليلي لتحليل تلك النصوص وبيان كيف يُمكن أن تُسهم في خدمة قضايا التنمية، وتحقيق أهدافها، وتُساعد على ديمومتها وتضمن بقاءها استمراريتها.

الدراسات السابقة والإضافة المعرفية:

رغم أهمية موضوع التنمية المستدامة بوصفه عملية عمرانية يتفاعل فيها الإنسان مع المكان، من أجل تحقيق مصالح الموجودات الأرضية، وضبط ميزان تعايشها الآمن حاضرًا ومستقبلًا، إلا أن الدراسات الشرعية التي تناولت مجال التنمية المستدامة قليلة نسبيًا، ولعل من أهم الدراسات التي تناولت موضوع التنمية المستدامة من الناحية الشرعية:

1. التنمية المستدامة وعلاقتها بفقه المصالح، د. محمد صلاح حلمي سعد، بحث منشور ضمن أعداد حولية كلية الدراسات الإسلامية بنين بأسوان، عدد (2) (ربيع أول 1441هـ 2019م).
2. التنمية المستدامة في القرآن الكريم ودورها في البناء الإنساني، د. قتيبة فوزي جسام الراوي، بحث منشور ضمن أعداد مجلة (volume2023) (KnE social sciences).
3. التنمية المستدامة وأثرها في حفظ مقاصد الشريعة، د. منال بنت طارق القصبي، بحث منشور ضمن أعداد مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات بالإسكندرية، المجلد (2) عدد(37).
4. التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية (مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية أنموذجًا) د. عبد الغني على المقبلي، بحث منشور ضمن مجلة الجامعة الوطنية، عدد (16) فبراير (2021م).
5. ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر

الفقي، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة (22-2007/4/25م).

ولا شك أن هذه الدراسات لها أهمية كبيرة في التعريف بقضية التنمية المستدامة، وعلاقتها ببعض العلوم الشرعية وتسليط الضوء عليها، بيد أنه لا توجد دراسة علمية - في حدود علم الباحث - تناولت مبدأ الرفق في الهدي النبوي، وأثره في خدمة عمليات التنمية المستدامة، فجاءت هذه الدراسة بُغـــية تسليط الضوء على حقيقة الرفق، وأهميته، ومجالاته ومستوياته، وكيفية تفعيل دوره في تحقيق عمليات التنمية المستدامة، وبهذا تبرز أهمية هذه البحث الموسوم بـ (الرفق في الهدي النبوي وأثره في تحقيق التنمية المستدامة).

محتوى البحث:

اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

- المقدمة:
- تمهيد: مفهوم الرفق وأهميته.
- المبحث الأول: التنمية المستدامة، حقيقتها وأهدافها وأبعادها.
- المبحث الثاني: تفعيل مبدأ الرفق وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.
- الخاتمة.

تمهيد: مفهوم الرفق وأهميته

الفرع الأول: مفهوم الرفق وحقيقته

الرِّفْق لغة:

الرِّفْق - بكسر الراء، وسكون الفاء، بعدها قاف: اللُّطف، وضدُّه: العنف، وهو فعل لازم يتعدى بحرف الجر، تقول: رفَق بالرجل، ورفَق له، ورفق عليه، أي: تلطّف معه، ولان له جانبُه، والرَّفيق أيضًا: ضدُّ الأخرق[1].

ومنه الرفقة: «يقال للقوم ما داموا منضمين في مجلسٍ واحد ومسيرٍ واحد، وإذا تفرقوا ذهب عنهم اسم الرفقة، ولم يذهب عنهم اسم الرفيق..»[2].

الرِّفْق اصطلاحًا:

لا يخرج معنى الرِّفق في الاصطلاح عن معناه اللغوي، فقد عرّفه الحافظ ابن حجر بقوله: «لين الجانب بالقول والفعل، والأخذُ بالأسهل، وهو ضِدُّ العنف»[3].

وقال العظيم آبادي هو: «المداراة مع الرُّفَقاء، ولينُ الجانب، واللُّطْفُ في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها..»[4]. وقال أبو البقاء الكفوي: «التّوسُّط واللّطافة في الأمر..»[5].

وهذه التعريفات وإن كانت متفاوتة في العبارة، إلا أنها متقاربة في الدلالة، ولعل أشملها تعريف ابن حجر، ويمكننا أن نستنتج منها جملة أمور، من أبرزها: «أن الرِّفق سلوك كريم، وأنه يكون في القول والعمل، كما أن الرِّفقَ توسّط واعتدال، وفي الرِّفق معنى المسايرة والتوافق، كما أن الرِّفق اختيار الأفضل والأسهل..»[6].

1- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط.د.ت. (10/118).
2- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، الكليات، المحقق/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت (ص482).
3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح البخاري، اعتني به: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380، 1390هـ، (10/449).
4- العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ، (13/112).
5- الكفوي، الكليات (ص482).
6- حسن محمد عبه جي، الرفق في السنة النبوية، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية (ص10). https: //ketabonline.com/ar/books

والرفق المحمود:

والمحبوب لله تعالى هو الذي لا يفضي إلى إهمال حق من حقوق الله تعالى، فإذا أفضي إلى ذلك لم يجز ولم يكن محبوبًا، بل يكون مبغوضًا ومسخوطًا عليه من قبل الحق سبحانه وتعالى، قال تعالى مخاطبًا المؤمنين عند إقامة حد الزنا قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [1].

الفرع الثاني: أهميته الرفق والحاجة إليه

لا شك أن للرفق أهمية كبيرة، وأن الحاجة ماسّة بل وملحة إلى التّعامل بين الناس بالرفق في شتى مجالات الحياة، لا سيما في الوقت الراهن، ذلك الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين فيه سرعة الغضب والانفعال، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة، وأهملوا الرِّفق واللين في حياتهم إما تهاونًا أو جهلًا، وتبرز أهمية الرفق في كونه يحقق عددًا من المنافع والمصالح، من ذلك أن:

الرفق سبب في حصول محبة الله للعبد:

فقد روى البخاري في صحيحه، أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله يُحبُّ الرِّفقَ في الأمْرِ كُلِّهِ»[2]. وما دام الرفق محبوبًا لله تعالى فينبغي للمسلم أن يحرص عليه، ويأخذ به، ويتخلق به، ويجعله صفة من صفاته، وسجيةً من سجاياه، لأن كل ما يحبه الله ينبغي على المسلم أن يحبه ويعمل به.

الرفق من أهم أسباب الرزق والخير:

سنة الله في الرفق وأهله أن يعطيهم ما لا يعطي على العنف وأهله فمن يرزق الرفق يرزق أسباب الخير، ومن يحرمه يحرم أسباب الخير، وفي الحديث: «منْ يُحَرمُ الرِّفقَ يُحَرمُ الخير»[3]. فالرفق سبب كل خير، وفي حديث آخر قال ﷺ يا عائشة: «إِنَّ اللَّه رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[4]. قال ابن

1- سورة: النور، آية [2].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م، كتاب: الدعوات، بَابُ: الدعاء على المشركين (8/84) حديث رقم (6395).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل، بَابُ: فضل الرفق (4/2003) حديث رقم (2592).

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والآداب والصلة، بَابُ: فضل الرفق (4/3) حديث رقم (2004).

حجر أي: «يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره»[1].

يساعد على تحقيق الطاعة لله تعالى ولرسوله ﷺ:

فحينما يتحلّى المسلم بالرِّفق استجابة لأمر الله تعالى، وتأسّيًا بحال رسول الله ﷺ وقاله، يكون قد بلغ الغاية، وحقّق أعظم هدف يتنافس فيه المتنافسون، ويتسابق إليه المؤمنون، ألا وهو تحقيق الطاعة لله ولرسوله ﷺ قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[2].

الرفق يعين على قبول التكاليف الشرعية والاستجابة لها:

يقول الطاهر بن عاشور في معرض حديثه عن مقصد السماحة، وأنها أول أوصاف الشريعة وأكبر مقاصدها إن حكمة السماحة في الشريعة أن الله جعل هذه الشريعة دين الفطرة، وأمور الفطرة راجعة إلى الجبلة، فهي كائنة في النفوس سهل عليها قبولها، ومن الفطرة النفور من الشدة والإعنات قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾[3].

وقد أراد الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام شريعة عامة ودائمة، مستمرة ومستدامة؛ فاقتضى ذلك أن يكون تنفيذها بين الأمة سهلًا، ولا يكون ذلك إلّا إذا انتفى عنها المشقة والإعنات. فكانت برفقها وسماحتها أشد ملاءمة للنفوس، لأن فيها إراحة النفوس في حالي خويصتها ومجتمعها، وقد ظهر للسماحة والرفق أثر عظيم في انتشار الشريعة وطول دوامها. فعلم أن اليسر من الفطرة، لأن في فطرة الناس حب الرفق[4].

تقديم الإسلام في صورته الصحيحة:

ذلك أن وفرة النُّصوص التي تحثُّ على الرِّفق وتُرَغِّب فيه تُعطي انطباعًا عامًا عن الإسلام بأنه دين الرِّفق واللين، اللُّطْف والسماحة، وتجعل من تلك الأخلاق الكريمة سمةً بارزةً لهذا الدّين، وصفةً مميِّزة لأتباعه، وحينما يلتزم المسلم بتلك الأخلاق: الرِّفق واللِّين

1- ابن حجر، فتح الباري (10/449).
2- سورة: الأحزاب، آية [71].
3- سورة: النساء، آية [28].
4- محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق/ محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (3/193).

واللُّطْف والأناة من خلال سلوكهِ وممارساتهِ ومعاملاتهِ مع الآخرين، تظهر من خلاله هذه السِّمة، فيكون المرآة الصادقة التي تعكس الإسلام الحقيقي.

يقول ابن بطال: «والمداراة والرفق من أخلاق المؤمنين وهي: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة وسَلِّ السَّخِيمة»[1]. ولا شك أن تفعيل هذا الخلق العظيم في حياة الأمة، وتجسيده واقعًا ملموسًا، وسلوكًا متّبَعًا في كل المجالات؛ سيكون له أثر مهم في تقديم الإسلام بصورته الحقيقة والواقعية، تلك الصورة التي تم يغيبها عمدًا أو جهلًا، وتم استبدالها بصورة نمطية أخرى، وهي أن الإسلام انتشر بالسيف، وأنه دين العنف والغلظة والضدة والفظاظة، وأنه دين الغلو والتطرف والإرهاب!

فيه ترغيب الناس في الإسلام وتكاليفه:

فلم يرسل النبيُّ ﷺ رسولًا ولا معلِّمًا إلا أوصاه بأن يترفَّق ولا يتشدّد، وأن ييسّر ولا يعسّر، وأن يبشِّر ولا ينفِّر، وبهذا انشرحت القلوب، وأحبَّ الناس الإسلام، ودخلوا فيه أفواجًا، وعن أنس بن مَالِكٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وسكِّنُوا ولا تُنَفِّرُوا»[2].

قال ابن حجر: «في الحديث: الأمر بالتيسير في الأمور، والرِّفقُ بالرَّعِيَّة، وتحبيبُ الإيمان إليهم، وتركُ الشِّدَّة؛ لئلا تَنْفِرَ قلوبُهم، ولاسيما فيمن كان قريبَ العهد بالإسلام، أو قاربَ حدَّ التكليفِ من الأطفال؛ ليتمكَّنَ الإيمانُ من قلبه، ويتمرَّنَ عليه، وكذلك الإنسان في تدريب نفسه على العمل إذا صدقت إرادتُه لا يُشدِّدُ عليها، بل يأخذها بالتدريج والتيسير، حتى إذا أنست بحالة داومَتْ عليها نقلَها لحالٍ آخر، وزاد عليها أكثر من الأولى حتى يصل إلى قدر احتمالها، ولا يكلفها بما لعلَّها تَعْجِزُ عنه[3].

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م، (9/305).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: قول النبي ﷺ يسروا ولا تعسروا (8/30) حديث رقم (6125).

3- ابن حجر، فتح الباري (13/174).

يساعد الرفق على بلوغ الغايات وتحقيق الأهداف بأيسر السبل وأقرب الطرق.

فمن المعلوم أن تقديمَ أيِّ فكرة، أو عرضَ أيِّ مسألة، أو سؤالَ أيِّ حاجة، إذا ما تمَّ بأسلوب رفيق لطيف، حقّق قبولًا ونجاحًا، وما ذاك إلا لأن الرِّفق مفتاح القلوب، فالتَّعامل بالرِّفق هو الاختيار الأمثل لتحقيق الغايات، والوصول إلى النتائج المرجوّة من النّجاح وتحقيق الأهداف، بأيسر السُّبُل، ودون مشقَّة وعناء.

يساعد الرفق توطيد العلاقات الإنسانية ودوامها واستمرارها:

فقد تطرأ في حياة الإنسان بعض الأمور التي ليست بحسبانه، فإذا ما استخدم لها الحكمة، وعالجها برفق، اجتازها بنجاح وتفوُّق، وذلك لما في الرِّفق من أسرار وخصائص عظيمة، فبسببه تهوي الحواجز، وتُخْتَصر المسافات، وتقوى الصِّلات، وتزول الضغائن والأحقاد من القلوب، ويحصل المطلوب، أما العُنْف والشدَّة والغلظة فلا تحَقِّق إلا النُّفْرة، والبُغْض، والقطيعة، قال الله تعالى لنبيِّه (صلى الله عليه وسلم) ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [1]. وقد ضرب رسولُ الله ﷺ أروعَ الأمثلة في معالجة المواقف الطارئة بالرِّفق واللين حينما قام أعرابيٌّ جافٍ أو حديثُ عهدٍ بالإسلام فبال في مسجده! فتناولَه النَّاسُ، بالزجر والتوبيخ والتعنيف، فقال لهم النبيُّ ﷺ: «دَعُوه، وهَرِيقُوا على بوله سَجْلًا من ماء أو: ذَنُوبًا من ماء فإنما بُعِثْتُمْ مُيَسِّرين، ولم تُبْعَثوا مُعَسِّرين»[2]. والتفت ﷺ للأعرابي قائلاً: «إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لاَ تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ، وَلَا الْقَذَرِ إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ U، وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ»[3].

1- سورة: آل عمران، آية [159].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب صبِّ الماء على البول في المسجد (1/54) حديث رقم (220).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد (1/237) حديث رقم (285).

المبحث الأول: التنمية المستدامة، حقيقتها وأهدافها وأبعادها.

المطلب الأول: حقيقة التنمية المستدامة

التنمية لغة:

مصدر من الفعل (نمّى) يقال أنميت الشيء ونميته جعلته ناميًا أما كلمة المستدامة فمأخوذة من استدامة الشيء أي طلب دوامه[1].

التنمية اصطلاحًا:

ومن الناحية الاصطلاحية يُراد بالتنمية زيادة الموارد والقدرات والإنتاجية، وهذا المصطلح رغم حداثته، يستعمل للدلالة على أنماط مختلفة من الأنشطة البشرية، مثل التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية والتنمية البشرية إلخ، والمراد بالتنمية الاقتصادية: هو الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية والبشرية لغرض تحقيق زيادات مستمرة في الدخول تفوق معدلات النمو السكاني.

أما التنمية الاجتماعية: فالمراد منها هو إصلاح الأحوال الاجتماعية للسكان عن طريق زيادة قدرة الأفراد على استغلال الطاقة المتاحة إلى أقصى حد ممكن وبتحصيل أكبر قدر من الحرية والرفاهية.

كما يُقصد بالتنمية البشرية: تخويل البشر سلطة انتقاء خياراتهم بأنفسهم سواء فيما يتصل بموارد الكسب أو بالأمن الشخصي أو الوضع السياسي[2].

ويلاحظ أن ثمة تداخلًا بين كل هذه الأنماط التنموية إذ يرتبط كل نمط منها مع سائر الأنماط الأخرى ارتباطًا وثيقًا من حيث التأثير المتبادل بينهما، ولذلك وجدنا من يدمج كل هذه الأنماط المختلفة من التنمية تحت مسمى واحد هو(التنمية المتكاملة)»[3].

1- ابن منظور، لسان العرب (15/341).

2- محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث رقم الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة 22، 25/4/2007م، (3/10).

3- المصدر السابق، نفسه.

التنمية المستدامة:

لما كانت التنمية المتكاملة تختصر دلالاتها الاصطلاحية على العمليات التي تجري في الوقت الحاضر فقط لتلبية احتياجات الأفراد الموجودين حاليًا دون مراعاة احتياجات الأجيال القادمة فقد قام كاتبوا تقرير لجنة (برونتلاند) المعنون بـ (مستقبلنا المشترك) في سنة (1987م) بوضع مصطلح (التنمية المستدامة) للدلالة على: «التنمية التي تُلبي احتياجات الحاضر دون أن تؤثر في قدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها..»[1].

ومن الجدير بالذكر أن مصطلح (التنمية المستدامة) له تعريفات كثيرة جدًا، ولعل أجمع هذه التعريفات وأمنعها وأقربها إلى المرجعية الإسلامية، ما ذهب إليه الأستاذ أحمد صالح على بافضل، حيث عرفها بأنها: «إيصال الجيل الحاضر لأقصى ممكنات الصلاح والنفع الدنيوي والأخروي، بما لا يؤثر سلبًا على متطلبات الأجيال القادمة»[2].

فهي تنمية تُراعي حق الأجيال القادمة في الثروات الطبيعية للمجال الحيوي لكوكب الأرض، كما أنها تضع الاحتياجات الأساسية للإنسان في المقام الأول فأولوياتها هي تلبية احتياجات المرء من الغذاء والمسكن والملبس وحق العمل والتعليم والحصول على الخدمات الصحية وكل ما يتصل بتحسين نوعية حياته المادية والاجتماعية وهي تنميه تشترط ألا نأخذ من الأرض أكثر مما نعطي..»[3]. أي أنها تتطلب تضامنًا بين الجيل الحالي والجيل المستقبلي وتضمن حقوق الأجيال المقبلة في الموارد البيئية وتتمثل أهداف التنمية المستدامة في تحسين ظروف المعيشة لجميع سكان العالم وتوفير أسباب الرفاهية والصحة والاستقرار لكل فرد.

المطلب الثاني: أهداف التنمية المستدامة، وأبعادها

تلقفت شعوب العالم المتقدمة والمتخلفة مصطلح (التنمية المستدامة) منذ اللحظة الأولى لظهوره؛ تلقف الغريق أيدي منقذيه، فالمتقدمة ترجو منه إنقاذًا من فشل

1- تقرير اللجنة التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، والذي عرف بتقرير (برونتلاند) ينظر: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي (ص187).

2- أحمد صالح على بافضل، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، ، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 2014م، (ص41).

3- سعاد عبد الله العوضي، البيئة والتنمية المستدامة، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت (ص7).

أنظمة حياتها من توفير سعاة الإنسان، وحماية بيئته حاضرًا ومستقبلًا وأما المتخلفة فقد رأت فيه بارقة أمل في ظلام دامسٍ عليها تنير لها طريق تنمية المكان التي أضلتها وفشلت في الوصول إليها..»[1]. وحتى تظهر أهمية التنمية المستدامة بوضوح، كان لابد من التعرف على أهداف تلك التنمية، تلك الأهداف التي وضعتها الأمم المتحدة والتي تعرف أيضًا باسم (الأجندة العالمية 2030م).

أهداف التنمية المستدامة:

وهذه الأهداف هي عبارة عن سبعة عشر هدفًا على النحو الآتي: القضاء على الفقر، والقضاء التام على الجوع، والصحة الجيدة والرفاه، والتعليم الجيد، والمساواة بين الجنسين، والمياه النظيفة والنظافة الصحية، وطاقة نظيفة وبأسعار معقولة، والعمل اللائق ونمو الاقتصاد، والصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، والحد من أوجه عدم المساواة، ومدن ومجتمعات محلية مستدامة، والاستهلاك والإنتاج المسؤولان، والعمل المناخي، والحياة تحت الماء، والحياة في البر، والسلام والعدل والمؤسسات القوية، وعقد الشراكات لتحقيق الأهداف[2].

وهي في حقيقتها عبارة عن: رؤية ودعوة عالمية للعمل من أجل القضاء على الفقر وحماية كوكب الأرض وضمان تمتع جميع الشعوب بالسلام والازدهار بحلول عام (2030م) ولعل ما يميز هذه الاتفاقية عن غيرها، أنه لم يسبق أن وافقت جميع الدول الأعضاء بمنظمة الأمم المتحدة والبالغ عددهم 193 دولة - بالإضافة إلى مئات الآلاف من الجهات أصحاب العلاقة - على رؤية بعيدة المدى لمستقبلنا الجماعي. وأتت هذه الأهداف السبعة عشر كالأهداف المستقبلية التالية التي يطمح العالم لتحقيقها بعد الأهداف الإنمائية للألفية (2000 - 2015)، كما تشمل أربعة مواضيع رئيسية وهي المواضيع البيئية، والاجتماعية، والاقتصادية والشراكات وهذه الأهداف تشمل 169 غاية و231مؤشر، كما أن أهداف التنمية المستدامة هي أهداف مترابطة وغالبا النجاح في تحقيق هدف بعينه في معالجة موضوع محدد يؤدي إلى تحقيق الأهداف أخرى، وتقتضي أهداف التنمية المستدامة التعاون والعمل مع جميع الشركاء وبشكل عملي حتى نتمكن من اتخاذ

1- عبد الله جمعان الغامدي، التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد 32، عدد 1، 1430هـ، 2009م، (ص189).

2- المصدر السابق، نفسه.

الخيارات الصحيحة لتحسين الحياة بطريقة مستدامة للأجيال القادمة.

وهي توفر مبادئ وغايات واضحة لجميع البلدان لتعتمدها وفقا لأولوياتها وخططها الوطنية مع تسليط الضوء على التحديات البيئية التي يواجهها العالم بأسره، كما تمثل أهداف التنمية المستدامة خارطة طريق شاملة. وهي تعالج الأسباب الجذرية للفقر وتوحد الشعوب لإحداث تغيير إيجابي للعالم أجمع. كما أن مما يميز أهداف التنمية المستدامة عن غيرها من الأهداف أنها تركز على شمولية الجميع، حيث لا يمكن لدولة أن تعمل لوحدها لتحقق النمو الاجتماعي والاقتصادي داخل حدودها فقط، بل يجب على الدول أن تتكاتف وتتعاون لضمان تحقيق الأهداف والاستدامة للعالم أجمع..»[1].

أبعاد التنمية المستدامة:

إن الناظر والمتأمل لتداول للجهات الرسمية وغير الرسمية لمصطلح التنمية المستدامة يجد أن معظم المداولات تدور حول ثلاثة عناصر سماها تقرير مؤتمر قمة جوهانس بيرج: «أركان التنمية المستدامة المترابطة والمتداعمة وهي التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية وحماية البيئة على الصعيد المحلي والوطني والإقليمي والعالمي..»[2].

ويمكننا بحسب المرجعية الإسلامية أن نضيف أبعادًا وأركانًا جديدة لموضوع التنمية المستدامة، ذلك أن النظرة الإسلامية لعملية التنمية تتسم بالشمول على النحو الآتي:

- أولًا: البعد المرجعي: فمنهج الله الخالق ومخرجات عقول البشر وتجاربهم المنضبطة بمسالك الشريعة، هو المرجعية الأساسية لتحقيق التنمية المنشودة.
- ثانيًا: البعد المجالي: دنيوية وأخروية فالدنيوية: تشمل كافة عمليات التنمية في كل مجالات الحياة ونشاطاتها الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والبيئية، والأخروية: تشمل كل أعمال الإنسان النافعة ونقصد هنا أننا نحتاج عند تخطيطنا ووضعنا لخطط وبرامج التنمية ألا نغفل حاجة الإنسان إلى أعمال قد يتمحض ويخلص فيها النفع الأخروي مع ملاحظة أن متطلبات الآخرة تعود بالنفع الدنيوي أيضا ومنها ما هو ضروري لإقامة التنمية الدنيوية كالصلاة حيث تمد القائم على

1- الموقع الرسمي للمركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء التابع لوزارة شئون مجلس الوزراء، بدولة الإمارات العربية المتحدة، https: //fcsc.gov.ae/

2- الوثيقة متاحة بموقع الخط الأخضر http: //www.greenline.com

العمليات التنموية بالطاقة والحيوية وتكسبه قدرة على تجنب المثبطات، ومنها الفحشاء والمنكر، وقد أثبت العلم والواقع الأثر الفعال لمثل هذه الأعمال فتُنقى بها الأذهان وتُرفع بها الطاقات حتى أننا نرى اليابانيين يبدؤون أول أعمالهم بما يمدهم بزاد روحي.

- ثالثًا البعد الزماني: والمراد أن التنمية المنشودة لا تقتصر على الحاضر وفقط، وإنما تشمل الحاضر مع عدم إغفال حق الأجيال القادمة.
- رابعًا: البعد التطبيقي: ويقصد به فعل كل ممكنات الإنسان، وبل كل الطاقات والجهود في حدود الزمان والمكان والحالة.
- خامسًا البعد المكاني: ويشمل كل أرجاء المعمورة فلا تحده تضاريس الطبيعة ولا يمنع توسعه حدود دوله إسلامية أو غير إسلامية.
- سادسًا البعد التكليفي: والمراد أن التنمية المنشودة ليست مسؤولية فئة دون أخرى بل هي مسؤولية كل الأفراد حكاما ومحكومين..»[1].

المبحث الثاني: تفعيل مبدأ الرفق وأثره في تحقيق التنمية المستدامة.

لا شك أن للرفق منافع كثيرة، وبه تتحقق العديد من المصالح التي يمكن أن تُسهم في تحقيق العديد من أهداف وغايات التنمية المستدامة، وتدفع عجلتها إلى الإمام، وذلك من خلال تفعيل مبدأ الرفق، والتحلي على كافة الأبعاد والمستويات، بداية من الرفق في علاقة الإنسان بنفسه، مرورًا بالرفق على مستوى علاقة الإنسان بأهله وأسرته وغيره من أفراد المجتمع، وصولًا إلى الرفق على مستوى علاقته بالبيئة المحيطة والكون من حوله.

المطلب الأول:

تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بنفسه

لما كان الإنسان هو أساس برامج التنمية المستدامة، وهو غايتها، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها، فقد أعلت السنة النبوية قيمة الإنسان، واهتمت بالنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، وصيانتها والحفاظ عليها؛ ذلك أن الإنسان هو أهم عناصر الكون، بل إن هذا الكون قد خلق لأجله، وكل ما فيه مسخر لخدمته، وهو خليفة الله في الأرض دون سائر

1- أحمد صالح على با فضل، الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة (ص43).

المخلوقات..»[1].

ولا شك في أن الرفق بالنفس، وعدم تكليفها ما لا تُطيق مما يشق عليها من الأعمال عون لها على المواصلة والاستدامة والاستمرار في إنجاز الطاعات والأعمال النافعة، والمتأمل في السنة النبوية المطهرة يجد العديد من مظاهر وصور الرفق بالنفس، والرحمة بها، وعدم تكليفها من الأعمال فوق ما يفوق طاقتها من الأعمال حتى في العبادة التي المقصد الأول من خلق الإنسان ووجوده في الكون ومن ذلك:

النهي عن إرهاق البدن ولو بالعبادة:

ومن مظاهر الرفق بالنفس في السنة النبوية تحريم إرهاق البدن بالعمل وطول السهر والجوع، حتى وإن كان ذلك عبادةً الله تعالى فقد أنكر النبي ﷺ على رهطٍ من أصحابه أراد أحدهم أن يقوم الليل ولا ينام، والثاني أن يصوم الدهر ولا يفطر، والثالث أن يعتزل النساء فلا يتزوج ففي الصحيح من حديث أنس ﷺ قال: «يَقُولُ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ ؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ ولا أُفْطِرُ. وَقالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا. فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا وَاللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[2].

ولا شك أن هذا الرفق يُفضي إلى المداومة والاستمرار، ويُجنب النفس الإحساس بالفتور، ويقيها من الشعور بالسآمة والملل.. الذي يُفضي في نهاية الأمر إلى التوقف والانقطاع بشكل تام.

كما أنه ﷺ أنكر على عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو ﷺ وغيرهما الغلو في التعبد مذكرًا بحق أبدانهم وأسرهم ومجتمعهم عليهم فعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: «دخل علي رسول الله ﷺ فقال: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَلاَ تَفْعَلْ، قُمْ وَنَمْ، وَصُمْ وَأَفْطِرْ، فَإِنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الراحة) وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في النوم) وَإِنَّ لِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الإكرام والمشاركة) وَإِنَّ لِزَوْجِكَ

1- محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية (3/24).
2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكاح (7/2) حديث رقم (5063).

عَلَيْكَ حَقًّا (أي في الإمتاع والمؤانسة)..»[1].

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى شَيْخًا يُهَادَى بَيْنَ ابْنَيْهِ (أي يمشي بينهما معتمدًا عليها) قَالَ: «مَا بَالُ هَذَا؟»، قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِيَ (أي إلى الحج) قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ» وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ»[2].

ولم يصح للنبي ﷺ حديث في فضل الجوع مجردًا إلا ما كان من جوع الصيام بل ثبت عنه الاستعاذة بالله منه قال ﷺ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ، فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ..»[3].

تشجيع الرخص والتخفيفات:

ومن مظاهر عناية السنة النبوية بحق الجسم، ورعايته، والحفاظ عليه والرفق به ما شرعته من رخص عند أداء الفرائض، إذا كان العمل بالعزائم شاقًا يؤذي الجسم، كأن يسبب له مرضًا أو يزيد في مرضٍ قائم، أو يؤخر الشفاء منه، أو يؤدي إلى مشقةٍ زائدة.

فهنالك يدع الوضوء إلى التيمم، والصلاة قائمًا إلى الصلاة قاعدًا أو مضطجعًا، وله الفطر في رمضان للسفر أوللمرض، قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[4].

ورخص السفر والمرض معروفة إلى غير ذلك من أنواع التخفيف إلى بدل أو إلى غير بدل، حتى أصبح مقررًا عند عامة المسلمين: أن صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ تُؤْتَى رُخَصُهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ تُؤْتَى مَعْصِيَتُهُ»[5].

وأحيانا يصبح العمل بالرخصة واجبًا، كما إذا كان المرض شديدًا أو السفر مجهدًا والجسم ضعيفًا لشيخوخةٍ أو نحوذلك، فعلى مثل هذا يحرم الصوم؛ لما فيه من مشقة بالغة كالذي رآه النبي ﷺ في السفر يظلل عليه رفقاؤه، ويرشون عليه الماء من فرط ما

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حق الضيف (8/31) حديث رقم (6134).
2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الحج، باب: من نذر المشي إلى الكعبة (3/19) حديث رقم (1865).
3- أخرجه أبو داود، في سننه، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط. ت، تفريع أبواب الوتر، باب: في الاستعاذة (2/91) حديث رقم (1547)، وقال الألباني: «حديث حسن».
4- سورة: البقرة [185].
5- أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416هـ، 1995م، (5/272) حديث رقم (5866) وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح».

به من جَهْدٍ وتعب فلما سأل عن ذلك قالوا إنه صائم فقال ﷺ: «لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ»[1]. أي في هذا النوع من السفر الذي يشق على صاحبه إلى هذا الحد، وقد ختم الله تعالى آية صوم رمضان بقوله ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [2].

ومن ذلك ما شرعه القرآن والسنة من أحكام الضرورات التي تُباح بها المحظورات فمن هذه الضرورات المحافظة على الجسم وسلامته، وبقاء الحياة واستدامتها حتى أُبيح للمسلم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله: قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [3]. وقد تكرر هذا المعنى في سور عدة كالمائدة والأنعام والنحل.

مدارة النفس[4]. والتلطف بها والترويح عنها بأنواع المباحات:

كما أن من رفق الإنسان بنفسه التلطف بها والترويح عنها بأنواع المباحات؛ ذلك أن مداراة النفس والتلطف معها، والرفق بها أمر لابد منه، حتى لا يصيبها سوء أو ضرر، وكي تداوم على فعل الطاعات، وتستمر في القيام بالأعمال الصالحة دون أن يصيبها الفتور، أو يتسرب إليها الشعور بالسآمة والملل، يقول ابن الجوزي في ضرورة الرفق بالنفس والتلطف بها ومداراتها: «مر بي حمَّالان تحت جذع ثقيل، وهما يتجاوبان بإنشاء النغم، وكلمات الاستراحة، فأحدهما يصغي إلى ما يقوله الآخر، ثم يعيده، أو يجيبه بمثله، والآخر همته مثل ذلك، فرأيت أنهما لولم يفعلا هذا، زادت المشقة عليهما، وثقل الأمر وكلما فعلا هذا هان الأمر فتأملت السبب في ذلك، فإذا به تعليق فكر كل واحد منهما بما يقوله الآخر، وطربه به، وإجالة فكره في الجواب بمثل ذلك، فينقطع الطريق، وينسى ثقل المحمول. فأخذت من هذا إشارة عجيبة، ورأيت الإنسان قد حمل من التكليف أمورًا صعبة، ومن أثقل ما حمل مدارة نفسه، وتكليفها الصبر عما تحب، وعلى ما تكره، فرأيت الصواب قطع طريق الصبر بالتسلية والتلطف للنفس، كما قال الشاعر:

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الصوم، باب: قول النبي ﷺ لمن ظلل عليه واشتد الحر ليس من البر الصوم في السفر (3/33) حديث رقم (1946).

2- سورة: البقرة [185].

3- سورة: البقرة [173].

4- مداراة النفس أي: «ملاطفتها وملاينتها والرفق بها» أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، (1/732).

فـإن تـشـكـت فـعـلـلـهـا الـمـجـرة من ضوء الصباح وعدها بالرواح ضحى

ومن هذا ما يحكى عن بشر الحافي رحمة الله عليه: سار ومعه رجل في طريق، فعطش صاحبه، فقال له: أنشرب من هذا البئر؟ فقال بشر: اصبر إلى البئر الأخرى! فلما وصلا إليها، قال له: البئر الأخرى؛ فما زال يعلله، ثم التفت إليه، فقال له: هكذا تنقطع الدنيا، ومن فهم هذا الأصل، علل النفس، وتلطف بها، ووعدها الجميل، لتصبر على ما قد حملت، كما كان بعض السلف يقول لنفسه: "والله ما أريد بمنعك من هذا الذي تحبين إلا الإشفاق عليك". وقال أبو يزيد رحمة الله عليه: "ما زلت أسوق نفسي إلى الله تعالى وهي تبكي، حتى سقتها وهي تضحك، واعلم أن مداراة النفس والتلطف بها لازم، وبذلك ينقطع الطريق..»[1].

المطلب الثاني: تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بأهله وأسرته

لا شك أن للأسرة أهمية كبيرة في بناء وتكوين أي مجتمع بشري، فهي التربة التي يُغرس فيها الطفل، وينشأ فيها وينمو، فإن كانت هذه التربة خصبةً وصالحةً..أنبتت شجرةً قويةً سويةً..تضرب في أعماق الأرض انتمًاء وولًاء لتلك التربة.. تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها..ثمارًا يانعةً..أما إن كانت هذه التربة غير خصبة وغير صالحة..فإنها تنبت بطبيعة الحال شجرةً هزيلةً ضعيفةً..تجُتث بسهولة من فوق الأرض، ما لها من قرار ولا استقرار..

فالأسرة تعد بلا ريب: مظلة إنسانية ضرورية لبناء النفس البشرية، وممارسة المعيشة الهانئة في الحياة، ورفد نظام المجتمع بعناصر البناء والتنمية والعمران، وإبقاء النوع الإنساني، واستدامة الحياة البشرية.

ولا شك أن مبدأ الرفق من المبادئ والقيم التربوية المهمة والأساسية في التعامل مع الأبناء والزوجات سواء في حال الرضا أو في حال الغضب، وقد نبهنا المصطفى ﷺ إلى أهمية الرفق ففي الصحيح من حديث عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «يَا عَائِشَةُ إِنَّ اللّٰهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ..»[2]. وعنها أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[3].

1- جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي، صيد الخاطر، اعتني به: حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م، (ص114).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الرفق (4/4) حديث رقم (2593).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: في فضل الرفق (4/4) حديث رقم (2594).

وقوله: «يعطي على الرفق» أي: يتأتى به من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتى بغيره..»[1]. وهذا مُشاهد ومُجرب، فاستخدام الرفق واللين لا سيما في حالة تربية الأبناء، أوفي معرض النُّصح والإرشاد فيم بين الأزواج والزوجات أدعي لقبول النصحية والانتفاع بها.

ولذا فإن العلاقة بين الوالدين والمربين وبين الأطفال ينبغي أن يكون أساسها الرفق واللين، ولا ينبغي أن تكون عقوبة الأهل لأبنائهم وأطفالهم شديدة وقاسية إلى درجة تدفعهم إلى ستر الأخطاء والوقوع في الكذب أو الهروب من المنزل فهذا قد يشكل بدايةً لانحرافٍ خطير، كما ينبغي أن يعرف الطفل أنه إذا صدق في حديثه مع أهله وروى لهم الأحداث كما وقعت فإن العقوبة ستكون أخف من العقوبة التي سينالها إذا كذب أو نام خارج المنزل أو قام بخداع أهله وإذا أعطى الأب وعدًا بعدم معاقبة الطفل إذا اعترف بخطئه فإن عليه الوفاء بهذا الوعد كاملًا ومن المؤسف أن بعض الآباء يتعامل مع أبنائه بطريقة معكوسة فهو يعاقبه إذا صدق ويكافئه إذا كذب لأنه لا يعرف كيف يكتشف كذب ابنه المراهق..»[2].

ولقد جمع ابن خلدون هذه الآثار المدمرة التي تلحق الصغار عند غياب الرفق واللين والإفراط في استخدام القسوة والعنف، في التربية والتعليم، في مقالة حكيمة في فصل: أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم حيث يقول: «وذلك أنّ إرهاف الحدّ بالتّعليم مضرّ بالمتعلّم سيّما في أصاغر الولد لأنّه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلّمين أو المماليك أوالخدم سطا به القهر وضيّق عن النّفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وهو التّظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه وعلّمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانيّة الّتي له من حيث الاجتماع والتّمرّن، وهي الحميّة والمدافعة عن نفسه ومنزله. وصار عيالًا على غيره في ذلك بل وكسلت النّفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميل فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيّتها فارتكس وعاد في أسفل السّافلين..»[3].

1- المصدر السابق، نفسه.

2- عبد الكريم محمد الحسن، تأسيس عقلية الطفل، دار وجوه، الرياض، ط 2ن 2012م، (ص39).

3- عبد الرحمن بن بن خلدون، العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م، (1/743).

ومن ناحية أخرى فإن الفهم المنقوص أو المشوّه للدين، وتجذّر بعض الأفكار والتقاليد الموروثة المكرّسة للنظرة الدونية للمرأة، والرؤية الجاهلية لطبيعة العلاقة بين الذكر والأنثى، تلك التي تحكمها ثنائية التملك والاستعباد، وتُتداول فيها بفهمٍ مُشَّوهٍ بعض الأحاديث النبوية مثل حديث: «لَوكُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»[1]. وحديث: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ..»[2]. وحديث: «مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»[3]. وحديث: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاء»[4]. فرأى بعض ضعاف الفهم أن مثل هذه الأحاديث أعطت الحق للرجال في الهيمنة والتسلط وممارسة العنف ضد الإناث، سواء كانت زوجة، أم بنتًا أم أختًا.

فعلى مستوى الحياة الزوجية أسقطت هذه الثقافة من منظومة المعاشرة الزوجية بند الحقوق، ولم تستبق غير بنود الواجبات التي تضخمت واتسعت حتى شملت الأمزجة الشخصية والموروثات الثقافية، وغابت أو غيبت أحاديث كثيرة تضع الأحاديث الأولى في نسقها الصحيح، تلك الأحاديث التي تدعو إلى احترام الزوجة، والإحسان إليها وتجنب ضربها، والرفق بها، واللطف واللين في معاملتها، ومعاشرتها بالمعروف كقوله: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي»[5]. وقوله: «لا يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ الْيَوْمِ»[6]. وقوله ﷺ لفاطمة بنت قيس، (رضي الله عنها) عندما استشارته في معاوية بن أبي سفيان وأبي جهم عندما تقدما لخطبتها: "أَمَّا أَبُوجَهْمٍ فَرَجُلٌ ضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: انْكِحِي أُسَامَةَ، فَنَكَحْتُهُ فَجَعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا وَاغْتَبَطْت به»[7].

1- أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009 م، أبواب الرضاع، باب: ما جاء في حق الزوج على المرأة (3/457) حديث رقم (1159) وقال الترمذي: «حديث أَبِي هُرَيْرَةَ حديث حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ».

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة (4/133) حديث رقم (3331).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الزكاة، باب: الزكاة على الأقارب (2/120) حديث رقم (1462).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: ما يتقى من شؤم المرأة (7/8) حديث رقم (5096).

5- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب: في فضل أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) (5/709) حديث رقم (3895) وقال: «هَذَا حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ».

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: ما يكره من ضرب النساء (7/32) حديث رقم (5204).

7- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطلاق، باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها (2/119) حديث رقم (1480).

ولا شك أن (العنف الأسري) والاستخدام غير الشرعي للقوة أو التهديد باستخدامها بهدف إخضاع فرد من أفراد الأسرة لإرادة الطرف الذي يريد فرض سلطته بالعنف سواء كان هذا العنف جسديًا، أولفظيًا، أونفسيًا قد يتسبب في إحداث أضرار مادية أو معنوية أو نفسية، تؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر على عمليات التنمية في محيط الأسرة، بما ينعكس بطبيعة الحال على التنمية في المجتمع بأثره.

ولعل نظرة في الأرقام والإحصاءات الرسمية لغياب الرفق واللين وانتشار العنف والخشونة في محيط الأسرة تبين بوضوح كيف يمكن للعنف والخشونة أن تؤثر سلبًا على تحقيق التنمية المستدامة؛ ذلك أن المسح العالمي لظاهرة العنف يبين تفشيها وتصاعد وتيرتها في ذات الوقت، فقد أحصت التقديرات العالمية في سنة 2001م أن امرأة من كل ثلاث نساء تعرضت في حياتها إلى اعتداء جنسي أو جسدي أو نفسي.

وقد أعلنت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (UNICEF) سنة 2000م أن نسبة النساء والبنات اللائي تعرضن للعنف الأسري تتراوح بين 20 إلى 50% وأنه في سنة 2000م غاب من تعداد سكان العالم حوالي ستين مليون امرأة ذهبت ضحية العنف الأسري، وأن البلدان التي اتخذت تدابير مواجهة ظاهرة العنف على النساء والبنات لا تتجاوز 44 دولة، كما أعلن مجلس الشيوخ الأمريكي أن العنف الجسدي والاعتداء الجنسي يكلف الخزينة الأمريكية أكثر من 5.8 مليار دولار سنويًا.

أما مسح ظاهرة العنف في مجتمعاتنا العربية والاسلامية، فإنه يكشف انتشار هذه الظاهرة وتصاعد وتيرتها، فقد أصبح العنف متبادلًا بشكل واسع بين الأزواج..»[1].

المطلب الثالث: تفعيل مبدأ الرفق في علاقة الإنسان بغيره من أفراد المجتمع

لا شك أن المداراة والرفق واللين والسماحة من أخلاق المؤمنين فيما بينهم والرفق هو: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الأُلفة وسَلِّ السَّخِيمة[2].

1- مجموعة من الباحثين، ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، كتاب منشور ضمن سلسلة كتاب (الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد 167، جمادى الأولى 1436ه، (ص136).

2- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (9/305).

ولذا وجب على المسلم أن يعي ويفهم أنه إن كانت طبيعته الفظاظة وغلظة القلب نفر منه الناس، وهذا أمر لم يكن ليسلم منه رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [1]. لولا أن عصمه الله منهما، ورزقه الرفق واللين، وجعلهما من خصاله وأخلاقه، وجعله ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [2].

فنفرة الناس من الإنسان المسلم ستكون من باب أولى إذا كان موصوفًا بالفظاظة والغلظة، ولن يشفع له إذا اتصف بهاتين الخصلتين أنه يدعو الناس إلى الإسلام، فإن الناس لن يتحملوا فظاظته وغلظته معهم وحتى وإن كان يعمل لمصلحتهم ويدعوهم إلى الحق والخير فالناس لا يأخذون بهذا المنطق، فما يدعو إليه الإنسان المسلم، أهله وأقاربه والناس من حوله، لا يدخل إلى قلوبهم إلا إذا مالت إليه قلوبهم، ولا تميل إليه قلوبهم إلا إذا كان هذا الداعي رحيمًا بالناس متواضعًا معهم رفيقا بهم يخصهم بوجوه البر والشفقة والمعونة دون كبرٍ أواستعلاء أو سوء خلق، فالناس في حاجة إلى كنفٍ رحيم، وإلى رعايةٍ فائقةٍ، وإلى بشاشةٍ سمحة، وإلى ودٍ يعمهم، وحلمٍ لا يضيق بجهلهم، وضعفهم ونقصهم، إنهم في حاجةٍ إلى قلب كبيرٍ واسعٍ رفيقٍ يعطيهم ولا يحتاج منهم إلى عطاء، يحمل همومهم ويجدون عنده دائمًا الاهتمام والرعاية والعطف والسماحة والرفق واللين.

وإذا استطاع الإنسان أن يكون مع إخوانه، وفقه هذا الأنموذج الرباني، استقامت علاقاته بإخوانه، ودامت المودة والألفة بينه وبينهم.

ولعل من الصور النبوية المشرقة التي تجسد رفق المصطفي ﷺ، بإخوانه وأصحابه، ولينه وسهولته في معالجة أخطائهم وإرشادهم إلى الصواب، ما روي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام أعرابيٌّ فبال في المسجد، فتناولَه النَّاسُ، فقال لهم النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَو ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ..»[3].

ومن الصور المهمة للرفق والتي يمكن أن تُسهم في تحقيق التنمية المستدامة، ودفع عجلتها، وتقديم مسيرتها، الرفق بالعمال، وحسن رعايتهم، فاحترام إنسانية العامل، وحسن معاملته، والرفق به والإحسان إليه، من المبادئ النبوية السامية، فالعامل في السنة

1- سورة: آل عمران، آية [159].

2- سورة: التوبة، آية [128].

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الوضوء، باب: صب الماء على البول في المسجد (1/54) حديث رقم (220).

النبوية له كرامته وحرمته، دون النظر إلى لونه أو عرقه أو طبيعة عمله، وتتجلي في السيرة النبوية العطرة مظاهر الرفق بالخدم والعمال، فهذا أنس بن مالك ﷺ خادم النبي ﷺ يقول: «خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ، وَلاَ: لِمَ صَنَعْتَ؟ وَلاَ: أَلَّا صَنَعْتَ»[1].

بل إن رفقه ورحمته وشفقته ﷺ بالخدم والعمال تخطت نطاق الإسلام إلى خدمه من الديانات الأخرى، كما فعل ﷺ مع الغلام اليهودي الذي كان يخدمه، وقد مرض هذا الغلام مرضًا شديدًا، فظل ﷺ يزوره ويتعهده، حتى إذا شارف الموت، عاده فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ»، فَنَظَرَ إِلَى أَبِيهِ وَهُو عِنْدَهُ فَقَالَ لَهُ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ ﷺ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُو يَقُولُ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ»[2].

وقد نهي النبي ﷺ عن تكليف العمال فوق طاقتهم، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ: «لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ وَكِسْوَتُهُ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ»[3].

بل إن رسول الإنسانية ﷺ رفع العمال والخدم إلى درجة الإخوة، وهذا ما لم يُسبق إليه في أي حضارةٍ إنسانية ففي الصحيح من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذرٍ الغفاري ﷺ وعليه حلة، وعلى غلامه حلة، فسألناه عن ذلك، فقال: إني سابيت رجلا، فَشَكَانِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ» ثم قال: إِنَّ إِخْوَانَكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ، فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ فَأَعِينُوهُمْ»[4].

ولا شك أن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكلفيهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، مع إعطائهم حقوقهم المادية والمعنوية، وشعورهم بالأخوة والرحمة والمودة بينهم وبين أرباب الأعمال، يترتب عليه أن يكون عملهم نابع عن حب ومودة، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، حتى أنهم يشعرون أنها ملك

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الأدب، باب: حسن الخلق (8/17) حديث رقم (6038).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه (2/118) حديث رقم (1356).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: إطعام المملوك مما يأكل، وإلباسه مما يلبس، ولا يكلفه ما يغلبه (3/284) حديث رقم (1662).

4- من حقوق العمال في الإسلام، د. حسن عبد الحمن سليم، مقال منشور بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1445ه، نوفمبر 2023م، (ص599)، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: المعاصي من أمر الجاهلية (1/14) حديث رقم (30).

لهم، وأنهم جزء منها؛ ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، والإبقاء على مقدراتها، وشيئًا فشيئًا يزيد إخلاصهم لها وتفانيهم في إنجاز وإتقان أعمالهم فيها؛ فتنمو وتتوسع، ويزيد نموها وتتضاعف أرباحها، وتحقق التنمية المستدامة.

المطلب الرابع: تفعيل مبدأ الرفق على مستوى علاقة الإنسان بالبيئة والكون من حوله

لا شك أن الكون هو مسرح خلافة الإنسان؛ تلك الخلافة التي هي مهمة وجوده؛ ولذا فإن التصرف فيه تصرُّف الرفق به يكون من باب: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وذلك لأن الرفق بالكون يعني: التعامل معه تعاملًا يقوم على الحفاظ على مقدراته، ونظمه، وموجوداته، والعمل على استدامتها واستمرارها، والحيلولة دون كل ما عسى أن يكون فيه إتلاف لها أو تحريف لها عن غاياتها في استتباب الحياة وتحقيق نفع الإنسان، وإذا ما تعطل هذا التعامل وآل الأمر إلى العبث في الكون بالفساد فإن ذلك يكون حائلًا دون القيام بمهمة الخلافة سواء في جانبها التعميري في الأرض أو في جانب الترقي الإنساني ذاتيًا واجتماعيًا، فكلاهما لا يتم إلا في بيئة كونية سالمةٍ من الفساد وبذلك يلحق الرفق بالبيئة والكون بمهمة الخلافة في الأرض في حكم الوجوب المفروض على الإنسان»[1].

وبهذا المعنى يمكن أن يعتبر الرفق بالكون مؤصلًا في التحضر الإسلامي على أصل عقدي إذ هو كما بيناه شرط لتحقق الخلافة في الأرض وهي أساس في العقيدة الإسلامية، ويقوم عليها التصور العقدي للإنسان، وإذا كانت مهمة الخلافة لا تتحقق إلا في نطاق الرفق بالكون فإن الحكم الاعتقادي الذي يتوجه إلى الخلافة يتوجه أيضا إلى الرفق بالكون، وهوما يفهم من جعل الإفساد في الأرض الذي هو نقيض الرفق بها صفة نفاق في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴾ والفساد في هذة الآية كما يقول الطاهر بن عاشور هو: «تعطيل لما خلق الله تعالى في العالم لحكمة صلاح الناس»[2]. واعتبر ذلك من نواقض الاعتقاد الصحيح؛ إذ هو من مظاهر النفاق، فيكون بالضرورة الرفق بالكون، والحفاظ على مقدرات البيئة من مظاهر العقيدة الصحيحة وذلك تأصيل عقدي لهذا الفقه.

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1427ه، 2006م، (1/157).

2- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، د. ط، 1984ه، (2/270) والآيتان من سورة: البقرة [204، 205].

ومع هذا التأصيل العقدي للعلاقة بين الإنسان والكون والتي ينبغي أن تنطلق من مبدأ الرفق بهذا الكون، يمكن تأصيل العلاقة بينهما بتأصيل من نوع آخر ألا وهو التأصيل الأخلاقي، والذي يتمثل في التقرير القرآني والنبوي في العديد من المواضع لأواصر القربى بين الإنسان ومكونات البيئة الكونية، ولعل من أبرز تلك الأواصر: إثبات وحدة العلاقة بين الإنسان والكون حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ﴾ [1]. تلك الوحدة التي نشأت منها علاقة ودية بين الإنسان وبين موجودات الكون عبَّر عنها النبي ﷺ في قوله: «أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[2].

وبطبيعة الحال فإن إدراك الإنسان لهذه العلاقة الودية بينه وبين مكونات البيئة الكونية سيؤدي إلى أن تكون سلوكياته وتصرفاته نحو تلك البيئة يغلب عليها الود والإكرام لها، والرفق بها، والإحسان إليها، ولعل هذا ما يفسر لنا حرصه ﷺ وكما درج عليه في أسلوبه التربوي على تحبيب عناصر ومكونات تلك الطبيعة إلى أصحابه، بتمثيل عناصرها تمثيلًا يُزينها في النفوس، ففي الصحيح من حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لاَ يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ المُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ» فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ البَوَادِي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ، ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[3].

وبناء على هذين الأصلين العقدي والأخلاقي ينبغي أن يكون أساس العلاقة ومنهجية التعامل بين الإنسان والبيئة الكونية من حوله. علاقةٌ تسودها المودة والرفق، وتعاملٌ يغلب عليه الاحترام والإكرام والإحسان، وذلك بالحفاظ عليها في تراكيبها ومكوناتها ونُظُمِها التي أحكمت لنفع الإنسان، وصيانتها من أن تتعرض للتحريف أو التخريب أو الإفساد أو الإتلاف أو التحطيم، وكذلك بالاستهلاك منها في سبيل تحقيق البناء الحضاري استهلاكًا رشيدًا مصونًا عن الإسراف المخل بخيراتها ومقدراتها مما قد يكون له أثر سلبي على نظامها في الانتفاع به عبر الأجيال والآماد، بما يضمن بقاءها واستمرارها واستدامة عطاءها.

ومن ثم يمكن القول: إن الرفق بالبيئة الكونية باعتباره مظهرًا من مظاهر الرقي والتحضر الإسلامي، ووسيلة من وسائل تحقيق التنمية المستدامة يمكن تفعيله من خلال

1- سورة: الحج، الآية [5].

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: المغازي، باب: باب أحد يحبنا ونحبه (5/103) حديث رقم (4083).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم، بَابُ: قَوْلِ المُحَدِّثِ: حَدَّثَنَا، وَأَخْبَرَنَا، وَأَنْبَأَنَا (1/22) حديث رقم (61).

محورين أساسيين وهما:

المحور الأول: الرفق الصياني:

فمن المعلوم أن البيئة الكونية قُدِّرت في عناصرها وفي تركيبها ونظامها بحيث تستجيب لنفع الإنسان إذ هي خُلقت أساسًا من أجله وذلك مصداقًا لقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [1]. وقال سبحانه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ [2].

فالبيئة الكونية مرتبة كلها لتحقيق مصلحة الإنسان في مقاديرها الكمية كما في الآية الأولى، وفي مقاديرها الكيفية كما في الآية الثانية، وتبعًا لهذا المعنى فإن على الإنسان في مباشرته وحركة حياته اليومية في الكون أن يعمل على صيانة مقدراته الكمية والكيفية التي عليها خُلق وأن يحافظ عليه في نظامه الذي ركُب عليه، وأن ينتفع به في حدود ذلك النظام المقدر لمصلحته؛ فإنه الوضع الأفضل مطلقًا لتحقيق تلك المصلحة؛ ذلك أن الله تعالى لم يخلق عنصرًا من عناصر الكون ولا رتب كيفية من كيفياته إلا وفق حكمة أرادها، ويجتمع من مفردات تلك الحكمة الصلاح الكوني الأشمل، وذلك مصداق قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [3].

والرفق الصياني بالبيئة الكونية كما ورد في السنة النبوية وفي التصور الإسلامي يمكن أن يكون على ضربين على النحو الآتي:

أولًا: الرفق بالصيانة من التلف:

ذلك أن لكل عنصر من عناصر الكون دورًا محددًا خاصًا به في تهيئة البيئة الكونية لتحقيق نفع الإنسان وهو ما يسمى اليوم بالتوازن البيئي، ولعل ذلك أحد معاني قوله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [4]. فالوزن في الآية الكريمة معناه تقدير كل عنصر من عناصر الكون بحيث يُفضي بالبيئة الكونية إلى هيئةٍ تحقق للإنسان النفع والصلاح، فقد وردت الآية في مقام المن عليهم بالنعم، فذلك الوزن المحقق للتوازن البيئي هو إحدى تلك النعم، والتصرف بالإتلاف لعناصر الكون الموزونة

1- سورة: لقمان، الآية [20].
2- سورة: إبراهيم، الآية [33].
3- سورة: الفرقان، الآية [2].
4- سورة: الحجر، الآية [19].

هو تصرف يفضي بالضرورة إلى الإخلال بما يؤدي إليه وزنها من التوازن، ويفضي بالتالي إلى الإخلال بالنفع الذي يحققه ذلك التوازن للإنسان ولذلك جاءت السنة النبوية بالمنع القاطع لهذا التصرف الإتلافي في التعامل مع البيئة الكونية بأي طريقة من طرائق الإتلاف الذي تكون غايته الإهلاك العبثي الذي لا يُنبي على أي تقديرٍ لوجهٍ من وجوه النفع»[1].

ولعل من أدلة المنع للإتلاف البيئي أنه ﷺ قال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ» قَالَ: فَقَالَ: وَاللَّهُ أَعْلَمُ: «لاَ أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلاَ سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلاَ أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا، فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[2]. وقوله أيضًا في مقابل ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «غُفِرَ لِامْرَأَةٍ مُومِسَةٍ، مَرَّتْ بِكَلْبٍ عَلَى رَأْسِ رَكِيٍّ يَلْهَثُ، قَالَ: كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ، فَنَزَعَتْ خُفَّهَا، فَأَوْثَقَتْهُ بِخِمَارِهَا، فَنَزَعَتْ لَهُ مِنَ المَاءِ، فَغُفِرَ لَهَا بِذَلِكَ»[3]. فمآل الأولى إنما كان بسبب إتلافها لمخلوق من عناصر البيئة عبثًا ومآل الثانية إنما كان بسبب حفاظها على مخلوقٍ من تلك العناصر أن يهلك من غير نفع.

إن هذه المبادئ النبوية في الرفق بعناصر البيئة وصيانتها والحفاظ عليها من التلف هوالذي وضعه أبوبكر ﷺ موضع التقنين حينما حدد لجيشه سبل التعامل مع البيئة التي يطؤها في الغزو فقد روى الإمام مالك في الموطأ: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ بَعَثَ جُيُوشًا إِلَى الشَّامِ. فَخَرَجَ يَمْشِي مَعَ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ وَكَانَ أَمِيرَ رُبْعٍ مِنْ تِلْكَ الْأَرْبَاعِ. . إِنِّي مُوصِيكَ بِعَشْرٍ: لَا تَقْتُلَنَّ امْرَأَةً، وَلَا صَبِيًّا، وَلَا كَبِيرًا هَرِمًا، وَلَا تَقْطَعَنَّ شَجَرًا مُثْمِرًا، وَلَا تُخَرِّبَنَّ عَامِرًا، وَلَا تَعْقِرَنَّ شَاةً، وَلَا بَعِيرًا، إِلَّا لِمَأْكَلَةٍ. وَلَا تَحْرِقَنَّ نَحْلًا، وَلَا تُغَرِّقَنَّهُ، وَلَا تَغْلُلْ وَلَا تَجْبُنْ»[4].

إنها وصية تُقَنِّنُ للحفاظ على البيئة الكونية والرفق بها وصيانتها من أن تهلك عناصرها من الحيوان والنبات وكل ما هو عامر منها بقصد الإهلاك والتدمير.

ثانيًا الرفق بالصيانة من التلوث:

ذلك أن الفساد في الأرض لا يكون بإهلاك عناصر البيئة إهلاكًا مباشرًا فحسب، ولكن

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي، (1/161).
2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان (4/176) حديث رقم (177).
3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: حدثنا أبو اليمان (4/176) حديث رقم (177).
4- أخرجه مالك في الموطأ، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ، 1985م، كتاب: الجهاد، باب: النهي عن قتل النساء والولدان في الغزو (2/447) حديث رقم (10).

يكون أيضا بتلويث البيئة تلويثًا تقذف فيه عناصر مسمومة تُستحضر استحضارًا، أو تنجم بالإهمال والتراكم؛ فإذا بها تُفضي إلى تعطيل العناصر الكونية الطبيعية في ذواتها أو كيفياتها وروابطها عن أن تؤدي دورها النفعي، بل قد تحولها إلى عناصر وكيفيات مسمومة هي بذاتها فإذا إداؤها للنفع يتحول إلى إضرار بحياة الإنسان، أو إعاقة له عن القيام بوظيفته في الاستخلاف، والقيام بعمليات التنمية والبناء والتعمير..»[1].

ولعل من أبرز النصوص النبوية ذات الدلالة الواضحة على ضرورة الرفق الصياني للبيئة للكونية والحفاظ عليها من التلوث، ما ورد من آداب في تصريف الفضلات الإنسانية، والتي تعتبر في البيئة البدائية البسيطة من أهم عناصر التلويث، ومن ذلك ما روي عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَةَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ»[2].

ففي هذه المواقع مجاري الماء، ووسط الطريق، وأماكن الظل يكون البراز أكثر تلويثًا للبيئة، إذ هي مواقع نشاط وحركة للناس، ومن شأنها أن تزيده انتشارًا وتمددًا وانتقالًا، ولذلك ورد النهي عنها مقاومة لتلويث البيئة، وصيانة لها، وحفاظًا عليها، وفي هذا السياق أيضًا يندرج أنه ﷺ «نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ»[3]. لما يفضي إليه من العفونه والتسميم.

المحور الثاني: الرفق الاستهلاكي:

فالإنسان كما هو معلوم يسعى في حركة حياته اليومية إلى استثمار مرافق الكون ومقدراته في سبيل تحقيق التنمية، وبناء الحضارة والعمران، وهذه المرافق والمقدرات التي هي نعم الله المقدرة في الكون، والمعدة لإقامة الخلافة في الأرض ليست بفانية في مجملها ما دام الإنسان مُكلفًا بمهمة الخلافة، فإن هذه النعم في مفرداتها خُلقت محدودةً لحكمةٍ إلهية؛ قد يكون منها تحفيز الإنسان للترقي طورًا بعد طور بالانتقال من استثمار مرفق إلى آخر أرقى منه وأكفأ في تلبية مقتضيات الترقي في التعمير على نحو ما يبدو في الانتقال من طاقة الفحم إلى طاقه البترول إلى الذرة إلى الطاقة الشمسية»[4].

1- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي (1/163).

2- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: الطهارة، باب: باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها (1/7) حديث رقم (26) وقال الألباني: «حديث حسن».

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الطهارة، باب: النهي عن البول في الماء الراكد (1/235) حديث رقم (281).

4- عبد المجيد النجار، فقه التحضر الإسلامي (1/165).

ولا شك أن مرافق الكون ومقدراته مبنية في وجودها على توازن بينها يُفضي إلى التوازن البيئي الشامل، كما أنها مبنية على حكمة إلهية في تناسبها مع التصور الإنساني كميًّا وكيفًّا عبر التاريخ بحيث تستجيب لهذا التطوُّر وتدفع إليه وتُنمِّيه تحقيقًا للترقي الخلافي ماديًا ومعنوًيا.

وبناء على هذا المعنى فإن الإنسان إذا كانت مرافق الكون قد خُلقت من أجله فإنه من المطلوب منه أن ينتفع بها في حدود ما يُلبي حاجاته الحقيقية في الانتفاع دون أن يتصرَّف إزائها تصرفًا استهلاكيًا يزيد عن حاجته فإذا هو مسرفٌ في الاستهلاك منها بما يفضي إلى إرهاقها في غير طائل، ويعجل بإنضابها وزوالها؛ مما يكون له الأثر السيء على التوازن البيئي من جهة وعلى التناسب بين المرافق وبين الأجيال البشرية المتعاقبة من جهة أخرى.

ولعل من النصوص الشرعية ذات الدلالة الواضحة على هذا المعني قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [1]. وقوله سبحانه تعالى ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [2].

وقد كان النبي ﷺ حريصًا على هذا الحكم في عمله تعليمًا للناس ففي الصحيح من حديث أَبُو رَيْحَانَةَ عَنْ سَفِينَةَ رضي الله عنه ؛ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُغَسِّلُهُ الصَّاعُ، مِنَ الْمَاءِ، مِنَ الْجَنَابَةِ. وَيُوَضِّؤُهُ الْمُدُّ»[3].

إن هذا النهي الرباني عن الإسراف، والتطبيق العملي من المصطفى ﷺ، يُشير بشكل واضحٍ إلى ملامح منهجٍ كاملٍ متكامل في التعامل مع مرافق البيئة الكونية بالرفق في الاستهلاك، بما يضمن استدامتها وبقاءها، واستمرار نموها وعطائها، ودوام انتفاع الإنسان بها، حتى تُسهم بشكل عملي وفاعل في تحقيق التنمية المستدامة، على المستوى الفردي والجماعي.

1- سورة: الأنعام، الآية [141].

2- سورة: الأعراف، الآية [31].

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الحيض، باب: باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة، وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة، وغسل أحدهما بفضل الآخر (1/258) حديث رقم (326).

الخاتمة

أولا: النتائج:

- إن الإنسان هو أساس التنمية المستدامة، وهو غايتها ومقصدها، وهو محورها الأول، والقائم بها، والمنوط به تحقيقها؛ ولذا فقد أعلت السنة النبوية من قيمة الإنسان، واهتمت بالنفس البشرية وأكدت على ضرورة الرفق بها، وصيانتها والحفاظ عليها؛ وعدم إرهاقها وتكليفها فوق طاقتها حتى وإن كان ذلك في مجال العبادة التي هي الغاية الأولى والمقصد الأسمى من وجود الإنسان في هذا الكون.
- للرفق أهمية كبيرة في حياة الإنسان فهو من أخلاق وصفات المؤمنين، ومن أهم أسباب الرزق والخير، وبه تحصل محبة الله للعبد، وفيه طاعةٌ لله تعالى ولرسوله ﷺ، كما أنه سبب في استدامة الطاعات، ويُسهم في تقديم الإسلام للناس في صورته الصحيحة، ويحببهم فيه، ويعينهم على قبول تكاليفه، وفي الرفق سبيل لتوطيد العلاقات والروابط الإنسانية واستدامتها.
- إن معاملة العمال والأجراء والموظفين بالرفق واللين، وعدم تكلفيهم من الأعمال ما لا طاقة لهم به، مع إعطائهم حقوقهم المادية والمعنوية، وشعورهم بالأخوة والرحمة والمودة بينهم وبين أرباب الأعمال، يدفعهم إلى القيام بأعمالهم بمودة وطيب خاطر، مما يزيد في ولائهم، وانتمائهم للمؤسسات التي يعملون فيها، ومن ثم يزيد حرصهم عليها، وصيانتهم لها، ورغبتهم في الحفاظ عليها، وعلى مقدراتها، وشيئًا فشيئًا يزيد إخلاصهم لها وتفانيهم في إنجاز وإتقان أعمالهم فيها؛ فتنمو وتتوسع، ويزيد نموها وتتضاعف أرباحها، وتتحقق التنمية المستدامة.
- إن الرفق بالكون، والحفاظ على البيئة الكونية، من الأمور المؤصلة في التحضر الإسلامي على أصل عقدي إذ هو شرط لتحقق الخلافة في الأرض وهي أساس في العقيدة الإسلامية.
- لما كان الإنسان هو أهم عناصر الكون، بل إن هذا الكون قد خُلق لأجله، وكل ما فيه مُسخر لخدمته، وهو خليفةُ الله في أرضه؛ لذا فإن تحقيق التنمية المستدامة يتطلب من الإنسان أن يتعامل مع البيئة الكونية برفق وإحسان، ويحرص على صيانتها من التلف والتلوث، والانتفاع منها برفق دون إسراف فيأخذ منها ويعطيها، ويرعى لها حقها، لتؤتي له حقه.

ثانيًا: التوصيات:

- ضرورة حشد كافة الجهود وتفعيل دور جميع مؤسسات المجتمع بدايةً من الأسرة والمسجد، مرورًا بالمدارس والجامعات، وصولًا إلى وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في السعي نحو نشر ثقافة الرفق في التّعامل بين الناس لا سيما في الوقت الراهن، ذلك الوقت الذي غلب على كثير من المسلمين فيه سرعة الغضب والانفعال، حتى صاروا يعرفون بالغلظة والفظاظة، وأهملوا الرِّفق واللين في حياتهم إما تهاونًا أو جهلًا.

- ضرورة عقد المؤتمرات والندوات العلمية التي تبرز دور القيم والأخلاق النبوية، وتبين دورها في رقي المجتمع، وتحقيق التنمية المستدامة، وبناء الحضارة وتشييد العمران.

قائمة المراجع

- البيئة والتنمية المستدامة، سعاد عبد الله العوضي، الجمعية الكويتية لحماية البيئة، الكويت.
- تأسيس عقلية الطفل، عبد الكريم محمد الحسن، دار وجوه، الرياض، ط2، 2012م.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393ه) الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م.
- تقرير اللجنة التي أنشأتها الأمم المتحدة في أواسط الثمانينات من القرن العشرين، والذي عرف بتقرير (برونتلاند) ينظر: التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد (32) عدد (1) (1430ه، 2009م).
- التنمية المستدامة بين الحق في استغلال الموارد الطبيعية والمسئولية عن حماية البيئة، عبد الله جمعان الغامدي، مجلة الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، مجلد (32) عدد (1) (1430ه - 2009م).
- الرفق في السنة النبوية، د. حسن محمد عبه جي، بحث منشور على شبكة المعلومات الدولية، https: //ketabonline.com/ar/books
- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر الفقي، بحث منشور بكتاب الندوة الدولية الثالثة للحديث الشريف، حول (القيم الحضارية في السنة النبوية) والتي عُقدت في رحاب جامعة الوصل، دبي، في الفترة (22-25/4/2007م).
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت275ه)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. بدون.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت279ه) المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430ه، 2009م.

- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت449هـ) المحقق/ أبوتميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م.
- صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق/ د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م.
- صحيح مسلم لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت261هـ) المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ، 1955م.
- صيد الخاطر، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ) اعتني به/ حسن المساحي سويدان، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م.
- ظاهرة التطرف والعنف من مواجهة الآثار إلى معالجة الأسباب، إعداد: مجموعة من الباحثين، كتاب منشور ضمن سلسلة كتاب (الأمة) وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، عدد (167) (جمادى الأولى 1436هـ).
- العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن بن خلدون (ت808هـ) اعتني به/ خليل شحادة، مراجعة/ د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401هـ، 1981م.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبوعبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (ت1329هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ) اعتني به/ محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380 - 1390 هـ.
- الفروض الكفائية سبيل التنمية المستدامة، أحمد صالح على بافضل، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ط1، 2014م.
- فقه التحضر الإسلامي، د. عبد المجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1427هـ، 2006م.

- الكليات، لأيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء (ت1094ه) المحقق/ عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط. د. ت.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، للإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت241ه)، المحقق/ أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1416ه، 1995م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (ت 1424 ه) وآخرون، عالم الكتب، ط1، 1429ه، 2008م.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393ه) المحقق/ محمد الحبيب بن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- من حقوق العمال في الإسلام، د. حسن عبد الحمن سليم، مقال منشور بمجلة الأزهر، عدد ربيع أول 1445ه، نوفمبر 2023م.
- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406ه، 1985م.
- الموقع الرسمي للمركز الاتحادي للتنافسية والإحصاء التابع لوزارة شئون مجلس الوزراء، بدولة الإمارات العربية المتحدة، https: //fcsc.gov.ae/
- الوثيقة متاحة بموقع الخط الأخضر http: //www.greenline.com

الأعمال الإنسانية والمجتمعية في ضوء السنّة النبوية وصِلتها بالتنمية المستدامة «مؤسسات العمل الإنساني والخيري في الإمارات العربية المتحدة أنموذجًا»

د. كلثم عمر الماجد المهيري

أستاذ مشارك في قسم الدراسات الإسلامية – كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة زايد – دبي

ملخص

عُنيت الدراسة بمناقشة الأسس والدوافع التي تضمّنتها السُّنّةُ النبويّة في إطار تحقيق التنمية المستدامة، وما يمكن أن تُسهم به مبادئ الهدي النبوي من تقديم الرؤية الشرعية الواضحة للأعمال الإنسانية والاجتماعية في ذلك الإطار. وهدفت إلى ربط هذه المبادئ بقيم التنمية المستدامة، والكشف عن دور مؤسسات العمل الإنساني والخيري في الإمارات العربية المتحدة في تحقيق التنمية المستدامة محلّيًّا وعالميًّا. وتوصلت إلى عدد من النتائج أهمها: اتضاح العناية النبوية بالتنمية المستدامة؛ وما برز في ضوئها من أهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية في تحقيق تلك التنمية. حيث حفلت بالحض على التآزر والتكاتف والتراحم والإنفاق وعموم أفعال الخير الهادفة لتحقيق تنمية مستدامة متكاملة. وكذلك بيان فضيلة العمل كأساس قويم في حياة الأفراد والمجتمعات. وأوضحت الدراسة أيضًا أثر الهدي النبوي في بناء الإنسان الفاعل وإحاطته بالإرشاد والتوعية والدعم ليكون عنصرًا فاعلًا طيلة حياته.

الكلمات المفتاحية: السنة، الإنسان، الاستدامة، العمل، الإمارات.

Abstract

The study focused on discussing the foundations and motivations embedded in the Prophetic Sunnah within the framework of achieving sustainable development. It explored how the principles of Prophetic guidance can contribute to providing a clear Islamic perspective on humanitarian and social efforts in this context. The study aimed to connect these principles with the values of sustainable development and to highlight the role of humanitarian and charitable organizations in the United Arab Emirates in achieving sustainable development both locally and globally.

The study arrived at several key findings, including: the evident emphasis of the Prophetic tradition on sustainable development and the importance of humanitarian and social efforts in achieving it. The Sunnah strongly promotes solidarity, cooperation, compassion, spending, and all forms of good deeds aimed at achieving comprehensive sustainable development. It also emphasizes the virtue of work as a fundamental pillar in the lives of individuals and communities. Additionally, the study highlighted the impact of Prophetic guidance in shaping proactive individuals, surrounding them with guidance, awareness, and support to enable them to remain effective contributors throughout their lives.

Keywords: Sunnah, humanity, sustainability, work, UAE.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدُ لله ربِّ العالمين والصّلاةُ والسّلامُ على خاتم الأنبياء والمرسلين، رسولِ الرّحمةِ وقائدِ الغُرِّ المُحجَّلين، وعلى آله وصحبهِ والتّابعين ومن تبِعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وبعد

فإنّ الدراسات الموضوعية للسُّنّة النّبويّة المطهّرة، ساحةٌ رحبة تُطلعُ الباحث على عظمةِ أنفاسِ النّبيّ ﷺ وبركتها. وتفيضُ بعلومٍ يخالُها القارئُ قيلت في يومِه هذا؛ لما لها من تجدّد ومناسبة لاحتياجات كلّ عصر وكلّ مِصر. ومن ذلك، الهديُ النّبوي المؤسس لمفاهيم التنمية المستدامة ودوافعها.

وقد ناقشت الدّراسة الحالية جوانب مُتعدّدة من الأسس المتعلّقة بالتنمية المستدامة في السنّة النبويّة. وهدفت إلى دراسة الأعمال الإنسانيّة والمجتمعيّة في السنّة النبويّة المطهّرة، وكيفيّة ارتباطها بمفهوم التنمية المستدامة. وأُردف هذا الموضوع بإلقاء الضوء على نماذج حيّة ومؤسسات رائدة في هذا المجال في الإمارات؛ هي مؤسسة الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة دبي العطاء.

فجاءت هذه الموضوعات في مقدمة، وتمهيدٍ، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

ناقش التمهيد مفاهيم المصطلحات، وعرّف بأهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية.

وناقش المبحث الأول الأحاديث النبوية الواردة في دعم الأعمال الإنسانيّة والمجتمعية وصلتها بالتنمية المستدامة.

وناقش المبحث الثاني أثر الهدي النبوي في واقع دولة الإمارات.

وهذا عمل المُقّل، وأسأل الله تعالى أن ينفع به.

أهمية الدراسة:

تتضح أهمية الدراسة في التعريف بالأسس التي تضمّنتها السُّنّةُ النبويّة للتنمية المستدامة، وفي التعريف أيضًا بما يمكن أن تسهم به في تطوير الارتباط التنموي بالمبادئ الإسلامية والهدي النبوي، وتقديم الرؤية الشرعية الواضحة للأعمال الإنسانية والمجتمعية.

أهداف الدراسة:

1. تحليل المبادئ والقيم الإسلامية المتعلّقة بالعمل الإنساني والمجتمعي الواردة في السُّنّة النّبويّة.
2. ربط هذه المبادئ بقيم التنمية المستدامة.
3. الكشف عن دور مؤسسات العمل الإنساني والخيري في الإمارات العربية المتحدة في تحقيق التنمية المستدامة.

مشكلة الدراسة:

تتّضح مشكلة الدراسة في حاجة الواقع المعاصر إلى الارتباط بالأسس الإسلامية، وما يُحوجُ إليه ذلك من دراسات تهتدي بالمصادر الشرعية. واعتنى هذا البحث بالمصدر الثاني وهو السنّة النبويّة المطهرة.

منهج الدراسة:

اتبعت هذه الدراسة منهج الاستقراء والوصف؛ باستقراء الأحاديث النبوية المتضمّنة لأسس التنمية المستدامة، وكذلك استقراء كتب الشروح التي وضّحت محتوى تلك الأحاديث وفوائدها، والنُّكت الواردة في كلام شُرّاحِها. والإفادة من ذلك كله.

كما تمّ استقراء جهود ومبادرات هيئة الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة دبي العطاء، لوصف تلك الجهود والمبادرات بما يوضّح الصلة بينها وبين الهدي النبويّ الشريف في غرس دوافع الأعمال الإنسانية والمجتمعية، وتوجيه الهمم إليها.

الدراسات السابقة:

في حدود البحث والمطالعة لم يتم العثور على دراسةٍ ذات صلة بموضوع الدراسة الحالية من حيث ربطها بين جانبي (الأحاديث النبويّة المتضمّنة أسس التنمية المستدامة في الأعمال الخيرية والمجتمعية، وصلة ذلك بواقع دولة الإمارات العربية المتحدة). ولعلّ أقرب دراسة لهذا الموضوع دراسة مصطفي بوهبوه، التي جاء التعريف بها فيما يأتي.

دراسة بعنوان «العمل الخيري التّطوّعي، أُصولُه وأبعادُه المقاصديّة»، تأليف مصطفي بوهبوه[1]. اعتنى بتعريف العمل الخيري وخصّص منه «التطوّع»، فشرح مسالِكهُ في القرآن الكريم، وعرّج على أحكامه الفقهية، ثم وضّح أصل التطوّع في العقيدة الإسلامية. وفصّل القول في مقاصده الشرعية، ثمّ الأسس التربوية الخلقيّة لتحقيق التكافل الاجتماعي. ثمّ اعتنى بشرح ما اتّصل بموضوعه من قواعد الفقه الإسلامي، وتطبيقاتها في إطار الواقع. كما اهتمّ بإيضاح ترتيب أولويات العمل الخيري، وبيان ما يقدّم منه على غيره. وبهذه المباحث يتضح أنّ المؤلف فصّل القول في العديد من الجوانب ذات الصلة بموضوعه، إلا أنّه لم يورد ما يفي بالحاجة من النصوص النبويّة الدّالّة على أهميّة التطوّع. وقد أضافت الدراسة الحالية موضوعًا مقاربًا له، ولكن من جانب أعمّ وأكثر شموليّة وهو جانب الأعمال الإنسانية التي يُعدّ التطوّع جزءًا منها. كما اعتنت الدراسة الحالية بإيضاح الهدي النبويّ الشريف في دعم الأعمال الإنسانية.

خطّة الدراسة:

المقدمة.

التمهيد: التعريف بالمصطلحات، وأهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية.

المبحث الأول: الأحاديث النبوية الواردة في دعم الأعمال الإنسانيّة والمجتمعية وصلتها بالتنمية المستدامة.

المبحث الثاني: أثر الهدي النبوي في واقع دولة الإمارات.

الخاتمة والنتائج والتوصيات.

فهرس المصادر والمراجع.

1- من إصدارات مركز فاطمة الفهرية للأبحاث والدراسات (مفاد) سلسلة كتب إلكترونية. ط1، 1441هـ، 2020م.

التمهيد

التعريف بالمصطلحات، وأهميّة الأعمال الإنسانيّة والمجتمعية

أولًا: تعريف المصطلحات

مصطلح التنمية المستدامة في اللغة:

1. **تعريف مصطلح التنمية:** قال ابن منظور: «نَمِيَ، والنّماءُ: الزيادة. ونمَى نَمْيًا ونُمِيًّا ونَماءً: زادَ وكثُر، ورُبّما قالوا: يَنْمُو نُمُوًّا... وأنْمَيْتُ الشيءَ وَنَمَيْتُهُ: جعلته ناميًا... النّامي: مثل النبات والشجر ونحوه»[1]. هذه الأمثلة المذكورة في تعريف النامي (النبات والشجر..) مفادها الزيادة، وبمعنى الكثرة أيضًا؛ وعليه فالتنمية يُرادُ بها النّموّ والزيادة والتّطوّر والارتقاء. وتُستخدم في العصر الحاضر في جميع مجالات الحياة.

2. **تعريف مصطلح «المستدامة»:** يعود هذا المصطلح إلى الأصل «دَوَمَ» أي «سَكَن... وتأنّى... وداوَمَهُ أي تأنّى فيه أو طلبَ دوامَهُ... والدّيمةُ بالكسر: مطرٌ يدومُ في سكونٍ بلا رعدٍ وبرقٍ، أو يدومُ خمسةَ أيّامٍ، أو ستّة، أو سبعةَ، أو يومًا وليلة، أو أقلّهُ ثلث النهار أو الليل»[2] وقد يطول إلى مدّة أكثر ممّا ذُكر. فهذا التعريف يُراعي التّأنّي والاستمرار، وهو مُعتبر في الأعمال والمهامّ. وبدخول الألف والسين والتاء؛ أفاد معنى طلب الدوام والاستمرار.

تعريف المصطلح المركب «التنمية المستدامة» في الاصطلاح:

يُعدّ مصطلح «التنمية المستدامة» من المصطلحات الحديثة التي ظهرت في ظلّ تزايد المجتمعات البشرية، وما برز في إطار ذلك من الحاجة إلى العناية بالتنمية والتطوير والاستدامة. إلّا أنّ ممارستَه الفعليّة في الواقع قديمة؛ حيث ظهرت العناية به بشكل واضح في الهدي النبوي الشريف وفي السيرة العطرة. ولهذا اتخذ مفهوم مصطلح التنمية المستدامة مَنْحَيَيْن: المنحى المعاصر العام، والمنحى الإسلامي؛ فيُعرّف في إطار المنحى الإسلامي بأنه «تنمية الإنسان في ذاته؛ روحًا وفكرًا، بالإضافة إلى تنمية البيئة الخارجيّة

1- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1419هـ، 1999م، (14 /296 - 297) مادة نمي.

2- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ضبط وتوثيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1420هـ، 1999م، (ص1000).

المحيطة به في مختلف نواحي الحياة؛ مما يجعلها تقوم على بُعدين أساسيّين: أوّلهما: تنمية الإنسان وبناؤه، وثانيهما: إعمار الأرض والحفاظ على ثرواتها. كلّ ذلك وفق المنهج الربّاني الحكيم وضوابط شرعه بما يضمن طيب الحياة في الدارين»[1]. وفي ظلّ هذا التعريف يجدر القول إنّ الهدي النّبوي تضمّن كثيرًا من مظاهر التربية والتعليم والتوعية إلى كيفية تنمية الإنسان والبيئة المحيطة. وجاء هذا البحث ليعرض جانبًا من ذلك.

أما في المنحى المعاصر فالتنمية المستدامة يُراد بها «زيادة الموارد والقدرات والإنتاجيّة، وهذا المصطلح يُستعمل للدّلالة على أنماط مختلفة من الأنشطة البشرية؛ مثل التّنمية الاقتصادية، والتنمية الاجتماعيّة، والتنمية البشرية»[2]. لذا فإنّ مفهومه في هذا الإطار يتّسع في بعض الحالات؛ ليشمل ما توصّلت إليه الدول من مجالات ضخمة في نمط أو أكثر من أنماط الأنشطة البشرية المذكورة، وذلك بحسب تفاوت الدول في عملية التنمية الشاملة.

ثانيًا: أهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية في إطار التنمية المستدامة

تتّضح أهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية في ظلّ أهميّة التنمية المستدامة من المنظور الإسلامي؛ حيث يهتم الإسلام بتعزيز كرامة الإنسان، ويُعني بتحقيق المقاصد الخمسة للشريعة، فيشجع الإنسان على عمارة الأرض، ويحُثُّه على العمل الصالح، والتكافل الاجتماعي، ويؤكّد على الصلة القوية بين الإنسان والأرض التي يسكنها، وكيف يوظفها في منفعة نفسه وأهله ومجتمعه، ويَهبُه الوسائل التي تعينه على أن يُرقّيها نحو الأفضل، ويدّخِرُ ما تجودُ به من خيرات للأجيال اللاحقة؛ ليُحقّق الكفاية المعيشية والاجتماعية والإنسانية لجميع أفراد المجتمع[3]. وفي ظلّ واقعٍ كهذا الواقع يستطيع الإنسانُ أن يجود بالأعمال الإنسانية التي من شأنها أن تحقق رُقِيًّا اقتصاديًا في مجتمعه أو المجتمعات

1- بلمشري، بشرى، البيئة والتنمية المستدامة من منظور إسلامي، تحليل رؤية ابن خلدون. مقال في مجلة الحوكمة، المسئوليّة الاجتماعية والتنمية المستدامة، المجلد 3، العدد 1، 2021م، صفحات البحث (132 - 154)، (ص139).

2- المقبلي، عبد الغني علي، دراسة بعنوان: «التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية (مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية أنموذجًا) مجلة الجامعة الوطنية، العدد 16، فبراير 2021م. الصفحات (1 - 54)، (ص12).

3- الصديق، ابن الشيخ بوبكر. دراسة بعنوان: «الزكاة كأداة للمساهمة في المحقق/التنمية المستدامة، عرض وتجارب بعض الدول الإسلامية». الملتقى الدولي حول مقوّمات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة يومي 2023/12/30م. 281 - 298. (ص284). بتصرّف.

الأخرى التي تعاني من الفقر وغيره من أشكال المعاناة.

كما تتّضح أهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية فيما حفلت به نصوص القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف، في الحضّ على التآزر والتكاتُف والتراحم والإنفاق؛ ففي القرآن الكريم ورد الثناء على فعل «ينفقون» في إحدى وعشرين آية[1] وفعل «تنفقون» في سبعة مواضع، كما ورد في الثناء على فعل الخير والحضّ عليه أكثر من ثلاث عشرة آية. وفي الهدي النبوي الشريف ورد حديث جامعٌ للخيرات، مُعبِّرٌ عن ضرورة التراحم في المجتمع الإسلامي؛ يرويه النعمان بن بشير ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَىَ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّىَ»[2]. وهو واحدٌ ممّا حفلت به السُّنّةُ النبويّة في إطار التشجيع على الأعمال الإنسانية، وتوطيد أواصر المجتمع.

ومن ذلك أيضًا ما رواه حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»[3]. هذا الحديث نوقش طرفٌ منه في مطلب لاحق. وجيء به هنا لبيان أهمّية العمل للكسب ولإغناء الآخرين؛ فاليد العليا في الحديث الشريف يُراد بها يدُ المُعطي، واليد السفلى يرادُ بها يدُ السائل والآخذ، وفيه حضٌّ على «الاكتساب والإنفاق، ومعلوم أنّ الإنفاق لا يكون إلا مع الاكتساب... وفيه ذمُّ المسألة وعيبها»[4]. ولا يخفي ما تضمّنه من إعلاء الهمم ورفع منزلة المعطي؛ لأن هذا التعزيز يأخذ بيده نحو تحقيق الاكتفاء الذاتي بالجهد والعمل من جهة، ويأخذ بيده نحو الاعتناء بذوي الحاجة وتمكينهم اجتماعيًّا من جهة أخرى. ففي قوله ﷺ: (وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنَىً) يقول النووي: «معناه أفضلَ الصّدقة ما بقي صاحبُها بعدها مُستغنِيًا بما بقي معه، وتقديرُه: أفضلُ الصّدقة ما أبقت

1- يُنظر على سبيل المثال الآيات 3، 215، 219، 261، من سورة البقرة. وآية 117، 134 من سورة آل عمران. وآية 38 من سورة النساء.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1419هـ، 1999م، كتاب البِرّ والصّلة، باب تراحُم المؤمنين وتعاطُفِهِم وتعاضُدهم (ص1247) حديث رقم (6678).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، رقّم كتبه وأبوابه وفقًا للمعجم المفهرس وتحفة الأشراف وصنع فهارسه محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم. د. ط. ت، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (ص301) حديث رقم (1427).

4- ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المحقق/مصطفي بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري. وزارة عموم الأوقاف والشـــؤون الإسلامية، المغرب، 1387ه، د. ط، (15/250).

بعدها غِنَىً يعتمِدُه صاحِبُها ويستظهِرُ به على مصالِحِهِ وحوائِجِهِ»[1]. وفي هذا دلالة على أهميّة الاعتناء بتحقيق الغنى المباح، واليُسر.

وتبرز أهمية الأعمال الإنسانية والمجتمعية أيضًا في الفقه الإسلامي؛ حيث تُعدُّ من فروض الكفاية والمُرَغَّب بها؛ لذا فإنّ «قيمة العمل من المنظور الإسلامي تكمُنُ في المبالغةِ من الترغيب على مداومة العمل، والترهيب من تداعيات تركه... والعناية بالعمل من طرف الأمّة يحقق إنجازات كبيرةٍ في تحقيق تنميةً مُستدامةً متكامِلَةً»[2]. ولهذه الحقيقة أثرٌ واضح فيما يُرى في المجتمعات المسلمة المعاصرة من مبادرات إنسانيّة لا تقتصر على نفع بلدان المسلمين فحسب، بل تجاوزتها إلى بلدان العالم التي تحتاج تقديم يد العون والمساعدة.

وقد ورد في المباحث اللاحقة نماذج من تلك المبادرات التي تتبنّاها دولة الإمارات عمومًا، ودبي على وجه الخصوص.

1- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (7/125).

2- ياحي، مصطفي. دراسة بعنوان: «قيمة العمل في الإسلام ودوره في التنمية المستدامة». الملتقى الدولي حول مقوّمات المحقق/التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي. جامعة قالمة، يومي 3، 4/ ديسمبر 2012م، (ص65).

المبحث الأول

الأحاديث النبوية الواردة في دعم الأعمال الإنسانيّة والمجتمعية وصلتها بالتنمية المستدامة

العملُ قيمةٌ رفيعةٌ؛ اعتنى الإسلام به ليقضي على الفراغ المؤدي إلى خراب العمران[1]. وليُبلّغ الإنسان غاياته وطموحاته. وليكون الإنسانُ أهلًا للخلافة في الأرض.

وكان رسولُ اللّهِ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أُسوَةٌ حسنة في ذلك. هيَّئَهُ اللّهُ تبارك وتعالى ليعملَ منذ صِغرِه في الرّعيِ ثمّ في التّجارة. وعاش عليه الصّلاة والسّلام مُعتنيًا بالعملِ، حاثًّا صحابته الكرام عليه، فاقتدوا به ﷺ، واقتدتْ به وبهم الأجيال اللاحقة، إلى أن أصبحت قيمةُ العمل أساس قويم في حياة الأفراد والمجتمعات؛ فشملت كلّ عملٍ أباحه الإسلام.

وقد صنّف علماء الإسلام مصنّفات حوت أبوابًا ومباحث في فضيلة العمل وأحكامه. وعُرف بعضهم بالمهن التي كانوا يعملون فيها؛ مثل: «البزّاز، والجصّاص، والخوّاص، والقفّال، والخزّاز، والقطّان، والزّجّاج»[2]. وفي هذا دلالة واضحة على أن قيمة العمل لم تبلغ هذا المبلغ إلا لما تتضمّنه من غايات التنمية المستدامة وما تقتضيه من الأساليب والوسائل؛ لتوفير الحياة الكريمة لبني البشر.

وفي الهدي النبوي الشريف تجلّت التّربية المثلى التي تُعرّف الإنسان بحاجته للعمل من جهة، وبضرورة تبنّي الأعمال الإنسانيّة والمجتمعيّة من جهة أخرى.

ناقشت العناصر الآتية نماذج من الهدي النبويّ الشريف المتضمّن أسس ودوافع الأعمال الإنسانية والمجتمعية.

المطلب الأول: دعم الإنسان والأسرة والأرحام، وصلة ذلك بالتنمية المستدامة

أولًا: الإنسان

خلقَ اللّهُ تبارك وتعالى الإنسانَ لغايات سامية تتحقّقُ على يديه؛ وزوّده بالعلم وأدواته، وأنعم عليه بالعقل والفهم والقدرات والملكات والمهارات التي تعينه على تحقيق ذلك

1- ياحي، قيمة العمل في الإسلام ودوره في التنمية المستدامة (ص66).
2- المرجع السابق (ص68).

وبلوغ ما أمكن منه. وجاء الهدي النّبويّ الشريف ليُحيط هذا الإنسان بالإرشاد والتوعية والدعم الذي يأخذ بيده ليكون عنصرًا فاعلًا، ولتستمرّ فاعليّته طيلة حياته فينتفع بها وينفع من حوله. ومن ذلك ما رواه سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جدّه ﷺ، عن النّبيّ ﷺ قال: «عَلَىَ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ» فَقَالُوُا: يَا رَسُوُلَ اللّهِ: فَمَنْ لَمْ يَجِدْ؟ قال: «يَعْمَلُ بِيَدِهِ، فَيَنْفَعَ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقَ» قَالُوُا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الْحَاجَةَ المَلْهُوُفَ»، قَالُوُا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قال: «فَلْيَعْمَلْ بِالمَعْرُوُفِ، وَلْيُمْسِكْ عَنِ الشَّرِّ؛ فَإِنَّهَا لَهُ صَدَقَةٌ»[1].

جمع هذا الحديث بين الحثّ على الصّدقة، والعمل، وتقديم المعونة، وقول المعروف. وإن كان التوجيه الذي يتضمّنه خُصِّصَ به المُعْسِر؛ إلا أنه يوضّح جوانب للفاعليّة التي ينبغي للإنسان أن يكون متمتِّعًا بها، قال ابن بطال: «المؤمنُ إذا لم يقدر على باب من أبواب الخير، ولا فُتح له فعلَه؛ أن ينتقل إلى باب آخر يقدر عليه، فإنّ أبواب الخير كثيرة، والطُّرق إلى مرضاة الله تعالى غير معدومة»[2]. وقال العيني: «فبيّن لهم أنّ المراد بالصّدقة ما هو أعمُّ من ذلك؛ ولو بإغاثةِ الملهوف والأمر بالمعروف»[3].

ومفاد أقوالهم: أنّ الإنسان مؤهَّلٌ للاستمرار في البذل والجدّ والعمل، ولتكونُ التنمية مُستدامةً لابد أن يكون عمل الإنسان مُستمِّرًا. فالحثُّ على الصّدقة في الحديث الشريف ليس قاصرًا على بذل المال فحسب؛ بل يستوعب فِعالًا وأقوالًا ومواقف. وفي ذلك وغيره من الأحاديث النبوية التي اعتنت بتوعية الإنسان وتوجيهه؛ دلالة على أنّ الهدي النبويّ يدعُم فاعليّة الإنسان ليكون قادرًا على التنمية المستدامة.

ويتأتّى ذلك أيضًا بالتوعية النبوية إلى أهمية التعاون بين الإنسان وغيره ؛ لأن التعاون الإنساني بكافّة مظاهره يدعمُ استمرارية التنمية، وقد حثّ النّبيُّ ﷺ على ذلك. ففيما يرويه أبو موسى الأشعريُّ ﷺ عن النّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم أنه قال: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا وشَبَّكَ بينَ أَصَابِعِهِ»[4]. ويتضح فيه أنّ القوّة تتحقّق

1- أخرجهُ البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب على كلّ مسلم صدقةٌ، فَمن لم يجد فليعمل بالمعروف، (ص304) حديث رقم (1445).

2- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبو أنس إبراهيم بن سعيد الصبيحي، مكتبة الرشد، السعودية. ط4، 1437هـ، 2016م، (9/224).

3- العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د. ط. ت، (8/311).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب نصر المظلوم (ص507) حديث رقم (2446).

في إطار الجماعة، حتّى شبّههم رسول الله ﷺ بالبُنيان. قال ابن بطال: «تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا في أمور الدنيا والآخرة مندوبٌ إليه بهذا الحديث، وذلك من مكارم الأخلاق... فينبغي للمؤمنين استعمال أدب نبيّهم، والاقتداء بما وصف المؤمنين بعضهم لبعض من الشفقة والنصيحة. وتشبيكه بين أصابعه تأكيدًا لقوله وتمثيلًا لهم؛ كيف يكونون فيما خوّلهم من ذلك»[1].

وقال الهروي: «إنّ المؤمن لا يتقوّى في أمرِ دينِه أو دُنياه إلّا بمعونةِ أخيه، كما أنّ بعض البناء يقوّي بعضه»[2].

ومفاد أقوالهم أنّ التعاون الإنساني أساس القوّة التي تنهض بالفرد والمجتمع، فتُعزّز مساعيهم على المستوى الفردي والجماعي، فتُشحذُ الهمم نحو تحقيق التنمية المستدامة.

ثانيًا: الأسرة

نالت الأسرة في الهدي النبوي الشريف عنايةً بالغة، أحاطت بجوانب الاختيار الأوفق للزوجين، ومهامّ العشرة الزوجية ومسئوليات النفقة والتربية والتعليم، وغير ذلك. وفي هذا العنصر نوقش مبدأ الإنفاق على الأسرة كوسيلة مهمة من وسائل التنمية المستدامة، حيث تتجلّى في العناية بتلك النواة التي ينبغي أن يُبنى أفرادُها بناءً سليمًا يؤهِّلُهم إلى أن يكونوا فاعلين في عملية التنمية ومشاركة الدولة والمجتمع مشاركةً بنّاءة. ولهذا حضّ سيّدنا النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم على هذا الجانب؛ فخصّص الإنفاق والرعاية الأسرية بالنصّ عليه؛ ففيما يرويه أبو هريرة ﷺ أنه قال: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غَنَىً، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[3].

يَعي المسلمُ أنه مُكلَّف بالإنفاق على أسرته وإعالتِهم وتحمُّلِ كافّة مسئوليّاته تجاههم. وفي الحديث الشريف قُدِّمَت نفقة الأسرة، على الصدقة؛ قال ابن بطال: «أي لا صدقة إلّا بعد إحراز قُوتِهِ وقوتَ أهلهِ، لأنّ الابتداء بالفرائض قبل النّوافل أولى، وليس لأحدٍ إتلاف نفسه وإتلاف أهله بإحياء غيره، وإنّما عليه إحياء غيره بعد إحياء نفسه وأهله؛

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (9/227).

2- الهروي، علي بن سلطان محمد، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م، (7/3102).

3- أخرجهُ البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا صدقةَ إلّا عن ظهرِ غِنَى (ص301) حديث رقم (1426).

إذ حَقُّ نفسه وحقُّ أهلهِ أوجَبَ عليه من حقِّ سائرِ النّاس»[1]. وثمرة مراعاة هذا الحقّ في كافّة الأسر هي مجتمع مُهيَّئٍ للعمل والتنمية؛ حيثُ ضُمِنَتْ حقوق أفرادِه، وزُوِّدُوا بكافّة مُتطلّباتِهم المعيشية؛ وبعد هذا تُتاحُ لهم فرصة الإنتاج والعمل المجتمعي وتقديم الإسهامات العامّة. وهكذا تبرُزُ صلة الحديث النبوي الشريف ببناء الإنسان القادر على تحقيق التنمية المستدامة في مجتمعه ووطنه.

وللإمام القرطبي فائدة أخرى في هذا الموضوع؛ قال: «معنى الحديث: أفضلُ الصّدقة ما وقعَ بعد القيام بحقوق النفس والعيال؛ بحيث لا يصير المُتصدِّقُ محتاجًا بعد صدقتهِ إلى أحد»[2]. يشير بذلك إلى أن إعالة الأسرة ينبغي أن تكون تامّةً، توُفِي بحاجة العائل نفسه، وحاجة أسرته، ثمّ إذا تصدّق بعدها للفقراء لا يجدُ بعد هذه الصدقة نقصًا في نفقة نفسه وعياله. أي أنّ الوفاء باحتياجات الأسرة يُقدّم أولًا حتى تُستوفي ثم يصير إلى الصدقة فيما بعد. لذا قال ابن حجر: «أفضلُ الصّدقة ما أخرجهُ الإنسان من ماله بعد أن يستبقي منه قدرَ الكفاية»[3]. وأكّد قولَهُ الشّوكاني؛ فذكر أنّ لفظ «ظهر» في الحديث مُقحمٌ؛ تمكينًا للكلام... -أي- من الألفاظ التي يُعبّرُ بها عن التّمكُّن من الشيء والاستعلاء عليه»[4].

ولذا فالكفايةُ المقصودة هنا هي قدرٌ معلومٌ يفي بالحاجة، فلا يحتاجُ الإنسان بعده للسؤال. وهذا يؤكده البغوي بقوله: «المُرادُ: غِنَىً يستظهِرُ به على النّوائِب الّتي تنوُبُهُ»[5].

ويضاف لما سبق توجيه آخر ينهض بالعائل إلى العناية بمن يعول؛ لما يترتب عليها من تحقيق التربية السليمة التي تبني الإنسان بناءً سليمًا وتجعله عنصرًا فعّالًا في التنمية المستدامة؛ فعن السيدة عائشة (رضي الله عنها) قالت: «دَخَلَتِ امْرَأَةٌ مَعَهَا ابْنَتَانِ لَهَا، تَسْأَلُ، فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيْئًا غَيْرَ تَمْرَةً، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا، فَقَسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْهَا، وَلَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخَرَجَتْ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا فَأَخْبَرْتُهُ، فقالَ: «مَنْ ابتُلِيَ مِنْ هَذِهِ البَنَاتِ بِشَيْءٍ

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (3/428).
2- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقّم كتبه وأبوابه محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379م، (3/296).
3- المرجع نفسه.
4- المناوي، فيضُ القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، (3/475).
5- السيوطي، حاشية السندي على سنن النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب. ط2، 1406هـ، 1986م، (5/62).

كُنَّ لَهُ سِتْرًا مِنَ النَّارِ»[1]. خصّص الحديث النبوي الشريف إعالة البنات ومسئولية رعايتهنّ في إطار الأسرة؛ فالأساس القويم في تربية البنت يُسهم في تربية جيل صالح قادر على حمل مسئولياته والنهوض بها، لِما تُعدُّ له البنت من تربية الأجيال. قال العيّني: «وفيه أنّ النفقة على البنات والسّعي عليهِنّ من أفضلِ أعمال البِرّ المُنجِّيَةِ من النار»[2]. ورجّح ابن حجر أن الإحسان المذكور في الحديث يُرادُ به ما زاد من الإنفاق على البنات، لا ما كان قدر الواجب، كما وضّح أن الثواب المذكور يحصل للعائل إذا استمرّ في إعالة البنات حتى يستغنين بزوج أو غيره، ويرى أنّ سبب ذلك هو ما فيهنّ من الضعف -غالبًا- عن القيام بمصالِحِهِنّ[3]. ولا شك أن ذلك الضعف تدعُمُهُ التربية والإحسان، المكمِّلان لما تحتاجه المرأة في مسيرة العطاء الموكلة بها، فإن تأهّلتْ لذلك أصبحت مصدرًا مُلهمًا لأبنائها في إطار العمل التنموي المستدام.

ثالثًا: الأرحام

يتجلى دعم العناية بالأرحام في الهدي النبويّ في توجيه الأعمال الإنسانية بما ينفعهم، ويُوفي باحتياجاتهم. يوضّحُ هذا الجانب موقف سيّدنا رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم تجاه أبي طلحة الأنصاريّ ﷺ عندما أراد أن يتصدّق ببيرحاء. قال أنسٌ ﷺ: «كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ أَنْصَارِيٍّ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، أَحَبُّ مَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ، مُسْتَقْبِلَةَ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ. قَالَ أَنَسٌ فَلَمَّا نَزَلَتْ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. قَامَ أَبُو طَلْحَةَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ، فَقَالَ: (بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، أَوْ رَابِحٌ - شَكَّ ابْنُ مَسْلَمَةَ - وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الْأَقْرَبِينَ). قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَفِي بَنِي عَمِّهِ»[4].

1- متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بِشِقّ تمرةٍ والقليلُ من الصّدقة (ص299) حديث رقم (1418)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الإحسان إلى البنات (ص1263) حديث رقم (2629) واللفظ للبخاري.

2- العيني، عمدة القاري (7/210).

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (10/428-429) بتصرف.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأشربة، باب استعذاب الماء (ص1222) حديث رقم (5611).

هذا الحديث يُبرزُ صورةً عظيمةً من صور رعاية الأرحام، وما يمكن أن ينطلق عنه من رعاية مجتمعيّة؛ لأنّ ما تصدّق به أبو طلحة ﷺ، يُعدُّ من قبيل الوقف على أرحامه الّذين هم جزء من المجتمع آنذاك، ثم امتدّت منفعتُهُ لهم ولذُرّيّاتِهم بعدهم. مما دلّ على أنّ العناية بالمجتمع، وتخصيص الأرحام منه، يُعدّ تنميةً مستدامةً؛ ففيه تمليك ومنفعة، وفيه استمرار وخير يُتوارث.

ويُضافُ لذلك نموذجًا آخر في الإنفاق على الرَّحِم، وهو ما روي عن السّيّدة زينب أنّها كانت تُنفِقُ على عبد الله (أي ابن مسعود) ﷺ وأيتامٌ في حِجرِها، فرغبتْ في السّؤال عن فِعلِها. تقول (رضي الله عنها) : «فانطَلَقْتُ إلى النّبِيّ ﷺ فَوَجدْتُ امْرَأَةً مِنَ الأنْصارِ عَلَى البَابِ، حاجَتُها مِثْلَ حَاجَتِي. فَمَرَّ عَلَيْنَا بِلالٌ فَقُلْنَا: سَلِ النَّبِيّ ﷺ: أَيُجْزِيَ عَنِّي أَنْ أُنْفِق عَلَى زَوْجِي وَأَيْتامٍ لِي فِي حَجْرِي؟ وقُلنَا: لا تُخْبِر بِنَا، فَدَخَلَ فَسَأَلَهُ فقال: «مَنْ هُمَا؟» قال: زَيْنَب، قالَ: «أَيُّ الزَّيَانِبِ؟» قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللّهِ، قَالَ: «نَعَمْ لَهَا أَجْرَانِ؛ أَجْرُ الْقَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»[1].

يُبيّنُ الحديث الشريف فضل الصدقة على الأرحام، ويُرغّب فيها بمضاعفة الأجر والثواب؛ ويتضح فيه موقف السيدة زينب (رضي الله عنها) تجاه أولئك الأيتام الذين في حجرها، وقيل إنهم «بنو أخيها وبنو أختِها»[2]. والأجر المذكور في الحديث» يُرادُ به: «أجرُ صلة الرَّحِم، وأجرُ منفعة الصدقة»[3]. وفيه تأسيس للغاية المنشودة وهي تلاحم الأسُرِ وتكاتُفِها ودعم فقرائها من مصادرٍ تُعدُّ جزءًا من تلك الأُسر مِمّا يشير إلى أنّ الدعم في إطار الأُسر من شأنهِ أن يبني مجتمعًا تتآلفُ فيه الأسرة فتُصبحُ قادرةً على أن تكون مؤسسة مساهمةً ضمن المؤسسات الأسرية الأخرى في الدولة، بما تُسهم به في منفعة تلك الدولة والنهوض بها والمشاركة في استمرارية نموّها.

المطلب الثاني: دعم البيئة والمجتمع

يُعدُّ دعم البيئة والمجتمع في السُّنّة النّبويّة جانبًا مهمًّا من جوانب العناية بالتنمية المستدامة؛ لأنّ البيئة هي المصدر الأساس لحياة الإنسان، وتمثل إطارًا لحمايته وسلامته. فالإنسان يعيش متفاعلًا مع بيئته، منتفعًا بها مُستهلكًا ما تجود به من خيرات. ولهذا

1- متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الزوج والأيتام في الحجر (ص310) حديث رقم (1466). ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين، ولو كانوا مشركين (ص447) حديث رقم (1000).

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (3/329).

3- المرجع نفسه.

شُرّعت قوانين الاستخدام الأمثل للبيئة، وعُقدت مواثيق واتفاقيات حمايتها.

ولأن المجتمع هو المكوّن الذي يعيش على تلك البيئة، ويتفاعل معها أخذًا وعطاءً وانتفاعًا؛ فحظي أيضًا بعنايةً خاصّة في الهدي النبوي الشريف.

وفيما يأتي تمّ إيراد بعض الأحاديث النبويّة المطهّرة التي تُبرزُ صلة الهدي النبوي بالتّنمية المستدامة في إطار البيئة، وفي المجتمع.

فأمّا ما كان في إطار البيئة فتمّ الاقتصارُ على نموذجين أحدهما متعلّقٌ بحماية المياه ووقفها على المجتمع. والثاني متعلق بالحث على الغرس والزرع.

ولا يخفي أن الهدي النبويّ تضمّن جوانب أخرى في حماية البيئة؛ كالتوعية إلى النظافة والجمال وغير ذلك.

أولًا: في إطار البيئة

تجلّت عناية سيدنا رسول الله صلّى اللّهُ تعالى عليه وآله وسلّم بالتنمية المستدامة في إطار اهتمامه بالبيئة في مجالات عدّة؛ منها مجال السُّقيا والأمن المائي؛ الذي حظي بتوجيهات نبويّة حوت مظاهر متنوّعة في حماية المياه وكيفية الانتفاع بها[1].

أخرج البخاري في صحيحه: «أنّ عثمانَ ﷺ، حيثُ حُوصِرَ، أَشْرَفَ عليهِمْ وقالَ: أُنْشِدُكُمْ، ولا أُنْشِدُ إلّا أصحابَ النّبيِّ ﷺ؛ أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «مَنْ حَفَرَ رُومَةَ[2] فَلَهُ الْجَنَّةَ» فَحَفَرْتُها، أَلَسْتُمْ تعْلَمونَ أنَّهُ قالَ: «مَنْ جَهَّزَ جَيْشَ العُسْرَةِ فَلَهُ الجَنّةَ» فَجَهَّزْتُهُمْ، قال: فصَدّقُوهُ بما قال».[3]

وفي رواية معلّقة عند البخاري قال: «قال النّبيُّ ﷺ: «مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَكُونُ

1- يُنظر بحثنا الموسوم بـ «صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس، دراسة في ضوء الهدي النبوي الشّريف، وتطبيقاته في دولة الإمارات العربية المتحدة. مجلة المؤئل، العدد الأول، (ص117). وبحوث الندوة الدولية العاشرة عمومًا.

2- رومةُ: اختُلف في نِسْبَتِها فقيل: علمٌ على صاحبِ البئر، وهو رومةُ الغفاري، وقيل: اسم بئر، وقيل: هي بئرٌ قديمة كانت ارتطمت (ولعل الصواب: انطمرتْ) فأتى قومٌ من مُزينة فقاموا عليها وأصلحوها، وكانت رومةُ امرأةٌ منهم أو أمةٌ لهم تسقي منها الناس فنُسِبَتْ إليها، وقيل غير ذلك. يُنظر: القسطلاني، إرشاد الساري، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط6، 1304هـ، (4/193).

3- (أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا وقفَ أرضًا أوْ بئرًا، او اشْتَرط لِنفسه مثل دِلاء المسلمين (ص586) حديث رقم (2778).

دَلْوُهُ فيها كَدِلَاءِ المُسْلِمِينَ». فاشْتَراها عُثْمانُ ﷺ».[1] «ووقفها على الفقير والغني وابن السبيل».[2]

«وفي الروايتين اختلافٌ في اللفظ؛ فما جاء مسندًا ورد فيه لفظ «من حفر رومة» وما جاء مُعلّقًا ورد فيه «من يشتري بئر رومة» ورجّح ابنُ بطّال الثاني، فقال: «وأما حديث بئر رومة فإنه وقع في هذا الباب أن عثمان قال: ألستم تعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ حَفَرَ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ، فَحَفَرْتُهَا» من رواية شعبة، عن أبى إسحاق السبيعى، عن أبى عبد الرحمن السلمي. وهو وهم ممن دون شعبة والله أعلم، والمعروف في الأخبار أن عثمان اشتراها لا أنه حفرها، روى ذلك أبو عيسى الترمذي قال: حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا عبد الله بن جعفر الرقى، حدثنا عبيد الله بن عمر، عن زيد بن أبى أنيسة، عن أبى إسحاق، عن أبى عبد الرحمن قال: (هَلْ تَعْلَمُونَ أَنَّ بِئْرَ رُومَةَ لَمْ يَكُنْ يَشْرَبُ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاّ بِثَمَنٍ، فَابْتَعْتُهَا، فَجَعَلْتُهَا لِلْغَنِيِّ وَالْفَقِيرِ وَابْنِ السَّبِيلِ»، قَالُوا: اللَّهُمَّ نَعَمْ).[3] [4].

واختلافُ لفظ الروايتين لا يؤثر على كون العمل الذي قام به عثمان بن عفان ﷺ وأرضاه؛ يُعدّ عملًا إنسانيًا وقَفَهُ على الفقير والغني وابن السبيل، ولا زال وقفًا إلى الآن يَفِدُ الناس إليه ويشربون منه. ولا يخفى أن بقاء بئر رومةً إلى الآن يمثل جانبًا من جوانب التنمية المستدامة لاستمرار الانتفاع بها، وسيستمرّ إلى أن يشاء الله تبارك وتعالى.

والجانب الآخر في إطار البيئة أيضًا يمكن التدليل عليه بنموذج آخر؛ وهو التشجيع النبوي على العناية بالزراعة والغرس. والحديث عن هذا الجانب يُذكّرنا باحتياجات الدول في فترات الأزمات التي قد تمُرُّ بها؛ ففي فترة انتشار وباء كورونا أدركت دولة الإمارات أن حاجتها للاكتفاء الذاتي في الزراعة كانت مُلِّحّةٌ؛ فبادرت بعد تلك الفترة بتبنّي المشاريع وتشجيع المواطنين ودعمهم في مشاريع الزراعة والإنتاج المحليّ.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهِبَتِهِ ووصيّته جائزةٌ، مقسومًا كان أو غير مقسوم (ص487).

2- القسطلاني، إرشاد الساري (4/192).

3- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ، 2003م، (8/203).

4- الماجد، كلثم عمر، بحث بعنوان: «صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس، دراسة في ضوء الهدي النبوي الشريف، وتطبيقاته في دولة الإمارات العربية المتحدة» جامعة الوصل، مجلة الموئل، العدد 1، 1443هـ، 2022م. صفحات البحث (-117 155. والفقرة مقتبسة من (ص134-133) دراسة اختلاف الروايتين تم اقتباسه من بحث سابق هو «صلة الأمن المائي...».

وقد سبق الهدي النّبويّ إلى الإرشاد والتوعية إلى فضل الزراعة وأهمّيّتها، والأجر المترتب عليها فضلًا عمّا يجنيه المزارع من أرباح مادّية. فعن أنسٍ ﷺ قال: «قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ؛ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةً»[1]. هذا الترغيب وإن كان مُحدّدًا الأجر فيما يؤكل من ذلك الزرع، إلاّ أنّ غايتهُ أكبرُ وأعمّ؛ لما يحقّقُه الزرعُ من مصالحٍ ومنافع تعود على الزارع وغيره. لذا فتُعدّ الزراعة من مقوّمات التنمية المستدامة. وهذا ما عناهُ ابنُ بطال بقوله: «وفيه الحضُّ على عِمارة الأرضِ لتعيش نفسه -أي الإنسان- أو مَن يأتي بعده مِمّن يؤجرُ فيه، وذلك يدُلُّ على جواز اتّخاذ الصناع، وأنّ الله تعالى أباح ذلك لعباده المؤمنين لأقواتهم وأقوات أهليهم طلبًا للغنى بها عن الناس»[2].

ثانيًا: في إطار المجتمع

جاءت رسالة الإسلام هادفة إلى إصلاح المجتمعات والارتقاء بها، ورعاية أبنائها، وبلغت عناية رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم بأفراد المجتمع مبلغًا عظيمًا، تأكّدت به قاعدةً مهمة تقتضي أن تكون رعايةَ المجتمع هي رعايةٌ للتنمية المستدامة أيضًا؛ فالمجتمع هو الوعاء الحاضِنُ للأفراد، يرعى شئونهم ويُحفّزُهم على العمل وبذل الجهد. ولا شك أن الاهتمام بهذا الجانب اتضح جليًّا في سيرة رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم؛ حيث كان اهتمامه شاملًا للمجتمع من جهة، ولأفراد المجتمع من جهة أخرى. ومن ذلك حضُّه ﷺ على الشفاعة وقضاء الحوائج، وكيف يمكن أن يكون المجتمعُ داعمًا لأفراده، حريصًا على مصالحهم. أخرج البخاري في صحيحه عن أبي بُردَةَ بن أبي موسى عن أبيه ﷺ قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ، أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ، قال: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، ويَقْضِي اللهُ عَلَىَ لِسَانِ نَبِيِّهِ ﷺ مَا شَاءَ»[3]. يُرشدُ هذا الحديث إلى أهميّة الاعتناء بقضاء حوائج الناس؛ لما فيه من الأجر والثواب؛ ففي شرحه للحديث قال ابن بطال: «نَدبَ السّعي في حوائج الناس، وشرط الأجر على ذلك»[4]. وقال ابن حجر: «اشفعوا فتُعَرَّضُوا

1- متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعةُ، باب فضلُ الزّرع والغرس إذا أُكل منه (ص480) حديث رقم (2320)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (ص749) حديث رقم (3974).

2- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (6/456).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب التحريض على الصدقة والشفاعة فيها (ص302) حديث رقم (1432).

4- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (3/434).

بذلك للأجر»[1]. فجعل الشفاعة موضعًا يُعرِّضُ صاحِبُه لاغتنام الثواب. وقال: «في الحديثِ الحضّ على الخير بالعمل وبالتَّسبُّب إليه بكل وجهٍ، والشفاعةُ إلى الكبير في كشف كُربةٍ ومعونةِ ضعيفٍ؛ إذ ليس كلّ أحدٍ يقدرُ على الوصول إلى الرئيس، ولا التّمكُّن منه ليلج عليه أو يوضّح له مراده ليعرف حاله على وجهه[2]. ويتضح وجهُ الصلة بين هذا الحديث والتنمية المجتمعية المستدامة في كون الشفاعة عاملٌ من العوامل التي تأخذ بيد الكفاءات نحو تطوير قدراتها وتنمية مهاراتها؛ فمن كان مُتمتّعًا بقدرات تُؤهِّلُه للإبداع والابتكار قد يفتقر إلى الإمكانات الماديّة التي تعينه على ترجمة تلك الإمكانات على أرض الواقع، فتبرز أهميّة الشفاعة في هذا الحال لينال نصيبه من العناية والاهتمام. وليس هذا المثال فردًا في الكشف عن أهميّة الشفاعة كعمل إنساني مجتمعي، بل هناك الكثير من مهام الخير والتقدم يمكن تيسيرها بالشفاعة. ولذا حضّ عليها رسولُ الله ﷺ، ورّغب في اغتنام أجرها.

والحديث الآخر الّذي يوضح أهميّة المبادرات المجتمعية رواهُ أبو هريرة ﷺ أنّ رسول اللّهِ ﷺ قال: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللّهِ نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ: يَا عَبْدَ اللّهِ هَذَا خَيْرٌ؛ فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ»، فقَالَ أَبُوبَكْرٍ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللّهِ مَا عَلَى مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، فَهَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قال: «نعم، وَأَرْجُوُ أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ»[3].

ناقش الشُّرّاحُ هذا الحديث ليُوضِّحوا صِلَة الإنفاق بالصلاة والصوم؛ وبدأ ابن عبد البر ببيان فضله فقال: «في هذا الحديث من الفقه والفضائل الحضُّ على الإنفاق في سبيل الخير والحرص على الصوم...»[4]. وعلّلَ العينيُّ ورود الصلاة والصّوم مع موضوع الإنفاق بأنّ «نفقة المال مُقترِنة بنفقة الجسم في ذلك؛ لأنه لابد للمصلّي والصّائم من قوتٍ يُقيمٌ رمَقَهُ وثوبٌ يستُرُه، وذلك من فروض الصّلاة، ويستعين بذلك على الطاعة؛ فقد صارَ بذلك منفقًا لزوجين: لنفسه ولِمالِهِ. وقد تكونُ النّفقةُ في باب الصّلاةِ أن يبني لِلّهِ مسجدًا للمصلّين،

1- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (10/450).
2- المرجع السابق (10/451).
3- مُتّفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب الصومُ كفّارة (ص395) حديث رقم (1897)، ومسلمٌ في كتاب الزكاة، باب مَنْ جمع الصّدقة وأعمال البر (ص457) حديث رقم (2335).
4- ابن عبد البر، التمهيد (7/184).

والنّفقة في الصيام أن يُفطِّرَ صائمًا... فإن قلت: إذا جازَ استعمال الجسم في الطاعة نفقةً؛ فيجوز أن يدخل في معنى الحديث: من أنفق نفسه في سبيل الله فاستشهد وأنفق كريم ماله؛ قلت: نعم، بل هو أعظم أجرًا من الأول...»[1]. وقيل غير ذلك في تعليل المراد بالصلاة والصيام في الحديث[2].

أما قول العيني فيوضّح ما للإنفاق من جوانبٍ عِدّةٍ يصيرُ أجرُها لمن أنفق مالَهُ في أحدِها أو جميعها؛ فيعود ذلك بالخير على نفسه وعلى مجتمعه؛ كيف لا وفي الحديث «فضيلةٌ عظيمةٌ للإنفاق»[3]. فالإنفاق المذكور تنوّعت مجالاته فهو حقيق بأن يوصف بأنه أساس للعمل الخيري المجتمعي المستدام؛ لا سيما وأنّ الألفاظ النبوّية الشّريفة تُحملُ على معانٍ كثيرة للأعمال الإنسانية والمجتمعية.

المبحث الثاني

أثر الهدي النبوي في الدعم الإنساني والمجتمعي والخيري في واقع دولة الإمارات

برزت مظاهر الهَدي النبوي الشريف في واقع دولة الإمارات؛ فأهل الإمارات ينتسبون لهذا الدين العظيم؛ تَرَبَّوا في ظلالِه، وعاشوا في كنفه، ونهلوا من مبادئِه وخِصاله. وأنعم الله تبارك وتعالى عليهم دولةً وشعبًا بفيض كرمه وإنعامه؛ فلم يألوا جهدًا في إشراك غيرهم من شعوب العالم، ولم يروا في مسيرتهم التنموية إلا الوفاء لمنعم هذا الخير؛ فتسابقت أياديهم بإهداء البشرية مما أنعم الله تعالى به وتفضّل.

وبرزت في إطار هذه الجهود مؤشرات عالية في التنمية المستدامة، ليس في دولة الإمارات فحسب، بل تعدّتها لشعوب أخرى حول العالم، لترعى فيها التنمية البشرية أولًا، ثم لتنطلق نحو التنمية المستدامة التي سوف يحملُها أبناء تلك الشعوب، بما توفِّرهُ لهم دولة الإمارات من إمكانات التعليم والرعاية الصحية وسُبل الوقاية من الأمراض، وغير ذلك من المبادرات الإنسانية التي تتحمّلها الإمارات حكومةً وشعبًا.

1- العيني، عمدة القاري (1/264).

2- يُنظر على سبيل المثال: البكري الصديقي، محمد بن علي بن علان (ت1057هـ)، دليل الفاتحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1425هـ، 2004م، (7/28).

3- المرجع السابق (10/265).

وقد جاء هذا المبحث ليعرض جهود عدد من مؤسسات الدولة التي ترعى المبادرات والأعمال الإنسانية داخل الدولة وخارجها. ونظرًا لكون الجهود محددة الأنواع والبرامج تمّ نقلها بالأسلوب الوارد في موقع المؤسسات الإنسانية المذكورة أدناه، فلم يتم التصرف إلا في الجمع بين المعلومات المتفرقة والاختصار.

المطلب الأول: هيئة الهلال الأحمر الإماراتي:

نشأت هيئة الهلال الأحمر الإماراتي عام 1983م، وتهدف إلى رعاية وتبنّي الأعمال الإنسانية على المستوى المحلّي والدولي. وتعمل على مساندة السلطات المحليّة في حالات السلم والحرب.

ففي حالات السّلم تُعنى بإعداد برامج التوعية والإسعافات الأولية، وتنظيم برامج مكافحة الأوبئة والحماية منها، إضافةً إلى الاهتمام بالقضايا الاجتماعية وتقديم المساعدات الإنسانية المختلفة لضحايا الحوادث والكوارث، وللفئات الضعيفة والمحتاجة.

وفي الحروب تُعنى بتقديم خدمات الإغاثة والإسعافات الأولية للضحايا، ونقل الجرحى وعلاجهم، ومساعدة الأسرى ضمن نطاق اتفاقيات جنيف، وحماية المدنيين وإيواء المشردين ومن تقطعت بهم السبل، والبحث عن المفقودين ولم شمل الأسر المُشتَّتة.

وقد ساندت هيئة الهلال الأحمر منذ تأسيسها كل محتاج ولاجئ، فقضت أعوامها تسعى لضمان استمرارية تلقيهم كافة الخدمات الضرورية والإنسانية في التعليم والصحة والعون والرعاية، فما لبثت تنقذ وتحمي وتأوي من هجّرته الحرب وأخرجته الكوارث من دياره.

وفي موقعها ذكرت هيئة الهلال الأحمر الدول التي مدّت يد العون لها، فبلغ عددها ثلاثون دولة، اعتنت بإعادة تأهيل وإعمار المباني المهدّمة والمتضرّرة فيها، وحرصت على بناء المدارس التي دمرتها الفيضانات والأعاصير، ووفّرت الاحتياجات الضرورية للمستشفيات في هذه المناطق، مثل المعدات الطبية والأجهزة والأدوية اللازمة.

وتتيحُ الهيئة الفرصةَ لأبناء المجتمع للتبرّع والمساهمة في مساعيها الإنسانية؛ فمنها الكفالات العديدة التي تشمل كفالة المرضى، وضحايا الحروب، والمشرّدين، والكفيفين، والأيتام، والطلاب، والأُسر الفقيرة، وغيرها كثير من أنواع الكفالات. وذلك بتيسير عملية

جمع التّبرُّعات عبر المواقع الالكترونية والحساب البنكي للهيئة. أو عبر مكاتبها العديدة في الدولة.

ومن حملاتها الإنسانية حملة تراحم من أجل غزّة، وجسور الخير لإغاثة المتضرّرين من الزلازل والفيضانات في سوريا وتركيا. وغيرها كثير، تضمّنه موقع الهيئة[1].

المطلب الثاني: مؤسسة دبي العطاء

تمُدُّ مؤسسة دبي العطاء يد العون إلى العديد من الشعوب في كافّة أنحاء العالم، مُستهديةً بهديِ الإسلام في رعاية الأطفال والشّباب، وتتنوّع مظاهر رعايتها لتشمل العناية بالصحة والتعليم وتوفير متطلّباتهما، وغير ذلك.

فقد تمّ إطلاق هذه المؤسسة في 19/9/2017م، ومنذ تأسيسها وإلى الآن تبنّت الكثير من البرامج الإنسانية، منها نشر التعليم حول العالم؛ لكونه أكثر الأدوات فعاليةً في كسر حدّة الفقر. وبناءً على ذلك تمّ إطلاق برامج تعليميّة تصل لأكثر من واحد وعشرين مليون مستفيد في ستين بلد من البلدان النامية. وهدفت هذه البرامج إلى توفير التعليم الأساسي والثانوي السليم، والتدريب الفني والمهني وتدريب الشباب. مع ضمان توفير بيئات تعليمية آمنة مع مرافق ومواد ملائمة ومناسبة ودعم أكاديمي. كما هدفت إلى تحسين البيئة الصحية والتعليمية للأطفال.

واهتمت كذلك بتوفير العلاج والمياه والمرافق الصحية؛ كما فعلت في مدغشقر، عام 2020 إلى 2022م. وتبنّت مبادرات العودة إلى المدرسة؛ وفيها تمّ توزيع خمسين ألف حقيبة مدرسية، مع مستلزمات أساسية وأدوات تعليمية لتوزيعها على الطلاب غير القادرين على تحمّل تكاليف اللوازم المدرسية الأساسية، ومن ذلك العدد تم توزيع ثلاثين ألف حقيبة منها، في أكثر من سبعمائة مدرسة أساسية في مقاطعة كاولاك في السنغال.

1- عملي في اقتباس هذه المعلومات هو الترتيب والاختصار فقط، مع تصرّف يسير، لأنها معلومات محدّدة حول جهود الهيئة. والمعلومات التي تم نقلها جزء من معلومات أخرى تفصيلية. اقتصرت على هذا الجزء لعرض جانب من جهود الهيئة. يُنظر موقع هيئة الهلال الأحمر الإماراتي.
https://www.google.com/url?sa=t&rct=j&q=&esrc=s&source=web&cd=&cad=rja&uact=8&ved=2ahUKEwjmjO-xp_iJAxXOSvEDHRinAZ8QFnoECBcQAQ&url=https%3A%2F%2Fwww.emiratesrc.ae%2F&usg=AOvVaw2GeOQNGw8zwMoyL-R7iZSD&opi=89978449

وفي فيتنام أسّست دبي العطاء مكتبات صديقة للطفل في مدارس التعلم الأساسي عام 2022م. لغاية إكساب الطلبة المحرومين عادة القراءة وتنميتها؛ لتطوير مهارات القراءة والكتابة في المراحل الدراسية الأولى.

كما تبنّت التعليم في حالات الطوارئ في البلدان التي تضرّرت من الأعاصير، مثل موزمبيق، وذلك لإعادة فُرص التعليم للمتضرّرين. وفي العراق عملت على دعم تأهيل الخدمات التعليمية في الموصل وبغداد بعد أزمة النزوح واسعة النطاق، وتشمل أنشطة البرنامج تجديد المدارس، وبناء المراكز المجتمعية، وتحسين خدمات رعاية وتنمية الطفولة المبكرة، وأنشطة تمكين الشباب.

وفي إطار الرعاية الصحية والتغذية المدرسية في ليبيريا اعتنت دبي العطاء بنظامٍ مدرسي صحي متكامل يسعى لدعم نظام ليبيريا الصحي في مواجهة آثار تفشي مرض الأيبولا. ويوفّر البرنامج للأطفال المهمشين في أربعة أقاليم من ليبيريا فحص النظر الأساسي والوقاية من الديدان المعوية ومن ثمّ تسهيل عملية الإحالة للعلاج.

ولم تقتصر مبادرات دبي العطاء وما تقدّمه من أعمال إنسانية على الدعم والتبرُّعات، بل تستكمل ذلك بالمتابعة والتقييم، حيث تعتني بـ «تشكيل تنمية القدرات من خلال دعم الجهات المعنية في التعليم المحلي والتركيز على الرصد والتقييم والتّعلُّم، كما تساعد عمليات الرصد والتقييم والتعلّم دبي العطاء على فهم ما هو مجدي أو غير مجدي، وتضمن هذه الإجراءات قدرة المؤسسة على التّكيُّف مع التغيرات، وحشد المزيد من الموارد والاستثمار الأفضل للأموال.

هذه نبذةٌ عاجلة، تمّ نقلها من موقع المؤسسة[1]، الذي حوى معلومات أخرى كثيرة حول مبادراتها وأعمالها الإنسانية. وهو مما لا تتسع له صفحات البحث. ويمكن الاستزادة من الموقع نفسه. وبهذا العرض العاجل لموضوعات البحث، أحمد ربّي جلّ علا على ما تفضّل به وأنعم.

1- https://search.app/?link=https%3A%2F%2Fwww.dubaicares.ae%2Far%2F&utm_campaign=aga&utm_source=agsadl1%2Csh%2Fx%2Fgs%2Fm2%2F4

الخاتمة

الحمدُ لله تعالى الّذي بفضله تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام على خير البرية.

طوّف البحث بعدد من الموضوعات التي تُجليّ أسس التنمية المستدامة في السّنّة النبويّة، وتوصّل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولًا النتائج:

- ظهرت العناية بالتنمية المستدامة بشكل واضح في الهدي النبوي الشريف.
- اتّضحت أهميّة الأعمال الإنسانية والمجتمعية في ظلّ الهدي النّبوي الشريف؛ حيث اهتمت السنة النبوية بتعزيز كرامة الإنسان، ومراعاة المقاصد الخمسة للشريعة. وحفلت بالحض على التآزر والتكاتف والتراحم والإنفاق وعموم أفعال الخير الهادفة إلى تحقيق تنمية مستدامة متكاملة.
- كشفت الدّراسة مظاهر الهدي النّبوي في دعم الأعمال الإنسانية والمجتمعية ومن ذلك، بيان فضيلة العمل كأساس قويم في حياة الأفراد والمجتمعات.
- أوضحت الدّراسة صلة الهدي النبوي بتحقيق التنمية المستدامة من خلال عمل الإنسان لبناء الإنسان؛ حيث جاء الهدي النبوي ليحيطه بالإرشاد والتوعية والدعم ليكون عنصرا فاعلا طيلة حياته.
- ناقشت الدراسة مبدأ الإنفاق على الأسرة في الهدي النبوي كوسيلة مهمة من وسائل التنمية المستدامة، بما يؤهِّلُهم إلى أن يكونوا فاعلين في مجتمع مهيئ للتنمية من خلال الدعوة إلى الإنفاق والرعاية الأسرية.
- تجلت عناية السنة النبوية بالأرحام في عملية التنمية المستدامة، من خلال التوجيهات الداعية إلى الإحسان إليهم وتقديمهم على غيرهم في العطاء.
- يُعدُّ دعم البيئة والمجتمع في السُّنّة النّبويّة جانبًا مهمًّا من جوانب العناية بالتنمية المستدامة.
- كشفت الدراسة عن صلة الهدي النبوي بالتنمية المجتمعية المستدامة في العمل الإنساني من خلال بيان العناية النبوية بالمجتمع؛ باعتباره الوعاء الحاضن للأفراد.

- كشفت الدراسة عن أثر الهدي النبوي في واقع دولة الإمارات العربية المتحدة في باب العمل الخيري الإنساني لتحقيق التنمية المستدامة، وبرز ذلك في المؤشرات العالية لجهود مؤسسات العمل الإنساني كهيئة الهلال الأحمر الإماراتي، ومؤسسة دبي للعطاء.

- كشفت الدراسة عن دور هيئة الهلال الأحمر الإماراتي في تحقيق التنمية المستدامة من خلال أهدافها التي تسعى إلى رعاية وتبني الأعمال الإنسانية على المستوى المحلي والدولي.

- كشفت الدراسة عن دور مؤسسة دبي العطاء في مدّ يد العون إلى العديد من الشعوب في كافّة أنحاء العالم، مُستهديةً بهديِ الإسلام في رعاية الأطفال والشّباب، بكافّة مظاهر الرعاية.

ثانيًا التوصيات:

- تشجيع إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث التي تتناول العلاقة بين الإسلام والتنمية المستدامة، مع التركيز على دور المؤسسات الخيرية والإنسانية في هذا الصدد.

- تعميم النموذج الإماراتي في مجال العمل الإنساني والخيري على مستوى المنطقة والعالم العربي.

- نشر الوعي بتصميم برامج توعية مجتمعية حول أهمية العمل الخيري والإنساني، ودوره في تحقيق التنمية المستدامة.

- إيجاد آليات لربط نصوص السنة النبوية الغنية في مجال العمل الخيري والإنساني لمواجهة التحديات المعاصرة.

ثبت المراجع والمصادر

- إرشاد الساري؛ أحمد بن محمد بن أبي بكر العسقلاني الشافعي (ت923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، ط6، 1304هـ.
- البيئة والتنمية المستدامة من منظور إسلامي، تحليل رؤية ابن خلدون. تأليف/ بلمشري، بشرى. مقال في مجلة الحوكمة، المسئوليّة الاجتماعية والتنمية المستدامة، المجلد 3، العدد 1، 2021، صفحات البحث: 132 - 154.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، (ت463هـ) المحقق/ مصطفي بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1387هـ. د. ط.
- التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية (مادة التربية الإسلامية للمرحلة الثانوية أنموذجًا)، تأليف/ عبد الغني علي المقبلي، مجلة الجامعة الوطنية، العدد 16، فبراير 2021م. الصفحات 1 - 54.
- حاشية السندي على سنن النسائي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت911هـ)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ، 1986م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، البكري الصديقي؛ محمد بن علي بن علان البكري الصديقي الشافعي (ت1057هـ)، اعتنى به خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، ط4، 1425هـ، 2004م.
- الزكاة كأداة للمساهمة في تحقيق التنمية المستدامة؛ عرض وتجارب بعض الدول الإسلامية، تأليف/ ابن الشيخ بوبكر الصديق، الملتقى الدولي حول مقوّمات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، 2023/12/30. صفحات البحث: 281 - 298.
- شرح صحيح البخاري؛ ابن بطال؛ أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت449هـ) المحقق/ أبو أنس إبراهيم بن سعيد الصبيحي، مكتبة الرشد، السعودية، ط4، 1437هـ، 2016م.

- صحيح الإمام البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، (ت256هـ)، المسمى بالجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسُنَنِهِ وأيّامه، رقّم كتبه وأبوابه وفقًا للمعجم المفهرس وتحفة الأشراف، وصنع فهارسه/ محمد نزار تميم، وهيثم نزار تميم، دار الأرقم، د. ط. ت.
- صحيح الإمام مسلم، أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت204هـ)، المسمّى: المسند الصحيح المختصر من السُّنن بنقل العدل عن العدل عن رسول اللهِ ﷺ. رقّم كتبه وأبوابه وِفقًا للمعجم المفهرس وتحفة الأشراف وصنع فهارسه/ محمد بن نزار تميم، وهيثم بن نزار تميم، دار الأرقم، بيروت، ط1، 1419هـ، 1999م.
- صلة الأمن المائي بمقصد حفظ النفس، دراسة في ضوء الهدي النبوي الشريف وتطبيقاته في دولة الإمارات العربية المتحدة، كلثم عمر الماجد المهيري، مجلة الموئل، جامعة الوصل، دبي، العدد الأول، 1443هـ، 2022، صفحات البحث 115 - 155.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، محمود بن أحمد بن موسى الغيتابي بدر الدين العيني (ت855هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت. د. ط. ت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، رقّم كتبه وأبوابه/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، 1379م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد بن علي (ت1031هـ)، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ.
- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت817هـ). ضبط وتوثيق/ يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1420هـ، 1999م.
- قيمة العمل في الإسلام ودوره في التنمية المستدامة، تأليف/ مصطفي ياحي، الملتقى الدولي حول مقوّمات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة، يومي 3، 4/ ديسمبر 2012م.
- لسان العرب؛ ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط3، 1419هـ، 1999م.

- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي بن سلطان محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت1014هـ)، دار الفكر، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م.
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. لأبي زكريا محي الدين بن شرف النووي (ت676هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392م.
- موقع مؤسسة دبي العطاء:

https://search.app/?link=https%3A%2F%2Fwww.dubaicares.ae%2Far%2F&utm_campaign=aga&utm_source=agsadl1%2Csh%2Fx%2Fgs%2Fm2%2F4

التنميةُ المُستدامةُ في السنةِ النبويّةِ وأثرها في بناءِ الإنسانِ

رشيد ترفاس
جامعة مولاي إسماعيل – المملكة المغربية

ملخص

يستهدف هذا البحث بيان أن التنمية المستدامة ليست مجرد مشاريع اجتماعية أو اقتصادية أو بيئية بقدر ما هي رؤية استراتيجية شاملة ومتوازنة تسعى لاستثمار الإنسان من خلال التعليم والصحة، وتمكين الفئات المختلفة بما يضمن بناء مجتمع مستدام وقادر على التكيف زمانا ومكانا، ومواجهة كل تحديات العصر بما يضمن له تحقيق مستقبل أفضل، والحديث عن هذه التنمية المستدامة في إطارها الشرعي يستوجب إحاطتها بكل الأدلة - خاصة من السنة النبوية التي هي محور الندوة - التي يمكن الاستدلال بها على بنودها وأهدافها المسطرة في برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، ولبيان أن النبي ﷺ كان سباقا لبناء الإنسان في ضوء تلكم البنود، وهو ما يزيد ثقتنا بشريعتنا لكونها مواكبة لكل تحديات العصر.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، التنمية المستدامة، بناء الإنسان، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، المجتمع.

Abstract

This research aims to show that sustainable development goes beyond social, economic, or environmental projects. It represents a balanced and strategic vision focused on investing in humanity through education and health. By empowering different groups, it seeks to build a sustainable community that can adapt to challenges across time and space for a better future. Discussing sustainable development within its legitimate framework requires supporting it with evidence. This is particularly true for evidence from the prophetic tradition, which is the focus of the seminar. These references relate to its provisions and objectives as outlined in the United Nations Development Programme. This research also seeks to demonstrate that Prophet Muhammad (peace be upon him) was a leader in human development based on these principles. This reinforces our confidence in Sharia, showing its alignment with the challenges of modern times.

Keywords: Prophetic tradition, sustainable development, human development, United Nations Development Programme, community.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.

أما بعد، فإن من أهم القضايا التي شغلت بال العديد من المفكرين والباحثين -فضلًا عن المنظمات والحكومات- ما يشهده العالم من تحولات كبيرة ومتسارعة على مستويات متعددة، منها ما هو اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو بيئي، وبموازاة مع التطورات الهائلة يثبت الواقع أن هناك تمايز بين الدول الرأسمالية وغيرها من البلدان الفقيرة أو التي تحت عتبة الفقر، وهذا ما حذا بأصحاب الرأي السديد والعقل الرشيد إلى التفكير في بلورة مجموعة من الأسس والأهداف من أجل تقليص هذا التفاوت المهول، لدرجة أن الدول الفقيرة خاصة تتميز بوفرة الخيرات والمؤهلات الطبيعية غير أنها لا تستفيد منها البتة، أو أن استفادتها ضئيلة بالموازاة مع ما تمتلك من مقومات، والمستفيد الأول هو الدول الرأسمالية التي أولت الأهمية البالغة لبناء الإنسان قبل بناء الأوطان، حتى يستفيد بأكبر قدر ممكن من هذه الخيرات، في حين نجد دولًا أخرى لم تراع هذا البناء؛ فنتج عن ذلك وجود إنسان مستهلِك أكثر من كونه منتجًا، وهذا ما أدى إلى فشو أمراض اجتماعية وسياسية وبيئية واقتصادية، وهو ما ألهم الباحثين دق ناقوس الخطر بخصوص هذا التباين؛ مما أسهم في بروز نظُمٍ يمكن بواسطتها إعادة الاعتبار لدول الشعوب الفقيرة من خلال ما يعرف حديثًا بالتنمية المستدامة، فتم تسطير مجموعة من البنود والأهداف من أجل التوصل بحلول ناجعة لتقليص هذه الفوارق بين الشعوب.

ومن بين النُّظُم التي يمكنها الإسهام في إنجاح التنمية المستدامة نجد النُّظُم الإسلامية، حيث لا يمكن إنكار عدالة أهدافها ووضوح تصوراتها؛ من أجل تصحيح بعض المفاهيم بخصوص هذه الأسس والأهداف التي تمت برمجتها لرؤية 2030، وقد كان للنبي ﷺ قصب السبق في تكريس عدالة اجتماعية تراعي الحد من الفوارق التي يتحدث عنها المعاصرون؛ وذلك من خلال تتبع جملة من الأحاديث النبوية التي تبين ذلك وتوضحه بأجلى صوره وأبهى تجلياته، والتي تدل على أن النبي ﷺ لم يكن غافلا عن هذا الأمر، بل كان من أهم البانين له وفق رؤية شمولية تراعي الزمان والمكان والأشخاص؛ لما لذلك من الأثر البالغ في بناء الإنسان. وحرصا مني على توضيح ذلك وبيانه كتبت هذه الورقة البحثة وعنونتها ب:

«التنمية المستدامة في السنة النبوية وأثرها في بناء الإنسان»

أولا: أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية هذا البحث من جهتين: الأولى: من حيث أهمية الموضوع، حيث ينطلق من تأصيل بنود التنمية المستدامة في السنة النبوية وكذا أثرها في بناء الإنسان. والثاني: راهنيته؛ حيث إن هذا الموضوع هو حديث الساعة، ولهذا كثيرًا ما تعقد الندوات واللقاءات من أجل الوقوف على إشكالية هذا الموضوع وتسليط الضوء عليه، مع المحاولة الحثيثة لإيجاد الحلول الكفيلة لتنزيله كمشروع تنموي يخدم المصالح البشرية، وما هذه الندوة المباركة إلا إحدى تجليات هذه الراهنية لهذا الموضوع.

ثانيا: مشكلة البحث:

تكمن مشكلة الدراسة في اعتقاد الكثيرين من بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا، أن مصطلح التنمية المستدامة هو فكر مستحدث لا علاقة للإسلام به، وترسخ في أذهانهم أنه تصور دخيل على المفاهيم الإسلامية التي لا تمت إليه بأية صلة، وهذا اعتقاد مشوه وفاسد لابد من تصحيحه في أذهان الناس خاصة المسلمين منهم، حتى يعلموا أن الإسلام دين حضاري صالح لكل زمان ومكان، أضف إلى ذلك أن أهداف التنمية المستدامة التي يُتحدث عنها كثيرًا في اللقاءات وغيرها لها جذور مؤسسة لها في الكتاب والسنة، لكنها تحتاج إلى بحث لتأصيل بنودها من خلال جمع النصوص التي تؤطرها دون تعسف أو تكلف في التأويل، ثم بيان أثر هذه التنمية -بناء على تأصيلها في السنة النبوية- في بناء الإنسان.

أسئلة الدراسة:

- هل هناك أدلة في السنة النبوية تؤصل أهداف التنمية المستدامة؟
- ما العلاقة بين بنود التنمية المستدامة؟
- كيف يكون تأثير بنود التنمية المستدامة في بناء الإنسان؟

ثالثا: أهداف البحث:

يروم البحث تحقيق مجموعة من الأهداف أهمها:

- إبراز مكانة الإسلام كمشروع حضاري ذا تنمية مستدامة صالحة لكل زمان ومكان.
- إظهار النصوص من السنة النبوية التي يمكن الاستدلال بها على بنود التنمية المستدامة.

- دور التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية في بناء الإنسان ليكون صالحًا ونافعًا لمجتمعه.

رابعا: منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث منهجان هما:

المنهج الاستدلالي: الذي ينطلق من النصوص الشرعية التي هي كالقواعد العامة المسلمة بعد التأكد من ثبوتها.

المنهج الاستقرائي: استقراء النصوص الدالة على بنود التنمية المستدامة وبيان دلالتها.

خامسا: الدراسات السابقة:

كثيرة هي الدراسات التي أنجزت فيما يتعلق بموضوع هذا البحث أو بأحد جوانبه، فبعضها تناول التنمية المستدامة عمومًا أو مركزةً على الناحية الشرعية، وبعضها تناول بناء الإنسان. ومن تلكم الدراسات ما يلي:

1- **التنمية البشرية: دراسة في المفاهيم والدواعي من منظور شرعي،** وهو بحث مشترك بين الأستاذ ماجان تشين، والدكتور محمد يعقوب ذو الكفل، وهو ضمن مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية. المجلد: 4، عدد: 2، نيسان، أبريل 2018م. أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا.

ركز هذا البحث على الإطار المعرفي لماهية التنمية البشرية في الشريعة الإسلامية مع الحديث عن أسبابها وأهدافها. وهو بحث فيه فوائد كثيرة، إلا أن فيه شحًا في الاستدلال بالنصوص الشرعية خاصة وأن منطلقاته كانت من المنظور الشرعي من خلال عنوانه.

2- **التنمية الاقتصادية في ضوء الهدي النبوي،** للدكتور إلهام بدر الجابري، وهو ضمن العدد السادس من مجلة ابن خلدون للدراسات والأبحاث (2023.06). قسم الباحث فيه موضوعه إلى مباحث ثلاث: العدالة الاقتصادية في الكسب والتوزيع، وتحقيق الاكتفاء الذاتي في الضروريات والحاجيات، وإثبات الوجود من خلال الإنتاج والتصدير للآفاق. وهو بحث متميز في موضوعه، فيه فوائد كثيرة، ونصوص غزيرة، غير أنه أغفل جانب بناء الإنسان مع تركيزه فقط على الجانب الاقتصادي دون الحديث عن الجانب

الاجتماعي والبيئي وهما لا يقلان أهمية عنه، وكذلك لأهميتهما في الموضوع نظرًا للارتباط الوثيق بينهما وبينه.

3- **التنمية الاقتصادية في المنظور الإسلامي: الخصائص والمقومات،** للدكتور فايدي كمال من جامعة البليدة، وهو مقال منشور ضمن مجلة الإدارة والتنمية للبحوث والدراسات، العدد الخامس. حاول الكاتب في هذا البحث الإجابة عن إشكالية الارتباط بين الإسلام باعتباره ممارسة عقدية وروحية وبين التنمية الاقتصادية، وهو بحث جيد في بابه، إلا أن الذي يعاب عليه أمران: الأول: شح في النصوص الشرعية المؤطرة خاصة وأن النظرة التي أبداها لموضوعه كانت شرعية، الثاني: كأنه يلمح إلى أن الإسلام ليس فيه تنمية اقتصادية، وهذا ما جعله يبرز الموضوع كإشكالية للربط بين الإسلام والتنمية الاقتصادية، مع أن الإسلام فيه تنمية اقتصادية متميزة إلا أنها تحتاج إلى إبراز ودراسة من أجل توضيحها وتحليلها.

سادسا: خطة البحث:

انتظم عقد هذا البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين فضلًا عن خاتمة وتوصيات

أما المقدمة فضمنتها أهمية البحث ومشكلته وأهدافه ومنهجه والدراسات السابقة فيه.

ثم تمهيد تناولت فيه البناء المفاهيمي لمفردات عنوان البحث، وهي: التنمية المستدامة، السنة النبوية، بناء الإنسان.

أما المبحث الأول: فتناولت فيه تأصيل عناصر التنمية المستدامة في السنة النبوية بأبعادها الثلاثة، الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وجعلته في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: التنمية الاقتصادية، المطلب الثاني: التنمية الاجتماعية، المطلب الثالث: التنمية البيئية.

ثم خصصت المبحث الثاني: لإبراز أثر التنمية المستدامة في بناء الإنسان على المستوى الاقتصادي والذاتي والاجتماعي والبيئي، وجعلته في ثلاثة مطالب: المطلب الأول: أثر التنمية الاقتصادية في بناء الإنسان، وفيه الفروع التالية: الأول: الاقتصاد في العيش، الثاني: العمل اللائق ونمو الاقتصاد، الثالث: مواجهة التحديات الاقتصادية، الرابع: عقد الشراكات، الخامس: الصناعة والابتكار، السادس: العدل في المعاملات.

المطلب الثاني: أثر التنمية الذاتية والاجتماعية في بناء الإنسان، وضمنته الفروع التالية: الأول: بناء الذات والنفس، الثاني: البناء العقلي والفكري، الثالث: البناء الانتمائي، الرابع: البناء الأخلاقي، الخامس: البناء الأمني.

المطلب الثالث: أثر التنمية البيئية في بناء الإنسان، وفيه الفروع التالية: الأول: المسؤولية في المحافظة على المياه، الثاني: المحافظة على الغطاء النباتي، الثالث: المحافظة على الثروة الحيوانية، الرابع: المسؤولية في المحافظة على البيئة.

ثم خاتمة تضمنت نتائج البحث وتوصيات.

مدخل تمهيدي: الإطار المفاهيمي للعنوان

أولًا: التنمية المستدامة:

مما لا شك فيه أن معرفة المركب تقتضي معرفة مفرديه لتتضح صورته في الذهن، وبما أن مصطلح «التنمية المستدامة» مركب تعين تعريف مفرديه، وعليه ف (التنمية) لغة من (نمى) والنون والميم والحرف المعتل أصل واحد يدل على ارتفاع وزيادة، ونمى المال: أي زاد. ونمى الخضاب ينمي وينمو، إذ زاد حمرةً وسوادًا. وتنمى الشيء: ارتفع من مكان إلى مكان[1].

(المستدامة): من (دام) وأصله (دوم) والدال والواو والميم أصل واحد يدل على السكون واللزوم [2]،... ومن الباب أن عائشة (رضي الله عنها) سئلت عن عمل النبي ﷺ فقالت: «كَانَ عَمَلُهُ دِيمَةً»[3]، أي دائمًا. والمعنى أنه كان يدوم عليه[4].

أما اصطلاحًا: فلم يكن مصطلح التنمية المستدامة معروفًا عند المتقدمين، وإنما هو من المصطلحات الحادثة التي انتشرت في العصر الحديث، وقد عرفت اللجنة العالمية للبيئة والتنمية (لجنة برونتلاند) التنمية المستدامة بأنها: «التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون الانتقاص من قدرات الأجيال القادمة على الوفاء باحتياجاتها»[5].

فهي تنمية مستمرة وعادلة ومتوازنة ومتكاملة تراعي الأبعاد: الاجتماعية والاقتصادية والبيئية في جميع مشروعاتها، ولا تجني الثمار للأجيال الحالية على حساب الأجيال القادمة[6].

أما التنمية المستدامة وفق الرؤية الإسلامية فيمكن القول بأنها: «عملية أخلاقية روحية تعبدية تهدف إلى تنمية الإنسان وتطوير قدراته باعتباره النواة الأساسية في المجتمع،

1- ابن فارس، مقاييس اللغة، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث، القاهرة، د. ط، 2008م، (ص917) مادة (ن م ى) الجوهري، الصحاح (ص1069) مادة (ن م ى) دار المعرفة، ط1، 1426ه.

2- ابن فارس، مقاييس اللغة (ص305) مادة (د و م) الجوهري، الصحاح (ص363) مادة (د و م).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1423ه، كتاب الصوم، باب هل يخص شيئا من الأيام (2/89) حديث رقم (1987) ومسلم في صحيحه، المكتبة العصرية، د. ط، 1414ه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل (ص277) حديث رقم (783).

4- ابن فارس، مقاييس اللغة (ص306) مادة (د و م).

5- ترجمة للتعريف من الإنجليزية، انظر: United Nations General Assembly

6- أبو النصر، التنمية المستدامة، (ص82) المجموعة العربية للتدريب والنشر.

وذلك بهدف تحقيق الرقي الحضاري والمادي من منطلق الاستخلاف والعمارة الذي يجعل من الإنسان أمينًا ومتفهمًا ومحافظًا على كل الموارد الطبيعية المسخرة له» [1]. ويمكن تعريفها أيضًا بأنها: «عملية تطور وتغيير قدر الإمكان نحو الأحسن فالأحسن، وتكون مستمرة وشاملة لقدرات الإنسان ومهاراته المادية والمعنوية، تحقق الاستخلاف في الأرض برعاية أولي الأمر، ضمن تعاون إقليمي وتكامل إقليمي بعيدا عن التبعية»[2].

وتتميز التنمية المستدامة الإسلامية بعدة خصائص، أهمها: الشمول، التوازن، الواقعية، العدالة، المسؤولية، الكفاية[3]، ولكل خاصية من هذه الخصائص أبعادها ومقوماتها المرتبطة بها.

ثانيا: السنة النبوية

السنة في اللغة: مشتقة من سن الشيء: إذا أرسله، قال ابن فارس: «السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة، والأصل قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سنًّا: إذا أرسلته إرسالًا»[4]، وهي الطريقة والسيرة[5]. قال الأزهري: السنة: الطريقة المحمودة المستقيمة؛ ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه: من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة[6].

أما في اصطلاح المحدثين فهي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها[7]. وعند الأصوليين فيطلقونها «على ما جاء منقولًا عن النبي ﷺ على الخصوص مما لم ينص عليه الكتاب العزيز، بل

1- كريمة ابن صالحة وآخرون، التنمية المستدامة بين المنظور الوضعي والرؤية الإسلامية، (ص7) أعمال المؤتمر العلمي الدولي، الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، عمان، الأردن، مارس 2017م.

2- نصر عارف، نظرية التنمية السياسية المعاصرة، المعهد العالمي للفكر، د. ط، 1993ه (ص39).

3- إبراهيم العسل، التنمية في الإسلام، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د. ط. ت (ص71).

4- ابن فارس، مقاييس اللغة (ص401) مادة (س ن ن).

5- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2005م، (2/347).

6- الأزهري، تهذيب اللغة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م، (12/409) مادة (س ن ن).

7- طاهر الجزائري، توجيه النظر إلى أصول الأثر (1/54) مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416ه، اليواقيت والدرر في شرح نخبة الفكر، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420ه، (2/193).

إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام، كان بيانًا لما في الكتاب أو لا، وتطلق على ما جاء عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير»[1].

ثالثا: بناء الإنسان

يقصد ببناء الإنسان تربيته وتكوينه وإعداده ليكون إنسانًا سويًا، عابدًا لله عن إرادة واختيار، عارفًا بواجباته، مقتدرًا على أدائها بإتقان وإحسان، وهذا مقصد ديني عام تسعى لتحقيقه العقيدة والعبادات والأخلاق وجميع أحكام الشريعة المختلفة[2].

بناء على ما تقدم، فالمقصود بهذا الإطار المفاهيمي ربط العلاقة بين الأسس الثلاثة نظرًا للارتباط الوثيق بينها من حيث إن التنمية المستدامة لها-بمفردها- دور كبير في بناء الإنسان، إلا أن هذا البناء ينبغي أن يكون مُسَيَّجًا بالنصوص الشرعية خاصة من السنة النبوية التي تعتبر أحد أهم الدعائم والمرتكزات لهذه الندوة.

1- الشاطبي، الموافقات، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز، الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط. ت، (4/2).

2- عبد السلام محمد الأحمر، مقال بناء الإنسان في القرآن والسنة، مقال منشور بموقع مركز الأمانة للأبحاث والدراسات العلمية.

المبحث الأول: تأصيل عناصر التنمية المستدامة في السنة النبوية

تروم التنمية المستدامة تحقيق مجموعة من الأهداف التي محورها الأساس هو الإنسان، والتي اصطبغت بالصبغة العالمية فيطلق عليها أيضًا: «الأهداف العالمية» وهي دعوة للعمل من أجل القضاء على الفقر وحماية الأرض وتمتع الناس بالسلام والازدهار؛ ونظرا لما يعرفه العالم من عدم التكافؤ بين المجتمعات البشرية في مستويات متعددة؛ جاءت فكرة وضع أسس لتحقق العدل بين الشعوب، ولا يتم ذلك إلا بتسطير مجموعة من الأهداف التي يكون لها الدور الأساس في الرؤية المستقبلة لسنة (2030)، وتلكم الأهداف هي[1]:

القضاء على الفقر، القضاء التام على الجوع، الصحة الجيدة والرفاه، التعليم الجيد، المساواة بين الجنسين، المياه النظيفة والنظافة الصحية، طاقة نظيفة بأسعار معقولة، العمل اللائق ونمو الاقتصاد، الصناعة والابتكار والهياكل الأساسية، الحد من أوجه عدم المساواة، مدن ومجتمعات محلية مستدامة، الاستهلاك والإنتاج المسؤولان، العمل المناخي، الحياة تحت الماء، الحياة في البر، السلام والعدل والمؤسسات القوية، عقد الشراكات لتحقيق الأهداف.

ولتحقيق تنمية مستدامة بأهدافها التي تقدم ذكرها وتكون مستجيبة لمتطلبات البشرية جمعاء؛ لابد من التركيز على أسسها الثلاثة، وهي: التنمية الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، ولتنفيذ ذلك تحاول كل دولة من دول العالم بسط نظرتها ومناهجها لتحقيق هذه الأسس بناء على المعطيات والوسائل المتوفرة لها. ومن بين الرؤى التي ساهمت في النهوض بهذا المشروع التنموي نجد الرؤية الإسلامية؛ فهي لها دور رائد في بلوغ تنمية مستدامة شاملة عادلة، على اعتبار أن الشريعة الإسلامية ما تركت شيئًا مما يحتاجه الناس من أمر دينهم أو دنياهم إلا وبينته ووضحته إما إجمالًا، أو تفصيلًا، أو تصريحًا، أو إيماءً؛ قال الله تبارك وتعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»[2]، وعن أبي ذر ﷺ قال: «لقد تركنا رسول الله ﷺ وما من طائرٍ يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا»[3].

1- موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول العالم: www.sa.undp.org

2- سورة الأنعام، الآية (38).

3- أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي ذر ﷺ، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، درا الفكر، ط2، 1414ه، حديث رقم (21495) والطبراني في المعجم الكبير، دار الكتب العلمية، ط1، 1428ه (2/415) حديث رقم (1624) قال الهيثمي في مجمع الزوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط. ت، باب الخصائص (8/263): «رواه أحمد والطبراني...، ورجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبد الله بن يزيد المقرئ، وهو ثقة، وفي إسناد أحمد من لم يسم».

بناء على هذين الدليلين وما ورد في معنييهما؛ فأهداف التنمية المستدامة هي الأخرى لها نصوصها المؤصلة لها في سنة النبي ﷺ إما تصريحًا، أو تلميحًا، أو إيماءً، ولذلك خصصت هذا المبحث لتأصيل هذه الأسس انطلاقًا من السنة النبوية الشريفة.

المطلب الأول: التنمية الاقتصادية:

حرص الإسلام على بناء تنمية اقتصادية تعود بالنفع على البلاد والعباد، ولتحقيق هذه البغية جعل الله تعالى عمارة الأرض من واجبات الاستخلاف؛ كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [1]، قال الإمام الجصاص: «فيه الدلالة على وجوب عمارة الأرض للزراعة والغراس والأبنية»[2]، وقال ابن العربي: «قال بعض علماء الشافعية: الاستعمار طلب العمارة، والطلب المطلق من الله على الوجوب»[3]. وعمارة الأرض بهذا المفهوم تسعى لخلق مجتمع المتقين الذي يستخدم الموارد المسخرة له في التمتع بمستوى معيشي طيب مع استشعار تقوى الله في ذلك[4]. وبما أن التنمية الاقتصادية لابد أن تكون وفق الضوابط الشرعية حاول بعض الباحثين استخلاص تعريف لها فقال هي: «العلم الذي يبحث في طرق الكسب والإنفاق على ضوء الأحكام والآداب التي تضمنتها شريعة الإسلام»[5]، وورد أيضًا في تعريفها أنها: «علم وسائل استخدام الإنسان لسد حاجات الفرد والمجتمع الدنيوية طبقا لمنهج شرعي محدد»[6].

ومن أجل بناء تنمية اقتصادية رائدة مجتمعية رغب النبي ﷺ في كل السبل والوسائل التي تحقق الاكتفاء الذاتي للفرد أولًا ثم للمجتمع ثانيًا؛ كالتجارة والكسب الطيب والفلاحة والمضاربة والمساقاة وغيرها مما له أثر تنموي واقتصادي، ففي حديث رافع بن خديج رضي الله عنه

1- سورة هود. الآية 61.

2- الجصاص، أحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ، (3/213).

3- ابن العربي، أحكام القرآن المحقق/محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، د. ط. ت، (3/1059) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق/محمد بيومي وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، مصر، د. ط. ت، (5/378).

4- يوسف إبراهيم، المنهج الإسلامي في التنمية، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1401هـ، (ص431).

5- الفنجري محمد شوقي، المذهب الاقتصادي في الإسلام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م، (ص18).

6- الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية الأصول الشرعية والأعمال المصرفية في الإسلام، القاهرة 1982م، (ص82).

أن النبي ﷺ لما سئل عن أي الكسب أطيب؟ قال: «عَمَلُ الرَّجُل بِيَدِهِ وكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[1]. ففي الحديث ترغيب في أن يكون للإنسان دور تنموي في حياته حتى يكون نافعًا لمجتمعه. وروى البخاري في صحيحه من حديث المقدام بن معد يكرب ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامَ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[2]، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن «في الحديث فضل العمل باليد، وتقديم ما يباشره الشخص بنفسه على ما يباشره بغيره، والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة لأنه كان خليفة في الأرض، كما قال الله تعالى[3]، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد»[4]. وقد رغب النبي ﷺ في العمل والكسب فقال: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»[5]. وهو ما جاء تأكيده عمليا في حديث الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا فَيَكُفَّ الله بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[6].

وقد تمثل النبي ﷺ هذا التوجيه في حياته، فكان يرعى الغنم لأهل مكة كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الغَنَمَ»، فقال أصحابه: وأنت؟

1- أخرجه أحمد، المسند، مسند المكيين، حديث بردة بن نيار ﷺ، حديث رقم (15836) والبزار (كشف الأستار) المحقق/حبيب الرحمن الأعظمي، الرسالة العالمية، ط1، 1432هـ، كتاب البيوع، باب أي الكسب أطيب (2/83) حديث رقم (1257) والحاكم في المستدرك، دار الفكر، 1422هـ، كتاب البيوع (2/143) حديث رقم (2205) والطبراني في المعجم الكبير (3/150) حديث رقم (4585) والبيهقي في السنن الكبرى، المحقق/محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ، كتاب البيوع، باب إباحة التجارة (5/263) حديث رقم (10397) من طريق المسعودي به، قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (3/63) وقال: «فيه المسعودي وهو ثق لكنه اختلط، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح».

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (2/120) حديث رقم (2072).

3- يشير إلى قوله تعالى: «يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض» سورة «ص» الآية: 26.

4- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط. ت، (4/306).

5- أخرجه الترمذي في سننه، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ، كتاب الأحكام عن رسول الله ﷺ، باب الوالد يأخذ من مال ولده، حديث رقم (ص451) (1358) قال الترمذي في سننه: «حديث حسن صحيح».

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (1/630) حديث رقم (1470) ومسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (ص353) حديث رقم (1042).

فقال: «نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ»[1]. كما خرج النبي ﷺ في بدء أمره يريد الشام للتجارة[2].

فهذه النصوص وما ورد في معناها كفيلة ببيان أهمية التنمية الاقتصادية في الحياة، وأنه لا يمكن العيش بدون مقومات حياتية تحفظ للفرد كرامته وتؤسس لاستقلاليته المادية والاجتماعية؛ ولذلك جعلت الشريعة الإسلامية الأصل في هذا النوع -مما له ارتباط بالجانب الاقتصادي- على أصل الإباحة إلا أن يأتي دليل المنع، وما ذلك إلا من أجل توسيع دائرة المعاملات الاقتصادية التي يمكنها أن تؤسس لحضارة منتجة زاهرة تكون على مستوى تطلعات الفرد والمجتمع.

ومن أجل تكريس هذه التنمية الاقتصادية وجعلها فاعلة ومثمرة؛ فإن النبي ﷺ حذر من كل ما يخرجها عن إطارها الشرعي الذي وضعت له؛ ولهذا حرم عليه الصلاة والسلام الربا والرشوة والغش والتدليس وغيرها من مفسدات التنمية الاقتصادية، ففي حديث عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) قال: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي»[3]، وإنما يلحقهما العقوبة معًا إذا استويا في القصد والإرادة فَرَشَا لينال به باطلًا أو يتوصل به إلى ظلمٍ، فأما إذا أعطى ليتوصل به إلى حق أو يدفع عن نفسه ظلمًا فإنه غير داخل في هذا الوعيد[4].

كما نهى النبي ﷺ عن مجموعة من المعاملات التي تتضمن غشًا وكذبًا وتدليسًا، كل ذلك من أجل حماية التنمية الاقتصادية من كل ما يعكر صفوها ويخرجها مما وضعت من أجله. أضف إلى ذلك حرص النبي ﷺ على مراقبة الأسواق من أجل توعية الناس وبيان ما يحق لهم وما لا يحق، ففي حديث رفاعة ﷺ أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلى، فرأى الناس يتبايعون، فقال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ»، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ»[5].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب رعي الغنم على قراريط (2/189) حديث رقم (2262).
2- ابن هشام، السيرة النبوية، مكتبة الكتب الثقافية، ط1، 1427هـ. (2/234-235).
3- أخرجه أبو داود في سننه، دار الفكر، د. ط، 1414هـ، كتاب الأقضية، باب في كراهية الرشوة (3/291) حديث رقم (3580) والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الراشي والمرتشي (ص445) حديث رقم (1337) وابن ماجه في سننه، دار الفكر، ط1، 1421هـ، كتاب الأحكام، باب التغيظ في الحيف والرشوة (ص536) حديث رقم (2313) قال الترمذي في سننه: «حديث حسن صحيح».
4- الخطابي، معالم السنن، دار الكتب العلمية، د. ط، 1416هـ، (4/149).
5- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار وتسمية النبي ﷺ إياهم (ص408) حديث رقم (1210) وابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب التوقي في التجارة (ص499) حديث رقم (2146) قال الترمذي في سننه: «حديث حسن صحيح».

ولم يكتفِ ﷺ بالقول، بل تعدى ذلك إلى الفعل، ففي حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بَلَلًا، فقال: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ، مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّا»[1]، «ومعناه: ليس على سيرتنا ومذهبنا، يريد أن من غش أخاه وترك مناصحته فإنه ترك اتباعي والتمسك بسنتي»[2].

المطلب الثاني: التنمية الاجتماعية

المراد بالتنمية الاجتماعية-في هذا السياق- العمل بشرع الله في كل مجالات الحياة، وذلك بهدف الوصول إلى حالة من الكفاية والكفاءة في المجتمع الإسلامي، ومن المعروف أن النظرة الإسلامية للتنمية والعمران هي نظرة شاملة لجميع مناحي الحياة المادية والروحية والخلقية[3].

لقد حرصت بنود التنمية المستدامة على تحقيق تنمية اجتماعية شاملة لكل شعوب العالم، من أجل تحقيق استقرار في النمو السكاني ورفاهية للناس على مستوى تحسين الخدمات الصحية والتعليمية، فضلًا عن تأمين غذائي، وما إلى ذلك مما يحقق هذا الهدف. وهذا النوع من التنمية لا يمكن القول بأنه حكر على من سطره ودعا إليه، بل إن أصوله وجذوره متأصلة في سنة النبي ﷺ، وعليه فمن تتبع كتب السنة النبوية وجد أن هذه الأهداف الاجتماعية قد حرص النبي ﷺ على تحقيقها منذ أكثر من أربعة عشر قرنا؛ ففي جانب القضاء على الفقر والجوع رغب النبي ﷺ أن يكون لكل فرد من أفراد المجتمع عملا إن كان قادرا وله أهلية لذلك؛ بأن يحترف حرفة أو يمتهن مهنة لئلا يبقى عالة على مجتمعه ينتظر بشوق وشغف صدقات وتبرعات المحسنين، ومن الأحاديث الدالة على هذا المقصد حديث الزبير بن العوام ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعُهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[4]. فهذا في حق الإنسان الذي له قدرة على العمل والكسب، كما جاءت نصوص ترهب

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: من غشنا فليس منا، (ص57) حديث رقم (102).

2- الخطابي، معالم السنن (3/118).

3- نبيل السمالوطي، بناء المجتمع الإسلامي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1418ه، (ص342).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (1/630) حديث رقم (1471).

وتحذر من المسألة من غير موجب، أو من يسأل الناس تكثرا، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرَ جَهَنَّمَ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرَ» [1]، وفي حديث أبي كبشة الأنماري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ...» وذكر منها: «وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ»[2].

أما من تعذر عليه العمل لعذر من مرض أو زمانة أو كبر سن؛ فإن النبي ﷺ رخص له في أن يسأل حاجته، ففي حديث سمرة بن جندب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ المسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إِلَّا أَنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا أَوْ فِي أَمْرٍ لَابُدَّ مِنْهُ»[3]. قال الصنعاني: «وأما سؤاله السلطان فإنه لا مذمة فيه؛ لأنه إنما يسأل مما هو حق له في بيت المال، ولا منة للسلطان على السائل، لأنه وكيل، فهو كسؤال الإنسان وكيله أن يعطيه من حقه الذي لديه»[4].

كما شرع النبي ﷺ موارد أخرى فيها نوع من التكافل الاجتماعي لمن لم يكن له مورد يساعده على بناء حياته؛ من ذلك الزكاة والصدقة والأوقاف وكفالة الأيتام والأرامل والمعوزين ناهيك عن الكفارات. وعلى العموم فقد رغب النبي ﷺ في كل ما ينفع الناس ورتب عليه الأجر والمثوبة عند الله تعالى، فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَّامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، واللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[5].

ففي هذا الحديث حث على عدد من الأعمال التي يساعد فيها المسلم أخاه المسلم، وهي تتضمن المساهمة في تفريج كربات من ضاقت عليه الدنيا، وتأجيل المدين الفقير حتى يرزقه الله، والستر على أخطاء الناس، وقد رتب الله تبارك وتعالى الجزاء من جنس

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (ص363) حديث رقم (1041).

2- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (ص711) حديث رقم (2325) وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب النية (ص962) حديث رقم (4228) قال الترمذي في سننه: «حديث حسن صحيح».

3- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزكاة، باب ما جاء في النهي عن المسألة (ص243) حديث رقم (681) وقال: «حديث حسن صحيح»

4- الصنعاني، سبل السلام، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1418هـ، (2/208).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن (ص1011) حديث رقم (2699).

العمل في الدنيا والآخرة.

أما الأرامل والمساكين فالساعي عليهما كالمجاهد في سبيل الله أو كالقائم ليلًا الصائم نهارًا، وما هذا إلا لعظم هذا العمل الاجتماعي الذي يدخل السرور ويحقق نوعا من الرفاه لهم، قال رسول الله ﷺ: «السَّاعِي عَلَى الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَار»[1]. ومن أعظم الأحاديث المرغبة في التنمية الاجتماعية قول النبي ﷺ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللهِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ ﷻ سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَأَنْ أَمْشِيَ مَعَ أَخٍ فِي حَاجَةٍ أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا المسْجِدِ-يعْنِي مَسْجِدَ المدِينَةِ- شَهْرًا، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمْضِيَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللهُ قَلْبَهُ يَوْمَ القِيَّامَةِ رضًا، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَقْضِيَهَا لَهُ ثَبَّتّ اللهُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الأَقْدَامُ»[2].

أما كفالة الأيتام فليس غريبا أن يولي ديننا الحنيف مكانة خاصة لهم، كيف لا وهو دين الرحمة والشفقة، وقد وردت نصوص كثيرة من صحيح السنة النبوية ترغب في كفالة الأيتام والاهتمام بهم؛ من ذلك حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أَنَا وكَافِلُ اليَتِيمِ فِي الجَنَّةِ هَكَذَا، وَقَالَ بِأَصْبُعَيْهِ بِالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى»[3]. قال ابن بطال في شرحه لهذا الحديث: «حق على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به ليكون في الجنة رفيقا للنبي ﷺ ولجماعة النبيئين والمرسلين -صلوات الله عليهم أجمعين-، ولا منزلة

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين (4/147) حديث رقم (5038) ومسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (ص1114) حديث رقم (2983).

2- أخرجه الطبراني في الأوسط (7/16) رقم (6023) من طريق عبد الرحمن بن قيس الضبي، قال حدثنا سكين بن سراج، قال حدثنا عمرو بن دينار عن عمر. وهذا إسناد واه، عبد الرحمن بن قيس ذكره ابن حجر في التقريب (1/496) وقال: «متروك كذبه أبو زرعة وغيره». وفيه أيضا سكين بن سراج، قال عنه ابن حبان في كتاب المجروحين، دار الصميعي، ط1، 1420هـ، (1/457): «شيخ يروي الموضوعات عن الأثبات والملزقات عن الثقات». وأفضل من هذه الطريق ما أخرجه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج، مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1413هـ، (36) من طريق بكر بن خنيس عن عبد الله بن دينار عن بعض أصحاب النبي ﷺ. وبكر بن خنيس قال عنه ابن حجر في التقريب، المحقق/عبد الوهاب عبد اللطيف، درا المعرفة بيروت، لبنان، ط2، 1395ه، (1/105): «صدوق له أغلاط، أفرط فيه ابن حبان». انظر ميزان الاعتدال، دار الفكر، د. ط. ت، (1/344).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب فضل من يعول يتيما (4/146) حديث رقم (6005).

عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء»[1]. وقال ابن حجر: «فيه إشارة إلى أن بين درجة النبي ﷺ وكافل اليتيم قدر تفاوت ما بين السبابة والوسطى، وهو نظير الحديث الآخر: «بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةِ كَهَاتَيْنِ»[2] الحديث». وقال ابن حجر أيضا: «قال شيخنا في شرح الترمذي: لعل الحكمة في كون كافل اليتيم يشبه في دخول الجنة، أو شبهت منزلته في الجنة بالقرب من النبي ﷺ، أو منزلة النبي ﷺ، لكون النبي ﷺ شأنه أن يبعث إلى قوم لا يعقلون أمر دينهم فيكون كافلًا لهم ومعلمًا ومرشدًا، وكذلك كافل اليتيم يقوم بكفالة من لا يعقل أمر دينه، بل و لا دنياه، ويرشده ويعلمه ويحسن أدبه فظهرت مناسبة ذلك» انتهى ملخصا[3].

من جانب آخر حرصت السنة النبوية على الأمن الغذائي للمجتمعات الإنسانية، ولم تفرق في ذلك بين دين أو جنس أو لون، ولهذا قال النبي ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَان وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ»[4]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ المُؤمِنُ الذي يَشْبَعُ وَجَارُه جَائعٌ إلى جَنْبِهِ»[5]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصره يمينا وشمالا، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ كان معهُ فَضْلُ ظَهْرٍ فَلْيَعُدْ بِهِ على مَنْ لَا ظَهْرَ له، ومَنْ كان له فَضْلُ مِنْ زَادٍ فَلْيَعُدْ به على مَنْ لا زَادَ لَهُ» قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل[6]. ففي هذا الحديث الحث على الصدقة والجود والمواساة والإحسان إلى الرفقة والأصحاب، والاعتناء بمصالح الأصحاب، وأمر كبير القوم

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط3، 1412هـ، (9/217).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب اللعان (3/683) حديث رقم (5301).

3- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط. ت، (10/536-537).

4- أخرجه أبو يعلى في المسند، المحقق/خليل ميمون شيخا، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1422هـ، مسند ابن عباس رضي الله عنهما، حديث رقم (2700) والطبراني في المعجم الكبير (12/154)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (8/167) وقال: «رواه الطبراني والبزار، وإسناد البزار حسن».

5- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1379هـ، باب لا يشبع دون جاره، (ص52) حديث رقم (112) وأبو يعلى، حديث رقم (2700) الحاكم في المستدرك، كتاب البر والصلة (5/92) حديث رقم (7387). قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (8/167): «رواه الطبراني وأبو يعلى ورجاله ثقات».

6- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، باب استحباب المؤاساة بفضول المال (ص667) حديث رقم (1728) وأبو داود، كتاب الزكاة، باب في حقوق المال (2/48) حديث رقم (1663).

أصحابه بمواساة المحتاج،...، وفيه مواساة ابن السبيل والصدقة عليه إذا كان محتاجا، وإن كان له راحلة وعليه ثياب، أو كان موسرا في وطنه، ولهذا يعطى من الزكاة في هذه الحال[1].

قال ابن حزم رحمه الله: «وفرض على الأغنياء من أهل كل بلد أن يقوموا بفقرائهم، ويجبرهم السلطان على ذلك إن لم تقم الزكوات بهم، ولا في سائر أموال المسلمين، فيقام لهم بما يأكلون من القوت الذي لابد منه، ومن اللباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يكنهم من المطر والصيف والشمس وعيون المارة»[2].

ومما يسهم في تنمية اجتماعية مستدامة التركيز على التعليم الجيد دون تفرقة فيه بين جنس وآخر، وقد ورد في ذلك أحاديث؛ من ذلك قول النبي ﷺ لأبي سليمان مالك بن الحويرث ومن معه حينما وفدوا عليه، فقال لهم: «ارْجِعُوا إلى أَهْلِيكُمْ فَعَلِّمُوهُمْ وَمُرُوهُمْ»[3]. كما ذكر النبي ﷺ أن من الثلاثة الذين يؤتون أجرهم مرتين: «الرَّجُلُ تَكُونُ لَهُ الأَمَةُ فَيُعَلِّمُهَا فَيُحْسِنُ تَعْلِيمَهَا وَيُؤَدِّبُهَا فَيُحْسِنُ تَأْدِيبَهَا ثُمَّ يُعْتِقُهَا فَيَتَزَوَّجُهَا، فَلَهُ أَجْرَانِ»[4].

أما الصحة فإنها من أجل النعم وأعظمها، ولذلك وجب على الإنسان مراعاتها وحفظها والاهتمام بها، وذلك-على حسب تصنيف الشاطبي- «يكون بأمرين: أحدهما: ما يقيم أركانها ويثبت قواعدها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب الوجود، والثاني: ما يدرأ عنها الاختلال الواقع أو المتوقع فيها، وذلك عبارة عن مراعاتها من جانب العدم»[5].

وللمحافظة على الصحة شرع النبي ﷺ الوسائل التي توصل إلى ذلك كالطهارة، ففي الحديث: «طَهِّرُوا الأجسادَ طَهَّرَكُم الله، فإنه لَيْسَ عبدٌ يَبِيتُ طَاهِرًا إلَّا بَات مَعَهُ في شِعَارِهِ مَلَكٌ لَا يَنْقَلِبُ ساعةً مِنَ اللَّيل إلا قال: اللهم اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فَإِنَّهُ بَاتَ طَاهِرًا»[6]. وفي حديث

1- النووي، شرح صحيح مسلم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1422هـ، (5/158).

2- ابن حزم، المحلى، المحقق/ أحمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة، د. ط، 1426هـ، (6/156).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد (1/296) حديث رقم (6008).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب فضل من أسلم من أهل الكتابين (2/505) حديث رقم (3011)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة النبي ﷺ (ص74) حديث رقم (154).

5- الشاطبي، الموافقات (2/7).

6- أخرجه الطبراني في الأوسط (5083) وابن حبان في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (2/150) حديث رقم (1048). والحديث صححه ابن حبان، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ضبطه وخرج أحاديثه/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ، (1/231): «إسناد جيد».

آخر: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَبِيتُ طاهرا فَيَتَعَارَّ مِن الليل-أي يستيقظ- فَيَسْأَلَ اللّه خيرًا مِنْ أمْر الدنيا والآخرَةِ إلا أَعْطَاهُ اللّه إِيَّاهُ»[1]. كما شرع النبي ﷺ الوضوء وأمر به لأنه أحد أسباب النظافة، فهو بالإضافة لكونه عبادة وقربة فإنه نظافة وجمال، ففي الحديث: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ كان بَابُ أَحَدِكُم على نهرٍ جَارٍ يَغْتَسِلُ مِنْهُ خمسَ مراتٍ أَيَبْقَى مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ»[2]. أضف إلى ذلك غسل الجمعة الذي أخبر النبي ﷺ أنه واجب على كل محتلم[3]، هو نوع من نظافة الظاهر، كما رغب النبي ﷺ المحافظة على خصال الفطرة التي أشار إليها في قوله: «خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: تَقْلِيمُ الأَظْفَار وقصُّ الشَّارِبِ وحلْقُ الْعَانَةِ وَنَتْفُ الإِبْطِ والاخْتِتَان»[4]. قال القرطبي: «هذه الخصال مجتمعة في أنها محافظة على حسن الهيئة والنظافة، وكلاهما يحصل به البقاء على أصل كمال الخلقة التي خلق الإنسان عليها، وبقاء هذه الأمور وترك إزالتها يشوه الإنسان ويقبحه بحيث يستقذر ويجتنب فيخرج عما تقتضيه الفطرة الأولى، فسميت هذه الخصال فطرة لهذا المعنى»[5].

المطلب الثالث: التنمية البيئية

تعتبر التنمية البيئية من الأسس الكبرى للتنمية المستدامة، على اعتبار أنه لا يمكن الحديث عن تنمية مستدامة دون اعتبار الجانب البيئي، والذي يندرج تحته الحفاظ على الموارد المادية والنهوض بها، إضافة إلى الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث؛ ونظرا لهذه الأهمية فإن النبي ﷺ أولاها العناية اللائقة بها، من ذلك نهيه ﷺ عن الإسراف في

1- أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في النوم على طهارة (4/341) حديث رقم (5042) وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب ما يدعو به إذا انتبه من الليل (ص875) حديث رقم (3881). والحديث سكت عنه أبو داود. وقال المنذري في الترغيب والترهيب: «رواه أبو ادود من رواية عاصم بن بهدلة عن شهر عن أبي ظبية عن معاذ. ورواه النسائي وابن ماجه في سننه. وذكر أن ثابتا البناني رواه أيضا عن شهر عن أبي ظبية». قال المنذري: «وأبو ظبية بفتح الظاء المعجمة وسكون الباء الموحدة شامي ثقة».

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة (1/260) حديث رقم (528)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات (ص237) حديث رقم (667).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب فضل الغسل يوم الجمعة، (1/389) حديث رقم (879).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قص الشارب (4/115) حديث رقم (5889)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (ص113) حديث رقم (257).

5- أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، د. ط. ت، (1/375).

استعمال الماء؛ فالماء نعمة ربانية يشترك فيها الجميع في المحافظة عليه، وذلك بترشيد استخدامه في كافة صور استعمال الماء في حياتنا اليومية، حتى في أبواب العبادات، وكان النبي ﷺ القدوة في ذلك لأمته، فكان يقتصد في ماء وضوئه أو غسله، حيث ذكر أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يَغْسِلُ أَوْ كَانَ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ إلى خمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالمدِّ[1].

ومما يحافظ على البيئة الابتعاد عن تلويث المياه التي يحتاجها الناس في حياتهم، ولهذا ورد النهي عن بعض السلوكيات التي تكون سببا مباشرا في التلويث؛ ففي الحديث: «لَا يَبُولَنَّ أَحَدكُمْ فِي الماءِ الدَّائِم ثم يَغْتَسِلُ منهُ»[2]. والمراد بالماء الدائم: الماء الذي لا يجري؛ كما هو مبين في رواية أخرى عند الإمام مسلم بلفظ: «لَا تَبُلْ في الماءِ الدَّائِمِ الذِّي لَا يَجرِي ثم تَغْتَسِل مِنْه»[3]. قال النووي في شرح هذا الحديث: «هذا النهي في بعض المياه للتحريم، وفي بعضها للكراهة، والتغوط في الماء كالبول فيه وأقبح، وكذا إذا بال بقرب النهر بحيث يجري إليه البول، وكله مذموم قبيح منهي عنه. قال العلماء: ويكره البول والتغوط بقرب الماء وإن لم يصل إليه؛ لعموم نهي النبي ﷺ عن البراز في الموارد، ولما فيه من إيذاء المارين بالماء، ولما يخاف من وصوله إلى الماء» انتهى ملخصا[4].

ولما كان تلويث المياه فيه ضرر عظيم على المرتفقين، كان فعل ذلك أحد موجبات اللعن، وهذا ما حذا النبي ﷺ لأن يحذر من ذلك، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْن. قالوا: وما اللَّعَّانَيْن يا رسول الله؟ قال: «الذِّي يَتَخلَّى في طرِيقِ النَّاسِ أَوْ في ظِلِّهِم»[5]. وعند أبي داود من حديث معاذ ﷺ بلفظ: «اتَّقُوا الملاَعِنَ الثَّلاثَة: البَرَازُ

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد، (1/118) حديث رقم (201)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة (ص131) حديث رقم (325).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/132) حديث رقم (239)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (ص120) حديث رقم (282).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن البول في الماء الراكد (ص120) حديث رقم (282).

4- النووي، شرح صحيح مسلم (1/523).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (ص116) حديث رقم (269).

في الموَارِدِ وقَارِعَةِ الطَّرِيقِ والظِّلِّ»[1]. فهذا الحديث يتضمن النهي عن قضاء الحاجة في الأماكن التي يرتادها الناس ويترددون عليها كالظل والطريق ومكان وجود الماء ونحو ذلك كالمرافق العامة مثل الحدائق والنوادي والأسواق وغيرها.

ومما يندرج ضمن النهي عن التلوث تلويث الهواء في الأماكن العامة بالروائح الكريهة؛ فقد نهى النبي ﷺ من أكل ثوما أو بصلا أن يقرب المساجد وذلك حتى لا يؤذي الملائكة والمصلين، فقد روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ-يعني الثُّوم- فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا»[2]. وفي لفظ آخر: «مَنْ أَكَل ثُومًا أَوْ بصلاً فَلْيَعْتَزِلْنَا، أوْ قال: فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا ولْيَقْعُدْ في بَيْتِه»[3]، وفي حديث جابر بن عبد الله مرفوعا: «مَنْ أَكَل البَصَل والثُّوم والكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا؛ فإنَّ الملائِكَةَ تَتَأَذَّى ممَّا يَتَأَذَّى منْه بَنُو آدمَ»[4]. فإذا كان الإنسان قد يتأذى بما هو مباح من الأطعمة فما بالكم بمن يلوثها بالسجائر وصنوف المخدرات وغيرها.

أما المحافظة على البيئة من جانب الوجود فقد وردت فيه أحاديث فيها حرص وتشجيع على الزراعة، ففي الحديث: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غَرْسًا ولا زَرْعًا فَيَأْكُلُ منْه إِنْسانٌ ولَا دابَّةٌ ولَا شَيءٌ إِلَّا كانَتْ له صَدَقَةٌ»[5]. وقال أيضا: «إِنْ قَامتِ السَّاعَة وبِيَدِ أحدكم فَسِيلَةً فإِنْ اسْتَطاع أنْ لَا تَقُومَ حتَّى يَغْرِسَها فَلْيَفْعَلْ»[6]. ففي هذا الحديث «مبالغة وحث على غرس

1- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الطهارة، باب المواضع التي نهى النبي ﷺ عن البول فيها (1/24) حديث رقم (26)، وابن ماجه في سننه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (ص99) حديث رقم (328).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل (1/379) حديث رقم (853)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما (ص200) حديث رقم (561).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل (1/380) حديث رقم (855)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما (ص201) حديث رقم (564).

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب نهي من أكل ثوما (ص201) حديث رقم (564).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (ص587) حديث رقم (1552).

6- أخرجه أحمد، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، حديث رقم (12512) والبخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال (ص168) حديث رقم (479) والبزار، كتاب البيوع، باب الحث على طلب الرزق، (-2/81كشف الأستار) حديث رقم (1251). والحديث ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (4/63) وقال: «رواه البزار ورجاله أثبات ثقات».

الأشجار وحفر الأنهار لتبقى هذه الدار عامرة إلى آخر أمدها المحدود المعلوم عند خالقها، فكما غرس غيرك ما شبعت به، فاغرس لمن يجيء بعدك»[1]، ويؤكد الحديث السابق قوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ»[2].

فهذه الأحاديث وما ورد في معناها تؤكد حرص النبي ﷺ لأن يكون للإنسان دور في الحفاظ على البيئة نظرا لأهميتها للمجتمع.

المبحث الثاني: أثر التنمية المستدامة في بناء الإنسان

مما لا يشك فيه اثنان أنه من السهولة واليسر تشييد الأبنية والقصور والعمارات وشق الطرقات وبناء الجسور والمحطات، خاصة مع الثورة الصناعية المتسارعة التي يعرفها العالم الحديث، لكن عند الحديث عن بناء الإنسان فإن الألسن تتلكأ وتتلعثم عند الكلام عنه، خاصة وأن الإنسان هو محور الحضارة وجوهرها، ولا يمكن الحديث عن أي تطور صناعي أو حضاري دون الحديث عن هذا المخلوق العجيب الذي هو الإنسان، فأعتى الفلسفات بشتى فروعها ومناهجها تقف وقفة الحيران عند الحديث عنه، خاصة التي أخذت على عاتقها بناء الإنسان بناء متكاملا ومتوازنا يمكن اعتباره بهذا البناء أسًّا وأساسًا للحضارة والتقدم والرقي والازدهار.

ومما يمكن اعتباره أثرا في بناء الإنسان بناء متكاملا ما ورد في بنود التنمية المستدامة التي سبق الحديث عنها تأصيلا من الأحاديث النبوية، فالتنمية المستدامة التي لها جذورها وأسسها في السنة يمكن أن يكون لها الأثر البارز في هذا البناء، وللوقوف عند هذه الحيثية قسمت هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب استنادا على مطالب المبحث الأول:

المطلب الأول: أثر التنمية الاقتصادية في بناء الإنسان

انطلاقا من بنود التنمية المستدامة بتأصيلها النبوي يمكن القول؛ إن من أسس بناء الإنسان بناؤه من الجانب الاقتصادي؛ الذي يمكن اعتباره أحد شرايين التنمية، وذلك من خلال الفروع التالية:

1- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، (4/241).

2- أخرجه أبو داود، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات (3/116) حديث رقم (3073) والترمذي في سننه، كتاب الأحكام، باب ما ذكر في إحياء الموات (ص460) حديث رقم (1378).

الفرع الأول: الاقتصاد في العيش: رغب النبي ﷺ في الاقتصاد في العيش، وأن الإنسان في طبيعته عليه الاقتصار على ما يقيم به حياته من مأكل ومشرب وملبس دون إسراف ولا تبذير، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: «الشريعة جاريةٌ في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسطٍ لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقةٍ عليه ولا انحلال»[1]. فالاقتصاد والتوسط أمر مرغوب فيه، كما أن الإسراف والتبذير أمر مرغوب عنه، وقد ورد حديث المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابن آدم أكلاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فإِنْ كان لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعامه، وثلُثٌ لِشَرَابه، وثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[2]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «كُلْ مَا شِئْتَ، والْبَسْ ما شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَتَان: سَرَفٌ أَوْ مخَيلَةٌ»[3]. فالإنسان مطالب بالتزام تدبير أمور معيشته على طريقة العقلاء، لا على طريقة السفهاء، يقول ابن الجوزي رحمه الله: «العاقل يدبر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيرا اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليما من مِنن الناس، عزيزا بينهم، وإن كان غنيا فينبغي له أن يدبر في نفقته خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق...»[4].

ويكفي أن الاقتصاد في العيش سيوفر لنا احتياجات شعوب أخرى، أو على الأقل احتياجات مجتمع معين، فبقايا طعام وشراب ولباس دولة ما قد يكون مصدر حياة لدولة أخرى، ولهذا جاءت النصوص الناهية عن الإسراف، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[5]. ويقول النبي ﷺ: «كُلُوا وَتَصَدَّقُوا والْبَسُوا في غَيْرِ إِسْرَافٍ ولَا مَخِيلَةٍ»[6]. فما ضاعت حقوق مجتمعات إلا بتفريط

1- الشاطبي، الموافقات (2/163).

2- أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (17186)، والترمذي في سننه، أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية الأكل (ص732) حديث رقم (2380)، وابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (ص766) حديث رقم (3349). قال الترمذي في سننه: «حديث حسن غريب».

3- أخرجه البخاري في صحيحه تعليقا مجزوما به، كتاب اللباس، باب قول الله تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ (4/85).

4- ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د. ط. ت، (ص485).

5- سورة الأعراف، الآية: 31.

6- أخرجه النسائي في السنن الصغرى دار الفكر، د. ط، 1415هـ، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (5/79) حديث رقم (2555)، وابن ماجه في سننه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطاك سرف أو مخيلة (ص819) حديث رقم (3605). وعلقه البخاري في صحيحه بصيغة الجزم (4/85).

من مجتمعات أخرى، ولهذا ينبغي التنبه لهذا الأمر.

الفرع الثاني: العمل اللائق ونمو الاقتصاد: مما يسهم في بناء الإنسان تشجيعه لأن يكون له عمل يليق به، حتى يكون له أثر قوي في بناء اقتصاد مجتمعه، وهذا من الأسس التي تروم التنمية المستدامة تحقيقها، وإذا نظرنا إلى ديننا الحنيف وجدناه هو الآخر كان سباقا للدعوة للعمل والحرص على تطويره ونموه، ولهذا جاءت نصوص كثيرة من الكتاب والسنة تدعو إلى العمل اللائق الذي يكون محورًا أساسيًا في نمو الاقتصاد، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ ١٠ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِ﴾ [1]. قال الإمام القرطبي: «في هذه الآية دليل على تعلم أهل الفضل الصنائع، وأن التحرف بها لا ينقص من مناصبهم، بل زيادة في فضلهم وفضائلهم، إذ يحصل لهم التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم، وكسب الحلال الخلي عن الامتنان»[2].

وقد كان النبي ﷺ خير قدوة لأصحابه، ففي بدايات حياته اشتغل على رعي الغنم لأهل مكة، ، ثم تاجر في مال خديجة ﵂، فكان خير مؤتسًا به في ذلك، كما علم أصحابه صنوف البيع والتجارة لتكون لهم عفة عما في أيدي الناس، فعن أنس بن مالك ﵁ أن رسول الله ﷺ باع حلسًا وقدحًا. وقال: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْحِلْسَ وَالْقَدَحَ؟» فقال رجل: أخذتهما بدرهم. فقال النبي ﷺ: «مَنْ يَزِيد على دِرْهَم؟ مَنْ يَزِيد على دِرْهَم؟» فأعطاه رجل درهمين فباعهما منه[3]. ومر النبي ﷺ بغلام يسلخ شاة، فقال له رسول الله ﷺ: «تَنَحَّ حَتَّى أُرِيك» فأدخل يده بين الجلد واللحم فدحس بها حتى توارت إلى الإبط...الحديث[4]. وذكر ابن حجر في الإصابة في ترجمة «سعد بن عائذ» ﵁ أنه اشتكى إلى النبي ﷺ قلة ذات يده فأمره بالتجارة، فخرج إلى السوق فاشترى شيئا من قرظ فباعه فربح فيه، فذكر ذلك للنبي ﷺ فأمره بلزوم ذلك[5]. وهكذا كان عليه الصلاة والسلام يوجه أصحابه من أجل بناء

1- سورة سبأ، الآية: 11.

2- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (8/233).

3- أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب كم يعطى الرجل الواحد من الزكاة (2/41) حديث رقم (1641)، والترمذي في سننه، كتاب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد (ص411) حديث رقم (1218)، واللفظ له. والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الترمذي في سننه: «حديث حسن».

4- أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس اللحم النيء وغسله (1/80) حديث رقم (185)، وابن حبان في الصحيح، دار الفكر، ط1، 1417هـ، كتاب الطهارة، ذكر البيان بأن مسح المرء اللحم النيء لا يوجب عليه وضوءًا (2/186) حديث رقم (1160) والحديث صححه ابن حبان.

5- ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، دار العلوم الحديثة، ط1، 1328هـ، (2/29).

أنفسهم اقتصاديا حتى لا يكونوا عالة على المجتمع.

الفرع الثالث: مواجهة التحديات الاقتصادية: لا شك أن هناك تحديات تعترض الإنسان في حياته عموما اقتصادية على وجه الخصوص، ولذلك فإن بناء الإنسان يستلزم انطلاقا من بنود التنمية البشرية والتأصيل النبوي أن يكون على قدر المسؤولية في مواجهة كل ما يحدق به، وذلك ليضمن لنفسه استقرارا ماديا يستطيع بواسطته أن يتغلب على نوائب الدهر، ولهذا لما جاء رجل إلى النبي ﷺ يشتكي له قلة ذات يده أرشده للتجارة[1]، فهذا التوجيه النبوي كان سببا في مواجهة تحدي قلة ذات اليد، مع أنه عليه الصلاة والسلام كان بإمكانه أن يعطيه شيئا من الصدقات لقضاء حوائجه، ولكنه ما فعل ذلك لأنه لا يريد أناسا متواكلين، وإنما وجهه لباب من أبواب المواجهة لطلب الرزق حتى يعيش بكرامة وهناء. ونفس الأمر وقع لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه في ذلكم الحديث الذي رواه البخاري صحيحه: لما قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة آخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له: هلم أقاسمك مالي نصفين، ولي امرأتان فأطلق إحداهما، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق[2]. فكانت عبارته هذه كالقاعدة والقانون لكل من أراد أن يحسن من مستواه الاجتماعي والاقتصادي، حتى يعيش المرء بكرامة وهيبة ووقار.

الفرع الرابع: عقد الشراكات: من صور بناء الإنسان أن يعقد شراكات مع غيره حتى يسود التعاون والتآزر بين الشركاء، وهذا ما أولته التنمية المستدامة عناية فائقة وأدرجته ضمن أهدافها الكبرى، أما في الفقه الإسلامي فإن هذا النوع من المعاملات كان له نصيبا مفروضا، وما المعاملات التي تأتي مفرداتها بصيغة المشاركة علينا ببعيد، وذلك مثل المضاربة والمزارعة والمساقاة وغيرها من المعاملات التي تقتضي التشارك بين فردين أو أفراد متعددين، وقد عامل النبي ﷺ أهل خيبر بشطر ما تخرج الأرض[3]. فالشراكات إذن تؤسس لتكوين رؤوس الأموال وتحسين نصيب الفرد من الدخل، وتوفير فرص الشغل

1- المصدر السابق (2/29).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ 2/111)) حديث رقم (2049)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب الصداق وجواز كونه تعليم قرآن (ص518) حديث رقم (1427).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحرث والمزارعة، باب المزارعة بالشطر (2/220) حديث رقم (2328)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع (ص586) حديث رقم (1551).

للعاطلين عن العمل، وتحسين مستوى معيشة الأفراد والمجتمعات، وتحقيق الاستقلال الاقتصادي ليكون للدولة هيبة أمام غيرها من الدول التي تتمتع باقتصاد مستدام. وعليه فالشراكات عموما لها أثر بالغ في تحقيق مستقبل مستدام وشمولي ومتنام.

الفرع الخامس: الصناعة والابتكار: من الأسس الكبرى للتنمية المستدامة والتي لها أثر في بناء الإنسان تعلم الصناعات وتقوية أسس الابتكار، وما ذلك إلا من أجل بناء تقدم اقتصادي حضاري مستدام، وقد كان النبي ﷺ القدوة الحسنة في بناء الإنسان الصانع الذي يعتمد على نفسه من أجل تحقيق كفايته أولا ثم كفاية مجتمعه، فعن عروة قال: قلت لعائشة: «يَا أُمَّ المؤمِنين، أَيّ شَيْءٍ كَانَ يَصْنعُ رسول الله ﷺ إِذَا كان عِنْدَك؟ قالتْ: مَا يَفْعَلُ أَحَدُكُمْ فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ، يَخْصِفُ نَعْلَه، وَيَخِيطُ ثَوْبَه، وَيُرَقِّعُ دَلْوَهُ»[1] كما رغب النبي ﷺ في الصناعة لما سئل عن أفضل الأعمال ذكر منها: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَع لِأَخْرَقَ»[2]. ومن تشجيع النبي ﷺ على الصناعة خاصة السلاح قوله في حديث عقبة بن عامر ﷺ: «إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُدْخِل بالسَّهْم الواحدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الجنَّة: صَانِعَه يَحْتَسِبُ في صَنْعَتِه الخيْر، والرَّامِي بِهِ، وَمُنْبِلهُ»[3]. وقد امتثل الصحابة رضوان الله عليهم فظهرت فيهم حرف ومهن متعددة، وهذا لم يكن حكرا على الرجال فقط، بل إن النساء كذلك شاركن في الصناعة، فهذه أسماء بنت عميس (رضي الله عنها) دبغت أربعين رطلا من الجلود في بيتها[4]، وكانت أم المؤمنين زينب بنت جحش (رضي الله عنها) امرأة صناع اليدين، فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به في سبيل

1- أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الحظر والإباحة، ذكر ما يستحب للمرء أن لا يأنف من العمل المستحقر في بيته بنفسه وإن كان عظيما في أعين البشر (5/353) حديث رقم (6586) وأصله في صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج، حديث رقم (676) بلفظ: «كان يكون في مهنة أهله-تعني خدمة أهله- فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة».

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل (1/311) حديث رقم (2518)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله أفضل الأعمال (ص52) حديث رقم (84).

3- أخرجه أبو داود، كتاب الجهاد، باب في الرمي (2/349) حديث رقم (2513)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الرمي في سبيل الله (ص539) حديث رقم (1637)، والنسائي في السنن الصغرى، كتاب الجهاد، باب ثواب من رمى بسهم في سبيل الله (6/29) حديث رقم (3143) قال الترمذي في سننه: «حديث حسن صحيح».

4- نور الدين الهيثمي، غاية المقصد في زوائد المسند، المحقق/ خلاف محمد عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ، (3/52)، ابن كثير، البداية والنهاية، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1348هـ، (6/439).

الله[1]، وجاءت امرأة ببردة إلى النبي ﷺ وقالت: إني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها[2].

وقد ذكر الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه مجموعة من الأبوات في كتاب البيوع تتضمن مهنا وصناعات في عهد النبي ﷺ مثل: اللحام والجزار، والصواغ والحداد والخياط والنساج والنجار والحجام والعطار وبائع المسك، وغيرها مما كان على عهده ﷺ.

الفرع السادس: العدل في المعاملات: العدل مقصد شرعي في كل شيء، ويزداد تأكده في المعاملات المالية؛ لأن كل معاملة تضمنت جورا فإن الله تعالى لا يبارك فيها ويمحق بركتها، قال ابن القيم رحمه الله: «الشريعة مبناها وأساسها على الحِكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها؛ فكل مسألة خرجت من العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث، فليس من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل»[3]. وقال ابن تيمية: «المعاملات من البياعات والإجارات والوكالات والمشاركات والهبات والوقوف والوصايا، ونحو ذلك من المعاملات المتعلقة بالعقود والقبوض، فإن العدل فيها هو قوام العالمين، لا تصلح الدنيا والآخرة إلا به»[4]. فالعدل أساس في استدامة الحضارة، ولهذا نهى النبي ﷺ عن كل ما يخرج المعاملات من العدل إلى الجور، ومن الرحمة إلى الشقاء، مثل: الربا والرشوة والغش والاحتكار والغرر، كل ذلك من أجل ضبط حياة الناس والسمو بعلاقاتهم والارتقاء بسلوكياتهم حتى يسود الإخاء والتفاهم والثقة بين أفراد المجتمع.

المطلب الثاني: أثر التنمية الذاتية والاجتماعية في بناء الإنسان

مما يميز بنود التنمية المستدامة شموليتها لكل ما يخدم الإنسانية جمعاء، وتزداد تميزا إذا تم تسييجها بسياج شرعي يضبط أسسها، ويصحح مسارها؛ ولهذا فإسهامها في بناء الإنسان جلي خاصة في الجوانب الثلاثة التي تقدم الحديث عنها، وفي هذا المطلب سيكون أثرها من -الناحية الاجتماعية- في بناء الإنسان، وذلك حسب الفروع التالية:

1- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (4/314).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ذكر النساج (2/128) حديث رقم (2093).

3- ابن القيم، إعلام الموقعين، المحقق/عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ط. ت، (1/292).

4- ابن تيمية، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، المحقق/ علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، ط4، 1440هـ، (ص225).

الفرع الأول: بناء الذات والنفس: لا يمكن الحديث عن بناء الإنسان دون الحديث عن بناء النفس والذات؛ فهو مطالب بالحفاظ على نفسه ونفس غيره، ولهذا وردت النصوص الكثيرة التي تنهى عن كل ما يخرج الإنسان عن حد الاعتدال والاستقامة إلى ضدهما؛ كتناول المخدرات والمسكرات وغيرها مما يؤثر في سلامته النفسية والعقلية، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [1]. وفي الحديث يقول النبي ﷺ: «كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ»[2]. كما جاء الترهيب من أن يتسبب الإنسان في قتل نفسه كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[3]، ويشبه هذه الآية في معناها حديث النبي ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفسَه بِحَديدَةٍ، فَحَدِيدَتُهُ في يده، يَتَوجَّأُ بِهَا في بَطْنِه في نَارِ جَهَنَّم خالدًا مُخَلَّدًا فيها أبَدًا، ومَنْ شَرِبَ سُمًّا فَقَتَلَ نفسه، فَهُو يَتَحَسَّاه في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أَبَدًا، ومن تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه، فهو يَتَرَدَّى في نار جهنم خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا»[4]، كما نهت الشريعة أيضا عن التعدي على الغير كقتله أو ضربه، ولهذا جعل الله تبارك وتعالى من قتل نفسا بغير حق فكأنما قتل الناس جميعا، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا. ويقول النبي ﷺ: «كُلُّ المسلِمِ على المسلم حَرَامٌ: دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُه»[5]، وذكر النبي ﷺ أن «أَوَّل ما يُقْضَى بيْن النَّاسِ يوم القيامة في الدِّمَاء»[6]، وكان قتل النفس ثاني السبع الموبقات ففي الحديث: «اجْتَنِبُوا السَّبْع المُوبِقَات»، وذكر منها: «قَتْل النَّفس التي حَرَّم الله إلا بالحق»[7]. وقال في حق أهل الذمة:

1- سورة المائدة، الآية (90).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن قبل حجة الوداع، (3/255) حديث رقم (4343)، ومسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب بيان أن كل مسكر خمر وأن كل خمر حرام (ص669) حديث رقم (1733).

3- سورة النساء، الآيتان (29-30).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب شرب السم والدواء به وبما يخاف منه (4/83) حديث رقم (5778)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب تحريم قتل الإنسان نفسه (ص60) حديث رقم (109).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، تحريم ظلم المسلم في صحيحه (ص968) حديث رقم (2564).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة (4/322) حديث رقم (6533)، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب المجازاة بالدماء في الآخرة (ص644) حديث رقم (1678).

7- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ (2/415) حديث رقم (2766)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (ص54) حديث رقم (89).

«مَنْ قتل مُعَاهَدًا لمْ يَرَحْ رائِحَةَ الجنَّة وإنَّ رِيحَهَا تُوجَد مِن مسيرة أربعين عامًا»[1]. والمراد بالمعاهد من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم[2]، وقد اعتبر الإمام الذهبي قتل المعاهدين من الكبائر[3]، ولذا فمن أعطاهم الأمان منا من رجل أو امرأة أو عبد جاز أمانه، وجملته أن الأمان إذا أعطي أهل الحرب حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم، ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار ذكر أو أنثى، حرا كان أو عبدا، وبهذا قال الثوري والأوزاعي والشافعي وإسحاق وابن القاسم وأكثر أهل العلم[4].

الفرع الثاني: البناء العقلي والفكري: من أسس بناء الإنسان بناؤه عقليا وفكريا؛ لأن قاطرة التقدم والازدهار التي تنشده المجتمعات لابد أن يكون مؤسسا على تحقيق العلم بشتى أنواعه، ولهذا كان من بنود التنمية المستدامة ضمان التعليم الجيد المنصف والشامل للجميع وتعزيز فرص التعلم خاصة في المناطق النائية وفي المجتمعات الفقيرة التي لا تجد له سبيلا بسبب الفقر والأزمات والحروب التي تعيشها هذه الشعوب، وعموما فبدون علم لا يمكن الحديث عن أي حضارة ولا تقدم علمي ولا معرفي، فهو الوسيلة الفاعلة لتحقيق مقاصد ثلاثة يحرص المجتمع عليها، وهي: توجيه التفكير، وإصلاح العمل، وإيجاد الوازع النفسي[5]؛ ولهذا كان النبي ﷺ يرغب في تحقيق هذا المطلب حتى أدرجه ضمن الفروض، حيث قال عليه الصلاة والسلام: «طَلَبُ العِلْم فَرِيضةٌ علَى كُلِّ مُسلِمٍ»[6]، فالإنسان مطالب بأن يفتح نوافذ على عقله وفكره، ولا يتم ذلك إلا بإدمان القراءة في شتى المجالات العلمية والأدبية والثقافية، أضف إلى ذلك فتح المدارس والكليات والمعاهد في

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم (2/574) حديث رقم (3166).

2- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري (12/270).

3- الذهبي، الكبائر دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ط. ت، (ص14).

4- ابن قدامة، المغني، المحقق/طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد، وعبد القادر عطا، ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط1، 1388ه، 1389ه، (9/196).

5- ينظر: الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر، ط1، 1426ه، (ص91).

6- أخرجه ابن ماجه في سننه باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (ص73) حديث رقم (224) والحديث حسنه بعض الأئمة. قال الزركشي في اللآلئ المنثورة (ص43): قال المزي: «روي من طرق تبلغ الحسن»، ووافقه الزركشي، وحسنه السيوطي في الدرر المنتثرة، المحقق/محمد لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1415ه، (ص137)، والمناوي في اليواقيت والدرر (ص1/152).

شتى التخصصات من أجل تكوين أجيال من العلماء الذين يكون لهم أثرهم البارز في بناء حضارة وتقدم بلدانهم، مع توجيههم على الاحتراز من العلوم التي لا يرجى نفعها لا لأنفسهم ولا لمجتمعاتهم، بل قد يكون ضررها مؤثر سلبا عليهم. ولهذا كان النبي ﷺ يستعيذ بالله من العلم الذي لا يرجى من ورائه نفع، فكان يقول: «اللَّهم إِنِّي أَعُوذُ بكَ مِن عِلْم لا يَنْفع، وعَمَلٍ لَا يُرفَع وقَلْبٍ لَا يَخْشَعْ، وقولٍ لَا يُسْمَع»[1].

الفرع الثالث: البناء الانتمائي: لا يمكن للإنسان أن يعيش بمعزل عن محيطه الذي هو فيه، والإنسان في حد ذاته مدني بطبعه، يرتبط أيما ارتباط بغيره من بني جنسه، ولهذا فإن النصوص التي تؤسس للترابط بين أفراد المجتمع كثيرة، منها حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَثَلُ المؤْمِنِين في تَرَاحِمِهِم وتَوَادِّهم وتَعَاُطِفِهِم كَمَثَلِ الجسَدِ، إذا اشْتَكَى مِنْه عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سائِرُ جسَدِهِ بالسَّهَر والحمَّى»[2]. ويؤكد هذا المعنى ما جاء في قول النبي ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يَظْلِمه ولا يُسلِمه، ومن كان في حَاجَةِ أَخِيه كان الله ﷻ في حاجته، ومَنْ فرَّج عن مُؤمن كُرْبةً فرَّج الله عنه بها كُرْبة من كُرَب يوم القيامة، ومن سَتَرَ مُسْلما سَتَرَه الله يوم القيامة»[3]. فكلما أحس الإنسان بهذا الارتباط الوثيق بينه وبين مجتمعه أسهم ذلك في تعزيز ما يمكن تعزيزه من البذل والعطاء والمساعدة من أجل النهوض بالمحيط الذي يعيش فيه، ولهذا فكل بنود التنمية المستدامة لا يمكن تحقيقها إلا بوجود هذا الارتباط بين الفرد وجماعته مع الاعتزاز بهذا الترابط والحرص على تماسكه ونبذ كل ما يمكن أن يفضي إلى تفككه وتشرذمه.

الفرع الرابع: البناء الأخلاقي: من أسس البناء أن يبنى الإنسان أخلاقيا، ومن مقتضيات هذا البناء أن يحب لغيره ما يحبه لنفسه، وأن يتحلى بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم؛ لأنها سبب في نشر المحبة والإخاء بين أفراد المجتمع، وهذا ما سينعكس على تحقيق مجموعة

1- أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم (13673) وابن حبان في الصحيح، كتاب العلم، ذكر ما يستحب للمرء أن يقرن إلى ما ذكرنا في التعوذ منها أشياء معلومة (1/108) حديث رقم (83). والحديث صححه ابن حبان.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (4/148) حديث رقم (6011)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (ص974) حديث رقم (2586).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (2/264) حديث رقم (2442)، ومسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (ص972) حديث رقم (2580).

كبيرة من أهداف التنمية المستدامة، في مقابل ذلك يستلزم هذا البناء الابتعاد عن كل الأخلاق الفاسدة كالحسد والبغضاء وغيرهما من الأمراض التي تنشر الكراهية بين أفراد المجتمع، وقد تنبأ النبي ﷺ لهذا المرض مع التحذير منه فقال: «دَبَّ إليكم دَاءُ الأُمَمِ قبلكم: الحسدُ والبغْضَاءُ، والبَغْضاءُ هي الحَالِقَة، لا أقول تَحْلِق الشَّعر ولكِنْ تَحْلِق الدِّين، والذي نفسي بيده أو والذي نفس محمد بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تَحَابُّوا، أفلا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم؟ افشوا السلام بينكم»[1].

ومما يندرج ضمن بناء الإنسان الحد من أوجه عدم المساواة، وهذا الذي كان يؤسسه النبي ﷺ في الأمة، فالجميع عنده سواسية إلا بتقوى الله، ولهذا لما عير أبو ذر رضي الله عنه رجلا بأمه قال له النبي ﷺ: «يا أبا ذر أعيرته بأمه؟ إنك امرؤ فيك جاهلية، إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم»[2].

الفرع الخامس: البناء الأمني: لا يمكن الحديث عن بناء الإنسان دون أن تكون بيئته آمنة مطمئنة، سواء في محيطه القريب أم البعيد، وقد بين النبي ﷺ أهمية الأمن في حياة الإنسان حينما قال: «من أصبح منكم آمِنًا في سِرْبِه، مُعَافىً في بَدَنِه، عِنْدَه قُوتُ يَوْمِه، فكأنما حِيزَتْ له الدنيا»[3]، ولضمان الأمن القريب يقول النبي ﷺ: «لاَ يَدْخلُ الجنَّة من لاَ يَأْمَن جَارُهُ بَوَائِقَه»[4].

1- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، باب ما جاء في ذات البين (ص758) حديث رقم (2510) واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب لا يدخل الجنة إلا المؤمنون (ص45) حديث رقم (54)، وأبو داود، كتاب الأدب، باب في إفضاء السلام (4/389) حديث رقم (5193).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية (1/31) حديث رقم (30)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس (ص633) حديث رقم (1661).

3- أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب (ص716) حديث رقم (2346)، وابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب القناعة، (ص646) حديث رقم (4141) وحسنه الترمذي في سننه.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب إثم من لا يأمن جاره بوائقه (4/149) حديث رقم (6016)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان تحريم إيذاء الجار (ص43) حديث رقم (46).

المطلب الثالث: أثر التنمية البيئية في بناء الإنسان

تعتبر البيئة بالنسبة للإنسان الوسط الذي يعيش فيه، والذي يحتوي على التربة والماء والهواء، وما يتضمنه كل عنصر من هذه العناصر من مكونات بعضها جماد، وبعضها تنبض به الحياة. وعليه فلا حياة للإنسان دون تنمية بيئية تساعده على العيش بطمأنينة وسلام، والتنمية البيئية تتعلق بالحفاظ على الموارد المادية والنهوض بها، وتحقيق الرفاهية الاقتصادية للأجيال الحاضرة والقادمة مع الحفاظ على البيئة وحمايتها من التلوث، وتمكينها من توفير مستوى معيشي يتحسن باستمرار مع مرور الزمن[1].

وقد حرصت التنمية البيئية المؤصلة من السنة النبوية على بناء الإنسان ليكون محافظا على بيئته، من ذلك ما يلي:

الفرع الأول: المسؤولية في المحافظة على المياه: الماء قوام الحياة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [2]، «اختلف المفسرون، فقال بعضهم: المراد من قوله: «كل شيء حي» الحيوان فقط، وقال آخرون: بل يدخل فيه النبات والشجر؛ لأنه من الماء صار ناميا وصار فيه الرطوبة والخضرة والنور والثمر، وهذا القول أليق بالمعنى المقصود»[3]. ويؤيد هذا المعنى حديث أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله: إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرت عيني، فأنبئني عن كل شيء، قال: «كُلُّ شَيءٍ خلق الله ﷻ من الماء»[4]. وبين الإمام ابن القيم فائدة الماء بكلام نفيس حيث قال: «الماء مادة الحياة، وسيد الشراب، وأحد أركان العالم، بل ركنه الأصلي، فإن السماوات خلقت من بخاره، والأرض من زبده، وقد جعل الله منه كل شيء حي»[5]. ونظرا لما يعرفه العالم من نقص حاد في عنصر الماء كان من الضروري بناء إنسان متفهم ومسؤول يقوم ترشيد الماء حتى لا يحرم منه شعوب ومجتمعات أخرى. وقد بين النبي ﷺ أن من أنواع الاعتداء الإسراف

1- حسين درويش العشري، التنمية الاقتصادية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط، 1979م، (ص63).

2- سورة الأنبياء، الآية: 30.

3- الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، (22/156).

4- أخرجه أحمد في المسند، مسند أبي هريرة ﷺ، حديث رقم (8302). وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (5/16) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح خلا أبي ميمونة وهو ثقة».

5- ابن القيم، زاد المعاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1417هـ، (4/356).

في الماء، حيث قال: «إِنَّهُ سَيَكُون في هَذِه الأُمَّة قوْمٌ يَعْتَدُون في الطهور والدعاء»[1]. قال علي القاري: «والاعتداء في الطهور استعماله فوق الحاجة، والمبالغة في تحري طهوريته حتى يفضي إلى الوساوس»[2]؛ ففي هذا الحديث وما ورد في معناه تربية نبوية تجعل الإنسان يراعي هذه النعمة التي يفتقدها الكثير من الشعوب، فليتذكر الإنسان ذلك في حياته.

الفرع الثاني: المحافظة على الغطاء النباتي: هذا أحد المطالب الكونية التي يشترك فيها الجميع، وهو أيضا مما نصت عليه بعض بنود التنمية المستدامة، وهو ما يستلزم بناء إنسان مسؤول عن هذا الغطاء النباتي الذي هو قوام حياته، وقد بين النبي ﷺ أن من بين ما يحافظ على البيئة إعمار الأرض بالغرس والزرع، ففي الحديث يقول النبي ﷺ: «إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا تقوم حتى يغرسها فليغرسها»[3]. ولهذا جاء الترغيب من المزارعة والمساقاة وغيرها من العقود التي تكون سببا في توسيع دائرة الغطاء النباتي باعتباره قاعدة أساسية في الهرم الغذائي لكافة الكائنات الحية. وفي الوقت ذاته نهى النبي ﷺ عن قطع الأشجار بدون موجب، ففي سنن أبي داود يقول النبي ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللهُ رَأْسَه في النار»[4]. وقد حمله أبو داود رحمه الله على السدر الذي يكون بالفلاة يستظل به الناس، قال: «يعني من قطع سدرة في فلاة يستظل بها ابن السبيل والبهائم عبثا وظلما بغير حق يكون له فيها صوب الله رأسه في النار»[5].

الفرع الثالث: المحافظة على الثروة الحيوانية: فالإنسان ملزم بأن لا يقتل حيوانا بدون موجب، ولا يعذبه أو يعتدي عليه، وقد ورد الترهيب من النبي ﷺ حيث قال: «مَا مِن إِنْسَانٍ قتل عُصْفورًا فما فوقها بغير حَقِّها إلا سأله الله ﷻ عنها. قيل: يا رسول الله، وما حَقُّهَا؟ قال: يَذْبَحُها فَيَأْكُلها، ولا يَقْطع رَأْسَها يرمي بها»[6]. كما ورد النهي عن أن يحبس

1- أخرجه أبو داود، كتاب الطهارة، باب الإسراف في الماء (1/24) حديث رقم (96)، وابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب كراهية الاعتداء في الدعاء (2/1271) حديث رقم (3864)، والحديث صححه ابن حجر في التلخيص الحبير، دار الكتب العلمية، ط1، 1418هـ، (1/387).

2- علي القاري، مرقاة المفاتيح، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ، (2/416-417).

3- تقدم تخريجه.

4- أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب في قطع السدر (4/401) حديث رقم (5239)، والطبراني في المعجم الأوسط (3/219) حديث رقم (2462). والحديث سكت عنه أبو داود.

5- أبو داود، السنن (4/403).

6- أخرجه النسائي في السنن الصغرى، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة أكل العصافير، 7/219) حديث رقم (4355)، والحاكم في المستدرك، كتاب الذبائح (5/159) حديث رقم (7736). قال الحاكم: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

الحيوان أو ينصب ليرمى بسهم ونحوه، فعن سعيد بن جبير قال: كنت عند ابن عمر فمروا بفتية أو بنفر نصبوا دجاجة يرمونها، فلما رأوا ابن عمر تفرقوا عنها، وقال ابن عمر: من فعل هذا؟ إن النبي ﷺ لعن من فعل هذا[1]. وفي صحيح مسلم من حديث أنس ﷺ قال: «نهى رسول الله ﷺ أن تُصْبَر البَهائِم»[2]. وفي حديث ابن عباس مرفوعا: «لاَ تَتَّخِذُوا شَيئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا»[3]. قال العلماء: صبر البهائم أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى «لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا» أي لا تتخذوا الحيوان الحي غرضا ترمون إليه كالغرض من الجلود وغيرها، وهذا النهي للتحريم... ولأنه تعذيب للحيوان وإتلاف لنفسه، وتضييع لماليته، وتفويت لذكاته إن كان مذكى، ولمنفعته إن لم يكن مُذكىً»[4].

الفرع الرابع: المسؤولية في المحافظة على البيئة: حث النبي ﷺ على نظافة المنازل والأفنية والطرقات وغيرها، وجعل إماطة الأذى عن الطريق أحد شعب الإيمان[5]، وجاء في حديث أبي هريرة مرفوعا: «وَتُمِيط الأَذَى عن الطرِيق صَدَقة»[6]. المراد بإماطة الأذى إزالة ما يؤذي المارة من حجر أو شوك، وكذا قطع الأحجار من الأماكن الوعرة كما يفعل في طريق، وكذا كنس الطريق من التراب الذي يتأذى منه المار، وردم ما فيه من حفرة أو وهدة وقطع شجرة تكون في الطريق، وفي معناه توسيع الطرق التي تضيق على المارة وإقامة من يبيع أو يشتري في وسط الطرق العامة[7].

ففي ما تقدم تحفيز على مراعاة مسؤولية كل فرد من أفراد المجتمع تجاه البيئة التي يعيش فيها، وهو ما يستوجب عليه أخذ هذا الأمر بعين الاعتبار. ومن الأدلة في هذا الباب

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة (3/756) حديث رقم (5515)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح، باب النهي عن صبر البهائم (ص756) حديث رقم (1958).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الذبائح والصيد، باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة (3/756) حديث رقم (5513)، ومسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم (ص755) حديث رقم (1956).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم، (ص755) حديث رقم (1957).

4- النووي، شرح صحيح مسلم (5/93).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان (ص46) حديث رقم (35).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بركاب ونحوه (4/56) حديث رقم (2989).

7- العراقي، طرح التثريب، مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، ط3، 1420ه، (2/503).

حديث أبي هريرة ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريق وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له، فغفر له»[1]. ففي الحديث فضل إماطة الأذى عن الطريق، وهو كل مؤذ، وهذه الإماطة أدنى شعب الإيمان[2]. وقال الأمير الصنعاني: «فيه أن قليل الخير يحصل به كثير الأجر، والحديث على الإحسان إلى العباد وإزالة ما يؤذي، والإعانة على نفعهم»[3].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب فضل التهجير إلى الظهر (1/132) حديث رقم (452).
2- النووي، شرح صحيح مسلم(13/62).
3- الصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير (7/438).

خاتمة

بعد هذه الجولة القصيرة بين الأحاديث النبوية الشريفة يمكن استخلاص النتائج الآتية:

- بنود التنمية المستدامة لها أصولها وجذورها في صحيح السنة النبوية إلا أنها بحاجة إلى إبرازها وتوظيفها لتكون منهجا متكاملا في بناء الإنسان.
- التنمية المستدامة ليست مجرد وسيلة لتحقيق تقدم اقتصادي أو اجتماعي أو بيئي بقدر ما هي رؤية شاملة تضع الإنسان في صميم اهتماماتها من أجل تحقيق توازن بين احتياجات الحاضر ومتطلبات المستقبل.
- بناء الإنسان هو الركيزة الأساس لنجاح التنمية المستدامة بتأصيلها النبوي.
- السنة النبوية قدمت منهجا متكاملا لبناء الإنسان من جميع جوانب حياته.
- التقيد ببنود التنمية المستدامة المؤصلة بالسنة النبوية يسهم في تحقيق وبلورة تنمية مستدامة شاملة واعدة تلبي احتياجات البشر في الوقت الحالي دون المساس بقدرة الأجيال القادمة.

توصيات:

بعد هذه الجولة في رحال التنمية المستدامة المؤصلة في السنة النبوية والهادفة إلى بناء إنسان واع يعرف دوره بين أفراد مجتمعه يمكن استخلاص التوصيات الآتية:

- لتحقيق أهداف التنمية المستدامة يتعين على المجتمعات والحكومات والمؤسسات الدولية تعزيز هذه الأهداف وتطبيقها على أرض الواقع لا أن تبقى حبيسة الأبحاث والندوات والمؤتمرات الوطنية أو الدولية.
- عقد مزيد من الندوات واللقاءات التي تهدف إلى توعية هذا الجيل ببنود التنمية المستدامة وكيف يبنى الإنسان انطلاقا من بنودها دون إغفال دور السنة النبوية في ذلك.
- تحفيز الباحثين خاصة في علم الاجتماع للقيام بدراسات ميدانية متواصلة خاصة في المناطق النائية.

- رفع مستوى الوعي عن طريق استخدام وسائل التواصل المتوفرة لتحسيس المواطنين بالقضايا التي تهم مجتمعاتهم من أجل بناء الإنسان.
- العمل على إيجاد قيم ومبادئ وأفكار تنموية من السنة النبوية والتمسك بها قدر المستطاع وتعليمها للأجيال اللاحقة.
- إدراج التنمية المستدامة في علاقتها ببناء الإنسان في كافة التخصصات الجامعية نظرا للاتباط الوثيق بينها وبين المجال الاجتماعي والاقتصادي والبيئي.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان، علاء الدين علي بلبان الفارسي، دار الفكر، ط1، 1417هـ.
- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، المحقق/ محمد علي البجاوي، دار الجيل بيروت، د. ط. ت.
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ.
- الأدب المفرد، الإمام البخاري، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1379هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار العلوم الحديثة، ط1، 1328هـ.
- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1، 1426هـ، 2005م.
- اعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيم الجوزية، المحقق/ عبد الرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د. ط. ت.
- البداية والنهاية، أبو الفداء ابن كثير، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1، 1348هـ.
- بناء الإنسان في القرآن والسنة، عبد السلام محمد الأحمر، مقال منشور بموقع مركز الأمانة للأبحاث والدراسات العلمية.
- بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، ط3، 1418هـ، 1998م.
- الترغيب والترهيب، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي المنذري، ضبطه وخرج أحاديثه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1417هـ.
- تقريب التهذيب، الحافظ ابن حجر العسقلاني، تحقيق وتعليق/ عبد الوهاب عبد اللطيف، دار المعرفة بيروت لبنان، ط2، 1395هـ، 1975م.

- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، ط1، 1419هـ.
- التنمية الاقتصادية، حسين درويش العشري، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د. ط. ت، 1979م.
- التنمية المستدامة بين المنظور الوضعي والرؤية الإسلامية، كريمة ابن صالحة وآخرون، أعمال المؤتمر العلمي الدولي، الوقف الإسلامي والتنمية المستدامة، عمان، الأردن، مارس 2017م.
- التنمية المستدامة: مفهومها، أبعادها، مؤشراتها، مدحت أبو النصر، ياسين مدحت محمد، المجموعة العربية للتدريب والنشر، 2017م.
- التنمية في الإسلام مفاهيم ومناهج وتطبيقات، إبراهيم العسل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 1416هـ.
- التنوير شرح الجامع الصغير، الأمير الصنعاني، المحقق/ محمد إسحاق محمد إبراهيم، مكتبة السلام، الرياض، ط1، 1432هـ.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي بيروت. ط1، 2001هـ.
- توجيه النظر إلى أصول الأثر، طاهر بن صالح الجزائري، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط1، 1416هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، الإمام القرطبي، المحقق/ محمد بيومي وعبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان مصر. د. ط. ت.
- الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، جلال الدين السيوطي، المحقق/ الدكتور محمد لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1415هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة بيروت، ط1، 1417هـ.
- سبل السلام شرح بلوغ المرام، الأمير الصنعاني، جمعية إحياء التراث الإسلامي، ط1، 1418هـ.

- سنن ابن ماجه، ابن ماجه القزويني، دار الفكر، ط1، 1421هـ.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث، دار الفكر، 1414هـ.
- سنن الترمذي، الإمام محمد بن عيسى الترمذي، المكتبة العصرية، ط1، 1426هـ.
- السنن الكبرى، البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1424هـ.
- سنن النسائي الصغرى، الإمام النسائي، دار الفكر، 1415هـ.
- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية، المحقق/ علي بن محمد العمران، دار عطاءات العلم، الرياض، دار ابن حزم، بيروت، ط4، 1440هـ.
- السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة الكتب الثقافية، ط1، 1427هـ.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط3، 1423هـ.
- شرح صحيح مسلم، الإمام النووي، المكتبة العصرية بيروت، ط1، 1422هـ.
- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، دار المعرفة، ط1، 1426هـ.
- صحيح البخاري، الإمام البخاري، دار الحديث القاهرة، ط1، 1420هـ.
- صحيح مسلم، الإمام مسلم، المكتبة العصرية، 1414هـ.
- صيد الخاطر، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ط. ت.
- طرح التثريب في شرح التقريب، ولي الدين أبو زرعة العراقي، مكتبة نزار مصطفى البارز، الرياض، ط2، 1420هـ.
- غاية المقصد في زوائد المسند، نور الدين الهيثمي، المحقق/ خلاف محمد عبد السميع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1421هـ.
- فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د. ط. ت.

- قضاء الحوائج، أبو بكر بن أبي الدنيا، مؤسسة الكتب الثقافية. ط1، 1413هـ.
- الكبائر، شمس الدين الذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، د. ط. ت.
- كشف الأستار عن زوائد البزار، نور الدين الهيثمي، ت. حبيب الرحمن الأعظمي، الرسالة العالمية، ط1، 1432هـ.
- اللآلئ المنثورة في الأحاديث المشهورة، بدر الدين الزركشي، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1406هـ.
- المجروحين، الحافظ ابن حبان، دار الصميعي، ط1، 1420هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، د. ط. ت.
- المحلى بالآثار، أبو محمد ابن حزم، ت. أحمد شاكر، مكتبة دار التراث القاهرة، 1426هـ.
- المذهب الاقتصادي في الإسلام، محمد شوقي الفنجري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، دار الفكر، 1422هـ.
- المسند، أبو يعلى الموصلي، المحقق/ الشيخ خليل مأمون شيخا، دار المعرفة بيروت، ط1، 1426هـ.
- المسند، أحمد بن حنبل، ضبط ومراجعة صدقي جميل العطار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1414هـ.
- معالم السنن، أبو سليمان الخطابي، دار الكتب العلمية، 1416هـ.
- المعجم الأوسط، الإمام الطبراني، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1415هـ.
- المعجم الكبير، الإمام الطبراني، دار الكتب العلمية، ط1، 1428هـ.

- المغني، ابن قدامة المقدسي، المحقق/ طه الزيني ومحمود عبد الوهاب فايد، وعبد القادر عطا، ومحمود غانم غيث، مكتبة القاهرة، ط1، 1388، 1389هـ.
- مفاتيح الغيب، الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط3، 1420هـ.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ هاني الحاج، المكتبة التوفيقية، د. ط. ت.
- مقاييس اللغة، أبو الحسين ابن فارس، راجعه وعلق عليه أنس محمد الشامي، دار الحديث القاهرة، 2008م.
- المنهج الإسلامي في التنمية، يوسف إبراهيم، الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية، 1401هـ.
- الموافقات في أصول الشريعة، أبو إسحاق الشاطبي، شرحه وخرج أحاديثه الشيخ عبد الله دراز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د. ط. ت.
- الموسوعة العلمية والعملية للبنوك الإسلامية الأصول الشرعية والأعمال المصرفية في الإسلام، القاهرة، 1982م.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، الإمام الذهبي، دار الفكر، د. ط. ت.
- نظرية التنمية السياسية المعاصرة، نصر محمد عارف، المعهد العالمي للفكر، 1993م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، ابن الأثير الجزري، ت عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت، ط1، 2005م.
- اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر، عبد الرؤوف المناوي، مكتبة الرشد الرياض، ط1، 1420هـ.

المواقع الإلكترونية:

- موقع برنامج الأمم المتحدة الإنمائي حول العالم: www.sa.undp.org

التفكير الإبداعي في السنة النبوية وأثره في تحقيق التنمية المستدامة

د. زكرياء الخوة

أستاذ الدراسات الإسلامية بالمدارس السعودية بالرباط

أستاذ زائر بجامعة محمد الخامس بالرباط – المملكة المغربية

ملخص

يهدف البحث إلى بيان عناية السنة النبوية بمهارة التفكير الإبداعي وإسهامه في بناء الإنسان وتنمية قدراته ومواهبه، حتى يكون مؤهلا لخدمة دينه ووطنه ومجتمعه بما ينتجه من أفكار ورؤى؛ تحقق التنمية المستدامة في جميع مجالات الحياة، لينتقل من مرحلة التقليد والمحاكاة إلى مرحل الإبداع والابتكار، وهي مرحلة ينشدها كل من يسعى إلى تحقيق التميز والازدهار والتنمية والتطوير على المستويين الوطني والدولي.

ولا يخفى على أنظار الباحثين في السنة النبوية وعلومها مظاهر العناية بمهارة التفكير الإبداعي التي أنتجت لنا جيلا قويا بفكره الإبداعي في كل المجالات: (القيادة، التعليم، القضاء، الفتوى، التاريخ، الاقتصاد...) وغيرها من المجالات، التي أفادت منها الإنسانية جمعاء، ولم يكن نفعها حصرا على المسلمين.

والمتأمل في عناية السنة النبوية بمهارة التفكير الإبداعي والحرص على بناء الإنسان المبدع، يجد أنها تنزيل عملي لما أمر به القرآن الكريم في آيات كثيرة توجه العالمين إلى التأمل والتفكر والإبداع والابتكار، ورؤية سديدة من المربي الأول سيدنا رسول الله ﷺ الذي حرر العقول من ربقة الجمود والتقليد كما حرر القلوب من عبودية الأوثان إلى نور الإيمان، بالتعليم والتربية والمصاحبة.

من أجل ذلك جاء هذا البحث ليبين مظاهر هذه العناية بعرض أسس التفكير الإبداعي وأنواعه وخطواته وأثره في تحقيق التنمية المستدامة للأفراد والمجتمعات، انطلاقا من نصوص السنة النبوية وأحداثها، ورغبة في تجديد الاستمداد وإحياء الفكر والنظر بما يخدم الإنسانية، ويسهم في معالجة المشكلات المعاصرة، والمستجدات النازلة انطلاقا من المصدر الثاني الأصيل «السنة النبوية».

وقسمته على مبحثين بعد المقدمة: درست في الأول أسس التفكير الإبداعي وأنواعه ومراحله في السنة النبوية، وخصصت الآخر لبيان أثره في تحقيق التنمية المستدامة للأفراد والمجتمعات، من خلال اعتماد منهجين: الأول: المنهج الوصفي التاريخي الذي يعرض النصوص والأحداث التنمية لأسس التفكير الإبداعي وخطواته، ثم المنهج التحليلي المقارن في دراستها وتحويلها وتنزيلها على ما يحقق التنمية المستدامة في مجال بناء الإنسان.

وتوجته بخاتمة لعرض النتائج والتوصيات التي أسفر عنها البحث.

الكلمات المفاتيح: (التفكير، الإبداع، السنة النبوية، التنمية المستدامة).

Abstract

The research aims to highlight the emphasis placed by the Prophetic Sunnah on the skill of creative thinking and its contribution to building individuals and developing their abilities and talents. This is to enable them to serve their religion, homeland, and community through the generation of ideas and visions that achieve sustainable development in all areas of life. It seeks to transition individuals from the phase of imitation to the stage of creativity and innovation - a stage sought by anyone aiming for excellence, prosperity, development, and progress at both national and international levels.

Scholars who delve into the Prophetic Sunnah and its sciences are well aware of its focus on the skill of creative thinking, which produced a generation strong in innovative thought across various fields - leadership, education, judiciary, fatwa, history, economics, and others - that benefited humanity as a whole, not just Muslims.

Reflecting on the Sunnah›s care for creative thinking and its focus on nurturing innovative individuals reveals that it is a practical implementation of the Qur›anic directives found in numerous verses encouraging reflection, contemplation, creativity, and innovation. It also demonstrates the insightful vision of the first educator, the Prophet Muhammad (peace be upon him), who liberated minds from stagnation and imitation, just as he liberated hearts from idolatry to the light of faith through education, upbringing, and companionship.

This research, therefore, seeks to clarify these aspects by presenting the foundations, types, and steps of creative thinking and its impact on achieving sustainable development for individuals and societies, based on the texts and events of the Prophetic Sunnah. It also aims to renew inspiration, revive intellectual exploration, and address contemporary challenges and emerging issues through the authentic source of the Sunnah.

The study is divided into two sections following the introduction:

- The first section examines the foundations, types, and steps of creative thinking in the Prophetic Sunnah.
- The second section discusses its impact on achieving sustainable development for individuals and societies.

Two methodologies were adopted:

- The descriptive historical method, which presents the texts and events related to the foundations and steps of creative thinking.

- The analytical comparative method, which studies, interprets, and applies these concepts to achieve sustainable development in human development.
- The research concludes with a summary presenting the results and recommendations derived from the study.

Keywords: Thinking, Creativity, Prophetic Sunnah, Sustainable Development.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن الناظر في السنة النبوية المشرفة لا يخفى عليه ما حققته من إنجازات كبرى في التنمية المستدامة للأفراد والمجتمعات في جميع المجالات، بدءا من بناء الإنسان فكرا وعقلا وعقيدة وسلوكا، وانتهاء بتشييد العمران والمؤسسات المركزية الحضارية، فأضحت الدولة الإسلامية في العهد النبوي وعهد الخلافة الراشدة تنافس الدول العظمى خارج شبه الجزيرة العربية.

ولم يكن التقدم والازدهار الذي شهده المجتمع الإسلامي في القرون الأولى إلا نِتاج جهود كبيرة بذلها المسلمون بقيادة النبي ﷺ وصحابته الكرام، فأسسوا بها بناء حضاريا عتيدا لا زلنا نقطف ثماره وننعم بآثاره في حاضرنا، ونهتدي بنوره في الاستشراف لمستقبلنا، حيث تحقق المقصد الأعظم من البعثة النبوية بتعليم الإنسان ونقله من مرحلة الجمود والتقليد إلى مرحلة الإنتاج والفاعلية في المجتمع، في ضوء ما جاء به القرآن الكريم من الهدى والنور، وما وجه إليه الرسول ﷺ من معالي الأمور.

وإذا نظرنا في الأساليب والمهارات التي ركز عليها النبي ﷺ في بناء الإنسان وتقويم فكره وسلوكه، سنجد عنايته الكبيرة ﷺ بمهارة التفكير الإبداعي، التي أنتجت لنا من القادة والعلماء والقضاة والسفراء والمترجمين نموذجا يعز وجوده في الأمم الأخرى، إيمانا منه ﷺ بما أودعه ربنا سبحانه وتعالى في عقل الإنسان من قدرات ومهارات تحتاج من يكشفها ويقومها بالتعليم والتدريب والتوجيه والمراقبة والمتابعة، في ضوء الأسس والأنواع والمراحل المكونة للإبداع والابتكار.

وللكشف عن مظاهر التفكير الإبداعي في السنة النبوية، وبيان أثره في تحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع، قسمت بحثي على مبحثين: درست في الأول أسس التفكير الإبداعي في السنة النبوية، وبيان أنواعه ومراحله، ثم خصصت الثاني لبيان أثر التفكير الإبداعي في السنة النبوية على التنمية المستدامة للفرد والمجتمع.

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية الموضوع في معرفة الأساليب الإبداعية التي تميزت بها السنة النبوية في مختلف المجالات: التعليم والقضاء والقيادة والفتوى والدفاع والمحافظة على النظام العام، وسياسة الدولة في تنظيم شؤون المواطنين.

ونستفيد من هذه الأساليب في تعليم التفكير الإبداعي لأبناء المجتمع، ليسهموا به في حل المشكلات المعاصرة، وصناعة القرارات المناسبة، ليحققوا النفع والخير لوطنهم ومجتمعهم، كما تحقق ذلك في القرون الأولى.

المنهج المتبع:

اتبعت في بحث الموضوع ودراسته منهجين: الأول: منهج وصفي تاريخي، عرضت من خلاله الأسس التي يقوم عليها التفكير الإبداعي في السنة النبوية وأنواعه ومراحله، مع ذكر النماذج التطبيقية لكل قضية من القضايا المعروضة، ثم اتبعت المنهج التحليلي المقارن في دراسة الأحداث والوقائع والنصوص لبيان الأثر الذي حققه التفكير الإبداعي في بناء الإنسان وتحقيق التنمية المستدامة له.

الدراسات السابقة:

الأبحاث المحكمة والرسائل الجامعية في موضوع التفكير الإبداعي في السنة النبوية قليلة جدا ونادرة، لأن العناية بهذه المهارة كانت من الباحثين في علم النفس والتنمية البشرية، ومن أقرب ما توصلت إليه في هذا الموضوع من الدراسات:

أولا: الإبداع المحمدي، لحسين فاضلي، وهو كتاب مطبوع، تناول فيه الباحث بالدراسة والبحث مفهوم الإبداع ومراحله وملامحه في العهد النبوي، مع بيان سمات الرسول المبدع ﷺ.

واختلفت مع الباحث في الرؤية والمنطلق، لأنه انطلق من مفهوم الإبداع عند علماء النفس والاجتماع، ثم أتى بما يوافقه من النماذج من السنة النبوية، وما قمت به عكس ذلك، حيث انطلقت من السنة النبوية في كشف أسس الإبداع وأنواعه ومراحله، مع بيان أثره في تحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع، وهو ما تميز به هذا البحث وأضافه.

ثانيا: الإبداع والابتكار في السنة النبوية، للدكتور يوسف عبد اللاوي، بحث محكم ومنشور بمجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية، العدد الرابع، المجلد الأول يناير 2016، ركز فيه الباحث على التوجيهات النبوية التي تحث على الإبداع والابتكار، مع تفسير موجز للنصوص التي استشهد بها الباحث في بيان التوجيهات النبوية.

واختلف بحثي كليا عما جاء به الباحث، لأني لم أقف عند التعريفات وبيان المفاهيم، ولم أنطلق من التوجيهات النبوية الدالة على جواز الإبداع والابتكار، بل قمت باستخراج الأسس والمراحل والأنواع من السنة النبوية ودراستها مع ما يناسب تحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع.

المصادر والمراجع والتوثيق:

أفدت في جمع المادة العلمية من المصادر الأصيلة، والمراجع الحديثة، العربية والأجنبية، وعند التوثيق النصي منها أعزو النص إلى قائله بذكر اسمه واسم المصدر والصفحة والجزء، وإن تصرفت في نقل الفكرة بدأت الهامش بـ «ينظر»، كما وثقت الآيات من مصحف المدينة، بذكر السورة ورقم الآية، وخرجت الأحاديث من متونها الأصلية، مع بيان درجتها عند الحاجة، كل ذلك وفق الضوابط والمعايير المتفق عليها.

سائلا المولى ﷻ في ختام هذا البحث التوفيق والنفع والسداد، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المبحث الأول: أسس التفكير الإبداعي وأنواعه ومراحله

المطلب الأول: أسس التفكير الإبداعي في السنة النبوية:

1- المشروعية:

يستمد الإبداع مشروعيته من القرآن الكريم الذي نصت آياته في مواطن كثيرة على التفكر والتدبر والبحث من أجل الإبداع والابتكار، قال سبحانه: ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [1]، وقال سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]، ثم الدعوة إلى الاجتهاد والاستنباط، قال سبحانه: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [3]، وقال: ﴿ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [4]، وقال سبحانه بعد ذكر اجتهاد داود عليه السلام في نازلة الحرث وحكمه فيها بما رآه وخلص إليه اجتهاد ﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [5]، أي ألهمنا حكمها لسليمان عليه السلام مع إثبات العلم والحكم لهما جميعا.

أما مشروعيته من السنة النبوية، فقد دلت عليه أقوال النبي ﷺ، وأفعاله وإقراراته، فدليل القول: فحديث النبي ﷺ الذي رواه عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ».[6]

ودليل الفعل ففي أحداث كثيرة، اجتهد النبي ﷺ وابتكر وأبدع، في أمور التشريع والأحكام، وفي أمور الدنيا وأحوالها، ومن ذلك: فكرة الهجرة، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، والمصالحة بين المسلمين وغطفان بعد غزوة الخندق، وغيرها.

وأما إقراره ﷺ للتفكير الإبداعي عند الصحابة- رضوان الله عليهم- فقد ثبت من

1- سورة العنكبوت، آية رقم: 20
2- سورة الأعراف، آية رقم: 185
3- سورة النساء، آية رقم: 59
4- سورة الحشر، آية رقم: 02
5- سورة الأنبياء، آية رقم: 79
6- أخرجه الإمام أبو داود في سننه، المحقق/ محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط. ت، كتاب الأقضية، باب في القاضي يخطئ (3/299) حديث رقم (3574) صحيح.

وجوه عدة، منها حديث معاذ بن جبل ﷺ أن رسول الله ﷺ لما أراد أن يبعثه إلى اليمن قال: «كَيْفَ تَقضِي إذا عَرَضَ لكَ قَضاء؟» قال: أَقْضِي بِكِتَابِ الله، قال: «فإن لم تَجِدْ في كتاب الله؟ «قال: فبسُنةِ رسولِ الله ﷺ، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ولَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قال: أَجْتَهِدُ رأيي ولا آلُو، فضربَ رسولُ الله ﷺ صَدْرَهُ وقال: الحمدُ لله الذي وَفَّق رسولَ رسولِ الله لما يَرضَى رسولُ الله.[1]

2- الكفاءة والأهلية:

يؤسس الإبداع الجاد والهادف على الكفاءة والأهلية، إذ هما أساسا بناء الإنسان وتطويره وتنمية مهاراته، والمبدع إن لم يكن كفؤا في مجاله وتخصصه، وأهلا لما أنيط به من تكاليف ومهام، لا ينتج لنا إبداعا جادا، ولا يسهم في التنمية المستدامة للفرد والمجتمع، ونستمد هذين الأساسين من السنة النبوية التي حرصت على تكليف المؤهل الكفؤ بالمهام التي يحسنها، ومن ذلك: حديث علي بن أبي طالب ﷺ، أنه قال: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ قَاضِيًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تُرْسِلُنِي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ، وَلَا عِلْمَ لِي بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَهْدِي قَلْبَكَ، وَيُثَبِّتُ لِسَانَكَ، فَإِذَا جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْكَ الْخَصْمَانِ، فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يَتَبَيَّنَ لَكَ الْقَضَاءُ، قَالَ: فَمَا زِلْتُ قَاضِيًا، أَوْ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَعْدُ»[2].

أدرك النبي ﷺ كفاءة علي بن أبي طالب وأهليته، فكلفه بمهمة القضاء، وهي مهمة عظمى، لم يمنعه من تكليفه بها حداثة سنه أو قلة خبرته وتجاربه، لما علمه من كفاءته وقدرته على الاجتهاد وحل المشكلات بفكر إبداعي، قدم له إشارات منه في نصيحة له ولمن ولي مهمة القضاء بعده: «فَلَا تَقْضِيَنَّ حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الْآخَرِ، كَمَا سَمِعْتَ مِنَ الْأَوَّلِ... الحديث»، فأضحى بدعاء النبي ﷺ له، وما تميز به من الكفاءة والأهلية أقضى الصحابة، كما ورد في الحديث الشريف: «وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحلالِ وَالحرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ... الحديث»[3].

1- أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (3/301) حديث رقم (3592) ضعيف.

2- أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأقضية، باب كيف القضاء (3/301) حديث رقم (3582) حسن.

3- أخرجه أبو يعلى في مسنده المحقق/ سعيد السناري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1434ه، مسند عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) (8/62) حديث رقم (5763).

قال ابن العربي: «ولا يكون قاضيا إلا من علم الحلال والحرام، ولكن شرعة الفصل صنعة في القضاء، والغوص على دقائق الأدلة نوع من الفطنة كانت لعلي»[1].

ولما كانت الكفاءة والأهلية من أسس الإبداع والابتكار وحل المشكلات وصناعة القرار، كان النبي ﷺ يعدها معيارا في اختيار القادة والأمراء، ومن ذلك اختياره لزيد بن حارثة لإمارة الجيش الذي بعثه لقتال الروم، ثم اختياره بعد ذلك لابنه أسامة بن زيد قائدا لجيش المسلمين في البعث الذي جهزه ﷺ قبيل وفاته بأيام، وانتدب له كبار الصحابة من الأنصار والمهاجرين، فتكلم بعض القوم في إمارته وطعنوا فيها لأمرين: أحدهما: أنه من الموالي، وفي البعث من كبار القوم وأشرافهم من هو أحق بها منه، ثانيهما: أنه صغير السن، لأنه كان إذ ذاك ابن ثماني عشرة سنة، لكن رؤية النبي ﷺ لكفاءته وأهليته صوبت نظر القوم، وبينت ما يمتاز به القائدان من قدرة على القيام بالمهمة التي تتطلب اجتهادا وإبداعا في جميع مراحلها، فقال ﷺ: «أَنْ تَطْعُنُوا فِي إِمارَتِهِ، فقَدْ كُنْتُمْ تَطْعُنُونَ فِي إِمارَةِ أَبِيهِ مِن قَبْلُ، وايْمُ اللّٰهِ ، إِنْ كانَ لَخَلِيقًا لِلْإِمارَةِ، وإِنْ كانَ لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ، وإِنَّ هذا لَمِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ بَعْدَهُ.»[2]

قال القرطبي: «فشهد النبي ﷺ لأسامة وأبيه رضي الله عنهما بأنَّهما صالحان للإمارة، لما يعلم من أهليتهما لها، وأن كونهما موليين لا يغضُّ من مناصبهما، ولا يقدح في أهليتهما للإمارة»[3].

3- الثقة بالنفس والإيمان بالفكرة

التفكير الإبداعي لا ينتج إلا عن مبدع يثق في نفسه وقدراته وما يمتلكه من مهارات تجعله مؤمنا بأفكاره الإبداعية، وما ستحققه من تنمية مستدامة له ولمجتمعه وبيئته، وهذا ما أسس له النبي ﷺ في سنته، فلا ينتج فكرة واجتهادا إلا وهو واثق من نفسه وبما أيده الله تعالى به من التوفيق والنظر السديد، ومن ذلك فكرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، التي أبدعها النبي ﷺ في مكة قبل الهجرة، حين آخى بين المسلمين على الحق والمواساة، وجعلها أُسا من أسس المجتمع الجديد بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وتطورت من فكرة

1- ابن العربي، عارضة الأحوذي، المحقق/ جمال المرعشلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997م، (6/60).

2- أخرجه الإمام البخاري المحقق/ البغا، دار ابن كثير، دمشق، ط5، 1414ه، في كتاب المغازي، باب بعث النبي ﷺ لأسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه (4/1620) حديث رقم (4199).

3- القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ محيي الدين ديب وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، ط1، 1417ه، (308/6).

إلى واقع تم توثيقه في كتاب بين المهاجرين والأنصار، بين فيه النبي ﷺ الحقوق والواجبات.

هذه الفكرة الإبداعية التي اختبر بها النبي ﷺ فئات المجتمع الجديد الذي سيعتمد عليه في تأسيس حضارة قوية، وتاريخ عريق، آتت أكلها بإذن ربها، وأسهمت في التنمية المستدامة للمجتمع الجديد، ووثقت روابط الأخوة بين المهاجرين الذين تركوا أموالهم وممتلكاتهم من أجل الدين وفي سبيل نصرة النبي الأمين، وبين الأنصار الذين استقبلوهم بقلوبهم قبل بيوتهم، فآثروهم على أنفسهم، واقتسموا معهم المال والمتاع، فكان هذا الإبداع، سببا لزوال وحشة الغربة، ومفارقة الأهل والمال والعشيرة، وبها قويت الروابط بين المهاجرين والأنصار، واجتمعوا على أساس العقيدة والنصرة للدين.

فكانت الثقة بالنفس والإيمان بالفكرة من رسول الله ﷺ أساسا قويا في معالجة قضايا المجتمع الجديد، وبها تحققت له تنمية مستدامة على جميع المستويات، بعد تحقيق التعاون والتآخي والتآزر الذي وجههم إليه النبي ﷺ.

4- الرؤية الواضحة واعتبار المآل

من أسس الإبداع الذي يحقق النفع للفرد والمجتمع، وضوح الرؤية لدى المبدع، إذ يساعده هذا الأساس على تحديد الأهداف المراد تحقيقها، ومعرفة المسار الصحيح الذي يسير عليه، وهذا أمر نتعلمه من السنة النبوية، ومن فعل النبي ﷺ الذي كانت لديه رؤية واضحة وأهداف مقصودة في كل ما يبدعه من أفكار، ومن ذلك: ما ورد عنه ﷺ في صلح الحديبية، بعد أن منعته قريش من دخول مكة وأرسلت إليه سهيل بن عمرو لعقد الصلح بينهم وبين المسلمين، شرط أن لا يدخل مكة في عامه الذي جاء فيه، وبعد أن وافق النبي ﷺ على الصلح والهدنة، -مع قدرته وقوته على الدخول- كتب النبي ﷺ بينه وبين قريش كتابا يوثق ما توصلوا إليه في اتفاق الهدنة والصلح، فأنكر عليه بعض الصحابة- رضوان الله عليه-وعدوا ذلك ضعفا وهوانا، والقوة والغلبة معهم فلم يخضعوا لشروط قريش وما أرادوه، حتى قال عمر رضي الله عنه لرسول الله ﷺ «يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتَ بِرَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوَ لَسْنَا بِالْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: أَوَ لَيْسُوا بِالْمُشْرِكِينَ؟ قَالَ: بَلَى، قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطَى الدَّنِيَّةَ فِي دِينِنَا».

لكن وضوح الرؤية عند القائد المبدع ﷺ واعتباره لما سيؤول إليه الأمر من الخير والفتح والنصر، دعاه إلى الثقة بربه سبحانه وتعالى فيما أقدم عليه، والثقة فيما سينتج عن

قراره من خدمة لدين الله، وفرصة لنشره في بيئة من السلام والهدنة، إذ ليس الغرض عند رسول الله ﷺ أن يحارب ويقاتل بالدرجة الأولى، بل الغرض هو أن يدخل الناس في الدين بالسلم والسلام، وما كانت الحرب إلا استثناءً للدفاع عن المقدسات، فاتفقا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس، ويكف بعضهم عن بعض.

فآتت الفكرة أكلها، وتحققت الرؤية الواضحة لرسول الله ﷺ الذي كان له هدف أسمى من الحرب والقتال، فكانت الحديبية فتحا ونصرا للمسلمين، بدخول أفواج في دين الله دون حرب ولا قتال، ونزل فيها قول الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ [1]، قال الزهري: «فما فُتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر».[2]

5- المسؤولية والأمانة

المفكر المبدع يستشعر المسؤولية المنوطة به، فيراعي في أفكاره الإبداعية ما يحمله من الأمانة لنفسه ودينه ومجتمعه ووطنه، ولا ينافي بإبداعه المصلحة العامة، دون شعور بالمسؤولية الدينية أو الوطنية أو المجتمعية، وهذا ما علمنا النبي ﷺ في سنته، ومن ذلك: رفضه لإمارة أبي ذر الغفاري رضي الله عنه حين طلب أن يستعمله، ثم بين له ﷺ أن الإمارة والقيادة أمانة ومسؤولية، يحتاج المتصف بها إلى صفات تعينه على القيام بمهامه.

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قلتُ: يَا رسول الله، أَلَا تَستَعمِلُنِي؟ قال: فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنكِبِي، ثُمَّ قال: يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةُ، وَإِنَّهَا يَومَ القِيَامَةِ خِزيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَن أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيهِ فِيهَا»[3]

قال القرطبي: «وقوله ﷺ لأبي ذر إنك ضعيف؛ أي: ضعيف عن القيام بما يتعّين على

1- سورة الفتح، آية رقم: 1 - 3

2- ابن هشام، السيرة النبوية، المحقق/ السقا وآخرون، البابي الحلبي، مصر، ط2، 1375ه، (2/322).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ عبد الباقي، مطبعة البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1374ه، في كتاب الإمارة، باب كراهية الإمارة بغير ضرورة (3/1457) حديث رقم (1825).

الأمير من مراعاة مصالح رعيته الدنيوية والدينية»[1].

فتبين من ذلك أن المسؤولية والأمانة من الأسس التي تقوم عليها المهام التي تحتاج إلى إبداع واجتهاد وابتكار مستمر، لأنها مرتبطة بحقوق الرعية ومصالحهم العاجلة والآجلة.

ويستفاد منه استحضار الإمام الأعظم لمسؤولية الرعية التي سيستعمل عليها من الأمراء والخلفاء من هو أهل لها وأحق بالقيام بها، فلم يقبل النبي ﷺ لأبي ذر طلب استعماله مع تقواه وتدينه وزهده، لأن المهمة التي طلبها تحتاج إلى مهارات لم تتحقق فيه.

6- السؤال والاستشارة

سؤال أهل الاختصاص، واستشارة أهل المشورة والخبرة والتجربة، من الأسس التي يبنى عليها الإبداع الجاد الهادف، إذ بسؤاله واستشارته يتجنب الوقوع في الخطأ، وتكون له رؤية واضحة وأفكار مختلفة متنوعة يختار منها ما يراه مناسبا لما هو مقدم عليه من أمور، وهذا لا يطعن في كفاءته وأهلتيه، وقد استشار النبي ﷺ أصحابه في أمور كثيرة من أمور الدنيا، تنزيلا لما أمر به القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [2].

ومن ذلك قوله ﷺ في غزوة بدر: «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسْ»، وتأييده لما أشار به عليه الحباب بن المنذر في تغيير المنزل الذي نزلوا به في بدر إلى منزل آخر، فأخذ النبي ﷺ برأيه ومشورته وقال: «لَقَدْ أَشْرْتَ بِالرَّأْيِ»[3].

ومشورته ﷺ لزوجه أم سلمة (رضي الله عنها) بعد أن كتب كتاب صلح الحديبية فأمر الناس أن يحلقوا وينحروا، فلم يقم منهم أحد، فغضب ﷺ من ذلك وأخبر به أم سلمة (رضي الله عنها) فأشارت عليه بقولها: «يا رسول الله أتحب ذلك؟ أخرج، ثم لا تكلم أحدا كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا».[4]

1- القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (4/21).
2- سورة آل عمران، آية رقم: 159
3- ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية (1/620).
4- المباركفوري، الرحيق المختوم، دار العصماء، دمشق، ط1، 1427ه، (ص314).

7- الجدة والأصالة

إذا لم يقم التفكير الإبداعي على الجدة والأصالة والخروج عن المألوف المتداول بين الناس فلا يستقيم وصفه بالإبداع، لأن الإبداع إحداث وإنتاج لشيء جديد لم يكن عليه عمل الناس، ومن هذا الأساس انطلق النبي ﷺ في معظم أموره وشؤونه، ومن ذلك:

أولا: فكرة الهجرة، والبحث عن بيئة أفضل لضمان حرية الاعتقاد والتعبد، وهو ما وجه إليه أصحابه- رضوان الله عليهم- حين رأى أذى المشركين قد اشتد عليهم في مكة، فقال ﷺ: «لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضُ صِدْقٍ، حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا».[1]

فهذه فكرة مبتكرة تدل على عدم الاستسلام وابتكار طرق جديدة لضمان السلامة الجسدية والنفسية، وجههم إليها النبي ﷺ بعد أن علم أن ملك الحبشة على دين النصرانية، وأن المتمسك بدينه الحق، ولو اختلف عن دين غيره، فإنه يحقق العدل ولا يظلم، كما أن الهجرة سبيل إلى نشر الدين والدعوة إليه.

ثانيا: فكرة بناء وتأسيس المسجد، عند أول دخول إلى القرى والمدن، فهو رمز من رموز الدين، ومعلمة ينطلق منها المؤسسون للحضارة الإسلامية في شتى بقاع الأرض، ومدرسة يتخرج فيها القادة والعلماء والجنود، وجامع للمؤتمرات والندوات التي تدرس فيها شؤون الأمة وأحوال الرعية، ورابطة روحية تجمع المسلمين خمس مرات في اليوم والليلة فتذكرهم بخضوعهم وعبادتهم لله وحده لا شريك له، مما يضمن لهم الحرية والأمن الروحي في المعتقد، وتقوّي أواصر التعاون والتآزر ووحدة الصف بينهم، ومكان لاستقبال الوفود وعرض الدين عليهم.

لذا كان أول عمل يقوم به النبي ﷺ بعد هجرته؛ فحين قدم قباء، أسس فيها أول مسجد، وأقام بها أربعة أيام، ثم أسس بعد مسجد الجمعة في بني سالم بن عوف وصلى به أول جمعة، ثم أسس بالمدينة المسجد النبوي[2].

ثالثا: فكرة المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، من الأفكار البديعة، التي لم يعهدها الناس، مع شهرتهم بالكرم والضيافة وإيواء المسكين، ونصرة المظلوم، لكن فكرة المؤاخاة

1- ابن هشام، السيرة النبوية (1/321).

2- ابن هشام، السيرة النبوية (1/494-495).

واقتسام المسكن والمأكل والمشرب مع الآخرين، كانت فكرة جديدة، حققت التآزر والتعاون والتعاضد بين أفراد المجتمع الجديد، وأظهرت عدالة الإسلام، وسمو الرسالة، ومقصد الوحي من تأسيس أمة واحدة تتعاون على الخير والبر والتقوى، كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

رابعا: ميثاق المدينة المنورة، كان فكرة جديدة، سبق إليها المسلمون، بتوثيق البنود والقواعد الملزمة التي تحفظ الحقوق والواجبات، وتنظم أحوال المجتمع والوطن، فلم يكن بين العرب حينها كتب ومواثيق مدونة تبين الحقوق والواجبات، بل كانت الأعراف والعادات هي المحكمة دون كتابة وتدوين، وبيّن ميثاق المدينة دقة التنظيم والتسيير التي جاء بها الإسلام، وبه إقامة العدل وحسن التعايش بين أفراد المجتمع، سواء كان مسلما أم غير مسلم.

كما دعا إلى التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع في تحقيق التنمية المستدامة للوطن الذي يشتركون في العيش على أرضه، والانتفاع من خيراته وثرواته، والدفاع عنه وحمايته من الأعداء، والإسهام في تطوير اقتصاده وتنميته، فكان الرقي والتقدم والازدهار نتيجة لميثاق الأمة الواحدة.

قال ابن إسحاق: «وكتب رسول الله ﷺ كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه يهود وعاهدهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم، واشترط عليهم»[1].

ويوازي ميثاق رسول الله ﷺ لأهل المدينة من المسلمين واليهود، دستورا من الدساتير والتشريعات القانونية المعاصرة، لما له من قوة في بيان الحقوق والواجبات التي تضمن حرية الاعتقاد، وسبل الدفاع، وتحقيق السيادة، وسمو القانون، وعدالة الحكم، وتقاسم المنافع.

خامسا: فكرة حفر الخندق، أسلوب جديد أفاده العرب المسلمون من الفرس في القتال والحرب، مع تطوير الفكرة بما يوافق تعاليم الإسلام، وآدابه في الحرب والغزو.

جاءت الفكرة بعد عقد القائد الأعظم ﷺ لاجتماع استشاري من أجل مناقشة سبل الدفاع عن الوطن، بعدما علم النبي ﷺ وأصحابه تجمع الأحزاب في جيش تجاوز عشرة آلاف مقاتل، وتحركهم نحو المدينة المنورة.

1- ابن هشام، السيرة النبوية (1/501).

فاقترح الصحابي الجليل سلمان الفارسي فكرة حفر الخندق حول المدينة، كسبيل من سبل الدفاع عند الحصار والهجوم، فأقره النبي ﷺ على ما رآه، وانطلق المسلمون بجد ونشاط في تنفيذ قرار القائد الذي وجههم بعد أن خَبِر البيئة ومحيطها بأن الهجوم لا يمكن أن يأتي إلا من جهة الشمال، فبدؤوا بها، فتحقق للمسلمين ما رجوه من النصر والتمكين، بعد أن فوجئ العدو بالخندق الذي يحول بينه وبين المسلمين، واكتفائهم بالحصار الذي لم يكونوا مستعدين له حتى ضعفت قوته وأغار عليه جند المسلمين الذين ظفروا بالنصر في هذه المعركة التي بنيت على أساس فكرة جديدة مبتكرة[1].

8- الدافع

العملية الإبداعية تقوم على أساس وجود دافع يسود الحياة العضوية والإنسانية، وهو الدافع إلى الاتساع والامتداد، والنمو والنضج، والميل إلى التعبير عن إمكانيات الكائن وإثارتها، وهذا الميل يعد دافعا أساسيا من دوافع الأصالة والإبداع[2].

لذا كانت الأفكار الإبداعية في السنة النبوية قائمة على أساس الدافع المحفز للتفكير والابتكار، ففكرة الهجرة الأولى، دافعها حفظ الدين، ونشره وتبليغه للأمم الأخرى ممن لم يسمعوا ببعثة النبي ﷺ، لذا كان النبي ﷺ يختار عند الهجرة من يتحدث ويبين للمرسل إليه رسالته.

فبعث في الهجرة الأولى عثمان بن عفان ﷺ وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وجعفر بن أبي طالب ﷺ، وكان بالوفد أم سلمة بنت أبي أمية (رضي الله عنها)، فأحسنوا البلاغ، وتكلم جعفر بن أبي طالب ﷺ فبين ما كان عليه أهل الجاهلية من الضلال، وما جاءهم به النبي ﷺ من النور والهدى، ثم تلا عليه آيات من القرآن، وبين له ما يعتقده المسلمون في عيسى ﷺ.

فدل ذلك على أن الهجرة لم تكن فقط للهروب من الأذى، بل كان الدافع لها نشر الدين وتبليغ الرسالة.

وكان الدافع لفكرة بناء المسجد توحيد صفوف الأمة، وبناء المجتمع الجديد على أسس التعاون والتآزر والتآخي، لتحقيق التنمية المستدامة في جميع المجالات، داخل البيئة المشتركة التي يعيشون فيها.

1- المبار كفوري، الرحيق المختوم (ص280).

2- وصيف، صلاح الدين، التفكير الإبداعي، مكتبة المجتمع العربي، عمان، ط1، 1436هـ، (ص78).

وفكرة كتابة ميثاق المدينة، كانت لدافع بيان التنظيم والعدالة الاجتماعية التي جاء بها السلام، وتأسيس المجتمع الجديد على احترام الحقوق والواجبات، والمحافظة على النظام العام للوطن.

وغيرها من الأفكار الإبداعية التي انطلقت من دوافع مشروعة، تهدف إلى تحقيق التنمية المستدامة للفرد والمجتمع والوطن، في تعايش بين مختلف الفئات.

المطلب الثاني: أنواع التفكير الإبداعي في السنة النبوية ومراحله:

أولا: أنواع التفكير الإبداعي في السنة النبوية

إن المتأمل لعملية الإبداع في السنة النبوية يجد أنواعا مختلفة، نتج عنها تميُّز في التفكير، وقدرة على الابتكار، وحنكة في صناعة القرار، ونباهة في حل المشكلات، من هنا يمكن تقسيم العملية الإبداعية في السنة النبوية على خمسة أقسام:

1- الإبداع الإنتاجي:

ويُقصد به توليد وإنتاج أفكار جديدة خارجة عما ألفه الناس واعتادوا عليه، من أجل تحقيق المنفعة والمصلحة للفرد والمجتمع في جميع المجالات، ومن أمثلة هذا النوع:

أولا: فكرة التوثيق: توثيق المعاهدات والاتفاقات التي تحفظ الحقوق والواجبات، وتفسر القوانين التي تنظم حياة المجتمع، ويحتكم إليها عند الاختلاف والنزاع.

هذه الفكرة لم يألفها العرب في الجاهلية، بل كانت العادات والأعراف هي الحكم الذي يحتكمون إليه في كل شؤونهم.

وقد تطورت هذه الفكرة حتى أضحى المسلمون يوثقون الرهن والدين، بعد نزول الآيات التي توجه إلى حفظهما.

ثانيا: فكرة الإحصاء، حين أمر النبي ﷺ بأن يكتب له كل من تلفظ بالإسلام، في حديث حُذَيْفَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (اكْتُبُوا لِي مَنْ تَلَفَّظَ بِالْإِسْلَامِ مِنَ النَّاسِ)، فَكَتَبْنَا لَهُ أَلْفًا وَخَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ، فَقُلْنَا نَخَافُ وَنَحْنُ أَلْفٌ وَخَمْسُمِائَةٍ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنَا ابْتُلِينَا، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيُصَلِّي وَحْدَهُ وَهُوَ خَائِفٌ»[1].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس (3/1114) حديث رقم (2895).

جاءت هذه الفكرة المبتكرة التي لم يألفها الناس، من لدن القائد الأعظم ﷺ لمعرفة الطاقات والإمكانات التي يتوفر عليها المسلمون، فيبني تخطيطه المستقبلي على النتائج التي خلص إليها، قال ابن حجر: «وفي الحديث مشروعية كتابة دواوين الجيوش، وقد يتعين ذلك عند الاحتياج إلى تمييز من يصلح للمقاتلة بمن لا يصلح»[1].

2- الإبداع التحليلي

ويقصد به إبداع طرق جديدة، وابتكار أساليب حديثة للتحليل والبحث والدراسة، تعين المبدع على حل المشكلات، وصناعة القرار المناسب، فلا يقوم المبدع بإنتاج فكرة كاملة، بل يبدع في أسلوب التحليل والمناقشة والتعليم والحوار ليصل إلى هدفه.

ويلحظ الناظر في السنة النبوية أن النبي ﷺ سبق إلى ابتكار جملة من الأساليب التربوية التعليمية التي تساعد المتعلم على فهم المراد، وتحقق الهدف الذي يروم المعلم تحقيقه من التعليم والتربية، ومن ذلك: إعمال إستراتيجية «العصف الذهني» الذي يقوم على إثارة الفكر، وتنشيط العقل من أجل توليد أكبر عدد من الأفكار الإبداعية التحليلية في العملية التعليمية، واختيار ما يناسب منها الفكرة الإبداعية العامة لاتخاذ القرار أو معالجة المشكلات الطارئة، أو التعلم والتحصيل المعرفي.

ومن أمثلة ذلك: ما رواه الإمام البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، حَدِّثُونِي مَا هِيَ؟»، قَالَ: فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: فَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَاسْتَحْيَيْتُ ثُمَّ قَالُوا: حَدِّثْنَا مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «هِيَ النَّخْلَةُ»[2].

في هذا المثال استعمل النبي ﷺ أسلوب التعلم النشط القائم على المذاكرة بين المعلم والمتعلم، من أجل تحفيز الصحابة كبارا وصغارا على التفكير الإبداعي التحليلي لما سألهم عنه من العلم، ولأن ذلك أقرب إلى الرسوخ في قلب المتعلم وأقوى في فهم المسألة.

قال ابن حجر: «وفي هذا الحديث من الفوائد غير ما تقدم امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموه... وفيه ضرب الأمثال والأشباه لزيادة الإفهام، وتصوير

1- ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المحقق/ محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1390ه، (6/179).

2- أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم (34/1) حديث رقم (62).

المعاني لترسخ في الذهن، ولتحديد الفكر في النظر في حكم الحادثة»[1].

وقال النووي: «وفي هذا الحديث فوائد منها استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبر أفهامهم ويرغبهم في الفكر والاعتناء»[2].

ويستفاد من هذا الأسلوب معرفة قدرات المتعلمين، وتفاوت مراتبهم في التفكير، وما يتميز به كل واحد منهم من المهارات والقدرات.

3- الإبداع التطويري

ويقصد به الإبداع القائم على استمداد الأفكار من الآخرين، ثم تطويرها وتنميتها بما يناسب المجتمع وخصوصيته، فالإبداع في هذا النوع لا يكمن في حقيقة الفكرة، بل في القدرة على تطويرها وتنميتها، وهذا النوع لا يقل أهمية عن سابقيه، لأن عملية التطوير لما أنتجه الآخر من أدق العمليات التفكيرية، التي تحتاج من المبدع تفكيك الفكرة الأصل، ومعرفة ما يصلح للاستفادة وما لا يصلح، وما يفيد المجتمع الجديد وما لا يفيد، وما يناسب خصوصيته وما لا يناسب، من أجل صياغة الفكرة من جديد بشكل مختلف عن الأصل الذي كانت عليه.

ومن أمثلة هذا النوع: توجيه النبي ﷺ أصحابه لتعلم صناعة الأسلحة، ومحاكاة آلات الحرب التي كان يستخدمها الروم والفرس، وذلك في غزوة الطائف التي أبدع فيها المسلمون الدبابات، والمجانيق، والضبور، ولم يشارك بعضهم في الجهاد بإذن النبي ﷺ حتى يتفرغ لتعلم صناعة الأسلحة التي ستعين المسلمين في الدفاع والحرب.

قال ابن عبد البر: «ولم يشهد غزوة حنين ولا الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة، الثقفيان، كانا قد خرجا يتعلمان صناعة المنجنيق والدبابات»[3].

وبذلك سبق النبي ﷺ وصحابته الكرام إلى فكرة تطوير الأسلحة ووسائل الدفاع عن الوطن والمجتمع، ولأهمية تعلم الإبداع والتطوير والابتكار، انتدب النبي ﷺ عروة ابن

1- ابن حجر، فتح الباري (1/146-147).

2- النووي، شرح صحيح مسلم، المحقق/ عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ، (17/154).

3- ابن عبد البر، الدرر في اختصار المغازي والسير، المحقق/ شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1403ه، (ص229).

مسعود وغيلان بن سلمة ﷺ، لتعلم صناعة الدبابات والمجانيق، في إشارة منه ﷺ إلى أهمية التعلم والمعرفة وموازاته للجهاد في سبيل الله.

كما يشهد لهذا النوع من الإبداع، ما ورد في السنة النبوية من تحفيز وتشجيع النبي ﷺ لزيد بن ثابت، حين أُتِيَ به إليه وهو غلام فاكتشف نباهته وذكاءه وقدرته على الإبداع، فقالوا يا رسول الله هذا غلام من بني النجار، وقد قرأ مما أنزل عليك سبع عشرة سورة، فقرأ على رسول الله ﷺ فأعجبه ذلك، ثم قال له: (يَا زَيْدُ! تَعَلَّمْ لِي كِتَابَ يَهُودٍ، فَإِنِّي وَاللهِ مَا آمَنُهُمْ عَلَى كِتَابِي)، قال زيد: «فتعلمته، فما مضى لي نصف شهر حتى حَذِقته، وكنت أكتب لرسول الله ﷺ إذا كتب إليهم»[1].

فدل ذلك على اهتمام النبي ﷺ بتطوير الإبداع وتنمية مهارات المبدع، إذ لم يوجهه إلى حفظ القرآن وفهم معانيه، أو تعلم الكتابة والبراعة فيها، لأنه علم قدرته على تطويرها ذاتيا، لذا كان التوجيه لتعلم لغة جديدة، حتى يستعين به النبي ﷺ في كتاباته ومراسلاته، فجمع إلى الكتابة بالعربية، الكتابة بالسريانية، وتعلمها فحذق فيها، وأضحت له مكانة بين الصحابة- رضوان الله عليهم- في قيادة الدولة، لما تميز به من الإبداع، ولما وجهه إليه النبي ﷺ من التطوير والتنمية.

وبلغ زيد بن ثابت ﷺ بإبداعه ورجاحة عقله واتباعه لما وجهه إليه النبي ﷺ من التعلم والمعرفة مبلغا كبيرا، فرجع إليه الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ حين همَّ بجمع القرآن الكريم وكتابته في كتاب واحد، فكلفه بهذه المهمة العظيمة التي آثَر الصديق ﷺ نقل جبل من مكان إلى مكان على أن ينقل القرآن من الصحف إلى كتاب واحد، لكنه أمن على ذلك زيد بن ثابت ﷺ، وجعله قائدا لهذه المهمة العظمى التي ما زلنا نعيش بركاتها، وما ذلك إلا لما بلغ من المنزلة عند رسول الله ﷺ الذي أمنه على الوحي كما أمنه على كتاباته إلى الملوك والأمراء.

قال زيد ﷺ: «قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ قال: هو والله خير، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر،

1- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق/ حسين أسد، وشعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ، 1985م، (2/429).

وعمر ﷺ، فتتبعت القرآن أجمعه من العسَبِ واللِّخَاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري»[1].

4- الإبداع النقدي

ويقصد به القدرة على التحقق من المعلومات التي يسمعها المبدع، فيقوم بفحصها ومراجعة قائلها لتمييز ما أشكل فهمه عليه، حتى يصل من الفرضية إلى الحقيقة، وينتهي هذا النوع من الإبداع إما بإصدار أحكام، أو الموازنة بين موضوعين أو أكثر للمفاضلة بينهما[2]، ويكون غرضه إيجابيا، لا يقتصر على النقد المجرد ولا ينزل إلى درجة التبخيس أو التنقيص، لأن الغرض هو الإبداع الجاد الهادف الذي يحقق نتائج نافعة للفرد والمجتمع والوطن.

وهذا النوع من الإبداع شجع عليه النبي ﷺ في سنته، وكان يتيح المجال لأصحابه من أجل النقد والسؤال والاستفسار في جميع الأمور، تشجيعا لهم على التعلم، ورغبة منه في بناء الإنسان المجتهد المبدع.

ومن أمثلة ذلك:

ما ثبت عن أم المؤمنين عَائِشَةَ (رضي الله عنها) زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لَا تَسْمَعُ شَيْئًا لَا تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ، وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حُوسِبَ عُذِّبَ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: أَوَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا}. قَالَتْ: فَقَالَ: «إِنَّمَا ذَلِكِ الْعَرْضُ، وَلَكِنْ: مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَهْلِكْ» [3].

قال ابن حجر: وفي الحديث ما كان عند عائشة من الحرص على تفهم معاني الحديث، وأن النبي ﷺ لم يكن يتضجر من المراجعة في العلم. وفيه جواز المناظرة، ومقابلة السنة بالكتاب، وتفاوت الناس في الحساب[4].

ونشأ الصحابة ﷺ على التفكير النقدي الإبداعي الذي تعلموه من النبي ﷺ، الذي

1- ابن حجر، فتح الباري (9/11).

2- عصام زكريا، المنطق والتفكير الناقد، دار المسيرة، عمان، ط1، 1433ه، (ص194).

3- أخرجه الإمام البخاري في كتاب العلم باب: من سمع شيئا فراجع حتى يعرفه (1/51) حديث رقم (103).

4- ابن حجر، فتح الباري (1/197).

كان يعلمهم الإبداع النقدي بأساليب تعليمية مبتكرة، ومن خلالها يعرف مهارات الصحابة وقدراتهم في المجالات التي يبدعون فيها، ومن أمثلة ذلك ما ثبت عنه ﷺ من توجيه معاذ بن جبل ﷺ الذي اختاره ليكون سفيره إلى اليمن، فأوصاه وذكره بما علمه ووجهه إليه، إذ وقع التذكير بعد الاختيار.

روى الإمام أبو داود في سننه عن أناس من أصحاب معاذ بن جبل ﷺ: أن رسولَ الله ﷺ لما أراد أن يَبعَثَ معاذاً إلى اليمن، قال: «كَيْفَ تَقضِي إذا عَرَضَ لكَ قَضاء؟» قال: أَقْضِي بِكِتَابِ الله، قال: «فإن لم تَجِدْ في كتاب الله؟ «قال: فبسُنةِ رسولِ الله ﷺ، قال: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ولَا فِي كِتَابِ اللهِ؟ قال: أَجْتَهِدُ رأيِي ولا آلُو، فضربَ رسولُ الله ﷺ صَدْرَهُ وقال: الحمدُ لله الذي وَفَّق رسولَ رسولِ الله لما يَرضَى رسولُ الله»[1].

هذا الحديث - وإن كان في سنده نظر- له شهرة قوته وعضدته، ونستفيد منه الأسلوب النبوي في بناء عقلية المجتهد المبدع الناقد، الذي سيبعث ليكون قائما مقام رسول الله ﷺ في بيان الحلال والحرام، والقضاء بين الناس.

وبهذه الأساليب تميز كل صحابي بما يبدع فيه حتى قال عنهم رسول الله ﷺ مبينا ما برعوا فيه من جوانب ومجالات: «أَرْأَفُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي الإِسلامِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالحلالِ وَالحرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الجرَّاحِ»[2].

فكان قوله ﷺ نِتاجا للتربية الإبداعية، والتفكير النقدي الذي نشؤوا عليه، ورأوا من الحوادث والأحوال التي اجتهد النبي ﷺ فيها فأبدع ما تعلموه بالقدوة والتأسي، وبالتلقين والملازمة والصحبة، فكانوا كالنجوم، بأيهم اقتدى المسلم اهتدى.

ولا يخفى على كل من تأمل في العمليات الإبداعية في السنة النبوية، ما مرت به من المراحل والخطوات التي أنتجت لنا فِكَراً وفُهوما أسهمت في صناعة القرار، وحل المشكلات، وحققت التنمية المستدامة للفرد والمجتمع والوطن، في شتى المجالات.

1- أخرجه الإمام أبو داود في كتاب الأقضية، باب اجتهاد الرأي في القضاء (5/444) حديث رقم (3591).

2- أخرجه أبو يعلى في مسنده، المحقق/ سعيد السناري، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1434ه، مسند عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما)، (62/8) حديث رقم (5763).

ثانيا: خطوات التفكير الإبداعي ومراحله.

يرى بعض الباحثين أن الإبداع لا يحتاج إلى وجود خطوات ومراحل، بل هو إلهام وإشراق ينقدح في ذهن المبدع عند التفكير، ويرى آخرون أن الخطوات والمراحل لا تستغني عنها العملية الإبداعية[1]، حتى وإن كانت مجرد تفكير فلا بد للتفكير من مراحل يمر بها حتى يتحقق واقعا، وبهذا الرأي قال العالم «والاس wallace»، حيث قسم الإبداع إلى مراحل أربع[2]:

- مرحلة الإعدادPreparation: وهي المرحلة التي يقوم المبدع فيها بتعريف المشكلة، وجمع المعلومات المتعلقة بها.
- مرحلة الاحتضان: Incubation: التي يعايش المبدع فيها فكرته فتخالط كل أحواله ويفكر فيها في كل أوقاته، حتى تصبح جزءا منه.
- مرحلة الوضوح والتنوير Illumination: عند نضج الفكرة واكتمالها في صورة واضحة مشرقة، وتتضح فيها باقي الجزئيات، فينتقل من مرحلة التصور والتخمين إلى العلم والمعرفة.
- مرحلة التحقيقVerification: التي ينزل فيها المبدع فكرته على الواقع، فتصبح ابتكارا ملموسا يفيد منه الفرد والمجتمع والوطن.

وهذا التقسيم هو الأشهر عند الباحثين في علم النفس، وعليه قياس باقي الخطوات في التفكير الإبداعي، لكنه لم يسلم من انتقادات أصحاب المذهب الأول القائل بعدم وجود مراحل للإبداع.

وإذا نظرنا في العمليات الإبداعية التي ثبتت في السنة والسيرة النبوية، نجد أنها تمر بمراحل عدة، تشترك مع ما توصل إليه الباحث «والاس Wallace» في كتابه، حيث نجد مرحلة الإعداد ومرحلة الاحتضان والإيمان بالفكرة، ومرحلة الإلهام والإشراق، ثم مرحلة التحقيق.

1- الحيزان، عبد الإله، لمحات عامة في التفكير الإبداعي، مجلة البيان، الرياض، ط1، 1423ه، (ص30-29).

2- Wallace, Graham, the art of thought- jonathan cap, (2014), Page: 7

ويمكن أن نضيف إلى هذه المراحل -بالنظر إلى الأحداث والوقائع في السنة والسيرة النبوية- ثلاث مراحل أخرى، وهي: مرحلة الملاحظة، ومرحلة المناقشة، ومرحلة اتخاذ القرار، فتكون المراحل على النحو الآتي:

1- مرحلة الملاحظة:

المرحلة الأولى من العملية الإبداعية، يكشف المبدع من خلالها الدافع إلى الإبداع، ويلاحظ محيطه وبيئته وواقعه؛ إذ بها يميز الإبداع عن التقليد، والابتكار عن الاجترار، وعليها حرص النبي ﷺ في التعليم والتربية الإبداعية، فإذا تأملنا ما وجه إليه زيد بن ثابت من تعلم السريانية، نجد أن النبي ﷺ لم يوجهه إلى ما برع فيه، بل وجه تفكيره وعقله إلى شيء جديد يحتاجه قائد الدولة، وبه تحقق القوة والازدهار، وهو تعلم لغة جديدة، ليأمن على مراسلاته، وما يحفظ أمن الدولة من التحريف المؤدي إلى إفشاء أسرارها وخططها وواقعها.

كما لاحظ في حصار الطائف ما هو أهم من الحصار والجهاد والحرب، فوجه عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة ﷺ لتعلم صناعة الأسلحة والدبابات، لأن رؤية القائد لما يصلح للوطن والأمة أقوى وأدق من رؤية غيره؛ إذ ظهر للنبي ﷺ أن الحاجة في تلك المرحلة تدعو إلى تعلم الأساليب الحربية الجديدة التي يفيد منها المجتمع الجديد في الدفاع عن أرضه ومقدساته.

وإذا تأملنا في صلح الحديبية، نجد أن النبي ﷺ لاحظ قوة الدافع إلى الصلح والهدنة، وما سيؤول إليه أمر الدين من انتشار، وما سيعيشه المسلمون من سلم وأمان وضمان لحرية التعبد والتعلم، فرجح الدافع إلى الصلح والهدنة مع قدرته على الحرب واستعداد جيشه لها، على القتال والدخول إلى مكة في ذلك العام، فكانت النتيجة: فتح سلمي مبين أقره القرآن الكريم، ووعد بفتح أكبر منه.

2- مرحلة الإعداد:

يقوم المبدع فيها بجمع أكبر قدر من المعلومات التي تساعده على توليد أكبر عدد من الأفكار الجانبية المساعدة، من أجل تكوين فكرة إبداعية، ويستعين في هذه المرحلة بالسؤال والاستشارة والملاحظة والكشف والتفتيش، وفيها يحدد نوع الإبداع الذي يحتاجه، أهو إنتاجي أم نقدي أم تحليلي أم تطويري؟.

وتطبيق هذه المرحلة في السنة النبوية نجده في غزوة بدر، حين توجه النبي ﷺ إلى الناس بالسؤال والاستشارة، فقال «أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ»[1]، لأنه مقبل على فكرة الحرب، وهي أول غزوة في الإسلام، لم يكن على استعداد لها؛ إذ لم يخرج من المدينة لأجل الغزو، لكنه ﷺ أمام قرار يحدد ما ستؤول إليها دولته وأمته، إما تمكين وسيطرة عسكرية وتجارية لجيش المشركين، مع إمكانية توسعهم وامتداد قوتهم إلى المدينة، فيرجعوا إلى ما كانوا عليه من الضعف والأذى الذي عانوا منه قبل هجرتهم، أو بداية قوة وازدهار وتمكين لدولة الإسلام، وأمة المسلمين.

بالنظر إلى كل هذه التفاصيل والجزئيات، واستنادا إلى التأييد الإلهي والعناية الربانية المستمرة، يعلمنا النبي ﷺ أهمية الاستشارة والحوار، وينفذ ما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ﴾ [2]، فيعقد المجلس الاستشاري مع أصحابه، ويعرض عليهم ما ترجح له من أمر المواجهة[3]، وهذه الشورى هي استشارة الإعداد للفكرة، وسيأتي بعدها تشاور ونقاش آخر عن الأساليب الإبداعية في التنفيذ والتحقيق.

3- مرحلة الاحتضان:

يعيش المبدع فيها حالة من القلق والتوتر وكثرة التفكير والانشغال بما يريد الوصول إليه من إبداع، فتضطرب مشاعره من كثرة ما يحتضن ذهنه من فِكَر وخواطر، وهذه أحوال يعيشها المبدع الذي يرغب في وضع بصمة خير ينتفع بها الأفراد والمجتمعات، وأولهم القائد الأعظم رسول الله ﷺ، الذي كان حريصا على أمته بوصف القرآن، يهتم بكل شؤونهم، يشغله ما يشغلهم من أمور الدنيا والدين، وقد وصف لنا القرآن جملة من أحواله في مرحة الاحتضان والقلق في آيات كثيرة، منها قوله تعالى عن حاله في ترقب ما كان يرجوه من تغير القبلة إلى مكة المكرمة: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [4]، فقد كان النبي ﷺ يترقب ويُقلب وجهه في السماء وانشغل باله بما حصل له من إلهام أن الله تعالى سيرضيه فيما أحب، وفي تقلب

1- ابن هشام، السيرة النبوية (1/615).
2- سورة آل عمران، آية رقم: 159
3- المبارك كفوري، الرحيق المختوم (ص188).
4- سورة البقرة، آية رقم: 144

وجهه نحو السماء انتظار لتحقق ما يرجوه [1]، فجاء الوحي ليطمئن قلبه، ويرضيه فيما أحب، بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة المكرمة.

وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر وأشغل فكره وعقله، أقام الصلاة، وأكثر من ذكر الله ودعائه حتى يتحقق له ما يرجوه من أمور.

روى الإمام أبو داود في سننه من حديث حُذَيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»[2].

قال العيني في شرحه: «أي: إذا نزل به مهم وألمّ به. ويستفاد من هذا: أن الرجل إذا نزل به أمر يهمه، يستحب له أن يصلي».[3]

وكان الصحابة- رضوان الله عليهم- على نهجه وسنته في هذه المرحلة من الإبداع، ومن أمثلة ذلك ما جرى بين الخليفة الراشد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وزيد بن ثابت رضي الله عنهم عند جمع القرآن الكريم، من احتضان للفكرة وانشغالهم بها حتى تحققت.

هذه الفكرة الإبداعية التي اقترحها عمر بن الخطاب على أبي بكر الصديق فلم يقبل في أول الأمر، ثم راجعه فيها حتى أقنعه بها، وكذلك فعل الخليفة الأول مع زيد بن ثابت رضي الله عنهم أجمعين، فنفع الله بما فعلوه.

4- مرحلة الوضوح والتنوير:

في هذه المرحلة يكتمل وضوح الصورة في ذهن المبدع، فتكون له مرحلة إلهام وإشراق، لأنه بلغ في تصوره ما كان يرجوه، فلم يبق له إلا الاستشارة ثم اتخاذ القرار لتنفيذها، وما من فكرة إبداعية في السنة النبوية تحققت إلا بلغت قبل تحققها هذه المرحلة، ومن أمثلة ذلك:

فكرة بناء المسجد، أول معلمة مركزية في الإسلام، تمثل قوة الدولة، ومنها يتخرج قادتها وأعلامها، وبها تعقد المجالس الاستشارية، وتتخذ القرارات المسيرة لشؤون المجتمع، وينطلق السفراء إلى البلدان، وتكتب المراسلات إلى الملوك والأمراء.

1- ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، المحقق/ الدار التونسية النشر، تونس، ط1، 1984م، (2/27).

2- أخرجه الإمام أبو داود في أباب قيام الليل، باب وقت قيام النبي (صلى الله عليه وسلم) (2/35) حديث رقم (1319) حديث حسن.

3- العيني، شرح سنن أبي داود، المحقق/ خالد المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1420ه، (5/226).

هذه الفكرة كانت أول فكرة إبداعية يحققها النبي ﷺ بعد هجرته إلى المدينة المنورة، فدل ذلك على وضوحها ووضوح ما ستحققه من أهداف عاجلة وآجلة، لذا سارع النبي ﷺ إلى تنفيذها قبل أن يختار مسكنه ومحل إقامته، وبدأ في البناء والتشييد مباشرة بعد اختيار المكان، انطلاقا من تصوره الكامل لما ستؤول إليه فكرته الإبداعية بعد تحقيقها على أرض الواقع.

وكذلك فكرة ميثاق المدينة بين المهاجرين والأنصار، وموادعة اليهود، وما بث فيه من بنود، دلت على كمال الفكرة ووضوح صورتها، ووضوح مقاصدها وأهدافها، وعلى ذلك باقي الأفكار الإبداعية في الحرب، والمعاهدات، والتشريع، والقضاء، والفتوى، ونقل العلم، تتضح صورتها وأهدافها فتحقق مقاصدها على واقع الناس.

5- مرحلة الاستشارة والاستخارة:

هذه مرحلة تميزت بها السنة النبوية، وتميز بها المسلمون عن غيرهم؛ لأنها مظهر من مظاهر العدالة واحترام الآخرين، فأمر ربنا- سبحانه وتعالى- بها رسوله ﷺ في قوله سبحانه: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾[1]، وبها أثنى على المؤمنين بعد أن أنزلها منزلة العبادات من إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والاستجابة له، في قوله: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [2].

ثم الاستخارة، وهي التوجه إلى الله تعالى بالدعاء وعرض الأمر عليه، فإن كان خيرا يسره، وإن شرا صرفه بقدرته ومشيئته، وقد وجه إليها النبي ﷺ كل من همه أمر من أمور الدنيا والدين، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور، كما يعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالْأَمْرِ، فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ الْعَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ خَيْرٌ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أَوْ قَالَ: عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ شَرٌّ لِي، فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي، أوقال: فِي عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فَاصْرِفْهُ عَنِّي وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ

1- سورة آل عمران، آية رقم: 159

2- سورة الشورى، آية رقم: 38

لِي الْخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أرضني به. قال: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ»[1].

وتعد هذه المرحلة من أهم مراحل التفكير الإبداعي؛ لأنها تنبئ المبدع بإمكانية الاستمرار في تنزيل فكرته وتحقيقها إن أشار عليه أهل المشورة بالتأييد والتوجيه، أو تمكنه من إعادة النظر في بعض تفاصيلها، ومراعاة المصلحة العامة، أو التراجع عنها إن رأى أنها لن تؤتي نفعها في ذلك الوقت، أو أن مفاسدها ستكون أكبر من مصالحها.

فيكون المبدع بعدها أمام ثلاث خطوات: الاستمرار، التوقف والنظر، الإلغاء أو التأجيل، وأمثلتها من السنة النبوية فيما يأتي:

أولا: الاستمرار: ويشهد له من السنة النبوية ما حققه النبي ﷺ في غزوة بدر الكبرى من اتخاذ قرار الغزو والاستمرار فيه.

ثانيا: التوقف والنظر: ويشهد له ما وقع في الحديبية؛ حيث بلغ حدود مكة قاصدا العمرة دون حرب وقتال، لكنه تريث حين سمع بأمر المشركين ورغبتهم في الصد والمنع، فأرسل إليهم رسولا يخبرهم بحال المسلمين ومقصدهم، ثم انتظر عودته وما سيقرره العدو من قرارات، وبعد المشاورة والموازنة بين المصالح والمفاسد المتوقعة، اتخذ قرار الهدنة والصلح والعودة.

ثالثا: الإلغاء أو التأجيل: ومثالها قضية كتابة السنة النبوية وترددها بين المنع والإذن، فالفكرة إبداعية تهدف إلى حفظ العلم وتقييده والحرص على جمعه حتى لا يضيع، وكونها إبداعية يأتي من طبيعة المجتمع الذي كان يعتمد على الحفظ والسماع بالدرجة الأولى، ويضبط بصدره لا بكتابه.

هذه الفكرة تردد حكمها بين المنع الوارد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «لَا تَكْتُبُوا عَنِّي، وَمَن كَتَبَ عَنِّي غَيرَ القُرآنِ فَليَمحُهُ»[2]، وبين الإذن لبعض الصحابة- رضوان الله عليهم- في الكتابة[3].

1- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، في كتاب الكسوف، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى (1/391) حديث رقم (1109).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب النهي عن أن يكتب عن النبي ﷺ شيء غير القرآن ونسخ ذلك (4/2298) حديث رقم (3004).

3- ينظر: الخطيب البغدادي، تقييد العلم، إحياء السنة النبوية، بيروت، د. ط. ت.

فالفكرة إبداعية، لكن المنع في بداية التشريع كان لعلل قد تؤدي إلى رجحان المفسدة على المصلحة، والإذن بها بعد ذلك لمن أمن عليه عدم الوقوع في العلل المنوطة بالمنع، دليل على رجحان المصلحة والتشريع للأمة.

فكان الإذن متأخرا عن المنع مما دل على نسخه أو تخصيصه، ومنه إذنه ﷺ بالكتابة لأبي شاهﷺ [1].

6- مرحلة اتخاذ القرار:

يحدد المبدع هنا ما رجح عنده بعد اتباع المراحل السابقة، ويتخذ قراره في ضوء ما توصل إليه من النتائج، إما بالتنفيذ والمتابعة والتقويم، أو الإلغاء والتأجيل.

ويكون مسؤولا في كل قرار يتخذه عن كل ما ينتج عنه، بدليل حديث النبي ﷺ في بيان أهل المسؤولية المرتبطة باتخاذ القرار، قال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، الْإِمَامُ رَاعٍ ومسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا ومسؤولة عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالْخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ ومسؤول عَنْ رَعِيَّتِهِ»[2].

لذا كان النبي ﷺ إذا اتخذ قرارا تحمل كامل مسؤوليته، فإما ينزل الوحي بتأييده كما في غزوة بدر الكبرى، وصلح الحديبية، وبيعة الرضوان، وإما بعتابه وتوجيه أمته من بعده، كما في أسرى بدر، والإذن للمتخلفين عن غزوة تبوك.

وبعد اتخاذ القرار يحسن بالمبدع متابعته وتقويمه والاستفادة من إيجابياته وسلبياته، لتكون قراراته المستقبلية أجود وأنفع للأمة والمجتمع والوطن[3].

7- مرحلة التحقيق:

المرحلة الأخيرة لتنفيذ الإبداع، وتنزيله على الواقع، حينها يفرح المبدع بما حققه من إنجاز، لإيمانه وثقته بالفكرة التي أبدعها، وما ستتحقق من النتائج العاجلة والآجلة، وما أسهمت به من التنمية المستدامة للوطن والأمة، وهذا نهج النبي ﷺ ونهج أصحابه، حين تنفيذ القرار ونجاحه يفرحوا بما حققوا من إنجاز، امتثالا لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ

1- ينظر: القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (6/703).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النكاح، باب: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ (5/1988) حديث رقم (4892).

3- ينظر للفائدة: اقلاينة المكي، اتخاذ القرار في ضوء السنة النبوية، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (2014م) (ص578).

وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ﴾ [1].

فالمسلم يعلم إن تحقق له ما كان يرجوه من إبداع مشروع يخدم الإنسانية والوطن أن التوفيق والهداية إلى ما وصل إليه من نجاح هي بفضل الله ورحمته، وإذا كان شأن الرسل المؤيدون بوحي السماء، أن ينسبوا التوفيق والفضل لله، ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾ [2]، فمن هو دونهم في المرتبة أولى بنسبة الفضل والتوفيق إلى الله تعالى الذي هداه إلى ذلك، وبذلك يحقق الشكر له ليزيده من فضله في تحقق المزيد من الإبداعات والإنجازات.

وإذا تأملنا ما تم عرضه من مظاهر الإبداع في السنة النبوية نجد أن تحقيق التنمية المستدامة للأمة والوطن، لا تكون من فراغ، بل تبنى على أسس قوية، وكوادر مؤهلة، ومقاصد سنية، ومراحل منظمة، ليجد المبدع بيئة صالحة للإبداع، وقادة يشجعون على الابتكار والاختراع، بتأطير الخبراء المختصين، ومراقبة الهيئات والمؤسسات المعنية بذلك.

السنة النبوية مدرسة من المدارس الرائدة في تاريخ البشرية، حققت بوسائل بسيطة إنجازات وإبداعات عظيمة، فبينت لنا أن الإبداع الحقيقي يكون منطلقه بناء الإنسان قبل العمران، بتقويم عقله، وتهذيب سلوكه، وتنمية مهاراته الناعمة، وتعليمه ما يناسب شخصيته من المهارات الصلبة، ثم توفير بيئة مناسبة يسودها النظام والعدالة الاجتماعية، تحت ظل القيادات الرشيدة، التي تحرص على السلم والأمن لنشر مبادئ السلام، في تعاون وتآزر وتعايش مع مختلف الفئات لبناء حضارة قوية مزدهرة، ومواطَنة راقية.

المبحث الثاني: أثر التفكير الإبداعي في السنة النبوية في التنمية المستدامة للفرد والمجتمع

أسهمت السنة والسيرة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة للأفراد والمجتمعات من خلال التفكير الإبداعي الذي تميز به النبي ﷺ، وعلى أسسه ومراحله وأنواعه تربَّى أصحابه الكرام- رضوان الله عليهم- ولبيان الأثر الذي حققه الإبداع نقسم هذا المبحث على مطلبين: الأول: أثر التفكير الإبداعي في تحقيق التنمية المستدامة للأفراد، والثاني: أثر التفكير الإبداعي في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمع.

1- سورة يونس: آية رقم: 58

2- سورة هود، آية رقم: 88

المطلب الأول: أثر التفكير الإبداعي في تحقيق التنمية المستدامة للأفراد:

اهتم النبي ﷺ في كل مراحل الدعوة وتأسيس الدولة ببناء الإنسان، وركز على بناء الإنسان المبدع، الذي سيُعول عليه في بناء المجتمع والوطن، فراعى في أساليب التربية والتعليم ما سيحقق التنمية المستدامة للإنسان في جميع المجالات، ومن ذلك:

1- التعليم والقضاء:

التعليم أساس كل الحضارات، إذ بالعلم والمعرفة تتقدم الأمم والمجتمعات، وبالأمية والجهل تتخلف وتتوقف، وهو مقصد من مقاصد البعثة النبوية الشريفة، ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [1].

من أجل ذلك ركز النبي ﷺ في دعوته على أساليب التعليم، وأبدع في تكوين الجيل الأول من الصحابة- رضوان الله عليهم- حتى تخرج في مدرسة النبوة فقهاء وعلماء وقضاة ومحدثون مبدعون مجتهدون لهم أهلية وقدرة على علاج المشكلات، وحل النوازل.

ومنهم عائشة بنت أبي بكر الصديق (رضي الله عنهما) التي كانت مرجعا للصحابة بعد وفاة النبي ﷺ وإليها الاحتكام عند الاختلاف، وقد جمع الإمام الزركشي فقهها واستدراكها على الصحابة في مؤلف مستقل[2]، ظهر فيه إبداعها في الفهم والتحليل والنقد والاستدراك والتوجيه والتأويل بالحجج والبراهين، وكانت مُقدَّمة في الفرائض والأحكام، والحلال والحرام[3].

وغيرها من المبدعين المجتهدين الذين تميزوا بالعلم والمعرفة والفتوى والفقه والاجتهاد بشهادة رسول الله ﷺ، وشهادة الأمة لهم بالعلم والفقه.

كما برع الصحابة- رضوان الله عليهم- في القضاء، الأساس الذي تبنى عليه الدولة العادلة، بعدالة القضاة، ودهائهم وإبداعهم واجتهادهم في الفصل بين الخلائق إذا احتكموا إليهم، وقد تخرج في مدرسة النبوة من القضاة: عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، ومعاذ

1- سورة آل عمران، آية رقم: 164

2- الزركشي، الإجابة لإيراد ما استدركته السيدة عائشة على الصحابة، المحقق/ رفعت فوزي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط2، 1401ه).

3- ينظر: ابن القيم، أعلام الموقعين عن رب العالمين، المحقق/ مشهور آل سلمان، دار ابن الجوزي، الرياض، ط1، 1423ه، (2/39).

بن جبل، وأبو موسى الأشعري[1]، وغيرهم ممن شهد لهم النبي ﷺ بالكفاءة والأهلية والقدرة على الاجتهاد والإبداع والمهارة في القيام بالمهمة.

2- القيادة:

صناعة القادة المبدعين المؤثرين من المهام العظيمة التي حرص النبي ﷺ على القيام بها، بتعليم الصحابة لأساليب الإبداع في القيادة والإمارة، ومن ذلك: إشراكهم في القرارات التي تخص الأمة والمجتمع، وعقد مجالس الشورى وسماع رأيهم والأخذ بمقترحاتهم، تشجيعا لهم على الإبداع والتفكير الناقد.

وكان مستشاره الأول صاحبه وخليفته أبا بكر الصديق ﷺ، الذي أبدع بأفكاره وآرائه في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته حين تولى إمامة المسلمين، ثم عمر ﷺ، الذي كان يبادر بالفكرة والمقترح فينزل القرآن بتأييد رأيه وفكرته، كما في آية الحجاب، وأسرى بدر، ثم عثمان بن عفان، قائد الهجرة الأولى إلى الحبشة، وثالث الخلفاء الراشدين المهديين، المبدع لفكرة جمع الناس على حرف واحد في القرآن الكريم، ﷺ أجمعين.

كما حرص ﷺ على تعليم صغار الصحابة مبادئ القيادة، فاختار علي بن أبي طالب ﷺ ليحل محله عند الهجرة، ويرجع الأمانات إلى أهلها، ثم اختاره ليكون سفيرا له إلى اليمن، وقاضيا يقضي بين الناس، مع حداثة سنه وقلة خبرته، ثم اختاره لحمل الراية يوم حنين، كما جاء في حديث سهل بن سعد ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ». فَقَامُوا يَرْجُونَ لِذَلِكَ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا وَكُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَى، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ». فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَأَمَرَ فَدُعِيَ لَهُ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ مَكَانَهُ حَتَّى كَأَنَّه لَمْ يَكُنْ بِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ: نُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يُهْدَى بِكَ رَجُلٌ وَاحِدٌ خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»[2].

وبذلك قدم النبي ﷺ للأمة مثالا في صناعة القادة المبدعين، ووجهنا إلى ما تكتسب به القيادة من الدربة والممارسة العملية للمهمة بعد معرفة مبادئها وأسسها من أقوال

1- ينظر: وكيع القاضي، أخبار القضاة، المحقق/ عبد العزيز المراغي، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1، 1366ه، (1/85). وما بعدها.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب مناقب علي بن طالب 3/1357) ﷺ) حديث رقم (3498).

النبي ﷺ وأفعاله وتصرفاته.

3- الشؤون الخارجية:

بعد تأسيس الدولة الإسلامية، وبناء المجتمع الجديد، وتحقيق الاستقرار الداخلي، بدأت مرحلة أخرى من مراحل الدعوة، التي ظهرت بوادرها في الهجرتين إلى الحبشة، وهي مرحلة الدعوة الخارجية، بمكاتبة الملوك والأمراء وإرسال الرسل والسفراء، فاتخذ النبي ﷺ زيد بن ثابت ليكون كاتب الوحي وكاتبه إلى الملوك والأمراء وترجمان للرسائل والكتب، فكتب ﷺ إلى النجاشي ملك الحبشة، والمقوقس ملك مصر، وكسرى ملك الفرس، وقيصر ملك الروم، وفي كل كتاب يختار النبي ﷺ سفيرا مؤهلا، له من المهارات الإبداعية في الحوار والتبليغ ما يُمكّنه من إبلاغ الرسالة إلى المرسل إليه بما يحقق المصلحة والمقصد المنشود[1].

قال العلامة المباركفوري: «واختار من أصحابه رسلا لهم معرفة وخبرة، وأرسلهم إلى الملوك» [2].

4- الصناعة:

تعد الصناعة أصلا من أصول المكاسب ومقومات الاقتصاد، لكنها لم تكن من الحرف التي عرفها العرب في شبه الجزيرة العربية، فوجه النبي ﷺ أصحابه إلى تعلم الحرف وإتقانها، وتعلم الصناعات الحربية لصناعة الأسلحة والدبابات والدروع، من أجل الدفاع عن الوطن والمجتمع، وأثنى على من يشتغل بيده ويكسب من عمل يده في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ «أَنَّ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[3].

قال الحافظ ابن حجر بعد ذكره لحِرَف الأنبياء وصنعاتهم: «والحكمة في تخصيص داود بالذكر أن اقتصاره في أكله على ما يعمله بيده لم يكن من الحاجة؛ لأنه كان خليفة في الأرض كما قال الله تعالى، وإنما ابتغى الأكل من طريق الأفضل، ولهذا أورد النبي ﷺ قصته في مقام الاحتجاج بها على ما قدمه من أن خير الكسب عمل اليد»[4].

1- ينظر: المباركفوري، الرحيق المختوم (320) فما بعدها

2- المرجع نفسه (ص320).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (2/730) حديث رقم (1967).

4- ابن حجر، فتح الباري (4/306).

وفي هذا التوجيه تشجيع على تعلم صناعة جديدة لم يعرفها المجتمع العربي، كما انتدب النبي ﷺ عروة بن مسعود وغيلان بن سلمة (رضي الله عنهما) لتعلم صناعة الأسلحة في غزوة الطائف، وقبل ما اقترحته عليه المرأة التي سألته: أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَّارًا؟ قَالَ: (إِنْ شِئْتِ). فَعَمِلَتِ الْمِنْبَرَ [1]، تشجيعا منه ﷺ للأمة على الإبداع الذي يخدم الأمة ويسهم في تنميتها.

المطلب الثاني: أثر التفكير الإبداعي في تحقيق التنمية المستدامة للمجتمع:

ظهرت آثار التفكير الإبداعي النبوي في المجتمع بعد تأسيس الدولة، فكانت أول الخطوات الإبداعية التي بدأ بها النبي ﷺ عند قدومه للمدينة المنورة:

1- بناء المؤسسات:

وأعظمها مؤسسة المسجد التي كان يبدأ بها عند دخوله لكل حاضرة من الحواضر المحيطة بالمدينة، وأول ما قام به عند الوصول إلى المدينة النبوية، لما يحمله ذلك من المعاني العظيمة والمقاصد العالية؛ إذ به كانت الاجتماعات، والمعاهدات، ومنه انطلق النور المبين إلى العالمين، تخرج فيه العلماء والقضاة والمجاهدون والقادة والسفراء والمترجمون.

كما كانت مؤسسة المسجد مأوى للاجئين ومسكنا للفقراء من المهاجرين، ومقرا للأنشطة المجتمعية الموازية، ومقرا إعلاميا لما يخص المجتمع من قضايا وأمور، ومحكمة للقضاء بين الخصوم، ومكتبا لعقد العقود والمواثيق، ومركزا لاستقبال الوفود والرسل.

فلم تكن مهمة هذه المؤسسة المبتكرة قاصرة على الصلاة والعلم والموعظة بل كانت مقرا لمؤسسات مختلفة، ومراكز عدة.

ثم مؤسسة الجيش والدفاع، واختار لها من كانت له دراية بالمعارك والحروب، ومنهم سلمان الفارسي، وخالد بن الوليد، وأسامة بن زيد، وعلي بن أبي طالب ﷺ.

2- التآخي والتعاون:

إن قيام الدولة المواطنة ينطلق من أساس التعاون بين أفرادها، وأسمى درجاته

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، أبواب المساجد، باب الاستعانة بالنجار والصناع في أعواد المنبر والمسجد (1/172) حديث رقم (438).

ومراتبه فكرة المؤاخاة التي أبدعها النبي ﷺ حتى بلغت حد التوارث بين المهاجرين والأنصار، وأمر بها فكتبت في ميثاق يضم بنود الحقوق والواجبات للدلالة على قوة الفكرة ومحوريتها، فتحقق بها أثر كبير في المجتمع، في جميع المجالات.

فحفظت هذه الوثيقة المبادئ العامة لقيام الدولة على تحقيق العدالة الاجتماعية، والتعاون بين أفراد الوطن الواحد في الدفاع والحماية والتنمية الاقتصادية والتآزر الاجتماعي، ليكون أفراده كالجسد الواحد.

3- النظام العام:

إن المحافظة على النظام العام، وضبط سلوك المجتمع، وتنظيم العمليات الاقتصادية والتجارية، وفق عملية التوثيق ونظام العقود، وتسيير شؤون الأفراد في بيئة يسودها السلم والأمن، من أسمى مظاهر التقدم والرقي التي تنشده الدول والمجتمعات، لذا حرص النبي ﷺ على وضع الدستور الجديد للأمة، يبين فيه الحقوق والواجبات، ويُلزم فئات المجتمع بالاحترام والتقيد بما جاء فيه، فكانت الفكرة الإبداعية من النبي ﷺ سببا في حماية النظام العام للدولة، وحفظ بها حقوق الأفراد والجماعات.

ومن أهم ما جاء في بنوده:

أنهم أمة واحدة من دون الناس، وأن المؤمنين لا يتركون مفرحا بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل، وأن المؤمنين المتقين على من بغى عليهم، أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين، وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم، وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله ﷻ وإلى محمد ﷺ، وأن المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان[1].

وغيرها من البنود التي أسهمت في تحقيق الاستقرار والأمن للمجتمع، وحفظت نظامه العام، ومنه بدأت مسيرة بناء الدولة الجديدة في ظل تنمية مستدامة وتطوير مستمر، أساسه الأول بناء الإنسان.

1- ينظر: ابن هشام، السيرة النبوية (1/503).

الخاتمة

بعد النظر فيما تضمنته السنة النبوية من مظاهر التفكير الإبداعي، وتأثيره في تحقيق التنمية المستدامة، أسفر البحث عن جملة من النتائج والتوصيات، تفصيلها في الآتي:

أولا: النتائج

- التفكير الإبداعي مظهر أصيل من المظاهر التي اعتنت بها السيرة والسنة النبوية، وحرص عليه النبي ﷺ في تربية الجيل الأول من الصحابة -رضوان الله عليهم-.
- قام التفكير الإبداعي في السنة النبوية على أسس قوية أثرت في بناء الإنسان المبدع.
- العملية الإبداعية في السنة النبوية لها مراحل منظمة، تساعد المبدع على اتخاذ القرار المناسب للوقائع والأحداث والنوازل.
- تميز الإبداع النبوي بمرحلة الشورى، فكانت مرحلة لصناعة المبدعين، وسماع الآراء والمقترحات، والعمل الجماعي المنتج.
- أسهمت التربية الإبداعية النبوية في تخريج جيل مبدع متميز في جميع المجالات، مما أدى إلى تحقيق التنمية المستدامة للأمة في مختلف الميادين.
- مناقشة الأفكار الإبداعية وتفكيك القديم منها من أجل صياغته مرة أخرى، أسلوب نبوي فريد، حقق للمسلمين نتائج نافعة.
- حقق الإبداع في المجتمع الجديد تنمية مستدامة للفرد بتخريج فئات من العلماء والقضاة والقادة والأمراء والصناع والسفراء.
- أسهم إبداع ميثاق المدينة بين المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود في تحقيق التنمية المستدامة، وحفظ النظام العام، وحماية أفراد الأمة، وتنظيم شؤونهم.

ثانيا: التوصيات

من خلال ما تم بحثه ودراسته، أوجه أنظار الباحثين إلى التوصيات الآتية:

- العناية بمظاهر التفكير الإبداعي في المواثيق والعهود النبوية.

- العناية بالتفكير الإبداعي في المراسلات والمكاتبات النبوية للملوك والأمراء.
- كشف مظاهر الإبداع النبوي في المعاملات التجارية.
- دراسة الاجتهاد النبوي في الأمور الدنيوية وأثره في إنتاج الإبداع.
- كشف الأفكار الإبداعية التي أفادها المسلمون من غيرهم، وبيان أثر تطويرهم لها.

وفي ختام هذا العمل، أرجو الله التوفيق والسداد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الإجابة لما استدركت عائشة على الصحابة، بدر الدين الزركشي (ت794هـ)، المحقق/ رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي.
- أخبار القضاة، وكيع القاضي، المحقق/ المراغي، طبعة المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط1، 1366هـ.
- أعلام الموقعين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، المحقق/ مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي.
- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر.
- التفكير الإبداعي، صلاح الدين وصيف، طبعة المجتمع العربي، عمان، ط1، 1436هـ.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، المحقق/ مصطفى البغا، دار ابن كثير.
- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد البر القرطبي (ت463هـ)، المحقق/ أبو الأشبال، دار ابن الجوزي.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد لله محمد بن أحمد القرطبي (ت671هـ)، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة.
- الرحيق المختوم، صفي الرحمن المبار كفوري (ت1427هـ) دار الهلال.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد لله محمد بن يزيد القزويني (ت273هـ) المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، محمَّد كامل قره بللي، عَبد اللّطيف حرز الله، مؤسسة الرسالة العالمية.
- سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت275هـ)، محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي (ت279هـ)، المحقق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي.

- سير أعلام النبلاء، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت748هـ)، المحقق/ حسين أسد، وشعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405هـ، 1985م.
- السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام (ت213هـ)، المحقق/ السقا، الأبياري، شلبي، مكتبة الحلبي.
- شرح صحيح البخاري، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال (ت449هـ)، المحقق/ ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، القاضي أبو بكر ابن العربي المعافري (ت543هـ) دار الكتب العلمية.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت852هـ) المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة.
- الكفاية في علم الرواية، للخطيب أبو بكر البغدادي (ت463هـ)، المحقق/ السورقي، وإبراهيم حمدي، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.
- لمحات عامة في التفكير الإبداعي، عبد الإله الحيزان، المنتدى الإسلامي، مجلة البيان، ط1، 1423هـ.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول لله ﷺ، مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، المحقق/ فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث.
- معالم السنن، أبو سليمان حمد الخطابي (ت388هـ)، مطبعة محمد راغب الصباغ، وبتحقيقه.
- المنطق والتفكير الناقد، عصام زكريا، دار المسيرة، عمان، 1433هـ.
- Wallace, Graham, the art of thought- jonathan cap, (2014).

الاقتصاد الأخضر كآلية لتحقيق التنمية المستدامة في السنة النبوية

أ. د. سيد حسن عبد الله

الأستاذ المتفرغ بقسم القانون العام بكلية الشريعة والقانون – جامعة الأزهر – مصر

د. ليلى أحمد سالم المشجري

الأستاذ المساعد بأكاديـمية ربدان العسكرية – أبو ظبي

ملخص

الاقتصاد الأخضر وسيلة من وسائل التنمية المستدامة، وأداة من أدوات تحقيق الطاقة المتجددة التي تخلق فرصًا اقتصادية رئيسة، فضلًا عما يصحبه من بناء المدن الخضراء، والأوراق المالية الخضراء. وقد ظهرت هذه الأهداف بصورة أكبر في قراءة ما تضمنته «مبادرة استراتيجية الإمارات للتنمية الخضراء» وهي مبادرة وطنية طويلة المدى لبناء اقتصاد أخضر في الدولة تحت شعار «اقتصاد أخضر لتنمية مستدامة». ولما كانت دراسةُ هذه الظاهرة في نطاق ما تتضمنه السنةُ النبوية من قيم ومبادئ وأحكام، فإن السنة النبوية في هذا المجال تنظر إلى الزراعة باعتبارها من أعظم الأسباب، وأكثرها أجرًا؛ لأن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين، وغيرهم. هذا وقد انتهى البحث إلى مجموعة من النتائج، أولها: السنة النبوية مصدر أساس من مصادر التعريف بالاقتصاد الأخضر، وأنه ليس غريبًا على تراثنا الحضاري، بل هو مصدر نماء وثراء وأداةً من أدوات وجوب التواصل بين الأجيال المتعاقبة في الانتفاع بالموارد، في محيط بيئة نظيفة خالية من كل مصادر التلوث. ثانيًا: الاقتصاد الأخضر لا يقوى ولا يشتد إلا في بيئة إيمانية، تحتكم إلى منظومة القيم والأخلاق التي تسعد العالم الإنساني بأثره، وتجعله فريضة إيمانية ومتطلبًا اجتماعيا واقتصاديا للتقدم الاقتصادي. ثالثا: استمرار النشاط الاقتصادي للمسلم بقوة وفاعلية، مهما كانت النتائج، أبلغ دليل على إرادة الشرع الإسلامي استمرار عمارة الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها. رابعا: السنة النبوية مصدر خصب لتحقيق الأمن البيئي من خلال مقومات الاقتصاد الأخضر وفي هذا الشأن قررت الكثير من الأحكام التي تتفق ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ومبادئها الكلية، منها: تحقيق التناغم بين محبة رسول الله -ﷺ- وبين الجمادات، وحماية المحميات الطبيعية، التوسع في تطبيق ما يسمى بـ"مختبر الذكاء الاصطناعي" إعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة، والبيئة النظيفة للثروة السمكية، والمحافظة على التنوع النباتي في أوقات الحرب.

كلمات مفتاحية: الاقتصاد الأخضر، التنمية المستدامة، السنة النبوية.

Abstract

The green economy is a means of business development, and a tool for achieving new energy, which can be a smart president, in addition to what accompanies it from building green cities and green leaves. This may not be limited to more than the largest in reading what was confined by the «UAE Green Development Strategy Initiative», which is adopting long-term initiatives to establish a green economy in the country under the slogan «A Green Economy for the Front». Since the study of this phenomenon is within the scope of what the Prophetic Sunnah contains of values, principles and rulings, the Prophetic Sunnah in this field is considered one of the greatest brightest and most rewarding; because it is a good that extends to the farmer, his Muslim brothers, and others. The research has concluded with a set of results, the first of which is: The Sunnah of the Prophet is the basis of a source of knowledge of the economy, and that it is not strange to our cultural heritage, but rather it is a source of growth and wealth and a tool for the necessity of communication between successive generations in benefiting from resources, in a clean environment free from all sources of pollution. Second: The green economy is not strong or intense except in a fundamentalist environment, governed by principles and ethics that make the world happy, and make it a religious duty and a social and economic requirement for economic progress. Third: The continuation of the economic activity of Muslims with strength and effectiveness, the guests were the results, the most eloquent evidence of the will of Islamic law except the development of the universe until God inherits the earth and those on it. Fourth: The Sunnah of the Prophet is a fertile source for achieving security through the components of the green economy. In this, many authorities have decided that are consistent with the objectives of the noble Sharia and its comprehensive principles, including: teaching harmony between the love of the Messenger of God - may God bless him and grant him peace - and inanimate objects, protecting natural reserves, expanding the application of what is called B»Artificial Intelligence Laboratory for Artificial Re-discrimination through Contemporary Judgments, Diverse Environment of Fish Wealth, and Preserving Diversity in Times of War.

Keywords: New Economy, Economic Development, Sunnah

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، واهب الوجود أسباب السعة والخلود، على نسق بديع متسع الحدود، وتنمية مستدامة تغمر البشرية برخاء وعمران ممدود، والصلاة والسلام على صاحب الحوض المورود، الشافع المشفع في يوم لا يغني فيه والد عن مولود، عليه وعلى آله وصحبه أهل السبق والفضل والجود إلى اليوم المشهود وبعد:

فإن التنمية المستدامة أساس كل عمران، وأعمدة كل بنيان، وقوة كل كيان، وخزانة تمويل الأزمات، وتطلعات الشعوب إلى تخطي الضرورات إلى الكماليات، والعيش في كنف السعة والرخاء، فهي تعمل على تلبية الاحتياجات الحالية الراهنة دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم. وبصفة عامة تهدف إلى حماية الموارد الطبيعية والاستخدام الأمثل للأراضي الزراعية وموارد المياه، وضمان الرفاهية الاقتصادية للمجتمع وتوظيف الموارد من أجل رفع مستوى المعيشة لسكان الدول الفقيرة.

ويعد الاقتصاد الأخضر وسيلة من وسائل التنمية المستدامة، وأداة من أدوات تحقيق الطاقة المتجددة التي تخلق فرصًا اقتصادية رئيسة، فضلًا عما يصحبه من بناء المدن الخضراء، والأوراق المالية الخضراء.

ويهدف الاقتصاد الأخضر إلى التنمية المستدامة؛ عن طريق التغلب على التحديات التي تواجه بلدان العالم، مثل تغير المناخ، وذلك من خلال ترسيخ الحلول الخضراء وتوليد مسارات جديدة للبناء والتنمية.

وتظهر هذه الأهداف بصورة أكبر في قراءة ما تضمنته مبادرة: «استراتيجية الإمارات للتنمية الخضراء» وهي مبادرة وطنية طويلة المدى لبناء اقتصاد أخضر في الدولة تحت شعار «اقتصاد أخضر لتنمية مستدامة». وقد كان من أهم أهدافها: تصدير وإعادة تصدير المنتجات والتقنيات الخضراء، والمحافظة على بيئة مستدامة تدعم نموًا اقتصاديًا طويل المدى؛ وذلك لاشتمال المبادرة على مجموعة من البرامج والسياسات في مجالات الطاقة والزراعة والاستثمار والنقل المستدام، إضافة إلى سياسات بيئية وعمرانية جديدة تهدف إلى رفع جودة الحياة، وتنفيذ سياسات التخطيط العمراني الهادفة إلى المحافظة على البيئة، والتعامل مع آثار التغير المناخي، وتشجيع جهود الحياة الخضراء، والاهتمام بالتكنولوجيا والتقنية الخضراء.

أما عن دراسة هذه الظاهرة في نطاق ما تتضمنه السنة النبوية من قيم ومبادئ وأحكام، وفق اختيار اللجنة العلمية المنظمة للندوة، فقد كان الاختيار موفقًا وصائبًا وراقيًا؛ لفتح الباب أمام الباحثين لدراسة الموضوع دراسة دقيقة خدمة للسنة النبوية، ونصرة لقضايا الأوطان التنموية والبيئية، خاصة وأن السنة النبوية في هذا المجال تنظر إلى الزراعة باعتبارها من أعظم الأسباب، وأكثرها أجرًا؛ لأن خيرها متعد للزارع ولإخوانه المسلمين، وغيرهم، والطير، والبهائم، والحشرات، كل ذلك ينتفع بزراعته، وقد ظهر ذلك بوضوح في: قوله ﷺ: «ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[1]. وفي الحديث دليل على فضيلة الغرس، وفضيلة الزرع، وأن أجر فاعلي ذلك مستمر مادام الغراس والزرع وما تولد منه إلى يوم القيامة، كما ذكر شراح الحديث؛ لذا كان هذا الحديث نواة التنمية المستدامة ومشعل الاقتصاد الأخضر.

أهمية الدراسة:

تظهر أهمية هذه الدراسة من خلال إقامة الدليل على أن حماية النباتات والأشجار بسبب وظائفها الكثيرة ونفعها الكبير لون من ألوان العمران التنموي للبيئة، ومقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية، وأن رسالة الإسلام رسالة حياة وإحياءٍ، ليس للبشر، بل لكل الكائنات، فوضع أسسا للتعاطي مع الجماد والنبات والحيوان والحجر والشجر، ونهى عن قطع كل شجر ينتفع الناس به في الاستغلال وغيره، مثل أن يكون منزلًا للمسافرين او ما أشبه ذلك، ففي كل ما تقدم من الصور نهى الإسلام عن قطعها لما فيها من إزالة المنافع التي ينتفع بها المارة.

وفي السنة النبوية الكثير من الأحاديث الدالة على أن الشريعة الإسلامية تقف من منظومة الاقتصاد الأخضر موقف الظهير، وتبني على وجوده الكثير من الأحكام الشرعية ؛لتكون سلوكًا راشدًا في البناء والتنمية، سواء للأفراد أو الدول، خاصة وأنه أصبح ضرورة اقتصادية ملحة لتأمين النجاح الاقتصادي والخروج من الأزمات والتصدي لأزمات أخرى مستقبلية، وقد نتج عن هذه الحقيقة التزام الدول أن تعزز اقتصاداتها بالتكنولوجيات الخضراء من خلال زيادة الكفاءة والإبداع وبالاعتماد بشكل أكبر على المشاريع والبرامج البيئية كالطاقة المتجددة والنظيفة لتحضير اقتصاداتها.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1188) حديث رقم (1553).

يضاف إلى ما تقدم أن الحفاظ على التنوع النباتي وصيانة سلسلة الغذاء من الخلل، والدعوة للغرس والبناء حتى آخر لحظة في عمر الأرض، مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية، نصت عليه السنة النبوية المطهرة في مواطن كثيرة.

إشكالية الدراسة:

باتت التنمية المستدامة في واقعنا المعاصر غاية لكل أمة، وعنوانًا للتقدم الحضاري اقتصاديًّا واجتماعيًّا وبيئًّيا، وذلك من خلال تعظيم الموارد الطبيعية واستخدامها الاستخدام الأمثل، مع المحافظة عليها من التلوث والإفساد أو اهدراها دون الاستفادة منها. وقد تواترت الأحاديث النبوية الواردة في أهميته حتى صارت أساسًا للقول بوجوبه، حماية للبيئة، وللمحافظة على نظافتها، ومنع الإسراف في استخدام الموارد والسلع والمنتجات، بل أصبحت فريضة إيمانية وواجبًا اجتماعيًّا، وهذه من الدعائم الأصيلة في الاقتصاد الأخضر.

الدراسات السابقة:

وُجدت في هذا الشأن الكثير من الدراسات التحليلية، منها:

1. دراسة د/حوراء علي سبيتي، «الهندسة المالية في التحول نحو الاقتصاد الأخضر وتأمين التنمية المستدامة»، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الرابع والثلاثون، تاريخ الإصدار5/2/2022م.
2. دراسة /نجوى يوسف جمال الدين، الاقتصاد الأخضر، المفهوم والمتطلبات في التعليم، مجلة العلوم التربوية، كلية الدراسات العليا للتربية، جامعة القاهرة، العدد الثالث، المجلد 22، 2017م. وغيرها من الدراسات، التي يلاحظ عليها أنها لم تتناول المسألة من الناحية الشرعية تناولًا كاملًا يغطي جميع مسائلها، ولا توجد دراسة خاصة تفرد للمسألة محل البحث دراسة مستقلة في ضوء السنة النبوية؛ لذا حرصت على أن تكون دراستي في هذا الاتجاه.

منهج البحث:

تم إعداد هذه الدراسة وفق ثلاثة مناهج، الأول: المنهج الاستقرائي، وذلك باستقراء المسائل الواردة في موضوع البحث وثيقة الصلة بالاقتصاد الأخضر، وفق ما دلت عليه الأحاديث النبوية، وما يستتبعه من الأمن البيئي، ثم المنهج الاستنباطي للأحكام الشرعية

المترتبة على هذه الدراسة في ضوء نصوص السنة النبوية، وبما يتفق ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء. وأخيرا: المنهج المقارن، وفق ما عليه العمل في النظم الوضعية، كلما كان ذلك ممكنًا.

خطة البحث:

قسمت هذا البحث إلى مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، جعلت المقدمة في بيان الخلفية النظرية للبحث وأهميته وإشكاليته وأسئلته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث التمهيدي: في التعريف بالعناصر الأساسية للموضوع.

المبحث الأول: أصول الاقتصاد الأخضر كقاطرة للتنمية المستدامة في السنة النبوية.

المطلب الأول: سد منافذ التلوث البيئي.

المطلب الثاني: الاستمرار في الغرس ولو كانت فرصة في الحصول على ثمار غرسه منعدمة.

المطلب الثالث: النهي عن قطع الأشجار المثمرة.

المبحث الثاني: الاقتصاد الأخضر وتحقيق الأمن البيئي في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: تحقيق التناغم بين محبة رسول الله ﷺ وبين الجمادات.

المطلب الثاني: نظافة الطرق والمجالس صيانة للبيئة من التلوث في السنة النبوية.

المطلب الثالث: حماية المحميات الطبيعية في ضوء السنة النبوية.

المطلب الرابع: التوسع في تطبيق ما يسمى ب «مختبر الذكاء الاصطناعي في ضوء السنة النبوية».

المطلب الخامس: المحافظة على التنوع النباتي في أوقات الحرب في السنة النبوية.

المطلب السادس: البيئة النظيفة للثروة السمكية في ضوء السنة النبوية.

المبحث الثالث: إعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة في ضوء السنة النبوية.

المطلب الأول: القيمة الاقتصادية لتدوير النفايات.

المطلب الثاني: المنهج النبوي في إعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة.

المطلب الثالث: مشروعية إصلاح الأشياء التي تعافها النفس.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

قائمة المصادر والمراجع.

مبحث تمهيدي: التعريف بالمصطلحات الواردة في البحث

أولًا: مصطلح التنمية المستدامة وأهدافها.

ليس هناك اتفاق حول تعريف التنمية المستدامة، ولكن يمكن تعريفها بأنها: «التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة» [1].

وفي السبعينيات تم استخدام مصطلح الاستدامة لوصف اقتصاد متوازن مع أنظمة الدعم البيئية الأساسية، وتشمل المكونات الرئيسة للتنمية المستدامة ثلاثة أبعاد، هي: البيئة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية[2].

ومن سمات التنمية المستدامة أنها تتوجه إلى تلبية احتياجات أكثر الشرائح فقرًا، ويعد القضاء على الفقر هدفها الأول، ويمثل ذلك أيضًا الهدف الأول للعمل الخيري الذي يستهدف الفقراء، والمساكين، والأيتام، والضعفاء، والغارمين، وأبناء السبيل، من حيث تصرفهم بالمال، والجهد، والوقت، ودفع الأذى عنهم، بل وتنمية رأس مالهم البشري عن طريق توفير التعليم، والصحة، بل إن الإسلام شرع لهم ركنًا من أركان الإسلام، وحدد مصارفه على وجه الدقة حتى لا يشاركهم فيه غيرهم.

أما التنمية المستدامة من منظور إسلامي: فهي عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة والبعد البيئي من جهة أخرى، وتهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها. ومن منظور إسلامي يؤكد الإسلام أن الإنسان خليفة الله في الأرض، له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القرآن والسنة، على أن يراعى في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر دون إهدار حق الأجيال المقبلة.

1- تطبيق مؤشرات التنمية المستدامة في بلدان الأسكوا تحليل النتائج، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا، الأمم المتحدة، نيويورك 2001م، (ص4) متاح على موقع الأمم المتحدة:
https: //www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals/

2- ينظر: الإسلام والتنمية المستدامة، رؤى كونية جديدة، عودة راشد الجيوسي، ترجمة مجموعة الترجمة، جمانة وليد وآخرون، سلسلة التحول والابتكار، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، الأردن، 2013م، (ص21).

ثانيا: مفهوم الاقتصاد الأخضر:

يدور معنى الاقتصاد الأخضر حول: تحسين الوضع الاقتصادي والحد من أخطار البيئة [1]. وقد عرفته المفوضية الاقتصادية للأمم المتحدة في أ وربا unece بأنه: «الاقتصاد الذي يؤدي إلى تحسين رفاهية الإنسان ويحقق العدالة الاجتماعية، مع الحد بشكل كبير من المخاطر البيئية والندرة الإيكولوجية» [2].

وتظهر أهمية الاقتصاد الأخضر في المحافظة على البيئة ويعمل على تحقيق التنمية المستدامة، ويؤدي إلى تحقيق العدالة الاجتماعية مع العناية في الوقت ذاته بالرخاء الاقتصادي[3].

وقد اهتمت الأمم المتحدة بهذا الموضوع في المؤتمر الذي عقد في يونيو 2012م في سباق التنمية المستدامة، وأكد المؤتمر على أن الاقتصاد الأخضر أداة أساسية لتسيير تحقيق التنمية المستدامة، وتخفيف الفقر من خلال سياسات تراعي الأوضاع الوطنية، وتحترم سيادة كل دولة على مواردها الطبيعية.

ويهدف الاقتصاد الأخضر إلى تحقيق الكثير من الأهداف الاقتصادية، يأتي في مقدمتها:

1. استدامة الاستهلاك والإنتاج بكفاءة وتحقيق التنمية المُستدامة، وتحسين عمليات الإنتاج، وتحسين ممارسات الاستهلاك من خلال تقليل استهلاك الموارد، وتوليد النفايات والانبعاثات عبر دورة الحياة الكاملة للعمليات والمنتجات.
2. يعمل على تقليل كمية الموارد المطلوبة، والانبعاثات والنفايات المتولدة من المنتجات

1- ينظر: دور المسؤولية المجتمعية في نشر الوعي بالاقتصاد الأخضر وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، المجلة الدولية للبحوث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد السابع، العدد الثاني عشر، أكتوبر 2021م، (ص 523) وما بعدها، أهمية التدريب لتحقيق التحول الفعال نحو الوظائف الخضراء في ظل الاقتصاد الجديد، د/ نصيرة بركنو؛ ثابتي الحبيب، مجلة التنظيم والعمل، المجلد: الخامس، العدد: الثالث.10، 2016م، (ص41-21)، الاقتصاد الأخضر نحو إمكانيات استخدام الطاقة الشمسية لتحقيق التنمية المستدامة بالتطبيق على مصر، أ/معتز عزت الشيمي، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2014م، (ص98).

2- المصدر: 2015united nations economies for europeunece

3- ينظر: الهندسة المالية في التحول نحو الاقتصاد الأخضر وتأمين التنمية المستدامة، أ/حوراء علي سبيتي، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الرابع والثلاثون تاريخ الإصدار5/2/2022م، (ص10-9).

أو الخدمات، ويعمل الاقتصاد الأخضر على توفير نهج اقتصادي كلي للنمو الاقتصادي المستدام، مع التركيز بشكل أساسي على الاستثمارات، والتوظيف والمهارات.

3. يهدف الاقتصاد الأخضر لأن يكون طريقًا للمستقبل؛ كمصدر جديد للتكنولوجيا المتقدمة، وخلق فرص العمل في بلدان العالم، كما ويهدف إلى إزالة الحواجز من أجل مستويات أعلى من التجارة والاستثمار في السلع والخدمات البيئية.

4. يهدف الاقتصاد الأخضر إلى التخلص من الفقر إلى تحقيق الفائدة للفقراء، من خلال استخدام الحلول التي تعمل على بناء الاقتصاد الريفي، وفتح الفرص للشركات الصغيرة والشركات المتوسطة للمشاركة في العالمية، كما يعمل الاقتصاد الأخضر على حشد التكنولوجيا الخضراء والحصول على التمويل لتوسيع حلول الطاقة وإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات.

5. يهدف الاقتصاد الأخضر إلى التنمية المستدامة؛ عن طريق التغلب على التحديات التي تواجه بلدان العالم، مثل تغيير المناخ، وذلك من خلال ترسيخ الحلول الخضراء وتوليد مسارات جديدة للاقتصاد الأخضر.

6. يهدف الاقتصاد الأخضر القائم على المعرفة؛ إلى تسريع التحول الاقتصادي، من خلال تقديمهِ لنهج تدريجي لتخضير القطاعات الفردية، وتحفيز تطوير مهارات جديدة وإدخال التكنولوجيا، ولتحقيق هذه الرؤية ستحتاج البلدان إلى مراجعة شاملة؛ لسياسيات التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وتكييف البرامج القطاعية، والاستثمار في التكنولوجيا الجديدة التي تخدم هذه الأهداف، كما تحتاج إلى تطوير مهارات جديدة للإنتاج الأخضر [1].كما يوضحه العنصر التالي.

ثالثا: جهود دولة الإمارات العربية المتحدة في دعم الاقتصاد الأخضر:

يجد الناظر في واقع دولة الإمارات العربية المتحدة أنها باتت من الدول الرائدة في مجال المبادرات الداعمة للاقتصاد الأخضر، بهدف الحد من حرق النفط والغاز التوسع المضطرد في تقنيات التقاط الكربون وتخزينه، وترسيخ معايير الكفاءة والفعالية، مما كان له عظيم الأثر في بناء نموذجٍ رائد عالميًا يجمع بين نمو الاقتصاد والاستدامة وحماية البيئة.

1- موقع إلكتروني موضوع كوم.https://mawdoo3.com، تاريخ الاطلاع عليها 15 أكتوبر 2024م.

وتأتي مبادرة «استراتيجية الإمارات للتنمية الخضراء»[1]، على رأس هذه الجهود، وهي مبادرة وطنية طويلة المدى لبناء اقتصاد أخضر في الدولة تحت شعار «اقتصاد أخضر لتنمية مستدامة»، وذلك وفق ستة مسارات:

المسار الأول: الطاقة الخضراء، وهي مجموعة من البرامج والسياسات الهادفة لتعزيز إنتاج واستخدام الطاقة المتجددة والتقنيات المتعلقة بها، بالإضافة لتشجيع استخدام الوقود النظيف لإنتاج الطاقة والعمل على تطوير معايير وتعزيز كفاءة استهلاك الطاقة في القطاعين الحكومي والخاص.

المسار الثاني: يشمل السياسات الحكومية والهادفة لتشجيع الاستثمارات في مجالات الاقتصاد الأخضر، وتسهيل عمليات إنتاج واستيراد وتصدير وإعادة تصدير المنتجات والتقنيات الخضراء بالإضافة للعمل على خلق فرص العمل للمواطنين في هذه المجالات وتجهيز الكوادر الوطنية في هذا المجال.

المسار الثالث: ويأتي تحت عنوان المدينة الخضراء، ويشمل مجموعة من سياسات التخطيط العمراني الهادفة للحفاظ على البيئة، ورفع كفاءة المساكن والمباني بيئيا، وتشجيع وسائل النقل الصديقة للبيئة أو ما يسمى بالنقل المستدام، بالإضافة لبرامج تهدف لتنقية الهواء الداخلي للمدن في دولة الإمارات لتوفير بيئة صحية للجميع.

المسار الرابع: التعامل مع آثار التغير المناخي، وذلك عبر سياسات وبرامج تهدف لخفض الانبعاثات الكربونية من المنشآت الصناعية والتجارية، بالإضافة لتشجيع الزراعة العضوية عن طريق مجموعة من الحوافز على المستويين الاتحادي والمحلي.

المسار الخامس: الحياة الخضراء، ويشمل مجموعة من السياسات والبرامج الهادفة لترشيد استخدام موارد الماء والكهرباء والموارد الطبيعية، بالإضافة لمشاريع إعادة تدوير المخلفات الناتجة عن الاستخدامات التجارية أو الفردية. كما يحوي هذا المسار على مبادرات التوعية والتعليم البيئي للجمهور.

المسار السادس: التكنولوجيا والتقنية الخضراء وسيركز هذا المسار في مرحلته الأولى

1- تقرير مجلة الاقتصاد الإسلامي2020م مقال:» الإمارات تعزز موقعها كمركز عالمي للاقتصاد الأخضر، كتبه أ: أحمد عبد الفتاحhttps: //www.aliqtisadalislami.net ،:/%. انظر: موقع جريدة الإمارات اليوم، النسخة الإلكترونية :.https: //www.emaratalyoum.com/business/local/2022-08-14

على تقنيات التقاط وتخزين الكربون، بالإضافة لتقنيات تحويل النفايات إلى طاقة[1].

واستمرارًا لجهود دولة الإمارات العربية المتحدة في هذا المجال استضافت إمارة دبي فعاليات الدورة الثامنة من القمة العالمية للاقتصاد الأخضر على مدى يومي الثامن والعشرين والتاسع والعشرين من شهر سبتمبر 2022 بمشاركة نخبة من أبرز قادة العمل المناخي والوزراء والمسؤولين في جميع قطاعات الاقتصاد الأخضر والتنمية المستدامة من مختلف أنحاء العالم.

وترجع أهمية هذه القمة إلى أسباب، من بينها: تعزيز الاستثمارات النوعية في الاقتصاد الأخضر. مما يؤكد تقدير العالم لجهودها ودورها الفاعل والمؤثر عالميًا في قضية مواجهة التغير المناخي، حيث أعلنت دولة الإمارات العام الماضي عن المبادرة الاستراتيجية لتحقيق الحياد المناخي بحلول 2050، واستثمارها أكثر من 600 مليار درهم في الطاقة النظيفة والمتجددة حتى 2050، لتصبح بذلك أول دولة في منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا تطلق هذه المبادرة الاستراتيجية، وجاء ذلك ليتوج جهود الدولة ومسيرتها في العمل المناخي على مدى العقود الثلاثة الماضية منذ انضمامها لاتفاقية الأمم المتحدة الإطارية لتغير المناخ في عام 1995م.

ونتيجة لهذه الجهود ووجوه الاهتمام المتعددة أشار التقرير إن دبي نجحت في تحقيق خفض في الانبعاثات الكربونية وصل إلى 21% في عام 2021 لتتخطى بذلك النسبة المستهدفة في استراتيجية دبي للحد من الانبعاثات الكربونية 2021، حيث هدفت الاستراتيجية إلى خفض الانبعاثات بنسبة 16% بحلول عام 2021، وفي هذا إشارة قوية إلى أن دولة الإمارات تحتضن مؤسسات عالمية متخصصة في مجال الاقتصاد الأخضر مثل الوكالة الدولية للطاقة المتجددة «ايرينا» في العاصمة أبوظبي، والمنظمة العالمية للاقتصاد الأخضر في دبي، وغيرها من المؤسسات الرائدة، وتدعم الدولة الجهود العالمية الهادفة إلى التصدي للتغير المناخي من خلال إعلان حلول فاعلة لدعم القطاعات المحلية منخفضة الكربون ومشروعات رائدة تدعم استراتيجيات وتطلعات الدولة المستقبلية مثل مدينة «مصدر» في أبوظبي، ومجمع محمد بن راشد آل مكتوم للطاقة الشمسية في دبي[2].

1- موقع الحكومة الإماراتية https: //u.ae/ar-ae/about-the-uae/economy/green-economy-for-sustainable-development

2- تقرير مجلة الاقتصاد الإسلامي 2020م مقال:» الإمارات تعزز موقعها كمركز عالمي للاقتصاد الأخضر»، المرجع السابق.

المبحث الأول

أصول الاقتصاد الأخضر كقاطرة للتنمية المستدامة في السنة النبوية

المكتبة الفقهية عامرة بكثير من الدراسات الشرعية ذات الصلة بالفقه البيئي، الذي يمكن أن يقدم للعالم صورة نموذجية لفقه بيئي يتناسب مع مشاكل البيئة العالمية اليوم، وبذلك يرقى هذا الاجتهاد إلى مستوى مواكبة التطورات التي يشهدها العالم، حتى لا تشكل هذه المشكلة المعاصرة تحديًا صعبًا للفقه والفقهاء المسلمين[1].

وفي هذا الشأن: وُجدت الكثير من القيم والمبادئ الكلية المستمدة من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة، فمن القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [2]، وهذه الآية دليل عام على أهمية الغراس والاقتصاد المستنبط منه، قال الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: «واستعمركم فيها»: فيه ثلاثة أوجه: الأول: جعلكم عمارها، قالوا: كان ملوك فارس قد أكثروا في حفر الأنهار وغرس الأشجار، لا جرم حصلت لهم الأعمار الطويلة، فسأل نبي من أنبياء زمانهم ربه، ما سبب تلك الأعمار؟ فأوحى الله تعالى إليه أنهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي، وأخذ معاوية بن أبي سفيان ﷺ في إحياء أرض في آخر عمره، فقيل له: ما حملك عليه؟ فقال: ما حملني عليه إلا قول القائل:

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به ولا يكون له في الأرض آثار[3]

وما ذكره الإمام الرازي فيه دليل قاطع على أهمية الغراس المثمر في تحقيق مراد الإسلام من التنمية المستدامة، أي: عمارة الكون، وتهيئة سبل العيش الكريم، والقضاء على البطالة، بخلق مزيد من فرص التوظيف، وخاصة في قطاع الشباب الذين هم عصب الأمة، وحماية البيئة من التلوث، والحد من ظاهرة الاحتباس الحراري، من خلال التقنيات المعاصرة التي ألزم الإسلام بالاحتكام إليها دفعًا للمضرة أو المفسدة، وما اقتضته حكمة الله تعالى من جعل الأرض قابلة للعمارات النافعة للإنسان، وكون الإنسان قادرًا عليها، وفي هذا دلالة عظيمة على وجود الصانع؛ وذلك لأن حدوث الإنسان مع أنه حصل في ذاته العقل الهادي والقدرة على التصرفات الموافقة يدل على وجود الصانع الحكيم، وكون

1- الإسلام والبيئة، د/محمد فتح االله الزيادي، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة التاسعة عشر، إمارة الشارقة، الإمارات العربية، في الفترة من2009/4-3-26م، (ص828).

2- سورة هود من الآية: 61.

3- الرازي، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ، (18/368).

الأرض موصوفة بصفات مطابقة للمصالح موافقة للمنافع يدل -أيضا- على وجود الصانع الحكيم[1].

ومن السنة النبوية: أحاديث كثيرة استنبط منها الباحثون والمتخصصون في الدراسات الشرعية المقارنة الكثير من أسس ومبادئ الاقتصاد الأخضر كقاطرة للتنمية المستدامة، بيانها في مطالب خمسة:

المطلب الأول: سد منافذ التلوث البيئي

تؤمن الدول المتقدمة بأهمية القرارات الاقتصادية النافعة في بناء اقتصاديات الأفراد والمجتمعات في نطاق بيئي ملائم، انتاجًا وتوزيعًا واستهلاكًا، بأقل نفقة ممكنة، وأقصى منفعة ممكنة، يجد المنتج والمستهلك ثمارها النافعة بيئيًا واقتصاديًا في واقع حياته وحياة المجتمع المحيط بهما.

هذا المبدأ وُجد في السنة النبوية في أكثر من موطن، من أهمها: حماية البيئة من التلوث بمختلف أشكاله تطبيقا للقاعدة الشرعية التي تقضي بأن: «الضرر يزال»[2] أي: أن الضرر تجب إزالته، لأن الإخبار في كلام الفقهاء للوجوب، فيجب رفع الضرر بعد وقوعه، وهذه إحدى القواعد المتعلقة بشأن الضرر، من حظر وقوعه، ووجوب إزالته بعد الوقوع لقضاء النبي ﷺ بنفي الضرر والضرار، في الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قضى أن: «لا ضَررَ ولا ضِرَار»[3].

وفي الحديث النبوي الشريف دليل قاطع على أن الله ﷻ لم يكلف عباده فعل ما يضرهم البتة؛ لأن ما يأمرهم به، هو عين الصلاح لدينهم ودنياهم، وما نهاهم عنه، هو عين فساد دينهم ودنياهم.

1- الرازي، المرجع السابق نفسه، بتصرف.

2- ينظر: الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، بيروت دار الكتب العلمية، ط1، 1411ه، 1990م، (ص86)؛ ابن نجيم، الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1411ه، 1991م، (ص87).

3- أخرجه الدارقطنى في سننه، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1424ه، 2004م، كتاب البيوع (4/51) حديث رقم (3079)، والحاكم في المستدرك، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411ه، 1990م، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد على شرط مسلم». المستدرك على الصحيحين للحاكم مع تعليقات الذهبي في التلخيص (2/66) حديث رقم (2345).

ويؤكد هذا المعنى ما رواه الإمام البخاري في صحيحه، عن النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا»[1].

ومن التشريعات المستنبطة من هذه الأحاديث: أن حرية الفرد مرهونة بعدم إلحاق الضرر بالآخرين، فليس من حق المزارع أو الصانع إلحاق ضرر بالآخرين من أجل تحقيق مصلحه خاصة به، وهذه أخلاقيات واضحة في التعامل مع موارد الطبيعة، والحفاظ عليها لمنع التغيرات المناخية.

وعبارات الفقهاء المستنبطة من دلالة هذه الأحاديث كثيرة، وردت في مجال حماية بيئة الجوار من التلوث صراحة[2]، يستوي في ذلك أن يكون المضرور فردًا أو دولة.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه؟ 03/139) حديث رقم (2493).

2- من تعبيرات فقهاء الحنفية في هذه المسألة: «منع المالك من هدم داره، إذا ترتب عليه ضرر بالجيران. ويشير ذلك إلى ضرر الأتربة التي لا تطاق ولا المحقق/تمل معها السكنى، خاصة إذا استمرت مدة طويلة. ومن ثم فإن على المالك إتباع الوسائل التي تكفل دفع هذا الضرر والا منع». رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، بيروت، دار الفكر، ط2، 1412هـ، 1992م، (6/217).

ومن عبارات بعض فقهاء المالكية، ما يتعلق بغبار القمح بعد حصاده ودراسه وهو ما يعرف بـ «الأندر» أو التبن «وذكروا أنه إذا أوقد رجل نارًا لعمل يعمله، فترامت النار حتى أحرقت زرع رجل في أندره وترافعا للحاكم في ذلك، فإن صفة الشهادة على ذلك أن يشهدوا أن فلانًا بن فلان أوقد نارًا بقرب أندر فلان وأن النار أحرقت جميع ما كان في أندر فلان، وأن لا عذر بعمل النار في الموضع الذي عملها فيه». ابن فرحون المالكي، تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون المالكي، القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1، 1406هـ، 1986م، (1/465). وكما يمنع «الأندر» - هو بفتح الهمزة والدال- فإنه يمنع من إحداثه قابلة باب دار جاره أو بستانه ؛لأن ربه يتضرر بالتبن والغبار عند الذروة كما يمنع من نفض الحصير حذاء باب داره لتضرر المارة أو الجار بغباره وقد يتسبب عنه المرض».ينظر: توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، ط1، المطبعة التونسية، 1339ه، (4/112).

وذهب الحنابلة إلى أن من أنشأ في داره بين الناس معمل نشادر وشمه أطفال فماتوا بسبب ذلك يضمن لمخالفته العادة. ينظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ، 1994م، (5/337).

ومن أقوال فقهاء الحنابلة:»ومن كانت له ساحة يلقي فيها التراب والحيوان وتضرر الجيران بذلك فإنه يجب على صاحبها أن يدفع ضرر الجيران: إما بعمارتها، أو بإعطائها لمن يعمرها أو يمنع أن يلقى =

وأخطر من هذا كله النفايات النووية التي تشكل أعظم وجوه الضرر والضرار، وخاصة في الدول الفقيرة أو النامية، سواء كانت للاستخدام السلمي أو العسكري. وفي هذا الشأن: نهى الإسلام أشد النهي عن استخدام الغازات السامة التي أصابت العالم بالفجيعة في كل بقعة تراق فيها دماء الأبرياء، سواء كانت هذه الأسلحة السامة مستخدمة مع المسلم أو غير المسلم، فهما في الحرمة سواء.

والأصل فيه ما روي عن سمرة بن جندب ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ: «نَهَى أَنْ يُلْقَى السُّمُّ فِي آبَارِ الْمُشْرِكِينَ»[1].

ومن نقول الفقهاء في هذه المسألة استنباطًا من السنة النبوية: "قال الأوزاعي: بلغني أن النبي ﷺ نهى أن يلقى السم في آبار العدو ومياههم. ولا يفعل ذلك المسلم في طعام ولا سلاح، وهو قول مالك. قيل لسحنون: فإن أخذ المسلمون قلالًا مملوءة خمرًا فجعلوا فيها سمًا ونصبوها للعدو فشربوا منها فماتوا؟ فكره الإمام مالك أن يعمل بهذا"[2].ومن كتاب ابن سحنون: "وكره مالك أن يسَّم النبل والرماح يرمى بها العدو"[3].

المطلب الثاني: الاستمرار في الغرس ولو كانت فرصة في الحصول على ثمار غرسه منعدمة:

في السنة النبوية متسع من الأدلة على هذا الوجه من وجوه الاقتصاد، أظهرها: قول النبي ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[4].

= فيها ما يضر بالجيران». الإقناع في فقه الإمام أحمد، موسى بن أحمد الحجاوي، المحقق/ عبد اللطيف محمد موسى السبكي، بيروت، دار المعرفة. ط1، 1983م.

1- رواه أبو القاسم الطبراني، مسند الشاميين، المحقق/حمدي بن عبد المجيد السلفي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1405، 1984م، (4/336) حديث رقم (3484) قال في الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء: «إسناده ضعيف» (3/64) حديث رقم (2005). الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، نبيل سعد الدين سَليم جَرَّار، ط1، القاهرة، أضواء السلف، 1428هـ، 2007م.

2- النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المحقق/ د محمَّد حجي، بيروت، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: 1، 1999 م، (3/69).

3- المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

4- أخرجه البخاري، في الأدب المفرد، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1379هـ، باب: اصطناع المال (ص168) حديث رقم (479)؛ والإمام أحمد بن حنبل في مسنده، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م، (20/251) حديث رقم (12902).

والفسيلة هي صغار النخل، [1]، وتعرف بـ «الشتلة»، والرسول ﷺ يطلب من كل مسلم الحرص على الاستمرار في الغرس، حتى ولو كانت فرصة في الحصول على ثمار غرسه منعدمة. فإذا كان الغرس ليس إلا تعبيرًا عن كافة الأنشطة الاقتصادية ذات الأثر الفعال في استمرار عمارة الكون وزيادتها فيكون في هذا الإصرار البالغ من الرسول ﷺ على استمرار النشاط الاقتصادي للمسلم بقوة وفاعلية، مهما كانت النتائج، أبلغ دليل على إرادة الشرع الإسلامي استمرار عمارة الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الثالث: النهي عن قطع الأشجار المثمرة

تواترت النصوص الشرعية الدالة على أن تفعيل مقومات الاقتصاد الأخضر التزام ديني يقع على الفرد والمجتمع: ومن ذلك دعوته ﷺ إلى المحافظة على الأشجار والنهي عن قطعها، ففي صحيح مسلم، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ»[2] وفي رواية:»قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ، وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ» قَالَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»[3].وقد استنبط العلماء منه أن قطع الأشجار المثمرة والسدر لمجرد العبث والاعتداء عليها بغير حق لا يجوز؛ لأنه فسادًا في الأرض، ينافي مقتضى الاستخلاف فيها وإعمارها.

1- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ط1، د. ت، (2/473).

2- أخرجه الإمام مسلم، في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط، 1987م، كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار (1/122) حديث رقم (137).

3- أخرجه الإمام مالك في الموطأ، المحقق/محمد مصطفى الأعظمي، أبو ظبي، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط1، 1425هـ، 2004م، باب ما جاء في الحنث على منبر النبي (صلى الله عليه وسلم) (4/1053) حديث رقم (2692).

تواترت الأدلة على من السنة النبوية على النهي عن قطع الأشجار المثمرة، إلا لمصلحة معتبرة شرعًا، ففي مسند الإمام أحمد عن ثوبان- مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ [1]، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَتَلَ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، أَوْ أَحْرَقَ نَخْلًا، أَوْ قَطَعَ شَجَرَةً مُثْمِرَةً، أَوْ ذَبَحَ شَاةً لِإِهَابِهَا لَمْ يَرْجِعْ كَفَافًا»[2].

وفي رواية عن عبد الله بن حبشيﷺ [3] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ». سُئِلَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ مَعْنَى هَذَا الْحَدِيثِ فَقَالَ: هَذَا الْحَدِيثُ مُخْتَصَرٌ يَعْنِى مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً فِي فَلاَةٍ يَسْتَظِلُّ بِهَا ابْنُ السَّبِيلِ وَالْبَهَائِمُ عَبَثًا وَظُلْمًا بِغَيْرِ حَقٍّ يَكُونُ لَهُ فِيهَا صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ»[4].

وفي رواية البيهقي عَنْ عمرو بن أوس قَالَ: أَدْرَكْتُ شَيْخًا مِنْ ثَقِيفٍ قَدْ أَفْسَدَ السِّدْرُ زَرْعَهُ، فَقُلْتُ: أَلَا تَقْطَعُهُ؟ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "إِلَّا مِنْ زَرْعٍ " فَقَالَ: أَنَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَطَعَ السِّدْرَ إِلَّا مِنْ زَرْعٍ صُبَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ صَبًّا» فَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أَقْطَعَهُ مِنَ الزَّرْعِ وَمِنْ غَيْرِهِ"[5].

1- أبو عبد الرحمن، وأبو عبد الله أصح، وهو ثوبان بن بجدد، من أهل السراة، والسراة موضع بين مكة واليمن. وقيل: إنه من حمير. أصابه سباء فاشتراه رسول الله ﷺ فأعتقه، ولم يزل يكون معه في السفر والحضر إلى أن توفي رسول الله ﷺ فخرج إلى الشام فنزل الرملة، ثم انتقل إلى حمص فابتنى بها دارا. وتوفي بها سنة أربع وخمسين. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، المحقق/ علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ، 1992م، (1/218)، أسد الغابة، لابن الأثير، بيروت، دار الفكر ط1، 1409هـ، 1989م، (1/296).

2- أخرجه الإمام أحمد، في المسند (37/52) حديث رقم (22368)، قال المحقق:»إسناده ضعيف.

3- عبد الله بن حبشي: عبد الله بن حبشي الخثعمي، سكن مكة، روى في فضائل الأعمال وفي قطع السدر. روى عنه عبيد بن عمير، وسعيد بن محمد بن جبير بن مطعم. انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (3/887)، ترجمة رقم (1504)؛ أسد الغابة، لابن الأثير (3/104).

4- أخرجه أبو داوود في سننه، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د..ط. ت، باب في قطع السدر (4/530) حديث رقم (241)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414هـ، 1994م: «رواه أبو داود خلا قوله: من سدر الحرم،.. رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات» (3/284) حديث رقم (5698).

5- أخرجه البيهقي، في السنن الكبرى، كتاب المزارعة، باب ما جاء في قطع السدرة (6/231) حديث رقم (11764).

والأحاديث الواردة في النهي عن قطع شجر السدر- وإن تكلم البعض في صحتها- [1] إلا إنها دالة في عمومها على النهي عن قطع السدر الذي يستظل به الناس عبثًا من غير حاجة ولا مصلحة.

مدى إدراك الصحابة ﷺ قيمة عمارة الأرض، وإحياء مواتها:

وفي السنة النبوية الكثير من الشواهد الدالة على إدراك الصحابة ﷺ قيمة عمارة الأرض، وإحياء مواتها، وفي هذا الشأن روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ، أَنَّ رَجُلًا، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا بِدِمَشْقَ فَقَالَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ، وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً"[2].

ومفاد ما تقدم أن الإسلام أوجب أن تكون هناك علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة والأحياء، وليست أبدًا كما يصورها البعض علاقة حرب، وتنافر وعداء وصراع !.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ يساعد الرعية في غرس الأشجار، قال يومًا لخزيمة بن ثابت: ما يمنعك أن تغرس أرضك؟ فقال له: أنا شيخٌ كبير أموت غدًا. فقال عمر: أعزم عليك لتغرسنها. وقام عمر وغرس الأرض مع صاحبها[3].

ويدخل في عموم هذا المعنى دعوة النبي ﷺ أصحابه إلى استصلاح الأرض وإعمارها. ومن ثم نزع الأرض الموهوبة ممن لا يعمرها، وإنما يقطع الحاكم من أجل المصلحة، فإذا لم تتحقق المصلحة -بأن لم يعمرها من أقطعت له، ولم يستثمرها- فإنها تنتزع منه دليله ما رواه أبو عبيدة في الأموال عن الحارث بن بلال بن الحارث المزني، عن أبيه أن رسول الله ﷺ أقطعه "العقيق" أجمع، فلما كان زمان عمر ﷺ قال لبلال: "إن رسول الله ﷺ لم يقطعك لتحتجره عن الناس، وإنما أقطعك لتعمل؛ فخذ منها ما قدرت على عمارته، ورُدّ الباقي"[4].

1- الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي، بيروت، دار الفكر، ط2، 1424هـ، 2004م، مسألة: رَفْعُ الْخِدْرِ عَنْ قَطْعِ السِّدْرِ (2/64) حديث رقم (11544).

2- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (45/498) حديث رقم (27506)، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (4/68) حديث رقم (6267):»رجاله موثّقون وفيهم كلام لا يضرّ!».

3- القاسم بن سلام، الأموال، المحقق/ خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، ط1، د. ت، (ص368) حديث رقم (712).

4- المصدر السابق (ص350) حديث رقم (685).

وفي النص دليل على أن شرعية الملكية-خاصة كانت أو عامة- تسقط إذا لم يحسن الفرد أو الدولة، استخدام هذا المال استثمارا أو إنفاقا في مصلحته أو مصلحة الجماعة، وأن استدامة الاستهلاك والإنتاج بكفاءة أداة رئيسة لتحقيق التنمية المُستدامة.

الاستثناء الوراد على النهي عن قطع الاشجار المثمرة:

إعمالا لمبدأ: «المصالح العامة مقدمة على المصالح الخاصة» وبناءً على قاعدة «يتَحَمَّل الضَّرَر الْخَاص لدفع الضَّرَر الْعَام» [1]يجوز استثناءً إزالة الأشجار وغيرها إن كانت المصالح العامة تقتضي ذلك، لا سيما إن كانت هذه المصلحة مما يشترك في الانتفاع بها عامة الناس؛ كنحو مد وتوسيع الطرقات وبناء المستشفيات وغير ذلك.

ودليل هذا الحكم: ما فعله النبي ﷺ من قطع النخل الذي كان في محل المسجد النبوي؛ لأجل بناء المسجد وتوسعته؛ فعن أنس بن مالك ﷺ، قال: قدم النبي ﷺ المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم بنو عمرو بن عوف، وأنه أمر ببناء المسجد، فأرسل إلى ملأِ من بني النجار فقال: «يَا بَنِي النَّجَّارِ، ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قالوا: لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فقال أنس ﷺ: فكان فيه ما أقول لكم قبور المشركين، وفيه خرب وفيه نخل، فأمر النبي ﷺ بقبور المشركين، فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع" [2].

قال النووي في شرحه: «فيه جواز قطع الأشجار المثمرة للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها أو ليغرس موضعها غيرها أو لخوف سقوطها على شيء تتلفه أو لاتخاذ موضعها مسجدا أو قطعها في بلاد الكفار إذا لم يرج فتحها لأن فيه نكاية وغيظا لهم وإضعافا وإرغاما..» [3].

ويستنبط من الأحاديث السابقة مجموعة من المبادئ والقيم، تصلح أن تكون نواة للاقتصاد الأخضر:

1. الاقتصاد الأخضر ضرورة تنموية ملحة حماية للبيئة من التلوث وضمانة لتحقيق

1- درر الحكام في شرح مجلة الأحكام» علي حيدر خواجه، تعريب: فهمي الحسيني، بيروت، دار الجيل، ط1، 1411هـ، 1991م، (1/40).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلاة، باب: هل تنبش قبور مشركي الجاهلية، ويتخذ مكانها مساجد (1/93) حديث رقم (821)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب ابتناء مسجد النبي (صلى الله عليه وسلم) (1/373) حديث رقم (524).

3- شرح النووي على صحيح مسلم للنووي، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط1، 1392هـ، (5/7).

التنمية المستدامة.

2. السنة النبوية مرجع أساسي لمقومات وأركان الاقتصاد الأخضر، وحماية البيئة من كل تلوث.

3. أهمية التجديد البيئي بمنع إبادة النباتات، وتحريم كل ما كان من إتلاف الأموال بالتخريب والتحريق والنهب، وجعل ذلك من الفساد العظيم الذي لا أعظم منه.

4. الصلاح والإصلاح إنما يكون بالحرث وزراعة الأرض، وغرسها بالأشجار حملا على الزرع، وطلب النسل، وهو. نماء الحيوان، وبذلك يتم قوام الإنسان[1].

5. الحفاظ على التنوع النباتي وصيانة سلسلة الغذاء من الخلل، والدعوة للغرس والبناء حتى آخر لحظة في عمر الأرض، مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

المبحث الثاني

الاقتصاد الأخضر وتحقيق الأمن البيئي في ضوء السنة

الأمن البيئي جزء من الأمن الاجتماعي يهدف إلى حماية البيئة من الأخطار التي تهددها كالتلوث، وبخاصة في التجمعات السكنية القريبة من المصانع التي تنبعث منها الغازات التي تسهم في تلوث الهواء، والأضرار بعناصر البيئة الأخرى من نبات ومياه، إضافة إلى مكافحة التلوث البحري الذي يضر بالحياة المائية والثروات السمكية التي تشكل مصدرًا من مصادر الدخل الوطني. وهذا ما تنص عليه التشريعات المتعلقة بحماية البيئة والاجراءات المتبعة للحد من مصادر التلوث. وليس بخاف على أحد ما تخلفه الحروب من ألغام ومتفجرات مزروعة في الأراضي التي تدمرها وتغير تركيبتها الكيميائية، ناهيك عما يحدث للحيوانات والكائنات الحية التي لا تأمن حياة الرصاص، والمدافع، وما تعانيه عند سكب وحرق آبار النفط[2].

1- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية ط2، 1384هـ، 1964م، (3/18).

2- مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويتية، مقال: الإنسان والبيئة، (ص128).

والسنة النبوية مصدر خصب لتحقيق هذا الهدف النبيل، وبيان ذلك في مطالب:

المطلب الأول: تحقيق التناغم بين محبة رسول الله -ﷺ- وبين الجمادات

في السنة النبوية الكثير من الشواهد التي تدعو إلى تحقيق التناغم بين محبة رسول الله ﷺ وبين الجمادات. ويتجلى ذلك بوضوح في حديث النبي ﷺ عن جبل أحد قائلًا: «هَذَا جُبَيْلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ»[1]، وفي هذا الشأن روى الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ، «أَنَّ رَجُلًا، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا بِدِمَشْقَ فَقَالَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؟ فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ، وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللهِ ﷻ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً» [2]، ومنه قوله ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَغْرِسْهَا»[3]، ومنها: قوله ﷺ: «ما مِن مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ منه طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كانَ له به صَدَقَةٌ»[4].

ويستفاد مما تقدم أن الإسلام أوجب أن تكون هناك علاقة توازن وألفة وانسجام لصالح الحياة والأحياء، وليست أبدًا كما يصورها البعض علاقة حرب وتنافر وعداء وصراع !.

المطلب الثاني: نظافة الطرق والمجالس صيانة للبيئة من التلوث

من شواهد هذا الوجه قول النبي ﷺ: «اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ» قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ»[5]. والمعنى: إذا أردتم قضاء الحاجة، فاجتنبوا الطرقات، واجتنبوا الأماكن التي اتخذها الناس للجلوس في ظلها، ومن تخلى في واحد من هذين فإنه يجلب على نفسه لعنًا كثيرًا.

1- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب خرص الثمر (2/125) حديث رقم (1481).
2- سبق تخريجه.
3- أخرجه الإمام البخاري في الأدب المفرد (ص242) حديث رقم (479)، والإمام أحمد في مسنده (20/251) حديث رقم (12902) وصححه الشيخ الألباني.
4- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغصب، باب إثم من ظلم شيئا من الأرض (3/130) حديث رقم (2320)، والإمام مسلم في صحيحه كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1189) حديث رقم (1553).
5- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق، والظلال (1/226) حديث رقم (269).

وتشمل الطرق: الطرق إلى البيوت، والأسواق، والقرى، وموارد الماء، والطرقات كلها. ومثل المكان الذي اتخذه الناس للجلوس في ظله. كل مكان اتخذوه للجلوس فيه لمنفعة من منافعهم فيدخل في ذلك الأسواق والمنتزهات وغيرها، فكل ذلك مما يحرم التخلي فيه، ويلحق بالتخلي وضع القذر، والوسخ، والزبل، والشوك، وكل ما فيه مضرة، لما في الجميع من التعدي والإذاية[1].

المطلب الثالث: حماية المحميات الطبيعية في ضوء السنة النبوية

حرم الله تعالى ونبيه الكريم ﷺ نبات الحرم المكي والمدني كما حرم صيده، لتقاطر الناس عليهما، ولو أنهما أبيحًا لفنت الحياة فيهما وانقرضت الأنواع الحيوانية والأصناف النباتية.

وفي هذا الشأن نهي النبي ﷺ المحرم عن قطع النبات وإفساده، غير الإذخر، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسُولَ اللَّهِ ﷺ قال يَوْمَ الْفَتْحِ: "هَذَا الْبَلَدُ حَرَّمَهُ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يُعْضَدُ شَوْكُهُ وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ وَلَا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا وَلَا يُخْتَلَى خَلَاهُ قَالَ الْعَبَّاسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الْإِذْخِرَ فَذَكَرَ كَلِمَةً مَعْنَاهَا إِلَّا الْإِذْخِرَ"[2]. وفي الحديث دليل على أن الحشيش والشجر النابت بنفسه الذي لا ينبته الناس في حرم مكة إذا قطعه الشخص البالغ تجب عليه قيمته، إلا الإذخر والكمأة والثمرة، فيجب في الشجرة الصغيرة شاة، وفيما فوقها بقرة، ويخير بين ذلك وبين تقويم الجزاء، وتوزع قيمته كجزاء الصيد، وتجب قيمة الحشيش. ولا جزاء في قطع ما حرم من صيد المدينة وشجرها[3].

1- ينظر: المبسوط، شمس الأئمة السرخسي، بيروت، دار المعرفة، د. ط. ت، (7/72)؛ الحطاب، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب، بيروت، دار الفكر، ط3، 1412هـ، 1992م، (1/267)؛ المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الفكر، د. ت، (2/87)؛ مجالس التذكير من حديث البشير النذير، الصنهاجي، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1403هـ، 1983م، (ص145).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الأذخر والحشيش في الحرم (1/452) حديث رقم (1349)، ومسلم، في صحيحه، كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها (4/110) حديث رقم (3371).

3- ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م، (2/702)، حاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأحمد الصاوي، القاهرة، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، ط1، 1372هـ، 1952م، (1/279)، النووي، المجموع (7/443)، المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، بيروت، ط1، 1388هـ، 1968م، (3/316).

وبهذا تكون مكة والمدينة أول المحميات الطبيعية التي عرفتها البشرية، وقياسا عليهما يجوز للحاكم أن يقيد المباح في مكان معين غير مكة والمدينة ويجعله محمية، متى دعت المصلحة لحماية الحياة البرية.

المطلب الرابع: التوسع في تطبيق ما يسمى ب «مختبر الذكاء الاصطناعي في ضوء السنة النبوية»

وذلك على غرار ما قامت به دولة الإمارات العربية المتحدة، والذي يمكن من خلاله توفير خدمات عديدة، بهدف تحديد أفضل مواقع لإنتاج الطاقة الشمسية على مستوى الدولة، ومراقبة جودة الهواء وتتبع حركة التيارات البحرية، وتوظيف الدولة لتقنيات الفضاء في تعميق فهم مسار التغير المناخي وتأثيره على المنطقة، عبر إطلاق أول قمر صناعي عربي متخصص «القمر 813 الذي تعمل عليه المجموعة العربية للفضاء بقيادة وكالة الإمارات للفضاء، وتوظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي للمساعدة في انقاذ الكواكب من خلال تقنية التعرف على الوجه، التي تراقب تجمعات «الدب البني» وعبر الروبوتات الذكية التي تفرز المخلفات التي سيعاد تدويرها [1].

وتجد هذه التدابير مرجعيتها الشرعية في كثير من النصوص الآمرة بتتبع كل التقنيات النافعة والأخذ بها، دون نظر إلى عقيدة مخترعها، إذ العبرة بعموم النفع الإنساني وتحقيق المصالح المعتبرة شرعًا.

وفي السنة النبوية متسع لتقرير إباحة هذا الوجه حماية للبيئة من كل مظاهر التلوث، وتفعيلًا لأدوات الاقتصاد الأخضر. نجد ذلك واضحًا في دعوة النبي ﷺ إلى الابتكار والتطوير في أساليب فنون الزراعة، ولو من خلال توظيف مخرجات الذكاء الاصطناعي في كل الأمور المستجدة مما تحتاج إليه البشرية داخل في الأمور الدنيوية التي ترك الإسلام تدبيرها لأهل الخبرة والاختصاص، كما دل عليه الحديث النبوي الشريف في قضية تأبير النخل، ففي الحديث الذي رواه مسلم عن أنس رضي الله عنه، «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ:

1- مقال بجريدة الاتحاد الإماراتية بعوان الذكاء الاصطناعي في خدمة البيئة، بتاريخ 1/1/2021م نسخة الكترونية.

«أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ»[1]. والتأبير: التلقيح، وهو يشق طلع الإناث ويؤخذ من طلع الذكر فيذر فيه ليكون ذلك بإذن الله أجود مما لم يؤبر وهو خاص بالنخل [2]، والشيص هو: البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفًا[3].

قال الصنعاني: «فيه: أنه لا ضير على الرسل في جهلهم بعض أعمال الدنيا، ولا نقص فيه عليهم. وفيه أن من ظن في شيء من أمور الفلاحة ونحوها صلاحًا فله فعله، ولو ظن من هو أكمل منه أنه لا صلاح فيه»[4].

وقال النووي في بيان معنى قوله ﷺ: "أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ": " قال العلماء: قوله ﷺ من رأيي أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع، فأما ما قاله باجتهاده -ﷺ- ورآه شرعا يجب العمل به وليس إبار النخل من هذا النوع" [5].

ودلالة الحديث قاضية بأن جميع المبتكرات النافعة فتحت لها السنة النبوية أبوابها وأن المسلم مطالب بابتكار كل أداة من شأنها محاربة آثار التلوث البيئي، وأنه متى تحققت بها مصلحة معتبرة شرعًا صار ابتكارها أو استيرادها واجبا، حتى لا يكون المسلم عالة على غيره، في مواجهة مستجدات عصره وتطوره.

المطلب الخامس: المحافظة على التنوع النباتي في أوقات الحرب في السنة النبوية

ويظهر ذلك بوضوح في نهي قائد الجيش أن يقطع الأشجار المثمرة وصية أبي بكر الصديق ﷺ لقائد جيشه أسامة بن زيد ﷺ: «اغزوا بسم الله في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا.. ولا تقطعوا نخلا ولا شجرة ولا تهدموا بناء»[6].

وفي هذا دليل واضح على أن الجيوش المقاتلة لا تبدد ثروة البلاد المفتوحة، بل تراها تحفظ النخيل ولا تحرقه ولا تقطع شجرة مثمرة، ولا تدمر المزروعات أو تخرب الحقول، ولكن تحافظ على الثروة الزراعية، فلا تعقر نخلًا، أو تقطع شجرة مثمرة، وتحافظ في نفس

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا، على سبيل الرأي (4/1836) حديث رقم (2363).
2- النووي، شرح النووي على مسلم (15/116).
3- الزرقاني، شرح الزرقاني على الموطأ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422هـ، 2002م، (3/392).
4- الصنعاني: سبل السلام، دار الحديث، د. ط. ت، (4/272).
5- النووي: شرح النووي على مسلم (15/116).
6- تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407ه، (2/246).

الوقت على الثروة الحيوانية فلا تذبح شاة أو بقرة أو بعيرًا إلا للأكل فقط، ولا مثالية أعظم من هذه الوجوه عرفتها البشرية في رحمة الإسلام وإنسانيته وذلك من خلال معالم المنهج النبوي ودعوته إلى خلق تنمية مستدامة.

المطلب السادس: البيئة النظيفة للثروة السمكية في ضوء السنة النبوية

خلق الله تعالى هذا الكون وسخره للإنسان وجعله مستخلفًا فيه، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُ ﴾ [1] والزم الإنسان أن يحسن التصرف بالموارد التي سخرها الله تعالى له، وأن يحافظ عليها باعتبارها ميراثًا لجميع البشرية، وليست ملك جيل واحد من الأجيال، فلا يحق لأحد أن يعبث بهذه الموارد وأن يدمرها، أو يستنفذ حق باقي الأجيال[2].

ويتفرع عن هذه المسألة مسألة أخرى تتعلق بحماية الثروة السمكية، والذي عليه الفقهاء أنه إذا تغير ماء السيل بالنجاسة، ثم أثر في السمك حتى غير طعم لحمه أو ريحه أو لونه؛ فالأصح في مذهبنا كراهة أكل هذا السمك حتى يُنقل إلى الماء الطاهر فيذهب عنه أثر النجاسة.

ثانيا: أما إذا لم يؤثر الماء النجس في الأسماك التي تعيش فيه، فلا حرج في أكله؛ إذ الأصل فيه الإباحة، ولكن بشرط أن يؤمن ضرره على صحة الإنسان، فالدراسات العلمية تنذر بالخطر الذي تحمله الأسماك الملوثة بسبب ما تحمله من الطفيليات والبكتيريا

1- سورة الجاثية من الآية رقم: 13.

2- في فتوى لدار الإفتاء الأردنية عن حكم ري المزروعات بالمياه المعالجة من محطات الصرف الصحي أجابت بأنه: نظرا لأهمية استخدام المياه المعالجة الخارجة من محطات الصرف الصحي وفق مواصفة المياه العادمة المعالجة الأردنية، بحيث تصبح ذات فائدة للاستخدامات المختلفة، خاصة في عمليات الري المقيد بما يضمن توفير كميات كبيرة من المياه النقية المخصصة للري....، فإنه لا حرج في سقاية المزروعات من المياه العادمة المعالجة، ولا حرج في الأكل من نتاج هذه المزروعات، فحكم الثمر لا يتأثر بالمياه سواء كانت طاهرة أو غير طاهرة، كما سئل الإمام النووي رحمه الله: إذا سقي الزرع والبقل والثمر بماء نجس أو زبلت أرضه، هل يحل أكله؟ فأجاب بقوله: يحل أكله، ولكن لا بد من مراعاة التعليمات الصحية التي تقررها الجهات المختصة في هذا الشأن، كي تكون عملية السقاية سالمة، لا تلوث البيئة، ولا تفسد الزرع والثمر، ولا تضر الإنسان. وعليها أن تلتزم بالمعايير العلمية والطبية في هذا المجال. والله تعالى أعلم. ينظر: فتوى دار الإفتاء الأردنية، ففي فتوى لها عن حكم ري المزروعات بالمياه المعالجة من محطات الصرف الصحي قرار مجلس الإفتاء رقم: 217، وفتوى (1904)، وفتوى (2508).

الخطيرة على صحة الإنسان، والنبي ﷺ يقول: لا ضرر ولا ضرار والله أعلم[1].

وفي كل ما تقدم دليل على أن نعمة الماء من أهم النعم التي يجب المحافظة عليه، وأنه المصدر الأساسي للحياة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [2]، وقال الله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ [3]؛ لأن شح المياه تعد من أخطر المشاكل التي يعاني منها العالم اليوم. وكثير من دول العالم تعاني الكثير من شح الموارد المائية وضعف الإمكانات والنمط الاستهلاكي والذي غالبا ما يسوده التبذير والإسراف، الأمر الذي يوجب علينا جميعا من ناحية شرعية ووطنية أن نحافظ على هذه النعمة ونحميها من الهدر والإسراف لأن المحافظة على هذه النعمة هي مسؤولية جماعية مطالب بها كل فرد من أفراد المجتمع لا من أجل تقليل كلفة الفاتورة المائية بقدر ما هي عبادة نتقرب بها إلى الله ﷻ.

المبحث الثالث

إعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة في ضوء السنة النبوية

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: القيمة الاقتصادية لتدوير النفايات

تتجلى القيمة الاقتصادية لتدوير النفايات في فوائد كثيرة، منها:

1. الانتفاع بالموارد الاقتصادية على الوجه الأكمل، بحيث لا يبقى موردًا معطلًا عن الانتفاع وإن ضعفت قيمته.
2. تدوير النفايات بما يعود بالنفع على الاقتصاد الفردي أو المجتمعي وجه من وجوه تعظيم الانتفاع بالمال، ومن ثم توفير النفقات الخاصة بحماية البيئة من التلوث، أو الإنفاق على القطاع الصحي الناتج عن التضرر بسبب سوء التعامل مع النفايات.

1- ينظر: فتاوى دائرة الإفتاء العام الأردنية في تحسين كفاءة استخدام المياه، المفتي الدكتور محمد الزعبي، بحث مقدم لمؤتمر البيئة والمياه من منظور الشريعة الإسلامية، كلية الشريعة/الجامعة الأردنية ومركز الدراسات الإسلامية في جامعة مونستر الألمانية بالتعاون مع الوكالة الألمانية للتعاون الدولي، بتاريخ 24-23 نيسان 2017م.

2- سورة الأنبياء من الآية رقم: 30

3- سورة ق، الآيتان: 10-9.

3. توفير نفقات الانتاج السلع البديلة في شراء سلع أساسية يحتاج الاقتصاد المحلي إلى انتاجها أو استيرادها.

4. تهيئة ظروف عمل مناسبة لبعض القطاعات، ومن ثم القضاء على بعض صور البطالة.

5. حماية المجتمع من الكوارث الناجمة عن سوء استخدام الموارد أو البيئية الصناعية غير الصحية، أو حرق المخلفات، أو تلوث المياه السطحية، أو الجوفية.

6. تهيئة البيئة المناسبة للاستثمار، سواء المحلي أو الأجنبي، وبما يضمن تصدير سلع آمنة غير ضارة بالاستهلاك الفردي أو المجتمعي.

وفي هذا الشأن تبحث العديد من الشركات الناشئة حاليًا في كيفية الجمع بين أهداف الذكاء الاصطناعي والاستدامة لجعل إعادة التدوير أكثر كفاءة، حتى عند التعامل مع المواد المختلطة.

وتستخدم شركة عالمية يقع مقرها في كولورادو، روبوتًا يعمل بالذكاء الاصطناعي مع مستشعرات بصرية للتعرف بسرعة على المخلفات أثناء مرورها على حزام ناقل.. ثم تقوم بفرزها بأذرعها الروبوتية باستخدام منصة ذكية خاصة، والتي يمكنها التعرف على الأنسجة والألوان والأشكال والأحجام المختلفة وحتى مسميات العلامات التجارية.. ويقوم هذا الذكاء الاصطناعي بتحديث نفسه باستمرار، كما أنه مصمم للعمل على مدار الساعة طوال أيام الأسبوع، وقد تم طرحه بالفعل في الولايات المتحدة وكندا واليابان، وأوروبا[1].

المطلب الثاني: المنهج النبوي في إعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة

في ضوء المنهج النبوي: فإن نفي الضرر وإزالته سبيل آمن لاستقرار الحياة العامة والخاصة، حتى ينعم الفرد، والأسرة، والمجتمع بالأمن، والأمان. ولا قاعدة أدَّل على هذا الحكم من قاعدة «لا ضَررَ ولا ضِرار»[2]، وهي المستنبطة من الحديث المروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «لا ضَررَ ولا ضِرار، مَن ضَارَّ، ضَرَّه اللهُ، وَمَن شَاقَّ، شقَّ اللهُ عليه»[3].

1- مقال بجريدة الاتحاد الإماراتية بعنوان الذكاء الاصطناعي في خدمة البيئة، بتاريخ 1/1/2021م.

2- سبق تخريجها.

3- سبق تخريجه.

ومن شواهد هذه المسألة: أمره ﷺ في الانتفاع بجلد شاة ميمونة بنت الحارث (رضي الله عنها) زوجة النبي ﷺ دليل واضح على مشروعية تدوير المخلفات، ففي الصحيحين عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «وَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ شَاةً مَيِّتَةً، أُعْطِيَتْهَا مَوْلاَةٌ لِمَيْمُونَةَ مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلَّا انْتَفَعْتُمْ بِجِلْدِهَا؟» قَالُوا: إِنَّهَا مَيْتَةٌ: قَالَ: «إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا»[1].

وفي رواية للإمام أحمد عن ابن عباس (رضي الله عنهما): «قال: ماتت شاة لسَوْدَةَ بنت زمْعة، فقالتَ: يا رسول الله، ماتت فلانة، يعني الشاة، فقال: «فلولا أخذتم مَسْكَها؟ «، فقالت: نأخذ مَسْكَ شاة قد ماتت؟، فقال لِها رسول الله ﷺ: «إنما قال الله (عز وجل): ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾، (الأنعام آية رقم 145) فإنكم لا تَطْعَمونه، إن تدبغوه فتنتفعوا به"، فأرسلتْ إليها فسلخت مسكها فدبغته، فاتخَّذتْ منه قِرْبة، حتى تخرَّقتْ عندها[2].

ووجه الدلالة من الأحاديث إباحة إعادة استخدام الشاة التي ماتت عن طريق تطهيرها بالدبغ، فقد قاموا بإلقاء الشاة التي ماتت -وهو ما يسمى الآن بالمخلفات الحيوانية - لكن الرسول ﷺ بين لهم أنه يجوز الانتفاع ببعض أجزاءها، وهو الجلد، عن طريق إعادة تدويره بالدبغ مما يدل على مشروعية إعادة تدوير بعض المخلفات من أجل الانتفاع بها، وينتج عنه مشروعية استعمالها في الماء والودك[3].

ومن أدلة هذه المسألة: نهى النبي ﷺ عن أكل الجلالة ففي سنن الترمذي عن ابن عمر ﷺ «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْلِ الجَلَّالَةِ وَأَلْبَانِهَا»[4]، وعن ابن عمر، قَالَ: «نَهَى

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة على موالي أزواج النبي (صلى الله عليه وسلم) (2/128) حديث رقم (1492)، ومسلم في صحيحه، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ (1/276) حديث رقم (363).

2- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (3/320) حديث رقم (3027).

3- النووي، شرح النووي على مسلم (4/54).

4- أخرجه أبوداود في سننه، المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، د. ط. ت، كتاب الأشربة، باب الشراب من في السقاء (3/336) حديث رقم (3719)، والترمذي في سننه، المحقق/ أحمد محمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395ه، 1975م، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في أكل لحوم الجلالة وألبانها (4/270) حديث رقم (1824)، وقال: «حديث حسن غريب». والجَلَّالَةِ: كل حيوان يأكل الجلة - أي النجاسة - حتى يتغير وصفه.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الجَلَّالَةِ فِي الْإِبِلِ: أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا، أَوْ يُشْرَبَ مِنْ أَلْبَانِهَا»[1]. وروى الحاكم في المستدرك عن ابن عمر رضي الله عنه قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْجَلَّالَةِ أَنْ يُؤْكَلَ لَحْمُهَا، وَيُشْرَبَ لَبَنُهَا، وَلَا يُحْمَلَ عَلَيْهَا الْأَدَمُ وَلَا يَرْكَبَهَا النَّاسُ حَتَّى تُعْلَفَ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»[2].

المطلب الثالث: مشروعية إصلاح الأشياء التي تعافها النفس في السنة النبوية

في الأحاديث السابقة دليل على مشروعية إصلاح الأشياء التي تعافها النفس ؛لما فيها من قذرة «وهو ما يسمى بـ «إعادة التدوير»، بأن يتم حبس الجلالة مدة معينة يغلب على الظن طهارتها وصلاحيتها للانتفاع في تلك المدة، وقد أشار إليه الإمام الشافعي بقوله: «إنه أراد تغيرها من الطباع المكروهة إلى الطباع غير المكروهة التي هي فطرة الدواب، حتى لا توجد أرواح العذرة في عرقها وجررها»[3]، وفي «مغني المحتاج شرح المنهاج»: «إذا ظهر تغير لحم جلالة من نعم أو غيره كدجاج, ولو يسيرًا حرم أكله, وبه قال الإمام أحمد; لأنها صارت من الخبائث, وقد صح النهي عن أكلها وشرب لبنها وركوبها»[4]. وقال النووي: «الأصح يكره؛ لأن النهي إنما هو لتغير اللحم, وهو لا يوجب التحريم، كما لو نتن اللحم المذكى وَتَرَوَّحَ؛ فإنه يكره أكله على الصحيح»[5].

ومن الوجوه: أمره ﷺ بحفظ بقايا الطعام الواقعة على الأرض، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ الْبَيْتَ، فَرَأَى كِسْرَةً مُلْقَاةً، فَأَخَذَهَا فَمَسَحَهَا، ثُمَّ أَكَلَهَا، وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَكْرِمِي كَرِيمًا، فَإِنَّهَا مَا نَفَرَتْ عَنْ قَوْمٍ قَطُّ، فَعَادَتْ إِلَيْهِمْ»[6]. وفي الحديث دليل على وجوب التقاط بقايا الطعام الملقى على الأرض ولو كسرة خبز، ثم إصلاحها وإزالة ما علق بها من الغبار، وهو ما نسميه اليوم بإعادة التدوير. والحكمة من هذا الفعل هي المحافظة على الموارد الطبيعة والنعم التي انعم الله بها على عباده؛ وإلا فنيت وذهب منافعها.

1- أخرجه أبوداود، في سننه، كتاب الأطعمة، باب النهي عن أكل الجلالة وألبانها (3/351) حديث رقم (3787). وصححه الشيخ الألباني.

2- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (2/46) حديث رقم (2269، وقال:» هذا حديث صحيح الإسناد» وضعفه الذهبي في التلخيص وقال:» إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر وأبوه ضعيفان».

3- البيهقي، السنن الكبرى (9/559).

4- الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (6/155).

5- المرجع السابق نفسه.

6- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأطعمة، باب النهي عن إلقاء الطعام (2/1112) حديث رقم (3353). وضعفه البوصيري في مصباح الزجاجة.ينظر: البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (4/31).

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز للدراسة، يمكن القول بأن اعتمدت في مجموعها على منظومة القيم والأخلاق التي يبنى عليها الاقتصاد الأخضر، واتخذت من مرجعية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة أساسًا للقول بوجوبه وتنمية مقوماته؛ لذا انتهت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، يأتي على رأسها:

1. السنة النبوية مصدر أساس من مصادر التعريف بالاقتصاد الأخضر، وأنه ليس غريبًا على تراثنا الحضاري، بل هو مصدر نماء وثراء وأداة من أدوات وجوب التواصل بين الأجيال المتعاقبة في الانتفاع بالموارد، في محيط بيئة نظيفة خالية من كل مصادر التلوث.

2. الاقتصاد الأخضر لا يقوى ولا يشتد إلا في بيئة إيمانية، تحتكم إلى منظومة القيم والأخلاق التي تسعد العالم الإنساني بأثره، وتجعله فريضة إيمانية ومتطلبًا اجتماعيا واقتصاديا للتقدم الاقتصادي.

3. استمرار النشاط الاقتصادي للمسلم بقوة وفاعلية، مهما كانت النتائج، أبلغ دليل على إرادة الشرع الإسلامي استمرار عمارة الكون حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

4. تفعيل مقومات الاقتصاد الأخضر التزام ديني يقع على الفرد والمجتمع: ومن ذلك دعوته ﷺ إلى المحافظة على الأشجار والنهي عن قطعها.

5. جواز قطع الأشجار المثمرة للحاجة والمصلحة لاستعمال خشبها أو ليغرس موضعها غيرها أو لخوف سقوطها على شيء تتلفه أو لاتخاذ موضعها مسجدا.

6. الحفاظ على التنوع النباتي وصيانة سلسلة الغذاء من الخلل، والدعوة للغرس والبناء حتى آخر لحظة في عمر الأرض، مقصد أساسي من مقاصد الشريعة الإسلامية.

السنة النبوية مصدر خصب لتحقيق الأمن البيئي من خلال مقومات الاقتصاد الأخضر وفي هذا الشأن قررت الكثير من الأحكام التي تتفق ومقاصد الشريعة الإسلامية الغراء ومبادئها الكلية، منها: تحقيق التناغم بين محبة رسول الله ﷺ وبين الجمادات، وحماية المحميات الطبيعية، التوسع في تطبيق ما يسمى ب "مختبر الذكاء الاصطناعي، وإعادة تدوير المخلفات من خلال التقنيات المعاصرة، والبيئة النظيفة للثروة السمكية،

والمحافظة على التنوع النباتي في أوقات الحرب.

أهم التوصيات:

1. تعظيم وجوه الاستفادة من مضمون فكرة الاقتصاد الأخضر وتطوير منظومة متكاملة للتحول بالاقتصاد من اقتصاد مستنزف للموارد إلى اقتصاد أخضر الذي يعتبر أساسًا للتنمية لتحقيق التنمية المستدامة والعدلة الاجتماعية وخاصة في الدول النامية.

2. زيادة وجوه التعريف بأهمية التراث الفقهي والفكري المستنبط من السنة النبوية كأساس لقواعد الاستخدام الأمثل للموارد، وتعظيم القيمة الاقتصادية لها، والتنبيه على أهمية التقليل من النفايات، وتحقيق التوازن الشامل بين الانتاج والاستهلاك القائم على التوسط، وغير ذلك من مقومات يعتمد عليها الاقتصاد الأخضر.

وختامًا يشكر لجامعة الوصل ممثلة في إدارتها الرائدة في حسن الإدارة والتدبير، ولمركز بحوث السنة كأداة من أدوات التعريف بالسنة النبوية والجهاد دونها بالتي هي أحسن، أن تم طرح هذا الموضوع لدراسته من قبل الباحثين والمختصين، لهم منا جميعًا خالص الشكر والتقدير والاحترام.

أهم المصادر والمراجع الشرعية

- الأدب المفرد، للإمام البخاري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية، القاهرة، ط2، 1379هـ.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، المحقق/ علي محمد البجاوي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412 هـ، 1992م.
- أسد الغابة، لابن الأثير، دار الفكر، بيروت، ط1، 1409هـ، 1989م.
- الإسلام والبيئة، د/ محمد فتح االله الزيادي، بحث مقدم لمجمع الفقه الإسلامي الدولي، الدورة التاسعة عشر، إمارة الشارقة، الإمارات العربية، في الفترة من 3-26-4/2009م.
- الإسلام والتنمية المستدامة، رؤى كونية جديدة، عودة راشد الجيوسي، ترجمة مجموعة الترجمة، جمانة وليد وآخرون، سلسلة التحول والابتكار، مؤسسة فريدريش إيبرت، عمان، الأردن، 2013م.
- الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1991م.
- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م.
- الاقتصاد الأخضر نحو إمكانيات استخدام الطاقة الشمسية لتحقيق التنمية المستدامة بالتطبيق على مصر، أ/ معتز عزت الشيمي، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، 2014م.
- الإقناع في فقه الإمام أحمد، موسى بن أحمد الحجاوي، المحقق/ عبد اللطيف محمد موسى السبكي، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1983م.
- أهمية التدريب لتحقيق التحول الفعال نحو الوظائف الخضراء في ظل الاقتصاد الجديد، د/نصيرة بركنو؛ ثابتي الحبيب، مجلة التنظيم والعمل، المجلد: الخامس، العدد: الثالث، 2016م.
- الإيماء إلى زوائد الأمالي والأجزاء، نبيل سعد الدين سَليم جَرَّار، ط1، أضواء السلف، القاهرة، 1428 هـ، 2007م.

- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، علاء الدين الكاساني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1406هـ، 1986م.
- تاريخ الطبري، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ.
- تبصرة الحكام في أصول الأقضية ومناهج الأحكام، ابن فرحون المالكي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ط1، 1406هـ، 1986م.
- تطبيق مؤشرات التنمية المستدامة في بلدان الأسكوا تحليل النتائج، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي أسيا، الأمم المتحدة، نيويورك 2001م، صـ4.متاح على موقع الأمم المتحدة:
- تقرير أهداف التنمية المستدامة 2017 الأمم المتحدة، نيويورك 2017م.
- تقرير مجلة الاقتصاد الإسلامي 2020م مقال: «الإمارات تعزز موقعها كمركز عالمي للاقتصاد الأخضر»، Unsscolcnowledge center for sustainable development, Germany, www.unscc.org
- توضيح الأحكام شرح تحفة الحكام، عثمان بن المكي التوزري الزبيدي، المطبعة التونسية، ط1، 1339 هـ.

ثانيًا: المصادر والمراجع النظرية:

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير، لأحمد الصاوي، مكتبة مصطفي البابي الحلبي، القاهرة، ط1، 1372هـ، 1952م.
- الحاوي للفتاوي، لجلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، ط2، 1424هـ، 2004م.
- حماية البيئة ومنع التغيرات المناخية في الفقه الإسلامي، محمد خلف سلامة، مجلة دراسات، علوم الشريعة والقانون، المجلد 43، ملحق رقم2، لعام 2016م.
- درر الحكام في شرح مجلة الأحكام، علي حيدر خواجة، تعريب: فهمي الحسيني، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411هـ، 1991م.

- دور المسؤولية المجتمعية في نشر الوعي بالاقتصاد الأخضر وتحقيق أهداف التنمية المستدامة، أ/ فايزة عبد الله المسعري، المجلة الدولية للبحوث والدراسات التربوية والنفسية، المجلد السابع، العدد الثاني عشر، أكتوبر 2021م
- رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1412هـ، 1992م.
- سبل السلام، محمد بن إسماعيل بن صلاح الصنعاني، بيروت دار الحديث، بدون طبعة، وبدون تاريخ.
- سنن ابن ماجه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني المحقق/ محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
- سنن الترمذي، لأبي عيسى الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفي البابي الحلبي، ط2، 1395 هـ، 1975 م.
- سنن الدارقطني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1424 هـ، 2004 م.
- السنن الكبرى، للبيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3، 1424 هـ، 2003م.
- شرح الزرقاني على الموطأ، للزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ، 2002 م.
- شرح النووي على صحيح مسلم للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1، 1392هـ.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1987.
- فتاوى النووي، للإمام النووي، دَارُ البشائرِ الإسلاميَّة للطبَاعَة وَالنشرَ والتوزيع، بيروت، ط6، 1417هـ، 1996م.

- فتوى دار الإفتاء الأردنية، عن حكم ري المزروعات بالمياه المعالجة من محطات الصرف الصحي قرار مجلس الإفتاء رقم: 217، وفتوى: 1904، وفتوى: 2508.
- القاسم بن سلام، الأموال، المحقق/ خليل محمد هراس، دار الفكر، بيروت، ط1، بدون تاريخ.
- المبسوط، شمس الأئمة السرخسي، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، بدون تاريخ.
- مجالس التذكير من حديث البشير النذير عبد الحميد محمد بن باديس الصنهاجي، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط1، 1403ه، 1983م.
- مجلة العربي، وزارة الإعلام الكويتية، مقال: الإنسان والبيئة، العدد 500، يوليو 2000م.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت807ه)، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414ه، 1994م.
- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، بيروت، دار الفكر، بدون تاريخ
- المستدرك على الصحيحين للحاكم، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه، 1990م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421ه، 2001م.
- مسند الشاميين، لأبي القاسم الطبراني، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1405ه، 1984م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، شهاب الدين البوصيري، المحقق/ محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403ه.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، ط1، المكتبة العلمية، بيروت، بدون تاريخ.

- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1، 1415هـ، 1994م.
- المغني لابن قدامة، مكتبة القاهرة، بيروت، ط1، 1388هـ، 1968م.
- مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ.
- مقال بجريدة الاتحاد الإماراتية بعنوان: «الذكاء الاصطناعي في خدمة البيئة، بتاريخ 1/1/2021م نسخة الكترونية.
- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل للحطاب، دار الفكر، بيروت، ط3، 1412هـ، 1992م.
- الموطأ للإمام مالك بن أنس، المحقق/ محمد مصطفي الأعظمي، أبو ظبي، الإمارات، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ط1، 1425هـ، 2004م.
- النَّوادر والزِّيادات على مَا في المدَوَّنة من غيرها من الأُمهاتِ، لأبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، المحقق/ الدكتور/ محمَّد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1999م.
- الهندسة المالية في التحول نحو الاقتصاد الأخضر وتأمين التنمية المستدامة، أ/ حوراء علي سبيتي، المجلة الأكاديمية للأبحاث والنشر العلمي، الإصدار الرابع والثلاثون تاريخ الإصدار5/2/2022م.

ثالثًا: مواقع إلكترونية:

- تقرير مجلة الاقتصاد الإسلامي2020م مقال: الإمارات تعزز موقعها كمركز عالمي للاقتصاد الأخضر، كتبه أ: أحمد عبد الفتاح:

https://www.aliqtisadalislami.net

- موقع الحكومة الإماراتية:

https://u.ae/ar-ae/about-the-uae/economy/green-economy-for-sustainable-development

- موقع إلكتروني موضوع كوم:

https: //mawdoo3.com/%D8

- موقع جريدة الإمارات اليوم، النسخة الإلكترونية:

https://www.emaratalyoum.com/business/local/2022-08-14-1.1658887

https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/sustainable-development-goals

دور السنة النبوية في
تحقيق التنمية المستدامة
- المجال الاقتصادي أنموذجًا -

أ. د. عبد الستار إبراهيم الهيتي

أستاذ الفقه المقارن والقضايا الفقهية المعاصرة – جامعة البحرين

ملخص

تعد التنمية بمضمونها العام غاية كل المجتمعات الحديثة والهدف الأساسي لجميع دول العالم، باعتبارها تعمل على تحقيق صيغة من النمو المستمر بما ينعكس إيجابًا على تحسين ظروف المجتمع بصفة عامة، كما تعد التنمية من العناصر الأساسية للاستقرار والتطور الإنساني والاجتماعي.

في هذا السياق حثَّ الإسلام على عمارة الأرض واستثمار مواردها الطبيعية والإفادة من خيراتها وما بثَّ الله فيها من موارد، ولا شك أن التنمية المستدامة تعتبر أهم متطلبات عمارة الأرض من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية المعدة لهذا الغرض. وتبرز أهمية هذا البحث في كونه محاولة لتأصيل التنمية المستدامة من خلال الهدي النبوي، وإظهار عناية السنة النبوية بالتكامل بين مجالات التنمية المستدامة، مما يؤكد شمولية السنة النبوية ومناسبة نصوص الوحي لكل عصر وزمن لخدمة المجتمع.

وقد توصلت الدراسة إلى أن التنمية المستدامة من منظور إسلامي تعني: الترقية العلمية المتكاملة، للمكونات البيئية والثروات الاقتصادية والتفاعلات الاجتماعية، بما يضمن استدامتها تبعًا للمبادئ والضوابط الإسلامية.

وتركز التنمية المستدامة إلى التكامل بين البيئة والتنمية، وتتحقق أبعادها من خلال التوافق بين أنظمة ثلاثة هي: المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وبناء النظام الاقتصادي، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

إنَّ أبرز الركائز والبرامج التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيق التنمية المستدامة، تتمثل في المحافظة على النظافة الشخصية ونظافة المكان والطريق، والنهي عن تلويث الموارد المائية، والاستخدام العقلاني للموارد، ومراعاة حقوق الأجيال القادمة، وترشيد الاستهلاك ومنع الإسراف.

وفي المجال الاقتصادي حاربت السنة النبوية ظواهر الفساد الاقتصادي والمالي كظاهرة الغش في المعاملات الاقتصادية، أو السقوط في فخ المعاملات الربوية، ومنع الاحتكار للسلع والبضائع، ومنع المعاملات غير المشروعة، وغيرها من الخطوات التنظيمية والإدارية لتنظيم وإدارة العمل الاقتصادي التنموي، مما يثبت اعتماد النبي ﷺ للأطر التنظيمية باعتبارها صيغة متقدمة من صيغ السنة النبوية لتحقيق التنمية.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، التنمية، المستدامة، الاقتصاد، الركائز.

Abstract

Development, in its general sense, is the goal of all modern societies and the primary objective of all countries in the world, as it works to achieve a formula of continuous growth that positively reflects on improving the conditions of society in general. Development is also one of the basic elements of human and social stability and development.

In this context, Islam urges the cultivation of the Earth, the investment of its natural resources, and the benefit of its bounty and the resources that God has bestowed upon it. There is no doubt that sustainable development is considered the most important requirement for the cultivation of the Earth by preserving the natural resources prepared for this purpose. The importance of this research is highlighted by its attempt to establish sustainable development through the prophetic guidance, and to demonstrate the concern of the prophetic Sunnah with the integration of the areas of sustainable development, which confirms the comprehensiveness of the prophetic Sunnah and the suitability of the texts of revelation for every age and time to serve society.

The study concluded that sustainable development, from an Islamic perspective, means the integrated scientific advancement of environmental components, economic resources, and social interactions, ensuring their sustainability in accordance with Islamic principles and guidelines. Sustainable development focuses on the integration of the environment and development, and its dimensions are achieved through the compatibility of three systems: preserving the environment and natural resources, building the economic system, and achieving social solidarity.

The most prominent pillars and programs called for by the Sunnah of the Prophet to achieve sustainable development are: maintaining personal hygiene, cleanliness of places and roads, prohibiting the pollution of water resources, rational use of resources, respecting the rights of future generations, rationalizing consumption, and preventing extravagance.

In the economic field, the Prophetic Sunnah combated phenomena of economic and financial corruption, such as fraud in economic transactions, or falling into the trap of usurious transactions, and preventing the monopoly of goods and merchandise, and preventing illegal transactions, and other organizational and administrative steps to organize and manage economic development work, which proves the Prophet's (peace and blessings of God be upon him) reliance on organizational frameworks as an advanced form of the Prophetic Sunnah for achieving development.

Keywords: Sunnah Prophetic , development, sustainable, economy, pillars.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين.

وبعد:

تعد التنمية بمضمونها العام غاية كل المجتمعات الحديثة والهدف الأساسي لجميع دول العالم، باعتبارها تعمل على تحقيق صيغة من النمو المستمر بما ينعكس إيجابًا على تحسين ظروف المجتمع بصفة عامة، وينتج عن ذلك حالة من التقدم والتطور الاقتصادي والاجتماعي، كما تعد التنمية من العناصر الأساسية للاستقرار والتطور الإنساني والاجتماعي باعتبارها عملية تطور شامل تهدف إلى الرقي بالوضع الإنساني والانتقال به إلى التطور والرفاه.

برزت التنمية المستدامة باعتبارها واحدة من الطروحات والبرامج التي تم الاهتمام بها في العقود الخمسة الأخيرة وتم التركيز عليها بشكل متميز حين تحولت بعد عام 1987م إلى برنامج مستقل وعُقد لها مؤتمر خاص من قبل الأمم المتحدة وصدر عنه ما يعرف بتقرير (بروتلاند) حول التنمية المستدامة، والذي وضع تعريفها وأبعادها والتحديات التي تواجهها.

في هذا السياق حث الإسلام على عمارة الأرض واستثمار مواردها الطبيعية والإفادة من خيراتها وما بث الله فيها من موارد (معادن وثروات) عملا بقوله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [1] واستلهامًا من قول النبي ﷺ: (إنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا)[2]، ولا شك أن التنمية المستدامة تعتبر أهم متطلبات عمارة الأرض من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية المعدة لهذا الغرض.

أهمية البحث:

وتبرز أهمية هذا البحث في كونه محاولة لتأصيل التنمية المستدامة من خلال الهدي

1- سورة هود، آية 61.

2- أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م، مسند المكثرين من الصحاب، مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (20/251) حديث رقم (12902) وقال: "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

النبوي، وإظهار عناية السنة النبوية بالتكامل بين مجالات التنمية المستدامة، وإبراز العناية بالحديث الموضوعي ودوره في القضايا المعاصرة، حيث اشتملت السنة على العديد من النماذج والتطبيقات في هذا المجال، مما يؤكد شمولية السنة النبوية ومناسبة نصوص الوحي لكل عصر وزمن لخدمة المجتمع، من خلال التعرف على تلك النماذج والتطبيقات في هذه الدراسة.

أهداف البحث:

يسـعى هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف، أهمها:

1- بيان دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة.

2- بيان العلاقة بين بناء الإنسان والتنمية المستدامة.

3- إبراز العوامل التي تحقق التنمية المستدامة من خلال السنة النبوية.

4- بيان ما أضافته السنة النبوية إلى موضوع التنمية المستدامة.

الدراسات السابقة:

هناك عدة دراسات تناولت التنمية المستدامة من الناحية الإسلامية، أبرزها:

1- الإسلام والتنمية المستدامة رؤى كونية جديدة، عودة الجيوسي، وهدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على علاقة الإسلام بالتنمية المستدامة، وقد توصل إلى أن التنمية المستدامة في الإسلام تقوم على أربعة مبادئ: هي الحكم الرشيد والإحسان ورأس المال الاجتماعي ومكافحة الفساد، مع استحضار البعد الأخلاقي والروحي.

2- دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة، د.عادل راشد مناحي الدماك، وناقش البحث الأثر الذي تحدثه السنة النبوية في تحقيق أهداف التنمية المستدامة ومدى الترابط بين هذا المصطلح وبين تطبيقه في السنة النبوية.

3- ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، د. محمد عبد القادر الفقي، وقد ناقش البحث المفهوم العلمي للتنمية المستدامة، والعناصر الأساسية للتنمية المستدامة، وركائز التنمية المستدامة في السنة النبوية والقواعد الفقهية المتعلقة بها.

وتتميز هذه الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في أنها تختص بجانب واحد من جوانب التنمية، وهو المجال الاقتصادي برؤية تحليلية تبرز دور السنة في تحقيق التنمية المستدامة، كما أنها تركز على العلاقة بين أبعاد التنمية المستدامة وبناء الإنسان.

منهجية البحث:

بناء على المعطيات المتقدمة ستعتمد هذه الدراسة على المنهج الاستقرائي التحليلي والمنهج الاستنباطي التأصيلي، لتأصيل هذا الموضوع وإبراز دور السنة النبوية في بناء التنمية المستدامة وتحقيق أهدافها.

خطة البحث:

وقد اقتضى ذلك توزيع هذا البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

المقدمة: أهمية الموضوع وخطة البحث فيه.

المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة وأبعادها وأهدافها.

المبحث الثاني: ركائز التنمية المستدامة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة (المجال الاقتصادي).

الخاتمة: النتائج والتوصيات.

أملي كبير أن أكون موفقًا في دراسة هذا الموضوع دراسة علمية تأصيلية تتناسب مع أهميته، ووفقا لما ورد في السنة النبوية في بناء التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي وتحقيق أهدافها.

حسبي أنني سأجتهد، ، ، ومن الله التوفيق.

المبحث الأول

مفهوم التنمية المستدامة وأبعادها وأهدافها

ظهر مصطلح التنمية في إطاره العام في بدايات القرن الماضي (القرن العشرين) تزامنًا مع ظهور حركات الاستقلال في قارتي آسيا وأفريقيا، عندما كانت الدول الاستعمارية تهتم فقط باستثمار مقدّرات الدول المستعمرة دون أي عناية بالتنمية.

ولقد حققت بعض الدول نماذج متنوعة ومتعددة من برامج التنمية في النظام الرأسمالي ممثلة بدول العالم الأول، وفي النظام الاشتراكي ممثلة بدول العالم الثاني، بينما بقيت الدول الأخرى تكافح ويلات التخلف ممثلة بدول العالم الثالث أو ما تسمى بالدول النامية.

والمتتبع لتدرج تاريخ التنمية وبرامجها المتنوعة على الصعيد العالمي والإقليمي يلحظ تطورًا مستمرًا وواضحًا في مفهومها ومحتواها وأهدافها تبعًا لطبيعة المشكلات التي تواجهها المجتمعات، وتماشيًا مع الخبرات الدولية التي تراكمت في هذا المجال، حيث مرت التنمية خلال ما يقرب من قرن من الزمن بمراحل متعددة، حيث كانت رديفًا لمصطلح النمو الاقتصادي من خلال الاعتماد على إستراتيجية التصنيع باعتباره وسيلة لزيادة الدخل القومي، وتحقيق معدلات نمو اقتصادي مرتفعة وسريعة.

ثم توسع مفهوم التنمية بعد ذلك ليشمل أبعادًا اجتماعية مضافة إلى الجوانب الاقتصادية التي كانت تمثلها في المرحلة السابقة، حيث أخذت التنمية تركز على معالجة مشاكل الفقر والبطالة وعدم المساواة، وعندئذ ظهر مفهوم التنمية الشاملة التي تعني الاهتمام بجميع جوانب المجتمع والحياة، وتعمل على تحسين ظروف عموم المجتمع السكان وزيادة معدلات النمو الاقتصادي لدى جميع أفراده[1].

ومع نهاية ثمانيات القرن الماضي بدأ العالم يشخص العديد من المشكلات الخطيرة التي باتت تهدد أشكال الحياة بجميع جوانبها، في ظل إهمال التنمية للجوانب البيئية طوال العقود الماضية، فكان لا بد من إيجاد فلسفة تنموية جديدة تساعد في التغلب على

1- أبو زنط وغنيم، التنمية المستديمة، دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، ماجدة أحمد أبو زنط وعثمان محمد غنيم، مجلة المنارة للبحوث والدراسات جامعة آل البيت، المفرق الأردن، المجلد الأول، العدد1، 2006م، (ص150-149) بتصرف.

هذه المشكلات، وكان من نتيجة تلك الجهود تحديد مفهوم جديد للتنمية وهو (التنمية المستدامة) وذلك بعد الضرر الذي لحق بمكوّنات الطبيعة المحيطة بالإنسان، نتيجة الثورة الصناعية وظهور مجتمع الاستهلاك وانتشار حالات الفقر وغيرها من الأسباب التي دفعت الإنسانية إلى إعادة النظر في طرق التنمية التي تنتهجها، بحيث أصبح هذا المصطلح هو المفهوم الأدق والأشمل لبرامج التنمية وأشكالها وأهدافها.

مفهوم التنمية المستدامة:

التنمية لغة: مصدر نمّى أو أنمى، يقال نمّى إنتاجه: زاده وكثره، ونمّى الأم: طوره، ونمّى ذاكرته: نشطها وقواها، مما يعني أن المعنى اللغوي يشير إلى الزيادة والنماء نتيجة فعل خارجي[1].

التنمية اصطلاحًا: وردت تعريفات متعددة للتنمية تبعا لوجهة نظر الباحثين وتخصصاتهم، وتبعا للثقافة والتقاليد التي ينتمون إليها.

فقد عرفتها الأمم المتحدة بأنها: عملية متكاملة ذات أبعاد اقتصادية واجتماعية وثقافية وسياسية، تهدف إلى تحقيق التحسّن المتواصل لرفاهية كل السكّان والأفراد، والتي يمكن عن طريقها إعمال حقوق الإنسان وحرياته الأساسية[2].

المستدامة لغة: مشتقة من الفعل دوم ويعني دام الشيء يدوم ويدام، والمداومة على الأمر هي المواظبة عليه وكلمة المستدامة اسم فاعل من الفعل استدام [3]. مما يفيد أن المعنى اللغوي لها يشير إلى دوام الشيء واستمراريته دون انقطاع، مع مراعاة التأني والتؤدة والرفق.

الاستدامة اصطلاحًا: أما الاستدامة في مفهومها الاصطلاحي فإنها تطلق على جميع

1- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، المحقق/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال بيروت، 1980م، (8/373)، عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م، (3/2289).

2- إعلان الحق في التنمية الصادر عن الأمم المتحدة عام 1986م، (ص7).

3- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، لسان العرب، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ، (12/212)، الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، المحقق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية، (32/180).

جوانب الحياة التي يرجى بقاؤها وللحيلولة دون نضوبها ونفاذها كالموارد الطبيعية[1].

التنمية المستدامة: تم تعريف التنمية المستدامة باعتبارها مركبا وصفيًا بتعريفات متعددة وصلت إلى أكثر من خمسين تعريفا، تبعًا للتخصصات العلمية التي تنتمي إليها الجهة التي تقوم بتعريفها.

فقد عرفتها الأمم المتحدة بأنها: التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون الإضرار بقدرة الأجيال المقبلة على تحقيق حاجاتها[2].

وعرفها الاتحاد الدولي لحماية الطبيعة بأنها: تحسين نوعية الحياة مع العيش ضمن القدرة الاستيعابية للنظم البيئية الداعمة[3].

ويظهر أن هذا التعريف أوسع من تعريف الأمم المتحدة، لأنه يشمل تحسين نوعية الحياة والقدرة الاستيعابية للنظم البيئية الداعمة، ذلك أن عبارة «تحسين نوعية الحياة» أكثر شمولا وطموحا من «تلبية الاحتياجات» باعتبار أن تحسين الحياة يشمل الوفاء بالكماليات، وأنه يمثل المستوى المطلوب لتحقيق احتياجات الناس وطموحهم.

وقد عرفت المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) التنمية المستدامة بأنها: عملية متعددة الأبعاد تعمل على التوازن بين أبعاد التنمية الاقتصادية والاجتماعية من جهة، والبعد البيئي من جهة أخرى، تهدف إلى الاستغلال الأمثل للموارد والأنشطة البشرية القائمة عليها من منظور إسلامي، بما يؤكد أن الإنسان مستخلف في الأرض له حق الانتفاع بمواردها دون حق ملكيتها، ويلتزم في تنميتها بأحكام القران والسنة النبوية الشريفة، على أن يراعي في عملية التنمية الاستجابة لحاجات الحاضر، دون إهدار حق الأجيال اللاحقة، ووصولا إلى الارتفاع بالجوانب الكمية والنوعية للمادة والبشر[4].

1- دائرة التنمية الاقتصادية، حكومة رأس الخيمة، النشرة الاقتصادية العدد 45، نوفمبر، 2115م، (ص19).

2- تقرير مستقبلنا الصادر عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987م، إصدار المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، دار عالم الكتب، (ص69).

3- الجيوسي، أ.د. عودة راشد، الإسلام والتنمية المستدامة رؤى كونية جديدة، ترجمة جمانة وليد وآخرون، مؤسسة فريدريش إيبرت، مكتب الأردن والعراق، 2013م، (ص22).

4- المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) العالم الإسلامي والتنمية المستدامة (الخصوصيات والتحديات والالتزامات) وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، جدة السعودية 10– 12/6/2002م، منطمة الايسيسكو الرباط المغرب (ص138).

والذي يظهر لنا أن التعريف الأدق للتنمية المستدامة من منظور إسلامي هو: الترقية العلمية المتكاملة، للمكونات البيئية والثروات الاقتصادية والتفاعلات الاجتماعية، بما يضمن استدامتها تبعًا للمبادئ والضوابط الإسلامية.

ويعني هذا التعريف أن التنمية المستدامة تمثل عملية الانتقال من أوضاع غير مرغوب فيها إلى أوضاع أفضل، اعتمادًا على قواعد العلم واستنادًا إلى دراسات علمية موضوعية، لضمان المحافظة على الموارد وتجديدها واستثمارها بشكل عقلاني، والحرص على استثمار الثروات الاقتصادية بما يحقق نموًا اقتصاديًا مستدامًا، يضمن استفادة جميع طبقات المجتمع منه، بما يقلل من نسب الفقر والبطالة.

وبهذا تعمل التنمية المستدامة على إدامة الروابط والعلاقات الاجتماعية، وتشكيل مؤسسات المجتمع المدني كالجمعيات والنوادي والنقابات، بما يحقق قوة ضغط تشارك في صنع القرار الذي يتناسب مع طبيعة المجتمع، وبما يضمن استفادة الأجيال الحالية وإشباع حاجاتها من الثروات والموارد المتاحة، دون إلحاق أي ضرر بمقدّرات وحقوق الأجيال القادمة. بشرط أن تكون عملية التطور والانتقال والاستثمار منضبطة بقواعد الشريعة الإسلامية وأحكامها ومتفقة مع مقاصد التشريع وغاياته وأهدافه.

أبعاد التنمية المستدامة:

تركز التنمية المستدامة إلى التكامل بين البيئة والتنمية، وتتحقق أبعادها من خلال التوافق بين أنظمة ثلاثة هي: المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وبناء النظام الاقتصادي، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

أما البيئة: فهي الوسط والمكان الذي يعيش فيه الإنسان بما يتضمن من ظواهر طبيعية وبشرية يتأثر بها ويؤثر فيها، ويستمد منها مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيها علاقته مع الآخرين[1]. وتتكون من نظامين أساسيين هما: البيئة الطبيعة التي أوجدها الله تعالى من أرض وهواء وماء وغيرها، والبيئة الحضارية ويقصد بها النظام الذي أوجده الإنسان من مشاريع ومؤسسات وبنية تحية ومبان وغيرها[2]. مما يثبت أن البيئة ومواردها الطبيعية والحضارية هي السبب المباشر في انتقال التنمية

1- أبو صبيع، د. صالح، الاتصال والتنمية المستدامة في الوطن العربية، دار البركة عمان الأردن، ط1، 2009م، (ص35).

2- منظمة الايسيسكو، دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة (ص98).

إلى عهد جديد، مما يجعلها العنصر الأساسي في عملية الاستدامة. وبهذا تعمل التنمية المستدامة على المحافظة والتطوير في كافة المجالات الحيوية التي يحتاجها الإنسان.

ففي مجال المياه: تهدف إلى ضمان الحماية الكافية للمصادر المائية والمياه الجوفية وموارد المياه العذبة.

وفي مجال الغذاء: تهدف إلى ضمان الاستخدام الأمثل والحفاظ على الأراضي والغابات، والمياه، والحياة البرية، والبحرية.

وفي مجال الصحة: تهدف إلى ضمان الحماية الكافية للموارد البيولوجيةوالحفاظ على صحة الإنسان وسلامته وتوفير الأنظمة الداعمة للحياة السليمة.

وفي مجال السكن والخدمات: تهدف إلى ضمان الاستخدام المستدام، والمثالي للأراضي، والغابات، والطاقة.

وفي مجال التعليم: تهدف إلى إدخال البيئة في المعلومات العامة والبرامج التعليمية.

في مجال الدخل: تهدف إلى ضمان الاستعمال المستدام للموارد الطبيعية الضرورية للنمو الاقتصادي[1].

وبهذا يتضح لنا أن البيئة لم تعد محصورة في ذلك المفهوم الضيق الذي يعني مجرد مكافحة التلوث البيئي وإنما أصبح مفهومًا مركبًا يستوعب جميع الخبرات الجديدة التي أنتجتها الإنسانية في مختلف حقول المعرفة والعلم ويعالج جميع المسائل المتصلة بالحياة.

أما بناء النظام الاقتصادي: فإنه يتطلب تحقيق رفاهية المجتمع والقضاء على الفقر من خلال استغلال الموارد على النحو العقلاني بكفاءة ومشروعية، من خلال رفع كفاءة استخدام المياه في التنمية الزراعية والصناعية والحضرية، ورفع الإنتاجية الزراعية من أجل تحقيق الأمن الغذائي، وتوفير الرعاية الصحية والوقائية، والاستعمال الكفء لموارد البناء ونظم المواصلات، وضمان وفرة المتدربين لكل القطاعات الاقتصادية الأساسية، وزيادة الكفاءة الاقتصادية وتحقيق النمو، وتوفير فرص العمل [2].

1- الطاهر، د. قادري محمد، التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق، مكتبة حسن العصرية بيروت 2013م، (ص-76 77) بتصرف.

2- نفس المصدر السابق (ص80).

ولا شك أن هذا يتطلب توفير أدوات وبرامج اقتصادية تساعد على استهلاك موارد الحاضر بأسلوب يراعي مصالح المستقبل، كما يتطلب مجموعة من التشريعات لتحقيق السياسة الاقتصادية الرشيدة، والعمل على التخلص من ضغوط النظام الاقتصادي الدولي الحالي الذي يؤدي إلى تفاقم فقر الدول النامية ومديونيتها.

وأما تحقيق التكافل الاجتماعي: فإنه يتم من خلال عملية التضامن والتعاون لدى أفراد المجتمع بما يكفل تحقيق العدالة الاجتماعية والاحتفاظ بكرامة الإنسان، وتحقيق الاستدامة الاجتماعية في كافة المجالات من الصحة والغذاء والمسكن والتعليم ودعم المشاريع الصغيرة وتوفير الوظائف.

لقد كانت التنمية سابقًا تركز فقط على الجانب الاقتصادي فحسب، أما اليوم فقد تطور مفهوم التنمية المستدامة ليشمل هذه الأبعاد الثلاث، ولا يمكن الاستغناء عن واحد منهما، لأن تطور الاقتصاد هو غاية التنمية، والمجتمع الإنساني هو وسيلته، والبيئة هي من تحتضن هذين البعدين الاقتصادي والاجتماعي. لذلك فإن تفعيل التنمية المستدامة يعني تفعيل هذه الركائز الثلاث معا وعلى قدم المساواة، لأن التقليل من قيمة أي بُعد سيؤدي إلى انهيار العملية بشكل عام، ذلك أن غاية هذه التنمية هي الاستدامة التامة في جميع جوانب الحياة، وهذه لا تتحقق إلا في برنامج مكتامل يشمل جميع هذه الأبعاد الثلاثة.

أهداف التنمية المستدامة:

تسعى التنمية المستدامة في أبعادها الثلاثة إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها:

1- تحسين نوعية حياة السكان:

ويتم ذلك من خلال التخطيط العلمي وتنفيذ السياسات العملية لتحسين نوعية حياة السكان في المجتمع اقتصاديا واجتماعيًا وروحيًّا، عن طريق اعتماد برامج للقضاء على الفقر والجوع لتحقيق المساواة بين أفراد المجتمع وتوفير التعليم والصحة.

2- رفع مستويات المعيشة:

حيث تعمل التنمية المستدامة على رفع مستويات المعيشة للأجيال الحالية والأجيال القادمة، وتطوير الوسائل المتعلقة بكافة جوانب الحياة من السكن، والمؤسسات الخدمية، والبنية التحتية، وغيرها.

3- احترام البيئة الطبيعية:

وذلك عن طريق التركيز على العلاقة بين نشاطات السكان والبيئة، والمحافظة على الموارد الطبيعية بكافة مجالاتها، والعمل على تطوير هذه العلاقة لتصبح علاقة انسجام وتكامل، وتنمية ثقافة الإحساس بالمسؤولية والمشاركة في إعداد وتنفيذ ومتابعة وتقييم برامج ومشاريع التنمية المستدامة.

4- الاستخدام العقلاني للموارد الطبيعية:

ذلك أن الموارد الطبيعية موارد محدودة، مما يوجب استخدامها بشكل عقلاني وتوظيفها توظيفًا علميًّا يحول دون استنزافها أو تدميرها، وفق السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الحياة، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد.

5- إحداث تغيير مناسب في الحاجات تبعا للأولويات:

حيث يتم التغيير والتطوير بطريقة تلائم إمكانيات المجتمع وتسمح بتحقيق التوازن الذي بوساطته يمكن تفعيل التنمية الاقتصادية تبعًا للأولويات التي تناسب طبيعة وثقافة كل مجتمع، والسيطرة على المشكلات البيئية ووضع الحلول المناسبة لها.

المبحث الثاني

ركائز التنمية المستدامة في السنة النبوية

ذكرنا في المبحث الأول أن التنمية المستدامة تقوم على ثلاثة أبعاد: البيئة والاقتصاد والاجتماع، وأنه يجب أن تكون عملية التنمية تكاملية ومتوازنة بين هذه الأبعاد الثلاثة.

ولأن التنمية المستدامة تهدف إلى تلبية احتياجات الحاضر وضمان حقوق وحاجات الأجيال القادمة؛ فإن ذلك يتطلب جملة من الخطوات والبرامج العملية التي تشمل عددًا من الإجراءات الفردية والجماعية لرسم طريق متكامل يتناغم فيه النمو الاقتصادي ومتطلبات الصحة البيئية والعدالة الاجتماعية.

والمتابع للسنة النبوية يقف على العديد من التوجيهات والإرشادات النبوية التي حددت جملة من الركائز والبرامج التي دعت إليها السنة نظريًّا وتطبيقيًّا (السنة القولية والعملية والتقريرية) لتحقيق التنمية المستدامة بأبعادها الثلاثة مع ضرورة استحضار الجانب الديني التعبدي والبعد الروحي المتمثل بالأجر والثواب، مما يعمل على تحفيز

المسلم إلى رضا الله تعالى وابتغاء الأجر عن طريق تحقيق محتوى التنمية المستدامة باعتبارها سلوكًا حضاريًّا وواجبًا دينيًّا تعبديًّا، بما يضمن للإنسان سعادته في الدنيا مع ترتيب الأجر والثواب في الآخرة.

وفي هذا المبحث سنحاول التعرف على أبرز الركائز والبرامج التي دعت إليها السنة النبوية، والتي تعمل على تحقيق التنمية المستدامة، وفقا للتفصيلات والمحاور الآتية:

1- المحافظة على النظافة الشخصية:

فقد حثت السنة النبوية على نظافة المسلم في بدنه وثوبه ومكانه، حتى يتسنى تنظيف البيئة المحيطة، فعن أبي هريرة ﷺ قال قال رسول الله ﷺ: (حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَوْمًا، يَغْسِلُ فِيهِ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)[1]، وبناء على ذلك قال الفقهاء إنه يستحب الغسل في يوم الجمعة وتقليم الأظافر وإزالة الشعر والتطيب، ويجب الغسل في كثير من المجالات كغسل الجنابة والحيض والنفاس، وكل ذلك يسهم في إيجاد المسلم النظيف الذي يسعى لإيجاد بيئة صحية وخالية من التلوث.

2- المحافظة على نظافة المكان والطريق:

فقد ورد في السنة النبوية عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: قال ﷺ: (طَهِّرُوا أَفْنِيَتَكُمْ فَإِنَّ الْيَهُودَ لَاتُطَهِّرُ أَفْنِيَتَهَا)[2]، والمقصود بالأفنية هو المتسع من الدار، وفي هذا أمر بتطهير المكان والدر ورفع الأقذار عنها.

كما ورد في السنة النبوية جملة من الأحاديث التي تحث على نظافة الطرق وإماطة الأذى عنها واعتبار ذلك من شعب الإيمان، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال ﷺ: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ)[3]، واعتبرت السنة ذلك من محاسن الأعمال، عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال

1- أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م، كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان وغيرهم (1/305) حديث رقم (856).

2- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، دار الحرمين القاهرة 1415هـ، 1995م، باب العين، من اسمه علي (4/231) حديث رقم (4057)، والحديث حسن.

3- أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة، تم تصويره دار إحياء التراث العربي بيروت 1374هـ، 1955م، كتاب الإيمان باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها (1/63) حديث رقم (35).

رسول الله ﷺ: (عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ. وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ)[1].

3- المحافظة على نظافة الساحات العامة:

فقد ورد عن النبي ﷺ فيما يرويه: (اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا: وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ)[2]، والظل هو المكان الذي يستظل به الناس ويقعدون فيه وقت اشتداد الحر، ويقابل الظل في زمننا الحاضر الأماكن العامة والحدائق والمتنزهات والغابات التي يقصدها الناس من أجل الراحة والتنزه، مما يوجب العناية بها وعدم تعريضها للأوساخ والقاذورات تجنّبًا للوقوع في اللعن المذكور في الحديث، ومن أجل المحافظة على جمالية هذه الأماكن والساحات ونظافتها.

4- النهي عن تلويث الموارد المائية:

فقد نهى النبي ﷺ عن البول في الماء الراكد غير الجاري، عن أبي هريرة ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَجْرِي، ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ)[3]، ويدل هذا الحديث على مكافحة التلوث المائي، لأنه لا يمكن الانتفاع من الماء إذا تلوث وتغيرت أوصافه، والبول يعتبر نموذجًا للملوّثات التي تتعرض لها المياه، وبذلك يشمل النهي عن كل ما يلقى من ملوّثات وقاذورات في العيون والآبار والأنهار وغيرها من الموارد، مما يوجب على كل مسلم أن يمتنع عن تلويث وإفساد الموارد الطبيعية بالملوثات الضارة أيًّا كان مصدرها أو نوعها؛ لأن هذه الأرض وما عليها هو ملك للجميع.

5- الاستخدام العقلاني للموارد:

تهتم التنمية المستدامة بالموارد الطبيعية وتتعامل معها على أنها موارد محدودة؛ ولذلك يجب الاستخدام والاستثمار العقلاني لها، ويحرم استنزافها أو تدميرها، وقد جاءت السنة النبوية تحث على الترشيد في استهلاك تلك الموارد، عن أنس بن مالك ﷺ قال (كَانَ

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن البصاق في المسجد (1/390) حديث رقم (553).

2- أخرجه مسلم صحيحه، كتاب الطهارة باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (1/226) حديث رقم (269).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب البول في الماء الدائم (1/94) حديث رقم (236).

النَّبِيُّ ﷺ يَغْتَسِلُ، بِالصَّاعِ إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَادٍ، وَيَتَوَضَّأُ بِالْمُدِّ)[1]، ، فكان ﷺ يتوضأ بمد، والمد هو ملء كفي الإنسان المعتدل ويقدر ب 0، 7 من اللتر، ويغتسل بصاع وهو أربعة أمداد، وهو بمقدار 2، 75 لتر.

وإذا ما قورن هذا بما يتم استهلاكه اليوم في الوضوء والغسل تظهر لنا عملية الإهدار في الموارد المائية، حيث تشير الاحصائيات أن ما يستهلكه الشخص هذه الأيام في الوضوء ما بين 5 6 لتر، وأن ما يستهلكه في الغسل لا يقل عن 30 لتر[2].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَرَّ بِسَعْدِ بنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: مَا هَذَا السَّرَفُ؟، فَقَالَ سَعْدٌ: أَفِي الوُضُوءِ إِسْرَافٌ؟، قال: "نَعَمْ، وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهْرٍ جَارٍ"[3].

6- مراعاة حقوق الأجيال القادمة:

تقوم التنمية المستدامة على توفير حاجات الأجيال الحالية ورعاية حقوق الأجيال القادمة، وقد جاءت السنة النبوية للتأكيد على هذه المفاهيم التنموية، فقد جعل الإسلام جريان الأجر للميت متعلق بمنفعة الأجيال القادمة، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[4]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ مِمَّا يَلْحَقُ الْمُؤْمِنَ مِنْ عَمَلِهِ وَحَسَنَاتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ عِلْمًا عَلَّمَهُ وَنَشَرَهُ، وَوَلَدًا صَالِحًا تَرَكَهُ، وَمُصْحَفًا وَرَّثَهُ، أَوْ مَسْجِدًا بَنَاهُ، أَوْ بَيْتًا لِابْنِ السَّبِيلِ بَنَاهُ، أَوْ نَهْرًا أَجْرَاهُ، أَوْ صَدَقَةً أَخْرَجَهَا مِنْ مَالِهِ فِي صِحَّتِهِ وَحَيَاتِهِ، يَلْحَقُهُ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهِ)[5].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب الوضوء بالمد (1/84) حديث رقم (198).

2- الخطاف، إيمان، المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لتر يوميا في الوضوء، صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341 بتاريخ 22/3/2007م.

3- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن عمر بن العاص (رضي الله عنهم) (11/637) حديث رقم (7065) والحديث أخرجه ابن ماجه والبيهقي، وهو حديث حسن وصححه بعض المحدثين.

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255) حديث رقم (1631).

5- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، كتاب الإيمان باب ثواب معلم الناس الخير (1/88) حديث رقم (242) وهو حديث صحيح.

وهكذا تكون الصدقة الجارية التي يدوم نفعها ويستمر عطاؤها كالوقف وشق الأنهار وحفر الآبار وإصلاح الطرق وغيرها من أفعال الخير صيغة متقدمة من صيغ التنمية المستدامة التي دعت إليها السنة النبوية واعتبرتها جزء من الالتزامات التعبدية، فالوقف يعتبر نموذجًا من نماذج التنمية المستدامة؛ لأنه يعني حبس العين وتسبيل الثمرة للأجيال الحالية والأجيال اللاحقة، ويمكن أن يقدم الكثير للتنمية المستدامة سواء في مجال الاستثمار البشري والاستثمار المادي أو في مجال حماية الموارد وصيانتها وديمومة عطائها[1]. ويمكن الاستفادة من هذا التوجيه النبوي لوجوه الخير المتعددة والمتنوعة في رعاية اللاجئين والنازحين وتقديم الخدمات لهم ضمن مسيرة التنمية المستدامة.

7- الحث على الزراعة وتوفير الغذاء:

تعد الزراعة أصلاً من أصول المحافظة على البيئة وركنًا من أركان التنمية المستدامة؛ لأنها عامل من عوامل تنقية الهواء من التلوث، ولأنها تمنح الإنسان منظرًا جميلا وثمارًا متنوعة، ومن هنا اهتمت السنة النبوية بالدعوة إلى الزراعة والحث على التنمية الزراعية المستدامة.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)[2]، وفي هذا الحديث حث من النبي ﷺ على الغرس والزرع وعمارة الأرض مما ينمي فكرة التنمية المستدامة في توفير الثمار والمنتجات الزراعية والتي تمثل بعدًا اقتصاديًّا واستثماريًّا يساهم في عملية الاكتفاء الذاتي. وهو ما يمكن أن نطلق عليه التنمية الزراعية المستدامة التي تقوم على مراعاة حاجات الأجيال القادمة، فكما غرس لك غيرك فانتفعت به فاغرس لمن يجيء بعدك لينتفع به.

وفي هذا المعنى تأتي دعوة السنة النبوية إلى إحياء الأرض الموات عملاً بما رواه سعيد بن زيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً فَهِيَ لَهُ وَلَيْسَ لِعِرْقٍ ظَالِمٍ حَقٌّ)[3]، وفي

1- الهيتي، د. عبد الستار إبراهيم، الوقف ودوره في التنمية، نشر مركز البحوث والدراسات، ط1، 1419هـ، 1998م)، (ص25-24) بتصرف.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (2/817) حديث رقم (2195).

3- أخرجه أبو داود في سننه، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت، كتاب الخراج والإمارة والفيء باب في إحياء المواتج (3/178) حديث رقم (3073) وهو حديث صحيح.

هذا تشجيع على إعمار الأرض وزراعتها بالزراعة والعمارة ونحوهما.

8- ترشيد الاستهلاك ومنع الإسراف:

تهدف التنمية المستدامة إلى عملية ترشيد الاستهلاك والتوازن بين المتطلبات والنفقات دون مبالغة، مما يؤدي إلى تحفيز الاستعمال الأمثل لجميع الموارد وسد الحاجات والتوازن والاعتدال في الإنفاق وعدم البغي أو الشطط، وقد ورد في السنة النبوية ما يؤكد هذه المفاهيم فيما رواه عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ، أَوْ مَخِيلَةٌ)[1]، ويدل هذا الحديث على تدبير الإنسان نفسه والموازنة بين مصالح النفس والجسد في الدنيا والآخرة فإن السرف يؤدي إلى الإتلاف ويضر بالنفس، عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ)[2]، والمقصود بإضاعة المال هو الإسراف وصرف الأموال في غير ما ينبغي.

ويعتبر الإسراف أكبر خطر يهدد عملية التنمية المستدامة؛ لأنه يستنزف الموارد دون تحقيق فائدة للمستهلك ومن هنا جاءت التوجيهات الإسلامية لضبط عملية الاستهلاك وفق ما يحتاجه الإنسان دون إسراف أو تقتير، قال تعالى ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[3]، وقال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾[4]. وتدعو هذه النصوص إلى ضرورة التوازن وفق ترتيب الأولويات، ومن أمثلة ذلك قوله ﷺ لجابر بن عبد الله ﷺ حينما أعتق عبدًا: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا. فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ. فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ. فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا" يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شمالك)[5]،

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب اللباس باب لبس ما شئت ما أخطأك سرف ولا مخيلة (2/1192) حديث رقم (3605). وأخرجه الحاكم في المستدرك، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م، كتاب الأطعمة (4/150)، وقال الحاكم: "هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب ما ينهى عن إضاعة المال، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (2/848) حديث رقم (2277).

3- سورة الإسراء آية 29

4- سورة الفرقان آية 68

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة باب الابتداء في النفقة على النفس ثم أهله ثم القرابة (2/692) حديث رقم (997).

مما يعني أن الترتيب في الإنفاق يكون على النفس أولا ثم على الأهل ثم على الأقارب، فإن زاد فعلى المحتاجين والفقراء، ولا شك أن هذا الترتيب يساعد على عملية ضبط النفقات تبعا للحاجات، كما أن الإسلام في تنظيمه للاستهلاك يهدف إلى توفير الضروريات التي يحفظ بها الدين والحياة والنسل وأداء الواجبات ثم الحاجيات، ثم الأمور التحسينية) الترفيهية(التي لا تتوقف عليها مسيرة الحياة[1].

إن الالتزام بهذه الصيغة من التوازن يؤدي إلى ثقافة ترشيد الاستهلاك التي يجب أن ينتهجها المسلم في حياته اليومية باجتناب الإسراف والتبذير، والامتناع عن استهلاك ما يزيد عن حاجته، وهو الذي يوصل إلى حد القناعة التي تعتبر مظهرًا من مظاهر التأصيل الإسلامي للتنمية المستدامة المعتمدة على بعد روحي تعبدي غير متوفر في النظم الوضعية القديمة والحديثة.

المبحث الثالث

دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة (المجال الاقتصادي)

تضمنت نصوص السنة النبوية منظومة متكاملة من القيم: كالأمانة والصدق والإتقان، وتحريم الغش والكذب ونبذ روح الاتكالية في العنصر البشري، الذي يعتبر أساس التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي، لضمان أعلى درجات الأداء والكفاءة في العملية الاقتصادية، وبذلك تتحقق المثالية في النتائج، عن عائشة ﵂ أن رسول الله ﷺ قال: (إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[2].

وقد حاربت السنة النبوية ظواهر الفساد الاقتصادي والمالي كظاهرة الغش في المعاملات الاقتصادية، أو السقوط في فخ المعاملات الربوية التي حاربتها نصوص السنة النبوية لما لها من انعكاسات خطيرة على البنية الاقتصادية للدول ولأنها تساهم بشكل كبير في اختلال التوازن في النظام الاجتماعي، وبث روح الاستغلال وسلب الحقوق مما يربك المنظومة الاقتصادية فتتخلف الأمة عن التقدم والرقي الحضاري.

1- عفر، محمد عبد المنعم، التخطيط والتنمية في الإسلام، دار الريان جدة، 1405هـ، 1985م، (ص161).

2- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، باب الألف، من اسمه علي (1/275) حديث رقم (897) والحديث حسن.

كما حرصت نصوص السنة النبوية على تطبيق أخلاقيات إدارة المال والأعمال، باعتبار أن ممارسة العملية الاقتصادية في المال والأعمال جزء من العبادة والقربة إلى الله تعالى، لأن كل عمل يقوم به المسلم وهو يبتغي فيه وجه الله تعالى ونفع أمته والمساهمة في تقدمها وريادتها يعتبر عبادة ينال عليها الأجر والثواب.

سنحاول في هذا المبحث استجلاء الهدي النبوي في تحقيق التنمية المستدامة للتعرف على دور السنة النبوية في تحقيق فكرة التنمية المستدامة ووضع المعالجات الوقائية والعلاجية في حل المشكلات التي واجهته أو واجهت صحابته ﷺ.

لقد كان من أبرز المهام التي قام بها النبي ﷺ بعد الهجرة هو شروعه في بناء الدولة وتثبيت دعائمها، وقد تفرع عن ذلك جملة من الأعمال والسلوكيات والممارسات الاقتصادية العامة نشير إلى أبرزها:

- بناء المسجد، ليكون محطة للعبادة ومكانا للتكافل الاجتماعي بين مواطني الدولة الفتية من المهاجرين والأنصار، وليصبح مركز للقرار ومتابعة أحوال المسلمين إداريا واقتصاديا.

- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، التي مثلت حالة فريدة من التكافل والتواصل على مستوى التاريخ الإنساني، تجاوز المفاهيم الدينية والاجتماعية لتصل إلى مرحلة التكامل الاقتصادي الشامل بينهم، ولتكون هذه المؤاخاة صيغة من صيغ توزيع الثروة التي كانت عند المسلمين، مما يدخل ضمن مفهوم التوزيع التوازني

- إنشاء سوق للمسلمين في المدينة المنورة لتنمية التجارة وتطويرها، خاصة وأن سوق يثرب كان يسيطر عليه اليهود ويتحكمون في سلعه وأسعاره.

- وضع الضوابط والقواعد الشرعية والمهنية والاقتصادية التي تضبط التعامل الاقتصادي في الأسواق، بما يتفق ومبدأ تكافؤ الفرص، ويعمل على تحقيق قاعدة التراضي في المعاملات المالية.

- تشريع جملة من الأحكام الملزمة التي تضمن حرمة أموال المسلمين ووجوب المحافظة عليها، عملا بما روى أبو هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ

إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَا هُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ)[1].

- منع الاحتكار للسلع والبضائع، وخاصة السلع الضرورية، عملا بقوله ﷺ (مَنِ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ)[2]، وبما روي عن ابن عمر ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (مَنِ احْتَكَرَ طَعَامًا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً فَقَدْ بَرِئَ مِنَ اللَّهِ، وَبَرِئَ اللَّهُ مِنْهُ) وفي رواية: (مَنِ احْتَكَرَ يُرِيدُ أَنْ يَتَغَالَى بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ خَاطِئٌ، وَقَدْ بَرِئَ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ)[3].

- منع المعاملات غير المشروعة، فقد جاءت الشريعة بالتمييز بين العقود المشروعة والعقود الباطلة، فقال تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [4]، وبناء على ذلك منع النبي ﷺ جملة من المعاملات المحرمة، كالربا والاحتكار والغش والتدليس، عملا بما روي عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ). قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: (الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، ...)[5]، وبما روي عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ» ؟ فَقَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى يَرَاهُ النَّاسُ» ثُمَّ قَالَ: «مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنَّا)[6]، وغيرها من التوجيهات والتعليمات الملزمة.

- تحديد الأوزان والمكاييل، فقد أقر النبي ﷺ العملات النقدية التي كانت سائدة ومستخدمة عند العرب في تلك الفترة وهي النقود الرومية والفارسية وتعامل بها، ولم يشأ النبي ﷺ أن يجابه دولتي الفرس والروم، خاصة وأن المسلمين لا يزالون في

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم (2/1386) حديث رقم (2564).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات (3/1227) حديث رقم (1605).

3- أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب البيوع، حديث إسماعيل بن جعفر (2/14-15) حديث رقم (2165، و2166).

4- سورة البقرة آية 275

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب رمي المحصنات (6/2515) حديث رقم (6465).

6- أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من غشنا فليس منا (1/99) حديث رقم (102).

بداية تكوينهم، وأن اقتصاديات المجتمع المسلم كانت بدائية وبسيطة جدا بحيث لا تحتمل اصدار نقود جديدة.

وقد اعتمد النبي ﷺ وزنًا واحدًا يتعامل الناس به ومكيلاً واحدًا، وهو وزن أهل مكة ومكيال أهل المدينة، من أجل ضبط السوق وعدم اضطراب التعاملات التجارية فيه، فقد روي عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (الْوَزْنُ وَزْنُ أَهْلِ مَكَّةَ، وَالْمِكْيَالُ مِكْيَالُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ)[1]، والمقصود به الوزن الذي يتعامل به الناس في بيعهم وشرائهم ويتعلق به حق الزكاة، والمكيل هو الصاع الذي يتعلق به وجوب الكفارات وصدقة الفطر وتقدير النفقات.

ولا شك أن هذه الخطوات والإجراءات من النبي ﷺ تعتبر صيغة تنظيمية وإدارية لتنظيم وإدارة العمل الاقتصادي التنموي، مما يثبت اعتماد النبي ﷺ للأطر التنظيمية باعتبارها صيغة متقدمة من صيغ السنة النبوية لتحقيق التنمية في المجال الاقتصادي.

دور السنة النبوية في التنمية الاقتصادية:

بعث النبي ﷺ إلى البشرية وقد كانت في حالة من الفوضى والفساد الفكري والسياسي والاقتصادي، حتى أطلق المؤرخون على تلك المرحلة من التاريخ الإنساني بالجاهلية، بسبب وجود جهل متأصل في كافة االمجالات الدينية والدنيوية والفكرية والإدارية والتنظيمية والاقتصادية، وقد ظهر ذلك في مقالة جعفر بن أبي طالب ﷺ عند النجاشي، حيث قال: أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ، وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَحْنُ نَعْبُدُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ. وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، ، ، الحديث[2].

وقد عالج النبي ﷺ كل هذه الظواهر التي تعيق تحقيق التنمية في مجالها الاقتصادي، والاجتماعي بمعالجات وقائية وعلاجية.

1- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب في قول النبي ﷺ المكيال مكيال المدينة (3/246) حديث رقم (3340) وهو حديث صحيح.

2- أخرجه أحمد في المسند، مسند أهل البيت، حديث جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) (3/266) حديث رقم (1740).

ومن أبرز المعالجات النبوية في تحقيق التنمية الاقتصادية التشجيع على السعي في الأرض وطلب الرزق وتحصيل فرص العمل المتنوعة فخرج من المجتمع حينذاك التاجر والصانع والمزارع، مما يؤدي إلى تنمية كل القطاعات الاقتصادية الفاعلة. وفي هذا تشجيع قطاع التجارة التي كانت ولا تزال أهم النشاطات الاقتصادية التي توفر للمجتمع مصدرا من مصادر الدخل، وتوفر لهم الأقوات والسلع غير المحلية، وقد جعل النبي ﷺ درجة التاجر الصادق مع النبيين والصديقين إذا كان صادقًا وناصحًا ومخلصًا في تجارته، فقال ﷺ: (التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الْأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ)[1]، وفي هذا دعوة إلى التفاعل مع الأنشطة الاقتصادية وتصحيح مفهوم العبادة الضيق الذي يعني بأداء النسك فقط، وتوجيهها إلى الضرب في الأرض، والمشاركة في التنمية الاقتصادية، التي تحل مشكلة الفقر والبطالة.

كما شجعت السنة النبوية العمل في القطاع الزراعي لتأكيد أهمية تحقيق الاكتفاء الغذائي، كما في حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)[2].

ومن المعالجات النبوية لتحقيق التنمية في المجال الاقتصادي أن النبي ﷺ لم يقبل لأي فرد من أفراد المجتمع أن يبقى عاطلا دون كسب أو عمل، بل كان يوجههم لأي فرصة يقدر من خلالها على كسب لقمة الحلال، عن أنس ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ؟» قَالَ: بَلَى، حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ، وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ، قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا»، قَالَ: فَأَتَاهُ بِهِمَا، فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ؟» قَالَ رَجُلٌ: أَنَا، آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ، قَالَ: «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا»، قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ، وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ، وَقَالَ: «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ، وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ، »، فَأَتَاهُ بِهِ، فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ، وَلَا أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا»، فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ، فَاشْتَرَى

1- أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي مصر، ط2، 1395هـ، 1975م، أبواب البيوع، باب ماجاء في التجارج (3/507) حديث رقم (1209)، الحديث ضعيف وله طرق يتقوى بها.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (2/817) حديث رقم (2195).

بِبَعْضِهَا ثَوْبًا، وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِثَلَاثَةٍ: لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ، أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ، أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ»[1].

وبهذا يقدم النبي ﷺ درسًا تنمويًّا واقتصاديًّا وافيًا عندما وجهه إلى حل مشكلة فقره عن طريق التفاعل مع الحياة الاقتصادية وعدم التقاعس والإنكفاء، فقال له كما ورد في بعض الروايات: "هذا خير لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك". فلم يعالج النبي ﷺ مشكلة السائل بالإعانة المادية المؤقتة، بل عالجها بوجوب تحمل المسؤولية في حل مشكلة فقره، عن طريق الاعتماد على نفسه، وهكذا حل النبي ﷺ مشكلة الفقر في نطاق العمل الإنتاجي التنموي وليس في نطاق الصدقة. وهو ما يؤكده رواية أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لَأَنْ يَحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَحْمِلَهَا عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا يُعْطِيهِ، أَوْ يَمْنَعُهُ) [2].

لم تقف هذه المعالجات الاقتصادية والمالية في السنة النبوية عند هذا الحد، وإنما عملت على تقديم الحلول المناسبة للمشكلات الاقتصادية الجزئية، فقد وضع النبي ﷺ جملة من الإصلاحات والحلول للمشكلات الاقتصادية التي كان يعاني منها المجتمع الإنساني في تلك الفترة ولا يزال.

وإذا أردنا أن نحدد مسببات الفساد الاقتصادي فإن ذلك يرجع إلى أمرين أساسيين يؤديان إلى ذلك الفساد هما: المعاملات الظالمة، والنشاطات الفاسدة، ولذلك ركز النبي ﷺ على معالجة هذين السببين، وكما يأتي:

تحريم المعاملات الظالمة:

وهي الربا والغرر والشروط المجحفة. وقد اتخذ النبي ﷺ إجراءات وإصلاحات قانونية وتشريعية للتخلص من هذه العقود الظالمة.

1- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الزكاة، باب ماتجوز فيه المسألة (2/120) حديث رقم (1641) وهو حديث ضعيف وله طرق يتقوى بها.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (2/721) حديث رقم (-107 1042).

1- تحريم المعاملات الربوية:

عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: (لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَكَلَ الربا، وموكله، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ.)[1].

وما ورد في خطبة حجة الوداع عنه ﷺ قال: (وَرِبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا. رِبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ)[2]، وهكذا جاءت الخطوة الإصلاحية عن طريق البدء بالأقرب « العباس عم النبي ﷺ، لتأكيد الجدية والعدالة، والحرص على سلامة التطبيق، بعد تأكيده ﷺ على وضع ربا الجاهلية كله.

وبهذا أبطل النبي ﷺ هذا النوع من التعامل لما فيه من الظلم والضرر الذي يتحمله الفقراء والمحتاجون في مقابل محاباة الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال.

2- النهي عن بيع الغرر:

الغرر هو ما كان مستور العاقبة ولا تعرف نتيجته. ويشمل الخداع والجهالة والتدليس[3]، وقد روي عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ نَهَى عَنْ بَيْعِ الْحَصَاةِ، وَبَيْعِ الْغَرَرِ[4]، وقد ذكر الخطابي أن أصل الغرر هو ما طوي عنك علمه، وخفي عليك باطنه، وهو مأخوذ من قولك طويت الثوب عل غَرِّه أي على كسره الأول، وكل بيع كان المقصود منه مجهولا غير معلوم ومعجوزًا عنه غير مقدور عليه فهو غرر[5].

والواقع أن كل بيع يتضمن خطرًا يلحق أحد المتعاقدين فيؤدي إلى ضياع ماله فهو غرر منهي عنه، وقد اتفق الفقهاء على عدم صحة بيع الغرر[6].

1- أخرجه مسلم، كتاب المساقاة باب لعن آكل الربا وموكله (3/219) حديث رقم (1598).
2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي (صلى الله عليه وسلم) (2/886) حديث رقم (889).
3- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، المبسوط في الفقه الحنفي، دار المعرفة، بيروت، 1406هـ، (13/68).
4- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر (3/1153) حديث رقم (1513).
5- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، معالم السنن للخطابي (شرح سنن أبي داود) المطبعة العلمية، حلب، 1352هـ 1933م، (3/88).
6- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، المجموع شرح المهذب مع التكملة للمطيعي، مكتبة الإرشاد، جدة، د. ط. ت، (9/310).

هذه الصيغ وغيرها من الطرق والأساليب الوهمية من القمار وبيوع الغرر الذي حرمه الله تعالى ورسوله ﷺ، وهو قائم على أكل أموال الناس بالباطل واستنزاف أموالهم بطرق ماكرة وحيل ملتوية ومحرمة وعلى هذا الأساس منعت الشريعة كل المعاملات التي يتخللها ظلم أو تدليس أو غرر، وهي مشمولة بنهي النبي ﷺ عن بيع الغرر وبيع الملامسة والمنابذة وبيع الحصاة[1].

المنع من الأنشطة الفاسدة:

يعتبر الاقتصاد الإسلامي أن الأموال والثروات مال الله تعالى، وأن المسلم مستخلف فيه، عملا بقوله تعالى ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِ ﴾ [2]، ولأن السلع وقيمتها جزء من الأموال فإن أي استخدام لهذه القيمة بشكل غير مسؤول أو شراء سلعة لا قيمة لها في الشرع يعد هدرا لهذه القيمة، فلا يجوز شراء سلعة محرمة وغير مشروعة.

وهذا مبدأ هام في سبيل الإصلاح الاقتصادي حيث حرمت الشريعة الاستفادة من المحرمات أو الكسب الحرام، ففي جانب المحرمات حرم الانتفاع من الخمر بالبيع أو الشراء وأنه لا ضمان على من أتلف الخمر وكذلك الخنزير وأشباهه من المحرمات؛ لأن المحرمات والخبائث لا اعتبار لها شرعًا في الإسلام، ويطلق عليها الأموال غير المتقومة لأن قيمتها مهدرة شرعا.

وبناء على ذلك فإن الناتج القومي الإجمالي من منظور إسلامي سوف يختلف عنه من منظور الاقتصاد الوضعي حيث يتم حذف كل السلع والخدمات والأنشطة المحرمة في الناتج القومي الإجمالي الإسلامي.

إن هدر المحرمات من خمر وخنزير وميتة ودم ونجاسات واعتبارها أنشطة وخدمات محرمة وإن كان قد يلحق الضرر المادي بالبعض فإنه سوف يكسب المجتمع وفرًا كبيرًا، عن طريق تخليصه من الأمراض المادية العضوية والمعنوية والروحية والنفسية التي تنجم عن طريق تبادل وبيع وشراء الميتة والدم والخنزير والخمر وسائر النجاسات

1- انظر في ذلك ما ورد من أحاديث في: العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380هـ، (4/360)، المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى، تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، دار الكتب العلمية بيروت، (4/447).

2- سورة الحديد آية 7

والمحرمات، مما يكسب المجتمع صحة وعافية ونشاطا وقوة، ويزيد في إنتاجيته وعطائه وتقدمه ماديًّا ومعنويًّا، وبما يحقق فكرة التنمية المستدامة في تحقيق أبعادها المتكاملة والتي تتمثل في المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وبناء النظام الاقتصادي، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة التي قضيناها مع دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة: المجال الاقتصادي أنموذجًا أمكننا التوصل إلى النتائج والتوصيات الآتية:

1- تعد التنمية بمضمونها العام غاية كل المجتمعات الحديثة والهدف الأساسي لجميع دول العالم، باعتبارها تعمل على تحقيق صيغة من النمو المستمر بما ينعكس إيجابا على تحسين ظروف المجتمع بصفة عامة، وينتج عن ذلك حالة من التقدم والتطور الاقتصادي والاجتماعي،

2- برزت التنمية المستدامة باعتبارها واحدة من الطروحات والبرامج التي تم الاهتمام بها في العقود الخمسة الأخيرة وتم التركيز عليها بشكل متميز حين تحولت بعد عام 1987م إلى برنامج مستقل وعقد لها مؤتمر خاص من قبل الأمم المتحدة والذي وضع تعريفها وأبعادها والتحديات التي تواجهها.

3- حث الإسلام على عمارة الأرض واستثمار مواردها الطبيعية والإفادة من خيراتها وما بث الله فيها من موارد (معادن وثروات) عملا بقوله تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ واستلهامًا من قول النبي ﷺ: (إنْ قَامَت السَّاعةُ وَفِي يَد أَحَدِكُم فَسِيلةٌ فَإنْ استَطاعَ أنْ لَا تَقُومَ حَتى يَغرِسَهَا فَليَغرِسْهَا)، ولا شك أن التنمية المستدامة تعتبر أهم متطلبات عمارة الأرض من خلال الحفاظ على الموارد الطبيعية المعدة لهذا الغرض.

4- تبرز أهمية هذا البحث في كونه محاولة لتأصيل التنمية المستدامة من خلال الهدي النبوي، وإظهار عناية السنة النبوية بالتكامل بين مجالات التنمية المستدامة، وإبراز العناية بالحديث الموضوعي ودوره في القضايا المعاصرة، حيث اشتملت السنة على العديد من النماذج والتطبيقات في هذا المجال، مما يؤكد شمولية السنة النبوية ومناسبة نصوص الوحي لكل عصر وزمن لخدمة المجتمع.

5- إن التعريف الأدق للتنمية المستدامة من منظور إسلامي هو: "الترقية العلمية المتكاملة، للمكونات البيئية والثروات الاقتصادية والتفاعلات الاجتماعية، بما يضمن استدامتها تبعا للمبادئ والضوابط الإسلامية"، ويعني هذا التعريف أن التنمية المستدامة تمثل عملية الانتقال من أوضاع غير مرغوب فيها إلى أوضاع أفضل، اعتماد على قواعد العلم واستنادًا إلى دراسات علمية موضوعية، لضمان

المحافظة على الموارد وتجديدها واستثمارها بشكل عقلاني، والحرص على استثمار الثروات الاقتصادية بما يحقق نموًّا اقتصاديًّا مستدامًا، يضمن استفادة جميع طبقات المجتمع منه، بما يقلل من نسب الفقر والبطالة.

6- تركز التنمية المستدامة على التكامل بين البيئة والتنمية، وتتحقق أبعادها من خلال التوافق بين أنظمة ثلاثة هي: المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وبناء النظام الاقتصادي، وتحقيق التكافل الاجتماعي. وبهذا تطور مفهوم التنمية المستدامة ليشمل هذه الأبعاد الثلاثة لأن تطور الاقتصاد هو غاية التنمية، والمجتمع الإنساني هو وسيلته، والبيئة هي من تحتضن هذين البعدين الاقتصادي والاجتماعي. لذلك فإن تفعيل التنمية المستدامة يعني تفعيل هذه الركائز الثلاث معا وعلى قدم المساواة، لأن التقليل من قيمة أي بُعد سيؤدي إلى انهيار العملية بشكل عام.

7- تسعى التنمية المستدامة في أبعادها الثلاثة إلى تحقيق جملة من الأهداف، أبرزها: تحسين نوعية حياة السكان، ورفع مستويات المعيشة، واحترام البيئة الطبيعية، والاستخدام العقلاني للموارد الطبيعية، وإحداث تغيير مناسب في الحاجات تبعا للأولويات، حيث يتم التغيير والتطوير بطريقة تلاءم إمكانيات المجتمع وتسمح بتحقيق التوازن الذي بوساطته يمكن تفعيل التنمية الاقتصادية.

8- أبرز الركائز والبرامج التي دعت إليها السنة النبوية، والتي تعمل على تحقيق التنمية المستدامة، تتمثل في المحافظة على النظافة الشخصية، والمحافظة على نظافة المكان والطريق، والمحافظة على نظافة الساحات العامة، والنهي عن تلويث الموارد المائية، والاستخدام العقلاني للموارد، ومراعاة حقوق الأجيال القادمة والحث على الزراعة وتوفير الغذاء، وترشيد الاستهلاك ومنع الإسراف، ولا شك أن الالتزام بهذه الركائز يعتبر مظهرًا من مظاهر التأصيل الإسلامي للتنمية المستدامة المعتمدة على بعد روحي تعبدي غير متوفر في النظم الوضعية القديمة والحديثة.

9- تضمنت نصوص السنة النبوية منظومة متكاملة من القيم: كالأمانة والصدق والإتقان، وتحريم الغش والكذب ونبذ روح الاتكالية في العنصر البشري، الذي يعتبر أساس التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي لضمان أعلى درجات الأداء والكفاءة في العملية الاقتصادية.

10- حاربت السنة النبوية ظواهر الفساد الاقتصادي والمالي كظاهرة الغش في المعاملات

الاقتصادية، أو السقوط في فخ المعاملات الربوية التي لما لها من انعكاسات خطيرة على البنية الاقتصادية للدول ولأنها تساهم بشكل كبير في اختلال التوازن في النظام الاجتماعي، وبث روح الاستغلال وسلب الحقوق مما يربك المنظومة الاقتصادية فتتخلف الأمة عن التقدم والرقي الحضاري.

11- تمثل دور السنة النبوية في تحقيق فكرة التنمية المستدامة ووضع المعالجات الوقائية والعلاجية، ومن خلال بناء الدولة وتثبيت دعائمها، وبناء المسجد ليكون محطة للعبادة ومكانا للتكافل الاجتماعي، وليصبح مركزًا للقرار ومتابعة أحوال المسلمين إداريًّا واقتصاديًّا، وجاءت المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار لتمثل حالة فريدة من التكافل والتواصل على مستوى التاريخ الإنساني.

12- وضع النبي ﷺ الضوابط والقواعد الشرعية والمهنية والاقتصادية التي تضبط التعامل الاقتصادي في الأسواق، وعمل على تشريع الأحكام الملزمة التي تضمن حرمة أموال المسلمين ووجوب المحافظة عليها، ومنع الاحتكار للسلع والبضائع، ومنع المعاملات غير المشروعة، وتحديد الأوزان والمكاييل وكانت هذه الخطوات والإجراءات صيغة تنظيمية وإدارية لتنظيم وإدارة العمل الاقتصادي التنموي، مما يثبت اعتماد النبي ﷺ للأطر التنظيمية باعتبارها صيغة متقدمة من صيغ السنة النبوية لتحقيق التنمية في المجال الاقتصادي.

13- أبرز المعالجات النبوية في تحقيق التنمية الاقتصادية التشجيع على السعي في الأرض وطلب الرزق وتحصيل فرص العمل المتنوعة، وتشجيع العمل في القطاع الزراعي لتحقيق الاكتفاء الذاتي، ولم يقبل لأي فرد من أفراد المجتمع أن يبقى عاطلاً دون كسب أو عمل، وعملت السنة النبوية على تقديم الحلول المناسبة للمشكلات الاقتصادية الجزئية، منها تحريم المعاملات الظالمة، وتحريم المعاملات الربوية، والمنع من الأنشطة الفاسدة، مما يكسب المجتمع وفرًا كبيرًا، ويخلصه من الأمراض المادية العضوية والمعنوية والروحية والنفسية، ويزيد في إنتاجيته وعطائه وتقدمه ماديًّا ومعنويًّا، وبما يحقق فكرة التنمية المستدامة في تحقيق أبعادها المتكاملة والتي تتمثل في المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية، وبناء النظام الاقتصادي، وتحقيق التكافل الاجتماعي.

حسبنا أننا اجتهدنا، ، ، ومن الله التوفيق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

المصادر والمراجع

أولاً القرآن الكريم.

ثانيًا الكتب والدراسات والبحوث، وهي مرتبة هجائيا:

- الاتصال والتنمية المستدامة في الوطن العربية، د. صالح أبو صبيع، دار البركة عمان الأردن، ط1، 2009م.
- الإسلام والتنمية المستدامة رؤى كونية جديدة، أ.د. عودة راشد الجيوسي، ترجمة جمانة وليد وآخرون مؤسسة فريدريش إيبرت، مكتب الأردن والعراق، 2013م.
- إعلان الحق في التنمية الصادر عن الأمم المتحدة عام 1986م.
- تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، محمد بن محمد بن الحسين الزبيدي، المحقق/ مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي، أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت.
- التخطيط والتنمية في الإسلام، محمد عبد المنعم عفر، دار الريان جدة، 1405هـ، 1985م.
- تقرير مستقبلنا الصادر عن اللجنة العالمية للبيئة والتنمية عام 1987م، إصدار المجلس الوطني للثقافة والعلوم والآداب، الكويت، دار عالم الكتب.
- التنمية المستدامة في البلدان العربية بين النظرية والتطبيق، د. قادري محمد الطاهر، مكتبة حسن العصرية، بيروت 2013م.
- التنمية المستديمة: دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، ماجدة أحمد أبو زنط وعثمان محمد غنيم، مجلة المنارة للبحوث والدراسات جامعة آل البيت، المفرق الأردن، المجلد الأول العدد1، 2006م.
- دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، منظمة الايسيسكو.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد ين يزيد القزويني، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية صيدا بيروت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة ومطبعة مصطفى الباب الحلبي مصر، ط2، 1395هـ، 1975م.
- صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير دمشق، ط5، 1414هـ، 1993م.
- صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه القاهرة، تم تصويره دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1374هـ، 1955م.
- العالم الإسلامي والتنمية المستدامة (الخصوصيات والتحديات والالتزامات) جدة السعودية 10–12/6/2002م، منطمة الايسيسكو الرباط المغرب.
- العين للفراهيدي، الخليل بن أحمد الفراهيدي، المحقق/ مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1980م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري للعسقلاني، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المكتبة السلفية، مصر، ط1، 1380هـ.
- لسان العرب لابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي، دار صادر بيروت، ط3، 1414هـ.
- المبسوط في الفقه الحنفي للسرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي دار المعرفة، بيروت، 1406هـ.
- المجموع شرح المهذب للنووي مع التكملة للمطيعي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، مكتبة الإرشاد جدة.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.
- المسلمون يستهلكون يوميا أكثر من 32 لتر يوميا في الوضوء، إيمان الخطاف،

صحيفة الشرق الأوسط العدد 10341 بتاريخ 22/3/2007م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، 1421هـ، 2001م.
- معالم السنن للخطابي (شرح سنن أبي داود) أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، المطبعة العلمية، حلب، 1352هـ، 1933م.
- المعجم الأوسط للطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين القاهرة، 1415هـ، 1995م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبد الحميد، عالم الكتب، ط1، 1429هـ، 2008م.
- النشرة الاقتصادية العدد45، نوفمبر، 2015م، دائرة التنمية الاقتصادية، حكومة رأس الخيمة.
- وثائق المؤتمر الإسلامي الأول لوزراء البيئة، دراسة العالم الإسلامي وتحديات التنمية المستدامة، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو).
- الوقف ودوره في التنمية، د. عبد الستار إبراهيم الهيتي، نشر مركز البحوث والدراسات، ط1، 1419هـ، 1998م.

البعد الاقتصادي للتنمية المستدامة من منظور السنة النبوية

أ. د. ميلود زنكري
أستاذ باحث في الاقتصاد والمالية الإسلامية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

أ. د. سميرة سعيداني
أستاذة باحثة في الاقتصاد والمالية الإسلامية
جامعة محمد البشير الإبراهيمي برج بوعريريج – الجزائر

ملخص

هدفت الدراسة إلى محاولة تبيان الهدي النبوي في المجالات الاقتصادية ذات الصلة بالتنمية المستدامة، خاصة وأن التوجه نحو التنمية المستدامة أخذ أهمية كبيرة، ومكانة بارزة في برامج وسياسات الدول باعتبارها من القضايا التنموية المعاصرة التي استحدثت في ظل التحديات التي صاحبت البحث عن تحقيق التوازن بين التنمية والرفاهية للأجيال الحالية من جهة، وعدم المساس بحق الأجيال القادمة في العيش الكريم والتنمية من جهة أخرى.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة: عناية السنة النبوية بمختلف الجوانب الاقتصادية التي تسهم في تحقق التنمية المستدامة من خلال توجيه الأفراد والجماعات للتعامل مع البيئة والموارد الطبيعية بما لا يلحق الضرر بالإنسان أو الكون، حيث إن السنة النبوية تضمنت أحاديث كثيرة أسست لقيم إنسانية تتسم بالربانية والشمولية والتوازن، وتتميز بالثراء والتعدد والتنوع، وهي تهدف إلى ضبط تعامل الأفراد والجماعات بمجموعة من المبادئ والأخلاق التي تراعي الصالح العام، وتحافظ على البيئة ومواردها، وغيرها من القيم التي سيكون لها دور في الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، خاصة إن كان هناك وعي وإدراك بأهمية استثمار هذه القيم بما يسهم في تحسين حياة الإنسان دون الإضرار بالنظم البيئية، وذلك عن طريق توجيه الإنسان للأخذ بهذه القيم في أنشطته الإنتاجية والتجارية، وأنماطه الاستهلاكية، وبما يحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها وخيراتها.

الكلمات المفتاحية: السنة النبوية، التنمية المستدامة، البعد الاقتصادي، البيئة، عمارة الأرض.

Abstract

This study aims to highlight the Prophetic guidance in economic aspects related to sustainable development, especially given the growing importance and prominent position of sustainable development in national policies and programs. It has become a key contemporary developmental issue, emerging in response to the challenges of balancing the well-being of present generations with the preservation of future generations' right to a dignified life and continued development.

One of the key findings of this study is that the Prophetic Sunnah pays great attention to various economic aspects that contribute to achieving sustainable development. It does so by guiding individuals and communities to interact with the environment and natural resources in a way that prevents harm to both humanity and the universe. The Sunnah contains numerous hadiths that establish divinely inspired, comprehensive, and balanced human values characterized by richness, diversity, and inclusivity. These values regulate the behavior of individuals and societies based on principles and ethics that uphold the public interest, protect the environment and its resources, and contribute to achieving sustainable development goals. The realization of these goals depends on raising awareness and understanding the importance of utilizing these values to improve human life while safeguarding ecological systems. This can be accomplished by encouraging individuals to incorporate these principles into their productive and commercial activities, as well as their consumption patterns, thereby ensuring the proper stewardship of the earth and the preservation of its resources and blessings.

Keywords: Prophetic Sunnah, Sustainable Development, Economic Dimension, Environment, Stewardship of the Earth

مقدمة

الهدي النبوي الشريف أسس لغايات ومقاصد شرعية تحقق تنمية مستدامة بمفهوم إنساني راق سابق لما انتهى إليه الفكر الإنساني، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ» (أخرجه البخاري ومسلم)، وقوله ﷺ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا» (أخرجه أحمد).

فهذان الحديثان بكلمات قليلة واضحة، كثيرة المعاني، جمعا عدة مقومات أساسية اهتدت إليها البشرية في وقتنا المعاصر، والتي يتطلبها تحقيق تنمية مستدامة تسهم في تحسين الظروف المعيشية للأفراد والمجتمعات بوسائل وأساليب لا تستنزف الموارد الطبيعية وتلبي احتياجات الجيل الحالي، ولا تهدر حقوق الأجيال القادمة.

فخدمة البيئة معتبرة في شرعنا بالزرع والغرس والرعاية ولو في الحالات الصعبة، كما أن الإنسان مطالب بالحفاظ على موارد الطبيعة باستعمالها بالقدر الذي يحتاج إليه، وبالعمل على تجديدها وعدم استنزافها، والتعايش بانسجام مع كافة المخلوقات الأخرى.

تعامل الأفراد والمجتمعات في الإسلام يستند إلى مجموعة المبادئ المستمدة من مصادر التشريع الإسلامي، حيث اعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الإنسان بطاقاته وقدراته محور عملية التنمية، والقائم بمهامها، والمكلف بمسؤوليتها، قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ هود [61]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ البقرة [30] وقال رسول ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ» (أخرجه مسلم).

إن توجيه السنة النبوية لتعامل الأفراد مع البيئة والموارد الطبيعية شمل كل نشاط مشروع ومقصود، فردي أو جماعي يؤدي إلى إيجاد خدمة أو سلعة مباحة وتقديمها إلى الأفراد قصد إشباع رغباتهم بما لا يلحق الضرر بالإنسان أو الكون، ويحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها، قال رسول الله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ» (أخرجه ابن ماجه ومالك والبيهقي).

المحافظة على الموارد الطبيعة وضمان ديمومتها من أهم مقومات وأسس التنمية المستدامة وفق ما حددته الأمم المتحدة، والحفاظ عليها من موجبات الاستخلاف الذي

يحقق عمارة الأرض، وقد اعتبر القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هذه الموارد من الطيبات من الرزق التي هيأها الله للإنسان، وسخرها له ليمكنه من الحياة والعمل في الأرض، وبالرجوع إلى النصوص الشرعية نجد أن الحفاظ على هذه الموارد من موجبات هذا الاستخلاف، وقد دل على ذلك آيات القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ ابراهيم [32، 33]، وقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ الجاثية [13].

وفي السنة النبوية الشريفة عدة أحاديث تدعو إلى الحفاظ على الطبيعة والموارد الحيوانية والنباتية، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ يقتُلُ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا إِلَّا سَأَلَهُ اللهُ عَنْهَا» (أخرجه النسائي والحاكم والبيهقي)، وقال ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَريقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى رقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ» (أخرجه البخاري ومسلم).

الموارد المختلفة التي سخرها الله سبحانه وتعالى للإنسان يجب عليه أن يعي أهمية الحفاظ عليها من منطلق الحفاظ على حياته على وجه الأرض، والإنسان ذاته يعتبر موردًا بشريًا يقف على قمة هرم الموارد الأخرى، فنجد مكانته في الهدي القرآن والهدي النبوي أغلى وأثمن مورد، قَالَ تَعَالَى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا الإسراء [70]، وقد ورد في السنة النبوية ما بيّن تكريم الإنسان على سائر الخلق قال رسول الله ﷺ: «سجدَ وجهي للَّذي خلقَهُ، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ، بحولِهِ وقوَّتِهِ فتبارَكَ اللهُ أحسنُ الخالقين» (أخرجه الترمذي وغيره) هذه النصوص الشرعية تهدينا إلى الطريق الصحيح للتعامل مع المورد البشري وتعطينا المثل الأعلى في احترام الإنسان ودفعه لتوظيف قدراته وإمكاناته الجسمية والعقلية والنفسية والروحية وطاقاته لعمارة الأرض.

وعلى هذا الأساس فإن موضوع هذه الدراسة سيكون محاولة لتبيان الهدي النبوي

في المجالات الاقتصادية ذات الصلة بالتنمية المستدامة، وتبيان توجيه النبي ﷺ للسلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات في مختلف الأنشطة التجارية والزراعية والصناعية والبيئية والاجتماعية بما يحقق عمارة الأرض والمحافظة على مواردها وخيراتها.

وبالرجوع إلى الدراسات السابقة في التنمية المستدامة في السنة النبوية نجد عدة دراسات تناولت الموضوع من عدة جوانب، نجد بعضها ركز على الجانب التأصيلي لمفهوم التنمية المستدامة في السنة النبوية، في حين دراسات أخرى ركزت على جزئية في التنمية المستدامة وحاولت التأصيل لها في السنة النبوية، وغيرها من جوانب معالجة الموضوع، وفيما يلي نذكر أهم الدراسات السابقة وذات الصلة بموضوع دراستنا:

- دراسة (فراس بن ساسي)، بعنوان «التنمية المستدامة في السنة النبوية»، رسالة ماجستير، جامعة الزيتونة تونس، 2017/2018م.

تضمنت هذه الدراسة أربعة فصول، ركز الفصل الأول على دراسة التنمية الاقتصادية المستدامة في السنة النبوية من خلال تأصيل المفاهيم الأساسية المرتبطة بالتنمية الاقتصادية المستدامة، أما الفصل الثاني فقد فصّل في التنمية الاجتماعية المستدامة في السنة النبوية، وتضمن الفصل الثالث التنمية البيئية المستدامة في السنة النبوية، وتم تخصيص الفصل الرابع لبحث المسالك النبوية في التفاعل مع عوائق التنمية المستدامة، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي تميّز السنة النبوية بشمولية ماهية التنمية المستدامة، ومواكبتها لواقع حياة الناس، وقدرتها على التفاعل مع مستجداته ونوازله شريطة التنزيل السليم والتوظيف المناسب.

- دراسة (بوبكر عبد الله الخرمان)، بعنوان «التنمية المستدامة في السنة النبوية دراسة تأصيلية»، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، الأردن، 2017/2018م.

هدفت الدراسة إلى محاولة لتأصيل التنمية المستدامة والتي أصبحت من القضايا المعاصرة التي يحتاجها المجتمع الإنساني، وإظهار عناية السنة النبوية بالتكامل بين مجالات التنمية المستدمية (البيئية والاجتماعية والاقتصادية)، ومساعدة القائمين على تطبيق التنمية المستدامة في شتى المجالات، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي أن التنمية المستدامة في السنة النبوية تهدف إلى احترام البيئة المحيطة بالارتكاز على مبادئ الاستخلاف وعمارة الأرض، وتحقيق العدالة الاجتماعية من خلال نموذجيي الزكاة

والميراث، وتمكين الفرد الصالح بالاعتماد على الإيمان والعلم والأخلاق والانتماء والأمن، وبالاعتماد على العلم، من حيث نوعيته وغايته، وعلى الارتباط النفسي بالبيئة والمجتمع والثروات المحيطة، وعلى الالتزام الأخلاقي تجاه كل ما يحيط بالإنسان.

- دراسة (محمد عبد القادر الفقي)، بعنوان «ركائز التنمية المستدامة وحامية البيئة في السنة النبوية»، بحث مقدم للندوة العلمية الثالثة حول «القيم الحضارية في السنة النبوية» كلية الدراسات الإسلامية العربية، دبي، 2007.

البحث هو محاولة لدراسة موضوع من الموضوعات التي لها صلة مباشرة بالاقتصاد العالمي، وعلوم البيئة، والتشريعات المختلفة، بما فيها التشريع الإسلامي، وهو موضوع التنمية المستدامة، ومن المعروف أن هذا النمط من أنماط التنمية يُعَدّ إحدى الغايات التي تسعى دول العالم قاطبة في القرن الحادي والعشرين الميلادي إلى الوصول إليها، واتخاذ كل التدابير اللازمة لتحقيقها، باعتبار أنها الوسيلة المثلى لتحقيق التقدم الحضاري المنشود بشتى صوره (اقتصاديًا، واجتماعيًا، وبشريًا)، ومن أهم توصيات البحث إعادة قراءة السنة النبوية من منظور عصري لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تفيد في حل قضايا التنمية المستدامة المعاصرة والمحافظة على البيئة وثرواتها.

- دراسة (عادل راشد مناحي الدماك)، بعنوان «دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة»، بحث منشور في مجلة القراءة والمعرفة، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، مصر، المجلد22، العدد 254، 2022م.

تضمنت الدراسة تبيان دور السنة النبوية في تحقيق الأهداف السياسية والأهداف الاقتصادية والأهداف الاجتماعية للتنمية المستدامة، وتوصلت الدراسة إلى أن التنمية المستدامة في المفهوم الإسلامي تتمثل في السعي للارتقاء بحياة الناس ماديا وروحيا بما يسعدهم في الحياة الدنيا والآخرة، وفق السنن التي وضعها الله سبحانه وتعالى في الحياة، من غير إفساد أو إضرار أو إهدار للموارد، وبما يضمن حظوظ الأجيال كلها حاضرها ومستقبلها حتى يتحقق لهم التكريم اللائق بهم.

- دراسة (عودة راشد الجيوسي)، بعنوان «الإسلام والتنمية المستدامة رؤى كونية جديدة»، كتاب صادر عن مؤسسة فريدريش ايبرت، مكتب عمان، الأردن، 2013م.

انطلقت هذه الدراسة من أن مبادئ الإسلام تمثل نظرة عالمية شاملة وطريقة حياة

تهتم بتنظيم العلاقات بين البشر، من جهة، وبين البشر والطبيعة من جهة أخرى، وعلى هذا الأساس تحاول الدارسة وضع بعض المبادئ والمفاهيم الإسلامية في التنمية المستدامة في مختلف المجالات من الثقافة إلى الاقتصاد وعلم البيئة والتعليم، وتوصلت الدراسة إلى أن الحضارة والثقافة الإسلامية أعادت تعريف مفهوم الحياة الطيبة على النحو المبين في مفاهيم مثل الزهد، الذي يعني الاكتفاء والعيش برفق على الأرض، والإحسان الذي عني بالجمال والتميز الداخلي، عكس أنماط الحياة ومستوى المعيشة وأنماط الاستهلاك الغربية التي أدت إلى آثار بيئية كبيرة من هدر الغذاء والطاقة والسلع.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة يتبين اختلاف المداخل التي تم من خلالها دراسة التنمية المستدامة في السنة النبوية، فقد ركزت بعض الدراسات على أحد أبعاد التنمية المستدامة وحاولت أن تبين كيفية تجسيد هذا البعد انطلاقا من توجيهات الهدي النبوي الشريف، ولهذه الدراسات أهمية وقيمة علمية، حيث استطاعت أن تبين أهمية توجيهات السنة النبوية في تجسد تنمية مستدامة على أرض الواقع، وهنا نجد أن موضوع التنمية المستدامة في السنة النبوية مازال يحتاج إلى عدة دراسات حتى نتمكن من تقديم صورة متكاملة لدور أحكام وتوجيهات السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة، ويبقى المجال مفتوحا لأي باحث لسد النقص في الدراسات النظرية والتطبيقية والميدانية في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية المستدامة في السنة النبوية.

لقد اعتمدت في منهجية توثيق الأحاديث النبوية على تخريج كل الأحاديث النبوية الواردة في الدراسة من مصادر الحديث الأصلية، مع ذكر الكتاب والباب ورقم الحديث ما أمكن، وذكر معلومات النشر، أما الأحاديث الواردة في المقدمة فقد اكتفيت فيها بالإشارة إلى مصدر الحديث باعتبار أن هذه الأحاديث تم تخريجها مفصلا في متن الدراسة.

ومن أجل الإلمام بموضوع الدراسة تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومبحثين وخاتمة على النحو التالي:

المبحث الأول: معالم التنمية المستدامة من خلال بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي

المطلب الأول: التكافل والمصلحة العامة.

المطلب الثاني: اتخاذ سوق بديل.

المطلب الثالث: تحرير مصادر المياه.

المطلب الرابع: التشجيع على الملكية والاستثمار.

المطلب الخامس: تنظيم المعاملات التجارية وفق قواعد جديدة على أساس الشريعة الإسلامية.

المطلب السادس: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الزراعي.

المطلب السابع: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الصناعي والحرف.

المطلب الثامن: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط التجاري.

المطلب التاسع: تشجيع المسلمين على ممارسة الأعمال الصغيرة.

المبحث الثاني: مبادئ الهدي النبوي في توجيه السلوك الاقتصادي لتحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الأول: مبدأ الاستخلاف.

المطلب الثاني: مبدأ الوسطية.

المطلب الثالث: مبدأ الاستطاعة والأيسرية.

المطلب الرابع: مبدأ الفهم والوضوح.

المطلب الخامس: مبدأ المسؤولية.

المطلب السادس: مبدأ القدوة الحسنة.

المطلب السابع: مبدأ القيم الإسلامية.

المطلب الثامن: مبدأ العلاقات الإنسانية.

المبحث الأول: معالم التنمية المستدامة في بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي

انتقل الرسول ﷺ من أوضاع صعبة في مكة، إلى أوضاع أصعب وأعقد في المدينة، مما استدعى من النبي ﷺ اتخاذ العديد من الإجراءات لإنعاش وضع المسلمين الاقتصادي بالمدينة، حيث مست هذه الإجراءات والتوجيهات كل جوانب الحياة الإنسانية بما يضمن سعادة الانسان وانتظام أموره واستقامة أحواله في هذه الدنيا، وكان من بيها:

المطلب الأول: التكافل والمصلحة العامة:

تدفق المهاجرين إلى المدينة المنورة وتركهم أهليهم ومعظم أموالهم في مكة أدى إلى عدم قدرتهم على ممارسة التجارة وشعورهم بالوحشة وحنينهم إلى مكة، ومن أجل التخفيف عن المهاجرين، شرع رسول الله ﷺ نظام المؤاخاة بين المهاجرين المكيين وبين الأنصار من أهل المدينة. [1]

إن المؤاخاة هي عملية تكييف اجتماعي لتأكيد التضامن والتعاون، وقد اتخذ الرسول ﷺ من حقيقة التآخي أساسا لمبادئ العدالة الاجتماعية، وقد جسدت هذه المؤاخاة جملة من المبادئ الإدارية للدولة الإسلامية الناشئة، ومنها ما يلي:[2]

- إقرار مبدأ المساواة.
- تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي والحد من الفوارق.
- تحقيق مبدأ وحدة الهدف العام والمصلحة المجتمعة العامة.

لو أتينا إلى قياس الإجراءات التي اتخذها النبي ﷺ للمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وفق المقاييس المعاصرة لوجدناها مثلت أرقى ما توصلت له البشرية في مجال التنمية المستدامة، إذ يعتبر البعد الاجتماعي أحد أهم الأبعاد التي تقوم عليها التنمية المستدامة ويكمل البعد الاقتصادي للتنمية باعتباره يحقق العدالة الاجتماعية ويوفر فرص متساوية للجميع ويسهم في تعزيز حقوق الإنسان والتنمية البشرية.

1- انظر: فيصل أحمد عابد شعيبي، الإدارة العامة في العهد النبوي المفهوم والنشأة والمهام، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، جدة، م18، ع1، 2004م، (ص47).

2- المرجع نفسه (ص47).

المطلب الثاني: اتخاذ سوق بديل:

رأى النبي ﷺ ضرورة إيجاد سوق يكون بديلا للمسلمين عن سوق بني قينقاع، وليمكّن للمسلمين اكتساب مصادر الثروة والاقتصاد في المدينة، ولتظهر فيها آداب الإسلام، وأخلاقه الرفيعة في عالم التجارة والمال، فأقام سوق المدينة محددا مكانها غرب المسجد النبوي، وكان يتفقده بنفسه[1]، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ. فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا. فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا. فَقَالَ «مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟ «قَالَ: أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ. يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ «أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مني»[2].

وقد حظيت السوق باهتمامه ورعايته وتعهده ﷺ بالمراقبة والإشراف على حركة البيع والشراء وكل ما يتعلق بالأمور التجارية، لضمان سلامة المعاملات وليحصل كل إنسان على ما يحتاج دون أن يتعرض لغش أو تدليس، وقد ذكر صاحب السيرة الحلبية أن رسول الله ﷺ ولى عمر بن الخطاب على سوق المدينة، وتولية عمر على هذا العمل يدل على جسامته وأهميته، ثم وبعد فتح مكة (سنة 8 ه) ولى رسول الله ﷺ سعيد بن العاص على سوقها للإشراف على الحركة التجارية، ولما كان النبي ﷺ قد ولى عتاب بن أسيد على مكة بعد فتحها، فتولية سعيد بن العاص أمر السوق، يدل على أنه بجانب الولاية العامة كانت هناك ولايات نوعية متخصصة بناحية محددة يتولاها آخرون، فبجانب الوالي كان هناك القاضي وجامع الصدقات المختص بالشؤون المالية.[3]

وقد عرفت سوق المسلمين إقبال التجار من داخل المدينة وخارجها، فقد ارتاده الأنباط من الشام لبيع بضاعتهم، وخاصة الدّكرك (دقيق الحواري) وشراء التمر منه،[4] ويرجع هذا الإقبال لحسن اختيار الموقع، فقد كانت تقع في جهة بمثابة المدخل الرئيس للمدينة سواء من جهة الشام أو اليمن أو مكة، مما مكن المسلمين من تلقي التجار والوفود حال وصولهم، موفرين عليهم مشقة السير عبر الأزقة والطرق خلال الدور للوصول

1- سحر يوسف القواسمي، التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام، رسالة ماجستير "غير منشورة"، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1491ه، 1999م، (ص113).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، دار الجيل، دار الأفاق الجديدة، بيروت، كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ "من غشنا فليس منا" (1/99) حديث رقم (103).

3- عبد الشافي محمد عبد اللطيف، بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، دار السلام للطباعة والنشر، مصر، ط2، 1429ه، (ص149).

4- انظر: سحر يوسف القواسمي، التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام (ص113).

إلى سوق بني قينقاع.[1]

إن إقامة النبي ﷺ لسوق المدينة وإقراره لآداب وتوجيهات متعلقة بالتعامل التجاري، مكّن المسلمين من إنعاش وضعهم الاقتصادي والمالي، فهذا النوع من الإجراءات والتوجيهات النبوية الشريفة التي أعطت للأسواق والحركة التجارية أهمية كبيرة في حياة الناس يجب أن نأخذها أساسا في حياتنا المعاصرة لمسايرة التوجه العالمي لتحقيق التنمية المستدامة، خاصة ما تعلق ببناء القدرات لتعزيز التعاملات التجارية وتنظيم الأسواق.

المطلب الثالث: تحرير مصادر المياه:

سعى النبي ﷺ إلى نقل ملكية بئر رومة إلى المسلمين، حيث كان المسلمون يشترون الماء من صاحبها اليهودي، فقد روي عن عثمان بن عفان ﷺ أن النبي ﷺ قال (مَنْ يَحْفِرْ بِئْرَ رُومَةَ فَلَهُ الْجَنَّةُ)، فَحَفَرَهَا عُثْمَانُ[2]، وفي رواية «مَن يشتري بئر رُومة فيجعل فيها دَلْوَهُ مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة» فاشتريتها من صلب مالي[3] فاشتراها عثمانُ بن عفان ﷺ مِن يهودي بأمرِ النبي ﷺ وَسبَّلَها لِلمُسلمِينَ وكان اليهودي يبيعُ ماءَها. وفي الحديث أن عثمان ﷺ اشترى منه نصفها باثني عشر ألفًا، ثم قال لليهودي اختر إما أن تأخُذَهَا يومًا وآخذَهَا يومًا، وإما أنْ تَنْصِبَ لك عليها دلوًا، وأَنْصِبَ عليها دلوًا، فاختار يومًا ويومًا، فكان الناسُ يستقون منها في يوم عثمان لِليومين، فقال اليهودي: أفسدتَ عليَّ بئري، فاشترى باقيها، فاشتراه بثمانية آلاف[4]، وبهذا آلت البئر لملكية المسلمين.

1- انظر: سامي أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الإسلامية، غزة، 1424هـ، (ص226).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان (3/1351) حديث رقم (3491).

3- أخرجه النسائي في سننه، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد (6/233) حديث رقم (3608). والدارقطني في سننه، المحقق/عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1966م، كتاب الأحباس، باب وقف المساجد والساقيات (4/195) حديث رقم (4437)، (حسنه الألباني).

4- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هذي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ، (5/805).

المطلب الرابع: التشجيع على الملكية والاستثمار:

لقد شجع رسول الله ﷺ تملك الأراضي البور واستثمارها، وفتح الباب لمن أراد أن يمتلك أرضًا بشرط:

- أن يبدأ بإعمارها فورًا بالبناء أو الزراعة، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَاطَ حَائِطًا عَلَى أَرْضٍ فهي لَهُ»[1].
- ألا تكون مملوكة لأحد قبله، وقد أباح النبي ﷺ التملك لجميع رعايا الدولة ومواطنيها، تشجيعا على إحياء الأرض الموات، واستثمارها بما يعود بالنفع على الجميع (وفي الفقه تفصيل مثل هذه المسائل).
- ألا يضر التملك بمصلحة الأمة، فيكون التملك لنشر العمران، وتكثير موارد الخير، وتحقيق المصلحة والمنفعة العامة. أما إذا أدى ذلك إلى الاحتكار والاستغلال، فهنا تتدخل الدولة وتمنع التملك حفظًا للتوازن، ومراعاة للمصلحة العامة.[2]

المطلب الخامس: تنظيم المعاملات التجارية وفق قواعد جديدة على أساس الشريعة الإسلامية:

حظي موضوع الأسواق وتحريرها من مظاهر الفوضى والتلاعب باهتمام كبير من النبي ﷺ، ويظهر ذلك من الأحاديث الكثيرة التي ازدحمت بها كتب الحديث تحت باب البيوع، والتي تتضمن توجيهات النبي ﷺ ونواهيه الهادفة إلى ضبط المعاملات التجارية في الأسواق.

ومن ذلك مراقبة الأسعار وتحديدها، ومنع الاحتكار، وتحريم الغش، ومنع بيع الثمار حتى يبدو صلاحها، وتنظيم أمور المكاييل والموازين، والنهي عن التعاطي بالربا، وغير ذلك من الممارسات التي نهى الإسلام عنها.[3]

1- أخرجه أحمد في المسند، المحقق/شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ/1999م، (33/313) حديث رقم (20129). وأبو داود في سننه، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط. ت، كتاب الخراج، باب في إحياء الموات (3/143) حديث رقم (3077). (صححه الألباني).

2- كامل سلامة الدقس، دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، دار عمار، الأردن، ط2، 1415هـ، (ص454).

3- انظر: سامي أبو زهري، يهود المدينة في العهد النبوي (ص227).

المطلب السادس: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الزراعي:

سعى النبي ﷺ إلى حث المسلمين على الاهتمام بالمجالات الاقتصادية كافة، بما في ذلك النشاط الزراعي فقد ورد عن الرسول ﷺ تشجيع الزراعة، والحث عليها، حتى تحقق الأمة الاكتفاء الذاتي وزيادة، قال النَّبِيَّ ﷺ: «مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ «[1]، وحتى في أصعب الظروف حث ﷺ على الزراعة والغرس، قال ﷺ «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمُ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»[2].

وفي حديث آخر تناول بشكل واسع وواضح الحفاظ على الاستدامة البيئية بالزرع والغرس والحفاظ على الحياة البرية بإتاحة المأكل للحيوانات، قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[3]، وفي حديث آخر توجيه صريح لاستثمار الأرض وعدم تعطيل الانتفاع بها، قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا، أَوْ لِيَمْنَحْهَا أَخَاهُ، فَإِنْ أَبَى فَلْيُمْسِكْ أَرْضَهُ».[4]

ولم يكتفِ ﷺ بِحثِّ المسلمين وتوجيهم لاهتمام بإحياء الأراضي بالزراعة والغرس بل قام بيده الشريفة بغرس الأشجار، عن سلمان الفارسي ﷺ، قال: كاتَبتُ أهْلي على أنْ أغْرِسَ لهُم خَمْسَ مِئةِ فَسيلةٍ، فإذا عَلِقَتْ فأنا حُرٌّ، قال: فأتَيتُ النبيَّ ﷺ، فذَكَرتُ ذلك له، قال: اغْرِسْ واشتَرِطْ لهم، فإذا أرَدْتَ أنْ تَغْرِسَ فآذِنِّي، قال: فآذَنتُه، قال: فجاء، فجَعَلَ يَغرِسُ بِيَدِه إلَّا واحِدةً غَرَستُها بِيَدي، فعَلِقْنَ إلَّا الواحِدةَ [5].

لقد أسهم المهاجرون في التوسع في زراعة القمح على وجه الخصوص، كطلحة بن عبيد الله الذي كان يدخل قوت أهله بالمدينة سنتهم من مزرعة بقناة كان يزرع على

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب: من أحيا أرضا مواتا (2/823) حديث رقم (2209).
2- أخرجه أحمد في المسند (20/251) حديث رقم (12902). (صححه الألباني).
3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (2/817) حديث رقم (2195). ومسلم في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/189) حديث رقم (1553).
4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب ما كان أصحاب النبي ﷺ يواسي بعضهم بعضا في الزراعة والثمرة (2/825) حديث رقم (2216). ومسلم في صحيحه، كتاب البيوع، باب كراء الأرض (3/1178) حديث رقم (1544).
5- أخرجه أحمد في المسند (39/134) حديث رقم (23730). والحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، كتاب المكاتب (2/237) حديث رقم (2862). (صححه الشيخ شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند).

عشرين ناضحا وأول من زرع القمح بقناة»[1]، مما يدل على سعة الأراضي التي قام بزراعتها، ومما ساعد على انتشار الزراعة وتقدمها بشكل واسع في المدينة وجود عدد كبير من المهاجرين عملوا في الزراعة، واستغلوا الأراضي الزراعية الواسعة، واستصلحوا ما حول الأودية مثل وادي بطحان، كما استصلحوا أرض الغابة شمالي غرب المدينة، وكانت عبارة عن أشجار كثيرة من الكرفاء والأثل، فقطعوا معظمها، وغرسوا مكانه وِدية النخل، كما عملوا على إيجاد مزارع متخصصة لزراعة القمح في وادي قناة[2].

المطلب السابع: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط الصناعي والحرف:

يمكن القول أن العمل في الإسلام ليس مقصورا على تنفيذ أحكام الشريعة، بل يشمل جميع أصناف وأنواع العمل الدنيوي، وجميع ضروب الصناعة والتصنيع، وفي القرآن الكريم نجد الكثير من الآيات تدعوا إلى العمل قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ التوبة [105]، وقد أشاد الإسلام بالعمل اليدوي قَالَ تَعَالَى: ﴿ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ﴾ يس [35]، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[3]. كما ذكر القرآن الكريم الحديد واستخدامه، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ الحديد [25]، ومعنى الآية «أن آلات الحروب متخذة منه، إذ ما من صنعة إلا والحديد آلاتها»[4].

لقد كان للتعاليم الإسلامية في مفهوم العمل أثر واضح في نفوس المسلمين، فأقبلوا على أنواع الصناعات يتقنونها محاولين التفوق على غيرهم من الشعوب.[5]

1- محمد بن سعد الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، د. ط. ت، (3/222).

2- عبد الله ابن إدريس، مجتمع المدينة في عهد النبي ﷺ، رسالة ماجستير "منشورة"، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1981م، (ص208).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، باب (2/535) حديث رقم (1402).

4- نصار الدين البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418ه، (ص303).

5- انظر: محمد ممدوح العربي، دولة الرسول ﷺ في المدينة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988م، (ص219-218).

المطلب الثامن: تشجيع المسلمين على ممارسة النشاط التجاري:

عرفت بلاد الحجاز بمكانتها الاقتصادية المتميزة، فقد كان يشقها شريان التجارة الرئيسي، الذي تتفرع منه شرايين تتجه باتجاه الشرق والشمال الشرقي، كما يسير بمحاذاته شريان آخر مهم، هو طريق البحر الأحمر المؤدي إلى الهند، لهذا فإن الحجاز كان جسرًا يربط بلاد الشام وحوض البحر الأبيض المتوسط من اليمن والحبشة والصومال بالسواحل المطّلة على المحيط الهندي، مما أكسب المدن الحجازية الواقعة على هذا الشريان التجاري مكانة تجارية بارزة.[1]

وفي مجال التجارة استطاع المهاجرون الأوائل من المسلمين من استغلال خبراتهم التجارية السابقة وتمكنوا من الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في أسواق المدينة، حيث نزلوا للعمل في سوق بني قينقاع للتخفيف من الأعباء الملقاة على كواهل الأنصار، ولقد استطاع عبد الرحمن بن عوف أن يجمع المال بسرعة من مزاولته التجارة في هذا السوق، حيث أدى هذا لغناه فتزوج من الأنصار وأسس له بيتًا مستقلًا[2]، فقد روي عن عبد الرحمن بن عوف ﷺ أنه سأل: هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ قَالَ سُوقُ قَيْنُقَاعٍ قَالَ فَغَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ قَالَ ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ أَثَرُ صُفْرَةٍ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَزَوَّجْتَ قَالَ نَعَمْ قَالَ وَمَنْ قَالَ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ قَالَ كَمْ سُقْتَ قَالَ زِنَةَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ نَوَاةً مِنْ ذَهَبٍ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ[3].

لقد استطاع المهاجرون الجدد ذوو الخبرة التجارية السابقة في مجتمع مكة إلى جانب إجراءات النبي ﷺ من التأثير على الحركة التجارية في يثرب لصالحهم، ونقل مركز الثقل الاقتصادي إلى أيدي المسلمين.

1- عبد العزيز سالم، دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1971م، (2/40).

2- انظر: رياض أحمد شاهين، النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ، مجلة الجامعة الإسلامية "سلسلة الدراسات الإنسانية"، غزة، م12، ع2، يونيو 2004م، (ص37).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب ما جاء في قول الله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض" (الجمعة 10) (2/722) حديث رقم (1943).

لقد وردت عدة نصوص في السنة النبوية تحث على التجارة وتشجع على ممارستها، فعندما سُئلَ النبي ﷺ: أي الكسب أطيب؟ فقال «عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ، وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ»[1] وعن الزبير بن العوام ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فيَكفَّ اللّٰهُ بها وجهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوه»[2].

الوقائع التي حدثت في مدينة رسول الله ﷺ ومكنت من التأثير على النشاط التجاري فيها، والنصوص النبوية الشريفة التي وردت في فضل التجارة يجب أن تكون مرجعا لاقتصادنا المعاصر في جعل النشاط الاقتصادي المنضبط بأحكام الشريعة الإسلامية محركا للتنمية المستدامة من خلال تعزيز السياسات الموجهة نحو التنمية والتي تدعم الأنشطة الإنتاجية، وفرص العمل اللائق، ومباشرة الأعمال الحرة وفق ما ورد في الهدف الثامن «العمل اللائق ونمو الاقتصاد» من أهداف التنمية المستدامة التي وضعتها الأمم المتحدة[3].

المطلب التاسع: تشجيع المسلمين على ممارسة الأعمال الصغيرة:

في مجال الأعمال الصغيرة نجد في السنة النبوية إشارة واضحة إلى توجيه السلوك الاقتصادي للأفراد للاستثمار في المشروعات الصغيرة فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَجُلًا، مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْأَلُهُ فَقَالَ «أَمَا فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ». قَالَ بَلَى حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَعْبٌ نَشْرَبُ فِيهِ مِنَ الْمَاءِ . قَالَ: «ائْتِنِي بِهِمَا». فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِيَدِهِ وَقَالَ «مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ» . قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ . قَالَ «مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ» . مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا قَالَ رَجُلٌ أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ . فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ وَأَعْطَاهُمَا الأَنْصَارِيَّ وَقَالَ «اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ». فَأَتَاهُ بِهِ فَشَدَّ فِيهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عُودًا بِيَدِهِ ثُمَّ قَالَ لَهُ «اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَبِعْ

1- أخرجه أحمد في المسند (28/502) حديث رقم (17265). والْبَزَّارُ في مسنده، المنشور باسم البحر الزخار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م، (9/259) حديث رقم (1943). (صححه الألباني).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (2/535) حديث رقم (1402).

3- القضاء على الفقر، أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

وَلاَ أَرَيَنَّكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا». فَذَهَبَ الرَّجُلُ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشَرَةَ دَرَاهِمَ فَاشْتَرَى بِبَعْضِهَا ثَوْبًا وَبِبَعْضِهَا طَعَامًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ الْمَسْأَلَةُ نُكْتَةً فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لاَ تَصْلُحُ إِلاَّ لِثَلاَثَةٍ لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ»[1].

الحديث النبوي يدل على أن النبي ﷺ قد وجه العاطلين عن العمل إلى ممارسة الأعمال، ثم أسهم في تحديد نوع الآلة التي يحتاج إليها العامل ووفر مصدر تمويلها، وهذه الأعمال التي وجه إليها الرسول ﷺ يمكن تسميتها بالمشاريع الصغيرة.

النبي ﷺ في سنته العملية أرشد إلى إنشاء المشاريع الصغيرة من منطلق محاربة البطالة وبين كيفية تمويلها، وإيجاد مصادر هذا التمويل على مستوى الفرد وأسرته، وعلى مستوى العشيرة ومن ثم على مستوى المجتمع ككل.

وضعت السنة النبوية المطهرة أركانا لتشجيع المشاريع الصغيرة؛ تمثلت في التخطيط لمتابعتها واستدامتها، وتنظيم السوق لتلك المشاريع من خلال ضبط المنافسة والعلاقة ما بين المنتجين والبائعين، ومن ثم مراقبة وإخضاع منتجات المشاريع الصغيرة لمعايير الجودة.[2]

توجيهات السنة النبوية الشريفة بتوجيه العاطلين إلى ممارسة الأعمال الصغيرة يجب أن تكون أساس تجسيد التنمية المستدامة، فإن الأمم المتحدة في إطار وضعها لأهداف التنمية المستدامة شجعت على إقامة المشاريع المتناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة الحجم، من خلال وضع الدعائم التي تهدف إلى مساعدة المنشآت الصغرى والصغيرة والمتوسطة على توسيع دائرة أعمالها ونموها واجتياز الضوائق المالية[3].

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار الفكر، د. ت، أبواب التجارات، باب بيع المزايدة (2/740) حديث رقم (2198). والترمذي في سننه (الجامع الصحيح)، المحقق/ أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، أبواب البيوع، باب ما جاء في بيع من يزيد (3/514) حديث رقم (1218). (ضعفه الألباني).

2- أسامة عبد المجيد العاني، إدارة الأعمال الصغيرة وتمويلها من منظور السنة النبوية، مجلة اسرا الدولية للمالية الإسلامية، ماليزيا، م7، ع1، 2016م، (ص244-226).

3- أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

المبحث الثاني: مبادئ الهدي النبوي في توجيه السلوك الاقتصادي لتحقيق التنمية المستدامة

التزام الأفراد والمجتمعات بالتوجيهات النبوية الشريفة يجعله يستند على مجموعة من المبادئ والأسس التي تمكّن الإنسان من توجيه نشاطه الإنتاجي والاستهلاكي بما يتناسب ومقتضيات استدامة الموارد الطبيعية وتحقيق التنمية المستدامة، ومن بين تلك الأسس والمبادئ ما نوضحه فيما يلي:

المطلب الأول: مبدأ الاستخلاف:

يقوم هذا المبدأ على أساس أن الله سبحانه وتعالى هو خالق الكون، وأن الملكية الموجودة في هذا الكون هي لله وحده، فهو مالك الملك، أما الإنسان فهو مستخلف من الله في هذه الأرض، وخلافته هي العمل لتحقيق ما أراده الله تعالى ومن ثمة فملكية البشر للمال ليست ملكية أصيلة ولكنها مكتسبة بالاستخلاف، كما أن حيازتها له مرتهنة بشروط هذا الاستخلاف التي حددها الله[1]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ الحديد [7]، وقال رسول الله ﷺ: «إنَّ الدُّنْيا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيها، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ»[2] وقوله ﷺ: «سجدَ وجهي للَّذي خلقَهُ، وشقَّ سمعَهُ وبصرَهُ، بحولِهِ وقوَّتِهِ فتبارَكَ اللَّهُ أحسنُ الخالقين»[3]، ومن ثمرات هذا المبدأ في الحياة الاقتصادية والاجتماعية أنه يوجه إلى تحقيق عمارة الأرض واستدامة مواردها بما يضمن الحياة الكريمة للناس، وذلك من خلال:[4]

هذا المبدأ يسهل على الأفراد والجماعات قبول الأوامر والتوجيهات والقوانين الشرعية المتعلقة بالحفاظ على الموارد الطبيعية والحيوانية وفق ما تضمنه الهدي النبوي.

أن هذا المبدأ يعطي الدولة سندًا شرعيًا وأساسًا نظريًا، لفرض السياسات والإجراءات القادرة على منع الإضرار بالأرض ومواردها بما يحقق التنمية المستدامة.

1- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1393هـ، (ص316).

2- أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء (4/2098) حديث رقم (2742).

3- أخرجه الترمذي في سننه (الجامع)، كتاب أبواب السفر، باب ما يقول في سجود القرآن (2/474) حديث رقم (580) وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

4- انظر: جميل أحمد، الدور التنموي للبنوك الإسلامية دراسة نظرية تطبيقية 2000-1980م، أطروحة دكتوراه «غير منشورة»، جامعة الجزائر، 2006-2005م، (ص15).

من ثمرات هذا المبدأ أنه يعطي الجماعة حق الرقابة على الأنشطة التي تستنزف الموارد الطبيعية.

هذا المبدأ سيكون حافزا للأفراد والجماعات لاستثمار الأموال وعمارة الأرض لنفع المجتمع، وعدم الإضرار بالنفس أو بالغير أو بالمجتمع وبالكون.

المطلب الثاني: مبدأ الوسطية:

الوسطية مبدأ إسلامي عام يُبني عليه كل الفكر الإسلامي في جميع المجالات بما فيها المجال الاقتصادي والتنموي، وبهذا المبدأ يمكننا تحقيق التوازن الذي تتطلبه التنمية المستدامة بين هدف إشباع احتياجات الإنسان وهدف الحفاظ على الموارد الطبيعية، كما يمكننا الاعتدال في الاستهلاك واستخدام الموارد الطبيعية بما يضمن الحفاظ على سبل عيش الأجيال الحالية والمستقبلية.[1]

مبدأ الوسطية مرغوب فيه في مختلف جوانب حياة الإنسان، وسيكون لهذه القاعدة التي قامت على أحكام الشريعة الإسلامية أثرا واضحا على حياتنا الاقتصادية من خلال تحقيق التوازن بين متطلبات التنمية والاستغلال الأمثل للموارد بلا إفراط ولا تفريط، وأساس هذه الخاصية هو قَوله تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾ الفرقان [67] وقول رسول الله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيْءٌ مِنَ الدُّلْجَةِ، وَالقَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا»[2].

المطلب الثالث: مبدأ الاستطاعة والأيسرية:

من أهم قواعد الإسلام العامة الواقعية، ومراعاة القدرات والإمكانات، والقابلية للتنفيذ في ضوء الظروف والملابسات، فلا يمكن أن يكلف فرد بأكثر مما يطيق ولا يطالب بأكثر مما يتحمل، لذلك يلزم أن يكون مبدأ الاستطاعة أساس التعامل الإنساني بحيث يتم مراعاة قدرات وطاقات من سيقومون بعملية التنفيذ.

1- انظر: رفعت السيد العوضي، الوسطية الاقتصادية في الإسلام، دار السلام، القاهرة، ط1، 1434هـ، (ص21-18).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب لن يدخل أحد الجنة بعمله، بل برحمة الله تعالى، (4/2171) حديث رقم (2818). والبخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل (5/373) حديث رقم (6098).

وترتبط الاستطاعة بالأيسرية ويقصد بها في الفكر الإسلامي أداء العمل من غير تعسف، فأحيانًا قد يكون أداء العمل مستطاعًا ولكن بشق الأنفس، لذا يجب مراعاة ما يعترض العمل من صعوبات ومعوقات، فمن القواعد الأساسية في الإسلام «المشقة تجلب التيسير»، وقد قرّرت السنة النبوية هذا المبدأ وأرست قواعده ومن هدي النبي ﷺ هذا المجال[1]، يروى عنه: «مَا خُيِّرَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا»[2]، ومن ناحية أخرى أمر رسول الله ﷺ بضرورة العمل حسب ما هو مستطاع ويستعين بما يسره الله له من أساليب العمل ولا يجب التراخي والاتكال، فقال ﷺ «اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ»[3].

والمقصد العام للشارع الحكيم تحقيق مصالح الناس في الحياة، بجلب النفع لهم ودفعِ الضر، ورفع الحرج عنهم، وأنه لا تكليف إلا مع الإطاقة، فالاستطاعة لُبٌّ من لُبَاب الحَنِيفيّة، وقاعدةٌ من قواعد الدِّين، وهي شعارُ الفطرة الخالصة، ومَنَارُ الرحمةِ والتيسير. والاستطاعة راسخة في الدين، مطّرِدةٌ في شرائعه، مستوعِبةٌ لأحكامه. [4]

إن مبدأ الطاقة واليسر الذي قررته أحكام الشريعة الإسلامية إذا تمكنَّا من الأخذ به في حياتنا اليومية والاستناد إليه في بناء السياسات الاقتصادية والاجتماعية سيكون أساسًا قويا لتجسيد أهداف التنمية المستدامة، خاصة ما تعلق ببناء قدرات الفقراء والفئات الضعيفة على الصمود والحد من تعرضها وتأثّرها بالظواهر المتطرفة المتصلة بالمناخ وغيرها من الهزات والكوارث الاقتصادية والاجتماعية والبيئية[5].

1- حسين شحاتة، أصول معايير التكاليف في الإسلام، مطبوعات كلية التجارة، جامعة الأزهر، 1405هـ، (ص17-16).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب مباعدته ﷺ للآثام، (4/1813) حديث رقم (2327). والبخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي (صلى الله عليه وسلم) (3/1306) حديث رقم (3367).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، بَاب كيفية خلق الآدمي (4/2040) حديث رقم (2647).

4- قاسم على سعد، الاستطاعة في الشريعة الإسلامية. تحقيق وتأصيل، مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، الجامعة القاسمية، الإمارات العربية المتحدة مجلد1، عدد1، 2021م، (ص164).

5- أهداف التنمية المستدامة، الأمم المتحدة، www.un.org/sustainabledevelopment/ar/poverty، 02/09/2024.

المطلب الرابع: مبدأ الفهم والوضوح:

الهدي النبوي تضمن الكثير من التوجيهات التي تجعل الإنسان يدرك ويفهم طبيعة العمل الذي يقوم به والنشاطات التي يؤديها من حيث الكيفية الصحيحة لأدائه وانعكاساته على المحيط الذي يعيش فيه والذي يشمل الكائنات الحية كالإنسان والحيوان والنبات، أو الموارد الطبيعية من ماء وهواء وتربة ومناخ ونباتات طبيعية وغيرها، لأن إحسان التعامل مع مكونات هذا المحيط وفقًا للقواعد والمعايير الإسلامية مقرون بالفهم السليم، والتنفيذ الصحيح، ودليل خاصية الوضوح من هدي تعاليم الإسلام في هذا المجال نجد في الأثر «أَنَّ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ: كَانَتْ لاَ تَسْمَعُ شَيْئًا لاَ تَعْرِفُهُ، إِلَّا رَاجَعَتْ فِيهِ حَتَّى تَعْرِفَهُ»[1].

وفي مجال المعاملات يروى أن عمر بن الخطاب ﷺ، كان يطوف في السوق، ويضرب بعض التجار بالدرة ويقول «لَا يَبِعْ فِي سُوقِنَا إِلَّا مَنْ قَدْ تَفَقَّهَ فِي الدِّينِ»[2]، ويستنبط من هذا الحديث أن الفرد ينبغي له ألا يقدم على العمل حتى يفهمه، ويجيده، لذلك أكد فقهاء المسلمين أن المتعاملين يجب أن يكونوا على علم بالقواعد الشرعية وبالموازين والمكاييل والحلال والحرام حتى تكون التعاملات صحيحة، وإن صحت تعاملاتهم فإنها ستكون بعيدة عن أي ضرر يلحق بالإنسان أو بالبيئة أو بالموارد الطبيعية[3].

المطلب الخامس: مبدأ المسؤولية:

المسؤولية تعتبر أحد أهم الركائز التي تجعل الأفراد والمؤسسات والحكومات يستشعرون أهمية بناء مستقبل أفضل للأجيال القادمة في إطار تنمية مستدامة متكاملة، وأيضا تضبط السلوك الاقتصادي وفق ما يحقق الاستدامة المستقاة من الاحتياجات الفعلية للأفراد التي تراعي عدم استنزاف الموارد الطبيعية.

كذلك من مقتضيات مبدأ المسؤولية اشتراك كل من الأفراد والمؤسسات والحكومات في التنمية المستدامة بغية بناء دمج جانب الاستدامة في البرامج الاجتماعية

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب من سمع شيئا فراجعه حتى يعرفه (1/51) حديث رقم (103).

2- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الوتر، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (2/357) حديث رقم (487). (حسن إسناده الألباني).

3- انظر: حسين شحاتة، أصول معايير التكاليف في الإسلام (ص18-17). محمد رأفت عثمان، بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام (وقائع الندوة رقم 31: الإدارة في الإسلام، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، ط1، 1416هـ، (ص160-159).

والاقتصادية والثقافية.

وقد أرشد الهدي النبوي الأفراد والجماعات إلى تحمل المسؤولية، ، فكل مسؤول عن عمله، وهذا من شأنه تنمية الإحساس بالثقة وتحقيق الذات والانتماء، قال رسول الله ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ، عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1]، المسؤولية لا تنتهي بالقيام بالعمل، بل هي ممتدة إلى نتائجه وآثاره، وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب أمير المؤمنين ﷺ في حديثه حين سأل الناس: «أَرَأَيْتُمْ إِنِ اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ مَنْ أَعْلَمُ، وَأَمَرْتُهُ بِالْعَدْلِ، أَقَضَيْتُ مَا عَلَيَّ؟»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «لَا، حَتَّى أَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ، أَعَمِلَ مَا أَمَرْتُهُ أَمْ لَا»[2].

ومن مقتضيات مبدأ المسؤولية أيضا عدم إلحاق الضرر بالبشر والحيوانات والموارد الطبيعية، والعمل على تجنبه والوقاية منه، قال رسول الله ﷺ: «لاَ ضَرَرَ وَلاَ ضِرَارَ»[3] نص هذا الحديث ينفي الضرر مطلقًا فيوجب منعه سواء كان الضرر عامًا أو خاصًا ويوجب أيضًا وقفه قبل وقوعه بطرق الوقاية الممكنة ويشمل أيضًا رفعه بعد وقوعه بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره وتمنع تكراره.[4]

وكذلك من مقتضيات الهدي النبوي للأفراد والجماعات بتحمل المسؤولية، تكليف الإنسان بمسؤولية الحفاظ على الحياة البرية بما يضمن التوازن البيئي واستمراره، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ إنسانٍ يقتُلُ عُصفورًا فما فوقَها بغيرِ حقِّها إلا سأله اللّهُ عنها»[5]، وقال ﷺ: «بَيْنمَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ اشْتَدَّ علَيْهِ الْعَطشُ، فَوجد بِئرًا فَنزَلَ فِيهَا فَشَربَ، ثُمَّ خَرَجَ فإِذا كلْبٌ يلهثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ العطشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَملأَ خُفَّه مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَه بِفيهِ، حتَّى

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأمارة، باب فَضِيلَةِ الإِمَامِ الْعَادِلِ وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ (6/07) حديث رقم (1829). والبخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن (1/303) حديث رقم (4904).

2- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، المحقق/ محمد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1410هـ، باب طاعة أولي الأمر، فصل في فضل الإمام العادل (6/24) حديث رقم (7395).

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (2/784) حديث رقم (2341).

4- صالح بن غانم السدلان، القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، دار بلنسية، الرياض، ط1، 1417هـ، (ص498).

5- أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الذبائح (4/261) حديث رقم (7574). والنسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، إباحة أكل العصافير (7/206) حديث رقم (4349). (حسنه الألباني).

رِقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَه فَغَفَرَ لَه. قَالُوا: يَا رسولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِم أَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبةٍ أَجْرٌ»[1].

وقد أعطت الشريعة الإسلامية أهمية كبيرة للمسؤولية، حيث أوضح الرسول ﷺ في حديثة إلى أبي ذر حين طلب أن يوليه وظيفة عامة «يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَنَدَامَةٌ وَحَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا»[2]، فالمسؤولية من الأمور ذات الأهمية والتأثير المباشر على حسن انتظام الحياة بكل ما يتطلبه من استمرار هذا الانتظام بما في ذلك الحفاظ على الموارد التي خلقها الله في هذا الكون.

المطلب السادس: مبدأ القدوة الحسنة:

تغيير السلوك والعادات القائمة على الاستعمال المفرط للموارد والاستهلاك المستهتر والجائر لها يتطلب إلى القدوة الحسنة، فالتوجيه والوعظ والتعليم لا يكفون لتعديل السلوك وتصحيحه على الرغم من أهميتهما، لأن بناء سلوك جديد وتثبيته يحتاج قدوة يتبعها الناس، وقد كان رسول الله ﷺ قدوة في البذل والتضحية، وقدوة في التواضع والحلم وأدب الحديث، وقدوة في الشجاعة والصبر[3].

فقد شارك رسول الله ﷺ أصحابه في حفر الخندق وشاركهم تعب الحفر والجوع، فعن البراء بن عازب ﷺ قال: «أمَرَنا رسولُ اللهِ ﷺ بحَفرِ الخَندَقِ، قال: وعَرَضَ لنا صَخرةٌ في مَكانٍ مِن الخَندَقِ، لا تَأخُذُ فيها المَعاوِلُ، قال: فشَكَوها إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ، قال عَوفٌ: وأحسَبُه قال: وَضَعَ ثَوبَه ثُمَّ هَبَطَ إلى الصَّخرةِ، فأخَذَ المِعوَلَ، فقال: بِسمِ اللهِ، فضَرَبَ ضَربةً، فكَسَرَ ثُلثَ الحَجَرِ، وقال: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مَفاتيحَ الشَّامِ، واللهِ إنِّي لأُبصِرُ قُصورَها الحُمرَ مِن مَكاني هذا، ثُمَّ قال: بِسمِ اللهِ، وضَرَبَ أُخرى، فكَسَرَ ثُلثَ الحَجَرِ، فقال: اللهُ أكبرُ! أُعطيتُ مَفاتيحَ فارسَ، واللهِ إنِّي لأُبصِرُ المَدائنَ، وأُبصِرُ قَصرَها الأبيَضَ مِن مَكاني هذا، ثُمَّ قال: بِسمِ اللهِ، وضَرَبَ ضَربةً أُخرى، فقَلَعَ بَقيَّةَ الحَجَرِ، فقال: اللهُ

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها (4/1761) حديث رقم (2233). والبخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (5/2238) حديث رقم (5663).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة (6/06) حديث رقم (1825).

3- انظر: محمد بن حسن مسفر الغامدي، توجهات إدارية في ضوء سورة البقرة، رسالة ماجستير «غير منشورة»، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، (ص45-44).

أكبرُ! أُعطيتَ مَفاتيحَ اليَمنِ، واللهِ إنِّي لأُبصِرُ أبْوابَ صَنْعاءَ مِن مَكاني هذا».[1]

المطلب السابع: مبدأ القيم الإسلامية:

السنة النبوية تضمنت توجيهات مست جميع نواحي حياة الإنسان، والتي يمكن جعلها أساسا للقيم التي يستند عليها تحقيق التنمية المستدامة، فالقيم والأخلاقيات التي دعت إليها الأحاديث النبوية شملت القيم الأخلاقية العامة، والقيم التي ترتبط بالمعاملات، والقيم التي ترتبط ببعض المهن دون أخرى، ومن هذه القيم على سبيل المثال لا الحصر نذكر:[2]

- القيم الاقتصادية والمالية: إن القيم والسلوكيات التي أحيط بها الاقتصاد والمعاملات في الإسلام سيكون لها الأثر الواضح على السلوك الاقتصادي والإداري والاجتماعي للفرد، ونذكر هذه القيم مجملة وموجزة فيما يلي: المال نعمة من الله، استخلاف الإنسان في المال، تملك المال ليس غاية وإنما هو وسيلة للتمتع بالطيبات من الرزق، استثمار المال وعدم اكتنازه، توثيق المعاملات المالية، الكسب الحلال للمال، منع الربا وأكل أموال الناس بالباطل، الاعتدال في انفاق المال، الصدق والأمانة في المعاملات المالية، حرمة التعدي على أموال الغير.
- القيم السياسية: ومنها: الشورى، العدل، الأمن والأمان، المسؤولية.
- القيم الاجتماعية: هي التي تدعو الفرد بأن يسلك سلوكًا سويًا في تعاملاته مع الآخرين، ومن هذه القيم التي تنشأ عن التوجيهات الشرعية الاجتماعية نذكر: التعاون، التواضع، الصداقة، النصيحة.
- القيم العلمية: جاءت العديد من النصوص الشرعية التي تحث على السعي في طلب العلم، وتحري العلم النافع، والتجديد والابتكار، ونشر العلم.

1- أخرجه أحمد في المسند (30/625) حديث رقم (18694). (صححه الألباني).

2- انظر: محمد جلال سليمان صادق، دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1417هـ، (ص33-31).

- أحمد يوسف، القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410ه، (ص107-102).
- عز الدين محمد خوجة، المبادئ والقيم الإسلامية في المعاملات المالية، مجموعة دله البركة، جدة، 1414هـ، (ص16-11).

- القيم الروحية: إن القيم الروحية في الإسلام لا يمكن إنكار دورها في التأثير على سلوك الفرد وتوجيه تصرفاته وأفعاله، ومن أهم هذه القيم: حسن الخلق، إخلاص النية لله، الرضا والقناعة، الحياء، العزة والكرامة.

- القيم الجمالية: نظمت الشريعة الإسلامية هذا الجانب بالكثير من التوجيهات والأحكام المتعلقة بالنظافة، والطهارة، وآداب الحديث، والاهتمام بالصحة، لذا نجد الكثير من القيم الجمالية التي ترسخت عند الأفراد مثل: النظافة والتجمل والصحة، حسن المظهر، نظافة البيئة، ممارسة الرياضة، أدب الحديث.

كل هذه القيم التي سيكتسبها الفرد من منظومة المجتمع الذي يعيش فيه، ومن التزامه بتوجيهات وتعاليم الشريعة الإسلامية سيكون لها تأثير مباشر وغير مباشر على أعماله وأنشطته، لذا يعتبر الأخذ بهذه القيم في تحقيق أهداف التنمية المستدامة من بين أهم عوامل تجسيد هذه التنمية وتحقيق أهدافها.

المطلب الثامن: مبدأ العلاقات الإنسانية:

رسخت الشريعة الإسلامية مبدأ العلاقات الإنسانية كمبدأ أساسي من مبادئ التعايش بين بني البشر، باعتباره أصلا صالحا لكل زمان ومكان إذا أحسن استخدامه، والتطبيق العادل للمبادئ المرتبطة بالعلاقات الإنسانية في الإسلام سيعود بنتائج إيجابية تعود بالفائدة على الفرد والمجتمع والبيئة بما يسمح بتبني تنمية مستدامة تحسن ظروف المعيشة لجميع الأفراد دون الإفراط في استخدام الموارد الطبيعية.

والعلاقات الإنسانية في الفكر الإسلامي ترتكز على أسس كثيرة من بينها: [1]

- بنيت أحكام الشريعة الإسلامية على تكريم الإنسان وتمييزه بما لم يميز به غيره من المخلوقات، وفق ما جاء في قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ الإسراء [70]، في الآية دليل على أن العلاقات الإنسانية تنطلق من التكريم الإلهي للإنسان بما يمده بالشعور بالاحترام والتقدير والمكانة في أي مكان يتواجد فيه، سواء تواجده في المجتمع أو في

1- انظر: - محمد بن عايد المشاوية الدوسري، العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1426هـ، (ص04-03)، (ص94-93). حناشي لعلي بن صالح، أثر القيم على السلوك الإداري بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي، دراسة مقارنة، دار اليازوري، عمان، ط1، 2014م، (ص377-375).

مكان عمله أو غير ذلك.

- الأسس الأخلاقية السليمة هي التي تقوم على العلاقات الإنسانية السوية، جاء في قوله تعالى وهو يخاطب رسوله (صلى الله عليه وسلم): ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ آل عمران [159]. وقال الرسول ﷺ: «إنَّما بعثتُ لأتمِّمَ مَكارِمَ الأخلاقِ»[1]، وقد قال النبي ﷺ: «البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ»[2] في هذه النصوص الشرعية مبادئ سلوكية تقوم على الأخلاق الطيبة والمعاملة الحسنة والعلاقات الإنسانية الطيبة، وهي ترسخ منهجًا وأسسًا علمية سليمة للعلاقات بين الأفراد.

- عنيت الشريعة الإسلامية عناية كبيرة بحقوق العمال ووضعت القواعد التي تنظم العلاقات بين العامل وصاحب العمل بما يضمن الحقوق والحياة الكريمة والأوضاع المستقرة، ومن أمثلة الهدي النبوي في هذا المجال قوله ﷺ: «أَعْطُوا الْأَجِيرَ أَجْرَهُ، قَبْلَ أَنْ يَجِفَّ عَرَقُهُ»[3].

ومن النماذج التطبيقية التي ترسخ مبدأ العلاقات الإنسانية ما جاء في سيرة عمر بن الخطاب ﷺ فقد روى أبو يوسف في كتابه الخراج أن عمر بن الخطاب: ﷺ مر بباب قوم وعليه سائل يسأل - شيخ كبير ضرير البصر- فضرب عضده من خلفه وقال: من أي أهل الكتاب أنت؟ فقال يهودي. قال فما ألجأك إلى ما أرى ؟ قال: أسأل الجزية والحاجة والسن. قال: فأخذ عمر بيده وذهب به إلى منزله فرضخ- أي فرض- له بشيء من المنزل ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال: أنظر هذا وضربائه- أي أمثاله- فو الله ما أنصفناه أن نأكل شبيبته ثم نخذله عند الهرم (الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ) والفقراء هم المسلمون وهذا من المساكين من أهل الكتاب، ووضع عنه الجزية وعن ضربائه[4].

1- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، المحقق/محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414ه، كتاب الشهادات، باب بيان مكارم الأخلاق (10/323) حديث رقم (20782). (صححه الألباني).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تفسير البر والإثم (4/980) حديث رقم (2553).

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب الرهون، باب أجر الأجراء (2/817) حديث رقم (2443) (صححه الألباني).

4- أبو يوسف الأنصاري، الخراج، المحقق/طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت، (ص139).

الالتزام بمكارم الأخلاق في التعامل مع الناس أساس العلاقات الإنسانية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا»[1]، وقوله ﷺ: «الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَالْإِثْمُ مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ النَّاسُ عَلَيْهِ»[2]، وقوله ﷺ «أَحَبُّ الناسِ إلى اللّه أنفعُهم للناسِ، وأَحَبُّ الأعمالِ إلى اللهِ ﷻ سرورٌ تُدخِلُه على مسلمٍ، تَكشِفُ عنه كُربةً، أو تقضِي عنه دَيْنًا، أو تَطرُدُ عنه جوعًا»[3]، فالرسول ﷺ حرص في بناءه للإنسان على الضمير الأخلاقي في السلوك، هذا الضمير إذا فعلناه في المجال التنموي، سنجد الخلق الحسن لدى الأفراد يدفع بهم للتحلي بالمسؤولية تجاه بعضهم البعض بما يضمن تمكين وتعزيز الإدماج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للجميع، بغض النظر عن السن أو الجنس أو الإعاقة أو الوضع الاقتصادي أو غير ذلك، وفق ما جاء في مقاصد الهدف العاشر «الحد من أوجه عدم المساواة» من أهداف التنمية المستدامة التي وضعتها الأمم المتحدة، وكذلك سيكون للضمير الأخلاقي في السلوك الإنساني أثر إيجابي على الاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية بما يضمن تحقيق الهدف الثاني عشر «الإنتاج والاستهلاك المستدام» من أهداف التنمية المستدامة من خلال تحقيق الأمن الغذائي، وتحويل الاقتصاد نحو أنماط أكثر كفاءة في استخدام الموارد[4].

هذه النماذج وغيرها كثيرة في السنة النبوية وسيرة الخلفاء مما يرسخ الحق في الكرامة للعامل الذي له القدرة على العمل أو حتى من فقد القدرة على العمل، وتحفظ هذه الكرامة الإنسانية لأي عامل بغضّ النظر عن أي اعتبار آخر.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب كَثْرَةِ حَيَائِهِ (صلى الله عليه وسلم) (4/1810) حديث رقم (2321). والبخاري كتاب المناقب، بَابُ صِفَةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (3/1305) حديث رقم (3366).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآدب، باب تَفْسِيرِ الْبِرِّ وَالإِثْمِ (4/1980) حديث رقم (2553).

3 -أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، 1415ه، (6/139) حديث رقم (6026). (حسنه الألباني).

4- انظر: أهداف التنمية المستدامة، 02/09/2024، www.undp.org/ar/arab-states.

الخاتمة

توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

- بناء اقتصاد المدينة في العهد النبوي هو نموذج عملي وواقعي قائم على عمارة الأرض ويعكس مضمون التنمية المستدامة بالمفهوم المعاصر، هذا النموذج نحن بحاجة للاقتداء به والأخذ بمقوماته لبناء اقتصاديات مستدامة معاصرة، لقد مست التوجيهات النبوية في هذا النموذج كل جوانب الحياة الإنسانية بما يضمن سعادته وانتظام أموره واستقامة أحواله، ففي السنة النبوية الشريفة أحاديث كثيرة تحث على الاهتمام بكافة المجالات الاقتصادية والاجتماعية، ففي المجال الزراعي، نجد عدة أحاديث نبوية تشجيع على الزراعة وتحث عليها، وتوجيه السلوك الاقتصادي للأفراد والجماعات للإسهام في تحقق الاكتفاء الذاتي، وفي المجال الصناعي كان لتعاليم النبي ﷺ في مفهوم العمل أثر واضح في نفوس المسلمين وسلوكهم، فأقبلوا على أنواع الصناعات والحرف يتقنونها، وفي مجال التجارة استطاع المهاجرون الأوائل من المسلمين استغلال خبراتهم التجارية السابقة وتمكنوا من الاستفادة من الإمكانيات المتوفرة في أسواق المدينة، وفي مجال الأعمال الصغيرة نجد في السنة النبوية إشارة واضحة إلى التوجه للاستثمار في المشروعات الصغيرة.

- الأهمية الكبيرة للتنمية المستدامة جعلتها تأخذ أهمية كبيرة ومكانة بارزة في برامج الدول الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والثقافية، باعتبارها توجها معاصرا ونمطا تنمويا مستحدثا قائما على تحقيق تنمية ورفاه للأجيال الحالية، دون المساس بحق الأجيال القادمة في العيش الكريم والتنمية.

- الهدي النبوي تضمن توجيهات تتعلق بجوانب حياة الأفراد والجماعات، سواء اقتصادية، أو اجتماعية أو علمية أو بيئية أو روحية، وما تحويه من مبادئ رفيعة، سيكون لها الأثر المباشر وغير المباشر على تحقيق التنمية المستدامة، من حيث التزام الأفراد والمؤسسات والحكومات ببذل الجهد للقيام بمتطلبات تحقيق التنمية المستدامة، والاستخدام الأمثل للموارد الطبيعية، وغيرها من الآثار الإيجابية التي تحقق التوازن بين تلبية احتياجات الحاضر، دون المساس بحقوق الأجيال القادمة.

- يوجد في السنة النبوية أحاديث كثيرة أسست لقيم إنسانية تتسم بالربانية والشمولية والتوازن، وتتميز بالثراء والتعدد والتنوع، وهي تضبط سلوك الإنسان وتوجهه بمجموعة من المبادئ والأخلاق التي تدعوه إلى بذل الجهد، ومراعاة صالح العمل، والأمانة، وعدم التبذير، وغيرها من القيم التي سيكون لها دور في الوصول إلى تحقيق أهداف التنمية المستدامة، وخاصة إن كان هناك وعي وإدراك بأهمية استثمار هذه القيم بما يسهم في تحسين حياة الإنسان دون الإضرار بالنظم البيئية، وذلك عن طريق توجيه السلوك الإنساني للأخذ بهذه القيم في أنشطته الإنتاجية والتجارية، وأنماطه الاستهلاكية، ومسؤولياته الاجتماعية.

قائمة المصادر والمراجع

أولًا: القرآن الكريم.

ثانيًا: مصادر السنة النبوية:

- الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل، بيروت. د. ت.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، المحقق/ أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت. د. ت.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- سنن الدارقطني، لعلي بن عمر أبو الحسن الدارقطني البغدادي، المحقق/ عبد الله هاشم يماني المدني، دار المعرفة، بيروت، 1966م.
- سنن الدارمي، لعبد الله بن عبد الرحمن أبو محمد الدارمي، المحقق/ فواز أحمد زمرلي، خالد السبع العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1407هـ.
- السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة، 1414هـ.
- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1986م.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، ط3، 1407هـ.
- المستدرك على الصحيحين، لمحمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق/ شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1420هـ.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 2009م.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.

ثالثًا: المصادر والكتب العلمية:

- أثر القيم على السلوك الإداري بين الفكر الإسلامي والفكر الوضعي -دراسة مقارنة-، لحناشي لعلي بن صالح، عمان، دار اليازوري، ط1، 2014م.
- أصول معايير التكاليف في الإسلام، لحسين شحاتة، مطبوعات جامعة الأزهر، القاهرة، 1405هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف، ناصر الدين البيضاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1418هـ.
- بحوث في السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي، لعبد الشافي محمد عبد اللطيف، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1429هـ.
- بعض المبادئ التي تحكم الإدارة العامة في الإسلام وقائع الندوة رقم 31: الإدارة في الإسلام، لمحمد رأفت عثمان، المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب، جدة، ط1، 1416هـ.
- الخراج، لأبي يوسف الأنصاري، المحقق/ طه عبد الرؤوف سعد، سعد حسن مُحَمَّد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت.
- دراسات في تاريخ العرب والدولة العربية، لعبد العزيز سالم، دار النهضة العربية، مصر، ط1، 1971م.
- دور القيم في نجاح البنوك الإسلامية، لمحمد جلال سليمان صادق، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، القاهرة، ط1، 1417هـ.

- دولة الرسول ﷺ في المدينة، لمحمد ممدوح العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1988م.
- دولة الرسول ﷺ من التكوين إلى التمكين، لكامل سلامة الدقس، دار عمار، الأردن، ط2، 1415هـ.
- زاد المعاد في هذي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1415هـ.
- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد الزهري، دار صادر، بيروت، د. ت.
- العلاقات الإنسانية في الفكر الإداري الإسلامي والمعاصر، لمحمد بن عايد المشاوية الدوسري، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 1426هـ.
- القواعد الفقهية الكبرى وما تفرع عنها، لصالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط1، 1417هـ.
- القيم الإسلامية في السلوك الاقتصادي، لأحمد يوسف، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1410هـ.
- قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، لمجموعة مؤلفين، منظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المملكة العربية السعودية، ط1، 1393هـ.
- المبادئ والقيم الإسلامية في المعاملات المالية، لعز الدين محمد خوجة، مجموعة دلة البركة، جدة، 1414هـ.
- الوسطية الاقتصادية في الإسلام، لرفعت السيد العوضي، دار السلام، القاهرة، ط1، 1434هـ.

رابعًا: الرسائل العلمية:

- التجارة ودولة الخلافة في صدر الإسلام، لسحر يوسف القواسمي، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، 1491هـ.
- توجهات إدارية في ضوء سورة البقرة، لمحمد بن حسن مسفر الغامدي، رسالة

ماجستير "غير منشورة"، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1420هـ.

- الدور التنموي للبنوك الإسلامية دراسة نظرية تطبيقية 1980 - 2000، لجميل أحمد، أطروحة دكتوراه «غير منشورة»، جامعة الجزائر، 2006م.
- مجتمع المدينة في عهد النبي ﷺ، لعبد الله ابن إدريس، رسالة ماجستير (منشورة)، جامعة الملك سعود، الرياض، ط1، 1981م.
- يهود المدينة في العهد النبوي أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، لسامي أبو زهري، رسالة ماجستير "غير منشورة"، الجامعة الإسلامية، عزة، 1424هـ.

خامسًا: الأبحاث والمقالات:

- إدارة الأعمال الصغيرة وتمويلها من منظور السنة النبوية، لأسامة عبد المجيد العاني، مجلة اسرا الدولية للمالية الإسلامية، ماليزيا، م7/ع1، 2016م.
- الإدارة العامة في العهد النبوي المفهوم والنشأة والمهام، لفيصل أحمد عابد شعيبي، مجلة جامعة الملك عبد العزيز: الاقتصاد والإدارة، جدة، م18/ع1، 1425هـ
- الاستطاعة في الشريعة الإسلامية. تحديد وتأصيل، لقاسم على سعد، الإمارات العربية المتحدة، الجامعة القاسمية. مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية والدراسات الإسلامية، م1/ع1، 2021م.
- النشاط الاقتصادي لليهود بالحجاز في الجاهلية وفي عصر الرسول ﷺ، لرياض أحمد شاهين، غزة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية)، م12/ع2، 2004م.

سادسًا: مواقع الإنترنت:

- www.undp.org
- www.un.org
- www.un.org

أثر معالجة قضايا البطالة في تحقيق التنمية المستدامة في السنة النبوية

د. أبو علوي ضاحي عبد الرؤوف

باحث دراسات عليا – كلية دار العلوم – جامعة المنيا – مصر

ملخص

الحمد لله وحده، وصلاة وسلاما على من لا نبي بعده، وبعد، فقد اهتمت السنة النبوية بتحقيق التنمية المستدامة من خلال معالجة القضايا التي تقف عائقا دون تحقيقها، ولعل ظاهرة البطالة بمفهومها المعاصر والتي تعني وجود العامل، وعدم وجود فرصة العمل؛ تعد من أخطر الآفات التي تهدد تحقيق التنمية المستدامة، وإن المتأمل في نصوص السنة النبوية يجد فيها منهجا رائعا في معالجة قضية البطالة من خلال حرص النبي ﷺ على تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العمل والمهن، إضافة إلى تعزيز المسؤولية الجماعية في حل مشكلة البطالة من خلال التكافل الاجتماعي والمجتمعي. ولعل أهم ما يميز هذا المنهج النبوي في معالجة البطالة، هو الجمع في آن واحد بين سبل وآليات المواجهة؛ فتارة يحث على البحث على فرصة العمل، وتارة يرشد إليها.

الكلمات الافتتاحية: البطالة، المعالجة، التنمية، المستدامة، السنة النبوية.

Abstract

Praise be to God alone, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet. The Sunnah of the Prophet was concerned with achieving sustainable development by addressing the issues that stand as an obstacle to achieving it. Perhaps the phenomenon of unemployment in its contemporary concept, which means the presence of a worker and the absence of a job opportunity, It is one of the most dangerous plagues that threaten the achievement of sustainable development. Anyone who contemplates the texts of the Sunnah of the Prophet will find in it a wonderful approach to addressing the issue of unemployment through the Prophet's keenness, may God bless him and grant him peace, to correct the wrong concepts about work and professions. In addition to strengthening collective responsibility in solving the unemployment problem through social and community solidarity. Perhaps the most important thing that distinguishes this prophetic approach in addressing unemployment is the combination of means and mechanisms of confrontation; sometimes it urges searching for a job opportunity, and sometimes it guides towards it.

Keywords: unemployment, treatment, development, sustainable, year.

مقدمة

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، وأما بعد، ، ،

فقد اهتم الإسلام بمعالجة قضية البطالة، وحرص على علاجها قبل نشوئها بوسائل متعددة حفاظا على المجتمع المسلم من الأخطار التي تنتج عنها أخلاقيا وسلوكيا وعقائديا، وخاصة عند الأشخاص الذين يفقدون الوازع الديني، حيث تؤكد الإحصائيات العلمية أن للبطالة آثارا سيئة على الصحة النفسية.

كما يعاني العالم اليوم من جراء مشكلة البطالة فإنه قد عانى قديما، فكان الحل النبوي لهذه المشكلة حلا عمليا متدرجا مبنيا على تعاليم الإسلام وأحكامه؛ حيث بدأ رسول الله ﷺ بتشجيع الناس على مزاولة الأعمال، وبعضَ المهن والصناعات، كما كان يفعل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، الذين أعطوا القدوة والمثل الأعلى في العمل والكسب الحلال، فقال رسول الله ﷺ عن نبي الله داود: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ تعالى كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ»[1].

وكان رسول الله ﷺ القدوة والمثل الذي يحتذى به في هذا المجال؛ حيث كان يرعى الغنم، ويزاول التجارة بأموال خديجة قبل بعثته؛ فعن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ رَعَى الْغَنَمَ» فقال أصحابه: وأنتَ؟ فقال: نعم، كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة»[2].

كما كانت نظرة رسول الله ﷺ لعلاج مشكلة البطالة نظرة تقدير واحترام، مهما كانت طبيعته؛ فالعمل خير من سؤال الناس والذلة بين أيديهم، ويصور رسول الله ﷺ هذا الأمر بقوله: «لأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الْحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ؛ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ»[3].

وحرَّم رسول الله ﷺ الربا لما له من مضار على فقراء المجتمع؛ فهو يعوق التنمية،

1- أخرجه البخاري في صحيحه، عناية: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2072).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإجارة، باب الأجرة على رعي الغنم (3/88) حديث رقم (2262).

3- أخرجه أحمد في مسنده، المحقق/ أحمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م، (15/246) حديث رقم (9421)، صححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (1/199)، المكتب الإسلامي، ط (د.ت).

ويسبب التخلف، ويزيد الفقير فقرا؛ مما يؤدي إلى الهلاك؛ كما قال رسول الله ﷺ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قالوا: يا رسول اللَّهَّ، وما هنَّ؟ قال: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ... وَأَكْلُ الرِّبَا»[1].

وإذا بقي في المجتمع فقيرٌ لا يستطيع العمل؛ وجب على المجتمع كله أن يُخْرِج الصدقات ابتغاء مرضاة الله وثوابه، وهذه مزيَّة تميَّز بها الإسلام عن غيره من المعالَجَات البشريَّة للمشكلة، فها هو ذا النبي ﷺ يُعَلِّم أصحابه الإنفاق، فعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فحثَّنَا على الصدقة، فأبطأوا حتى رُئِيَ في وجهه الغضب، ثم إن رجلًا من الأنصار جاء بصُرَّة، فأعطاها له، فتتابع الناس حتى رُئِيَ في وجهه السرور، فقال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً كَانَ لَهُ أَجْرُهَا، وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا، وَمِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[2].

فكان الإسلام ناجحًا في إيجاد الحلول العمليَّة والواقعيَّة لمشكلة البطالة، بخلاف الأنظمة المعاصرة التي لم يلاحظ لها حلول تذكر في هذا المجال.

ولعل هذه الطريقة الفريدة الفذة في علاج مثل هذه المشكلة هي التي دفعت الباحث لأن يبحث في هذه الفكرة فجعلت عنوان بحثي (أثر معالجة قضايا البطالة في تحقيق التنمية المستدامة في السنة النبوية).

إشكالية البحث:

رغم الجهود الكبيرة التي تبذلها الدول والحكومات المعاصرة في عصرنا الحاضر، إلا أن مشكلة البطالة لا زالت تتفاقم، وتنتشر بشكل كبير حتى أصبحت مشكلة عالمية تؤرق العالم بأسره، وذلك لما تسببه من انحرافات اجتماعية تلاحظها كافة المجتمعات، ومن هنا تبرز إشكالية هذا البحث.. والتي يمكن صياغتها في الأسئلة الآتية: ماذا نعني بالبطالة؟ ما أنواعها، وأسبابها، وآثارها؟ كيف اعتنت السنة النبوية بمعالجة ظاهرة البطالة؟ وما الدور الذي يمكن أن تقوم به السنة النبوية في مواجهة هذه الظاهرة والحد من انتشارها؟

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا﴾ 4/10 حديث رقم (2766)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط (د.ت)، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها (1/92) حديث رقم (145).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة (4/2059) حديث رقم (1017).

أهداف البحث:

1. بيان أسباب البطالة وآثارها على الفرد والمجتمع، في الوقت التي تفشت فيه، وعمت كثيرا من المجتمعات التي ابتعدت عن الوسائل والسبل التي وضعها الإسلام لعلاجها.
2. مقارنة الحلول التي يقدمها الإسلام لمشكلة البطالة، مع القوانين الوضعية.
3. إبراز دور السنة النبوية في معالجة مشكلة البطالة؛ ليكون ذلك نبراسا للأمة، وهديا بالغا للبشرية.
4. التأصيل للحلول الإسلامية من خلال بيان دورها في تحقيق التنمية المستدامة بالمجتمعات المعاصرة.

منهج البحث: اقتضت طبيعة البحث في هذا الموضوع استخدام المنهج الاستقرائي، وذلك من خلال جمع واستقراء النصوص القولية والمواقف العملية التي تتجلى فيها عناية السنة النبوية بمعالجة البطالة، ثم استخدام المنهج الوصفي لوصف وبيان أثر البطالة في المجتمعات، ثم المنهج التحليلي والاستنباطي لمحاولة تحليل تلك النصوص النبوية الشريفة، واستنباط ملامح المنهج النبوي في معالجة آفات البطالة، ومحاصرتها، والقضاء عليها.

الدراسات السابقة: في حدود اطلاعي لم أقف على دراسة سابقة تناولت علاج البطالة من منظور السنة النبوية، وإبراز دور السنة في معالجتها، ولكن هذا لا يمنع من وجود دراسات بحثت في هذا الموضوع من زوايا مختلفة، ولعل أهمها:

1. الحل الإسلامي لمشكلة البطالة للدكتور المرسي كمال الدين عبد الغني، بحث منشور ضمن أعداد دار الوفاء للطباعة والنشر، بالإسكندرية، العدد (4)، 2004م، تحدث فيه الباحث عن تعريفات إحصائية عن حالة البطالة في مصر، والحل الحكومي لمشكلة البطالة، والحل الإسلامي. وهذا غير ما ترمي إليه دراستنا.
2. مشكلة البطالة وعلاجها في الإسلام، للدكتور قنطقجي سامي مظهر، بحث منشور ضمن مركز أبحاث فقه المعاملات الإسلامية، 2013م، وفي هذا الكتاب رؤية بعيدة النظر، وهي محاولة لبعث الحل الإسلامي لهذه المشكلة، بين لنا الكاتب من خلالها أن المجتمع الإسلامي كان من أقل المجتمعات معاناة منها، وذلك لواقعية حلول

التشريع الرباني وشموليتها وإشراك كل أفراد المجتمع فيها. كما تحدث فيه عن قصور الحلول الوضعية عن إيجاد حلول لمشكلة البطالة، دون التركيز على دور السنة النبوية في إبراز الحلول العملية لها.

3. حلول إسلامية فعالة لمشكلة البطالة، للدكتور عبد الراضي إبراهيم محمود، بحث منشور ضمن منشورات دار المكتب الجامعي الحديث، 2009م، وقد تناولت الدراسة أهمية المشروعات الصغيرة ومتناهية الصغر ودورها الفعال في علاج مشكلة البطالة في الدول الإسلامية، مستشهدا ببعض التجارب العملية ومن بينها مصر، وهو غير ما خططت إليه دراستنا الحالية.

4. البطالة ودور الوقف والزكاة في مواجهتها، للدكتور مغازي محمد عبد الله، دار الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2005م، تناولت الوقف والزكاة فقط، ولم تتناول الجوانب الأخرى التي تناولتها مثل: الحرص على العمل والإنتاج، والتكافل الاجتماعي، وإحياء الأرض الموات، وترشيد الاستهلاك.

الجديد في البحث:

ولا شك أن هذه البحوث والدراسات لها أهميتها الكبرى في التعريف بمفهوم البطالة، وبيان حقيقتها وآثارها، وطرق علاجها سواء من الناحية الشرعية أو القانونية، بيد أنه لا توجد رسالة علمية على حد علم الباحث تناولت هذه القضية، مُحاولة: التأصيل العلمي والمعالجة الهادئة والعميقة لهذه المشكلة، مبرزة ملامح العلاج النبوي لهذه الظاهرة ومحاصرتها والحد من شيوعها وانتشارها في المجتمعات.

عناصر البحث:

مقدمة

تمهيد: مفهوم البطالة وأشكالها بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية.

المبحث الأول: المنهج النبوي في التعامل مع البطالة.

المبحث الثاني: طرق معالجة السنة النبوية لقضية البطالة وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة.

الخاتمة.

تمهيد:

مفهوم البطالة وأشكالها بين الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية.

وفيه:

أولا: البطالة لغة واصطلاحا.

البطالة لغة: لقد ظهر لي من خلال رجوعي إلى كتب اللغة العربية: أن هذه المادة لها معان متعددة منها:

1. العطل والتعطل: قال ابن منظور: بَطل الأجير-بالفتح-يبطل بطَالة وبِطالة-بفتح الباء وبكسرها-: أي تعطل فهو بطال[1] وورد في مختار الصحاح معنى البطالة من وَ (بَطَلَ) الْأَجِيرُ (يَبْطُلُ) بِالضَّمِّ (بَطَالَةً) بِالْفَتْحِ أَيْ تَعَطَّلَ فَهُوَ (بَطَّالٌ) أي أن البطالة تعني التعطيل عن العمل[2].
2. الكسل والإهمال: قال أبو البقاء الكَفَوي: »البِطالة-بالكسر-: الكُسالة المؤدية إلى إهمال المهمات[3].
3. الضياع والخسران: قال الزبيدي: بطل الشيء، بُطلا وبُطولًا وبُطلانًا-بضمهن-ذهب ضَياعًا خُسرًا، ومنه قوله تعالى: (وَبَطل مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) وقولهم: ذهب دمه بطلًا، أي هدرًا[4].
4. اتباع اللهو والجهالة والهزل: قال الزبيدي: وبطل، وفي حديثه بطالة: هزل. والتبطيل: فعل البطالة، وهي: اتباع اللهو والجهالة[5].
5. الشجاعة والتشجيع: قال ابن فارس: والبطل: الشجاع، وقالوا في المعجم الوسيط: وتبطل: تشجع[6]. وفي تصوري أنه لا تعارض بين هذه المعاني جميعًا، فإن المعاني الخمسة السابقة يمكن أن تكون متحدة متعانقة، إذ بعضها يحكي حقيقة البطالة، وهو الأول، وبعضها يحكي بعض أسباب البطالة، وهو الثاني، وبعضها يحكي عواقب

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة بطل، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ.
2- الرازي، مختار الصحاح، المحقق/ محمد خاطر، دار الرسالة، بيروت، 1995م، (2/56).
3- الكفوي، الكليات، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط د.ت، (ص247)، الرازي، مختار الصحاح، (1/345).
4- الزبيدي، تاج العروس، مادة بطل (مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط (د.ت).
5- الزبيدي، تاج العروس، مادة بطل.
6- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة بطل، المحقق/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

البطالة، وهو الثالث والرابع، كأن البطالة تعني التعطل الذي من أسبابه: الكسل والإهمال، والذي عاقبته: الضياع، المتمثل في الجرأة على اللهو واللعب والهزل.

البطالة في الاصطلاح:

عرفها الاقتصاديون بقولهم: «عدم وجود فرص كافية لطالبي العمل»[1].

وفي اصطلاح الفقهاء: «العجز عن الكسب في أي صورة من صور العجز كالصغر، والأنوثة، والعته، والشيخوخة، والمرض، أو غير ذاتي: كالاشتغال بتحصيل العلم»[2].

كما تعرف البطالة بأنها: «الحالة التي لا تستطيع فيها الأفراد ممارسة النشاط الاقتصادي خلال مدة زمنية معينة نتيجة لعوامل خارجة عن إرادتهم، بالرغم من كونهم في سن العمل وقادرين عليه، وراغبين فيه، وباحثين وهذا ما يسمى بالبطالة الكاملة»[3].

نستنتج من التعريفات السابقة أن البطالة: هي السعي والبحث عن العمل ولكن لا يجدون العمل الذي يتناسب مع وضعهم الاجتماعي أو مع أوضاعهم الصحية.

ثانيًا: البطالة من منظور الاقتصاد الوضعي.

عرف الاقتصاديون البطالة بقولهم: «عدم وجود فرص كافية لطالب العمل»[4].

وعرفت منظمة اللجنة الاقتصادية والاجتماعية للأمم المتحدة البطالة وجرى استخدام هذا التعريف في معظم دول العالم بأنها: «يقصد بها نسبة السكان غير المنخرطين في العمل المنتج لأسباب تخرج غالبا عن إرادتهم»[5].

وتعرف منظمة العلم الدولية المتعطلين عن العمل بأنهم الأشخاص الذين هم في سن العمل، القادرون عليه، الباحثون عليه، ويقبلونه عند الأجر السائد، لكنهم لا يجدونه[6].

1- مدني عبد القادر، تنمية القوى البشرية، دار الموسوعة للنشر والتوزيع، 2009م، (ص32).
2- الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، دولة الكويت ط2، دار السلاسل، الكويت (8/86).
3- السوداني، دور الزكاة في التصدي لظاهرة الفقر والبطالة، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2010م، (ص90).
4- مدني عبد القادر، إدارة الموارد البشرية، (ص32).
5- جمال حسن المراحنة، مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة بين الفقه والقانون، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق بيروت، ط1، 2000م، (ص48).
6- حلمي جلال، الأبعاد الاجتماعية لمشكلة البطالة في المجتمع تداعياتها وأساليب مواجهتها رؤية مستقبلية، جامعة عين شمس، مصر، 2008م، (ص5).

فهي عدم القدرة على استيعاب أو استخدام الطاقات أو الخدمات البشرية المعروضة في سوق العمل الذي يعتمد على العرض والطلب والذي يتأثر بقرارات أصحاب العمل والعمال والأنظمة التي تفرضها الدول من أجل التقيد بها وفي سوق العمل تتلاقى هذه القرارات مع قرارات هؤلاء الذين هم في حاجة إلى خدمات الأفراد»[1].

رابعًا: أسباب البطالة:

يكاد يتفق الباحثون على أن شيوع البطالة ترجع إلى الأسباب الآتية:

1. ندرة الموارد الاقتصادية؛ حيث أدت إلى عدم وجود فرص وظيفية للعاطلين خاصة مع التحويلات الكبيرة التي يمر بها الاقتصاد العالمي وانعكاسات على الاقتصاديات الناشئة.

2. انتشار ثقافة احتقار العمل اليدوي العضلي، والحط من شأنه، وفي مقابل ذلك تمجيد العمل الذهني المرتبط بالوظيفة العمومية[2].

3. عجز الموازنات عن تمويل مشروعات استصلاح الأراضي الزراعية، وإعادة تأهيل الريف أجبر كثيرا من العاملين في القطاع الزراعي مثلا على التوقف عن العمل، واتجه آخرون نحو الأعمال الخدمية التي تتصف بضعف قابليتها على تلبية متطلبات الأسرة[3].

خامسًا: نظرة الإسلام من البطالة والنتائج المترتبة على الفرد والمجتمع:

لقد عُنيَ الإسلام بالمجتمع الإنساني، واهتم بعلاج مشكلاته وأدوائه؛ لأنه دين إنساني، جاء بتكريم الإنسان وتحريره، ففيه تتعانق المعاني الروحية، والقيم الإنسانية، وقد تجلى ذلك واضحا في ثنايا آيات القرآن الكريم، والأحاديث النبوية.

قال تعالى ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [4] ، وأيضا قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ

1- شهدان عادل عبد اللطيف، التنمية المستدامة ما بين أطر التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وعلاقتها بالموارد البشرية، دار الفكر الجامعي، 2020م، (ص137).
2- قاسيمي ناصر، خريجو الجامعة وسوق العمل (ص180).
3- عثمان بن محمود بن محمد، مشكلة البطالة في السودان (ص10).
4- سورة هود، الآية61

لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [1]

ولقد حذر الإسلام منها ونفر وتوعد عليها وأنذر فقد قال تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ﴾ [2]، أي أن الإنسان المصنف ضمن البطالة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية فهو محاسب على ذلك ومعاقب أيضا، ولا يوجد له عذر ما دام الله قد منحه القدرة على العمل، وسخر له الأرض والكون بما فيه لخدمته وللجد والعمل.

وقد آذنت السنة النبوية بالحرب على البطالة، وحاصرتها حصارا محكما، وقعدت لها كل مرصد، لتدفع بذلك الخطر عن العقيدة والدين والسلوك والأخلاق، ولتحفظ الأسرة، وتصون المجتمع عن المهالك والمنزلقات، وعن المفاسد والمساوئ التي يمكن أن تخلفها البطالة في حياة الأفراد والمجتمعات؛ فعن عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ، وَجِهَادٌ فِي سَبِيلِهِ، قُلْتُ: فَأَيُّ الرِّقَابِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: أَعْلاَهَا ثَمَنًا، وَأَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَفْعَلْ؟ قَالَ: تُعِينُ ضَايِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ»[3].

فالسنة في هذا الحديث تواجه البطالة، وذلك ببيان بعض صورها؛ كإعانة الصانع؛ يعني أن توجد له عملا، والصناعة للأخرق؛ أي تعلمه مهنة او حرفة.

ثالثًا: البطالة بين الشريعة والقوانين الوضعية:

ومن خلال النظر في منطوق ومفهوم هذين التعريفين بين الشريعة والقوانين الوضعية تتبدى لنا حقيقتان:

أن القوانين الوضعية تفتح الباب بهذا التعريف الذي عرفت به البطالة للتسول، بحجة أن العامل لا يجد عملًا مناسبًا.

أن الشريعة الإسلامية تضيق بتعريفها للبطالة دائرة التسول، إذ تحمل كل قادر على العمل أن يعمل، ولا يعنيها ما العمل، طالما أنه لا يتعارض مع أصولها (الكتاب والسنة) والحاجة تفتق الحيلة، إذ يستطيع القادر على العمل أن يعمل بائعًا، أو مزارعًا، أو صانعًا أو حطابًا، ونحوها، وليس شرطًا أن يجد عملًا يتناسب مع وضعه التخصصي، أو الوظيفي، بل عليه أن يعمل إذا كان العمل يحقق له الكفاية، ويغنيه عن السؤال، وإراقة ماء الوجه[4].

1- سورة الملك، الآية15

2- سورة الكهف، الآية7

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب أي الرقاب أفضل (3/144) حديث رقم (2518).

4- جمال حسن أحمد عيسى، مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، مكتبة الرشد، اليمامة، 2000م، (ص34).

المبحث الأول: منهجية السنة النبوية في قضايا البطالة

في السنة النبوية العديد من الأحاديث التي تحث على العمل والكسب، وذم الكسل وإضاعة العمر والجد والوقت في مغريات الدنيا وملذاتها، وتمثل ذلك في العديد من الاستراتيجيات التي تساعد على تحقيق التنمية المستدامة:

المطلب الأول: المنهج النبوي في التعامل مع البطالة.

تعددت منهجية السنة النبوية في ثراء السبل والوسائل التي يمكن من خلالها التعامل مع مشكلة البطالة، وقد تلاحظ ذلك من خلال العديد من الأحاديث النبوية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنْ النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنْ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[1].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على الحرص على العمل والكد والتعب وإن كان متعبا وشاقا، ولكن العيب هو التقاعس عن العمل وحاجة الناس.

عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَإِنَّ أَوْلَادَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ»[2].

ففي هذا الحديث بيان أهمية الكسب والعمل، وخاصة الذي يأكله المسلم من عمل يده حلالا طيبا، خير من طلب الحاجة من الناس وهو قادر على العمل.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (2/112) حديث رقم (1427).

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، أبواب التجارات، باب ما للرجل من مال ولده (3/390) حديث رقم (2290)، قال محققه: حديث صحيح، وهذا إسناد ضعيف لجهالة عمة عمارة بن عمير، فإنه لا يؤثر توثيقها عن أحد، لكنها قد توبعت. وأبو داود في سننه، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط د.ت)، كتاب البيوع، باب في الرجل يأكل من مال ولده (3/289) حديث رقم (3528)، والترمذي في سننه، المحقق/ أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، أبواب الأحكام، باب ما جاء أن الوالد يأخذ من مال ولده (3/631) حديث رقم (1358) من طريق عمارة بن عمير، به.

وقد اعتبر النبي ﷺ الخروج للعمل جهادا، «عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»[1].

ونظرا لأهمية العمل في الإسلام وحثه على الكسب لأخر لحظة في حياته ولو قامت الساعة مما يدل على تكريم العمل والحرص عليه؛ فعن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»[2].

إن الدول المتقدمة تسعى بكامل جهدها لكي تواجه البطالة باستخدام أيديولوجية السوق بإيجابياتها وسلبياتها؛ حيث إنها لا تلقي اهتمامًا إلا على النظرة الفردية في إشباع الحاجات المادية للأفراد، ففي هذا المثال يرى الكلاسيكيون أن مرونة الأجور كفيلة للتخلص من البطالة؛ لأن الأجور عندما تكون منخفضة يعمل ذلك على زيادة الطلب على العمالة، فيساعد ذلك المجتمع على مواجهة البطالة، وعلى عكس ذلك قدمت الشريعة الإسلامية الكثير من الحلول لمواجهة مشكلة البطالة وفق التوجيهات الربانية، وقامت الشريعة الإسلامية باتخاذ أفضل السبل في مواجهتها من خلال الأصول العامة التي تستخرج من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة[3].

وتعتبر الشريعة الإسلامية أول من قدم مفهوما متكاملا عن العمل ورفضها للبطالة؛ فلقد شجع رسول الله ﷺ المشروعات الاقتصادية بين المسلمين، وحثهم على المزارعة، كما فعل الأنصار مع إخوانهم المهاجرين الفقراء الذين قدموا المدينة بلا أدنى مال، «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَتِ الأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «لاَ» فَقَالُوا:

1- أخرجه الطبراني، المعجم الأوسط، دار الحرمين، القاهرة، ط (د.ت) (7/56) حديث رقم (6835)، صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، (1/301).

2- أخرجه البزار في مسنده، المحقق/ محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1988م، (14/17) حديث رقم (7408)، صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، (1/300).

3- محمود فاروق محمد، منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة، المجلة العلمية للاقتصاد، دمنهور، 2019م، (ص12).

تَكْفُونَا المَئُونَةَ، وَنَشْرَكْكُمْ فِي الثَّمَرَةِ، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا»[1].

قال الدكتور فتح الرحمن علي محمد صالح: «تؤدي المشاركة دورا كبيرا في إنشاء مشروعات جديدة تقوم على العديد من الصيغ التمويلية الإسلامية المختلفة»[2]، فهي تساهم بدور كبير في خلق فرص عمل جديدة، حيث إن تلك المشروعات تتطلب موارد بشرية من أجل قيام المشروع، كما تعمل على خلق مناخ آمن من الاستثمار داخل البلاد.

وكل ما جاء به الإسلام يمثل المنهج الذي يقضي على البطالة، وأن هذا الدين مليء بالحلول والتصورات حول هذه الظاهرة وما تخلقه من تبعات؛ لأن النظام الاقتصادي الإسلامي يمثل نسيجا لا مثيل له بين النظم الاقتصادية المعاصرة، من حيث مقوماته ومثاليته الخاصة، حيث يقوم الاقتصاد الإسلامي على العقيدة والإيمان بالله ﷻ ومع هذا الإيمان يتوافر عنصر الرقابة الغيبية، وهو مالا تعرفه النظم الوضعية الأخرى.

وهذا الذي تقوم عليه الأنظمة الوضعية كلها بلا استثناء؛ لأنها تنسى أو تتناسى قضية إشعال المراقبة الذاتية، أو إشعال مراقبة الإنسان لنفسه عن طريق أن الله يسمع ويرى، فهم لا ينظرون إلى هذا إطلاقًا، ولذلك من السهل جدًا أن يقول أحدهم: أن عاطل، أو متبطل، ويجد ثغرة في القانون تساعده على ذلك[3]. وأما في النظام الإسلامي، فتبقى قضية المراقبة لله هي الأساس في كل شيء، في المعاملات وفي غيرها، فإن المسلم لا يجيز لنفسه أن يقول أنا عاطل، استحق حقوق البطالة، وهو ليس كذلك، أو يقول: أنا محتاج وهو ليس كذلك؛ لأنه يخاف أن يأخذ مالًا ليس له، فيكون سحتًا، فيأكله حرامًا، فيعاقبه الله يوم القيامة على ذلك، فهذا الوازع الديني تفتقده الأنظمة الوضعية[4].

وبهذه القيم يظل المجتمع متماسك البنيان، متوازن الأركان، لا تنهشه أمراض الحقد والحسد، والنظر إلى ما في يد الآخرين، فتمتلئ بطون بعضهم، في حين لا يجد غيرهم ما يسد به رمقه، أو يبقي على حياته، فكان الإسلام ناجحا في إيجاد الحلول العملية والواقعية

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مئونة النخل أو غيره (3/104) حديث رقم (2325).

2- فتح الرحمن علي محمد صالح، دور الصكوك الإسلامية في تمويل المشروعات التنموية، مجلة المال والاقتصاد، بنك فيصل الإسلامي السوداني، العدد 59، 2008م، (ص46).

3- د/ حسن قدوس، فقه المدخل، دروس في مبادئ القانون: النظرية العامة للقاعدة القانونية (ص140).

4- نهاد عبد الحليم، البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضيعة المعاصرة، الكويت، 1997م، (ص18).

لمشكلة البطالة، ولعل هذه الطريقة الفريدة في علاج مثل هذه المشكلة من أبلغ الأدلة على نبوته ﷺ، وعلى أن المنهج الذي أتى به ليس منهجا بشريا بحال، إنما هو وحي الله العليم الخبير[1].

المطلب الثاني: الموازنة بين المصالح العامة والخاصة:

ينبغي تعزيز التعاون بين تحقيق المصلحتين العامة والخاصة؛ لتوفير فرص عمل، وإن كان هذا المفهوم فطنت إليه البشرية في وقتنا المعاصر كاستراتيجية لمواجهة البطالة فلقد ظهرت جليا في ثنايا الأحاديث النبوية، ودعا إليه النبي ﷺ أصحابه.

فلقد أقام الإسلام نوعا جديدا من أنواع التكافل المزدوج بين الفرد والجماعة، فأوجب على كل منهما التزامات تجاه الآخر، ومازج بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة، بحيث يكون تحقيق المصلحة الخاصة مكملا للمصلحة العامة، وتحقيق المصلحة العامة متضمنا لمصلحة الفرد، فعن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ قال: لَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ، تَزَوَّجْتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لاَ حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقُ قَيْنُقَاعٍ»[2].

يتجلى من هذا الموقف مدى التكافل الاجتماعي بين المسلمين؛ فلم يترك سعد أخاه يحمل هم ما يغنيه في المدينة، وفي الوقت ذاته يظهر الموقف عدم تواكل عبد الرحمن بن عوف على مال سعد بن الربيع.

المطلب الثالث: إحياء ما دعا إليه الفقه الإسلامي من باب المضاربة:

وهو باب من أبواب التكافل الاجتماعي في ضوء السنة النبوية لحل مشكلة البطالة؛ (عقد المضاربة): وهو أن يدفع الإنسان ماله إلى آخر يتجر فيه، والربح بينهما، وهي جائزة بالإجماع[3] ومن السنة ما قام به النبي ﷺ من المضاربة في مال السيدة خديجة، إذ انها كانت تضارب الرجال في مالها، فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعقله وأمانته وكرم أخلاقه بعثت إليه فعرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام تاجرًا،

1- محمد خير هيكل، مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، دار الكتب والوثائق العراقية، 1995م، (ص166).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب كيف آخى النبي ﷺ بين أصحابه (5/69) حديث رقم (3937).

3- ابن قدامة، الكافي في فقه ابن حنبل، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م، (2/267).

وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار مع غلام لها يقال له: ميسرة. فقبله منها رسول الله ﷺ فخرج في مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام[1].

وبهذا فتح الإسلام بابًا كبيرًا في إيجاد حل لمشكلة كل من صاحب المال الذي كان عاجزا عن تحقيق رغباته الاستثمارية، والمضارب الذي كان راغبا في إشباع حاجاته الضرورية، فهذا عمل إيجابي، وتوسعة على المسلمين، وفتح فرص عمل جديدة، واستيعاب أكبر عدد ممكن من العاملين في السوق؛ لأن المضاربة قد تتحول إلى زراعة، أو صناعة، أو تجارة، أو حرفة، وهذا يسهم في الاستفادة من العمالة الموجودة بالأسواق، ورفعة عملية الإنتاج، وحل لمشكلة البطالة.

المطلب الرابع: تعزيز مسؤولية الحكام في القضاء على البطالة

تتحمل الدولة المسؤولية في الاطلاع على مشكلة البطالة والعمل على حلها: فتلتزم الدول وولاة الأمور في البلدان بالعبء الكبير في القضاء على البطالة بحكم المسؤولية التي أسندت إليهم، وقد شدد النبي ﷺ على الحكام من أجل القيام بواجبهم نحو الرعية؛ «عَنِ الحَسَنِ، قَالَ: أَتَيْنَا مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ نَعُودُهُ، فَدَخَلَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ مَعْقِلٌ: أُحَدِّثُكَ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «مَا مِنْ وَالٍ يَلِي رَعِيَّةً مِنَ المُسْلِمِينَ، فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لَهُمْ، إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ»[2].

وقد أرشدت السنة النبوية إلى وسائل دعم الدول للشباب في عديد من الاستراتيجيات أقتصر منها على: إحياء الأرض الموات؛ فتلتزم الدول وولاة الأمور في البلدان بالعبء الكبير في القضاء على البطالة بحكم المسؤولية التي أسندت إليهم، في تناسق عجيب يستحيل أن يوجد في أي قانون وضعي، بإقطاع الأراضي للشباب لتعميرها والاستفادة منها؛ «فعَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ[3]، وعن عُمَرُ: مَن أحيا أرضًا ميتةً فهي له[4] وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللّٰه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰه ﷺ: مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيْتَةً،

1- ابن هشام، السيرة النبوية، المحقق/ طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط (د.ت) (2/6).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب ما يكره من الحرص على الإمارة (9/64) حديث رقم (7151).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا (3/106) حديث رقم (2335).

4- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الموات (3/178) حديث رقم (3073)، صححه الألباني، صحيح الجامع الصغير (2/1036).

فَلَهُ مِنْهَا - يَعْنِي أَجْرًا -، وَمَا أَكَلَتِ الْعَوَافِي مِنْهَا، فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ»[1]و «عَنْ أَنَسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ، أَوْ إِنْسَانٌ، أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»[2].

قال ابن حجر: «ومقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس أو الزرع مأكولا منه ولو مات زارعه أو غارسه ولو انتقل ملكه إلى غيره وظاهر الحديث أن الأجر يحصل لمتعاطي الزرع أو الغرس ولو كان ملكه لغيره لأنه أضافه إلى أم مبشر ثم سألها عمن غرسه قال الطيبي نكر مسلما وأوقعه في سياق النفي وزاد من الاستغراقية وعم الحيوان ليدل على سبيل الكناية على أن أي مسلم كان حرا أو عبدا مطيعا أو عاصيا يعمل أي عمل من المباح ينتفع بما عمله أي حيوان كان يرجع نفعه إليه ويثاب عليه»[3].

وإذا نظرنا إلى الحديث الشريف (مَن أحيا أرضًا ميتةً فهي له) نجد أن الحديث يحقق عدالة إنتاجية وإرضاء للطموحات الشخصية للأفراد، وفيه تحفيز للهمم وتشجيع على العمل، وبذل للجهد في الإنتاج، ونهي عن الكسل، والعجز، والبطالة، فالذي لا يجد عملا فإحياء الموات باب مفتوح أمامه على مدار الساعة، فمن دخله يصبح منتجا قويا، بعد أن كان مستهلكا ضعيفا، ويتحقق الإعمار والإحياء بالزرع أو حفر الآبار، أو بناء المصانع، وإقامة الشركات المنتجة لما يلزم الناس، كل ذلك يقلل من البطالة، ويزيد دخل الفرد والمجتمع.

المبحث الثاني: طرق معالجة السنة النبوية لقضية البطالة وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العمل والمهن:

ولعل من أهم هذه السبل والآليات التي حفلت بها السنة النبوية في مواجهة هذه الآفة الخطيرة، آلية تصحيح المفاهيم وتصويب الأفكار الخاطئة عن العمل والمهن، واعتباره من العبادة والصدقة، والرفع من شأن العمل باعتباره من شأن الأنبياء:

1- أخرجه أحمد في مسنده (22/170)، صححه الألباني، السلسلة الصحيحة، (2/11).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس (3/103) حديث رقم (2320).

3- ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (5/4).

تميزت شريعتنا بمراعاة التنظير والتطبيق، بمعنى أن سنة نبينا محمد ﷺ قدمت إلى جانب الحث والدعوة إلى العمل فرص عمل حقيقية، فقد شجعت على الكسب من العمل ورغبت فيه، «عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: خَيْرُ الْكَسْبِ، كَسْبُ يَدِ الْعَامِلِ إِذَا نَصَحَ»[1].

وفي ذات الوقت أوجدت بيئةً وفرصًا مناسبة للعمل، حيث أنشأ النبي ﷺ سوقا جديدة قريبة من سوق بني قينقاع، فضربت قبة أي خيمة كبيرة لتكون رمزا وعلامة يتجمع حولها المسلمون للبيع والشراء؛ «فعن أَبِي أُسَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النَّبِيطِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقٍ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَذَا السُّوقِ، فَطَافَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُنْتَقَصَنَّ وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَاجٌ»[2] فالسنة النبوية كانت تطبيقا عمليا لهذه المبادئ والقيم، التي تعمل على حل مشكلة البطالة، فكانت معالجته معالجة عملية، استخدم فيها رسول الله ﷺ كل الطاقات والإمكانات المتوافرة لدى الشخص الفقير، وإن تضاءلت؛ حيث علمه رسول الله كيف يجلب الرزق الحلال من خلال عمل شريف.

كما شجع رسول الله ﷺ المشاريع الاقتصادية بين المسلمين وحثهم عليها؛ كالمزارعة مثلا، وهو ما فعله بين الأنصار وإخوانهم المهاجرين الفقراء، الذين قدموا على المدينة بلا أدنى مال، «فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قالت الأنصار للنبي ﷺ: اقسمْ بيننا وبَيْن إخواننا النَّخِيلَ، فقال: «لا»، فقالوا: تَكْفُونَا الْمُؤْنَة، وَنَشْرَككُمْ في الثمرة، قالوا: سمِعْنا وأَطَعْنا»[3].

فبيد أن السنة النبوية تتفرَّد بالنظرة النبويَّة للعمل، فإنها كذلك تربط بين العمل وثواب الله في الآخرة؛ «عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، أَنَّ رَجُلًا، مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغْرِسُ غَرْسًا بِدِمَشْقَ فَقَالَ لَهُ: أَتَفْعَلُ هَذَا وَأَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: لَا تَعْجَلْ عَلَيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

1- أخرجه أحمد في مسنده (14/136) حديث رقم (8412)، قال محققه: إسناده صحيح، أخرجه السيوطي في الجامع الصغير وأشار إلى حسنه.

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجارات، باب الأسواق ودخولها (2/751) حديث رقم (2233)، قال محققه: ضعفه الألباني.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب إذا قال: اكفني مئونة النخل أو غيره (3/104) حديث رقم (2325).

يَقُولُ: مَنْ غَرَسَ غَرْسًا لَمْ يَأْكُلْ مِنْهُ آدَمِيٌّ، وَلَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً"[1].

وهذه النصوص إن دلت فإنها تدل على أن الرسول ﷺ قد اهتم بتعبئة الموارد البشرية والطبيعية، ودعا إلى ضرورة توظيفها توظيفا منضبطا بالقدر الذي يؤمّن كفاية الإنسان.

كذلك حث النبي ﷺ على الصناعة؛ «عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ ﷻ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الْوَاحِدِ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ الْجَنَّةَ، صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الْخَيْرَ[2]، وقد حث النبي ﷺ أيضا على العمل بالتجارة؛ عَنْ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: التَّاجِرُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ الْمُسْلِمُ، مَعَ الشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

كذلك حث النبي ﷺ على العمل في الطب؛ فأباح النبي لأصحابه أخذهم الأجرة على التطبيب بالرقية، «عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ المَاءِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي المَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَانْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا المَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»[4].

1- أخرجه أحمد في مسنده (45/498) حديث رقم (27506)، قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله موثقون. انظر: مجمع الزوائد، (4/68).

2- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في الرمي (2/320) حديث رقم (2515)، والترمذي في سننه، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الرمي في سبيل الله (3/274) حديث رقم (1637)، وابن ماجه في سننه، كتاب الجهاد، باب الرمي في سبيل الله (4/345) حديث رقم (2811). وفي إسناده خالد بن زيد؛ مقبول، وقد تابعه عبد الله بن زيد الأزرق؛ عند الدارمي، كتاب الجهاد، باب فضل الرمي والأمر به، وعبد الله بن زيد؛ مقبول؛ وذكره ابن حبان في الثقات، (5/15)، فيتقوى إلى الحسن لغيره.

3- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب التجارات، باب الحث على المكاسب (3/510) حديث رقم (2139)، وفي إسناده كلثوم بن جوشن؛ مختلف فيه، وضعفه ابن حجر في التقريب (ص462)، وجوّد الذهبي إسناد الحديث؛ فقال: وهو حديث جيد الإسناد، انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال، المحقق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1963م، (3/413)، وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري؛ أخرجه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التجار (2/498) حديث رقم (1209)، وقال: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والدارمي في المسند، المحقق/ حسين سليم أسد، دار المغني للنشر والتوزيع، السعودية، ط1، 2000م. كتاب البيوع، باب في التاجر الصدوق (3/1653) حديث رقم (2581).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم (7/131) حديث رقم (5737).

المطلب الثاني: إعادة التوزيع من خلال الزكاة والميراث والصدقات والوقف

أولا: أثر الزكاة والميراث في معالجة البطالة:

من الوسائل التي جاء بها الإسلام للتخلص من البطالة وزيادة العمالة، فريضة الزكاة، فقد نص الفقهاء قديما وحديثا على أن من لا يجد عملا يعطى من سهم الفقراء والمساكين، لكن ينبغي التأكيد هنا على أن المقصود بالعاطل من يبحث عن العمل ولا يجده، أما البطالة الاختيارية فليس لأصحابها من الزكاة نصيب.

والزكاة من شأنها أن تقضي على أسباب البطالة، ومن أهم تلك الأسباب الفقر؛ لأن الفقر قد يحول بين الإنسان وإنشاء تجارة أو صناعة، فتأتي الزكاة لسد هذا الجانب.

والزكاة إنما تدفع الناس لاستثمار أموالهم حتى لا تأكلها الزكاة في حال بقائها مكتنزة، وهذا الاستثمار يعمل على زيادة الطلب على الأيدي العاملة وإيجاد الفرص الجيدة.

ولا يقتصر دور الزكاة على إيجاد فرص العمل، بل تحسين نوعيته من خلال الإنفاق على طلبة العلم أو استثمار حصيلتها في تدريب وتعليم المستحقين.[1]

وتسهم الزكاة تدريجيا في إعادة توزيع الثروة والدخل بشكل متوازي، يحقق المساواة والعدالة، فهي تؤخذ من الغني، وتعطى للفقراء، فإذا طبقت الزكاة بحق، فلا بد أن نتداول الثروة بين الناس ليتحول الفقير الآخذ إلى معط والزمن لحدوث هذا التغيير إنما يعتمد على المعدل السنوي للربح أو الخسارة، ومما يساعد على ذلك أنه لا يشترط أن يتخذ مقدار ما يعطى لكل مستحق بمقدار معين، أي أنه يحق لصندوق الزكاة أن يعطي ما يغني الفقير، بحيث ينقل من آخذ إلى معط بزيادة طاقته الإنتاجية[2].

فقد أثبت النبي ﷺ فريضة الزكاة، فعن ابن عباس «قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: ... فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ»[3].

1- ختام عارف حسن عماوي، دور الزكاة في التنمية الاقتصادية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، 2010م، (ص71-69).

2- المصدر نفسه (ص75).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد من الفقراء (2/128) حديث رقم (1496).

وإن للزكاة وظائف اجتماعية واقتصادية مهمة؛ حيث تحدث الانسجام والتآخي بين أفراده وتقلل من الفروق الطبقية التي تؤدي إلى الصراع الطبقي، وتسهم في توزيع الثروة، وإنعاش الطبقات الفقيرة، وزيادة الفاعلية والإنتاجية بين أفرادها، وبإمكان الدول الإسلامية تنظيم الزكاة بحيث تحول الفقراء إلى طبقة أغنياء منتجين؛ من خلال الشراء بأموال الزكاة أدوات إنتاجية سواء الآلات والمصانع والمزارع لصالح الفقراء أفرادا وجماعات، وتدريبهم مهنيا؛ بما يسهم بطريقة فاعلة في الحد من ظاهرة البطالة[1].

فالزكاة تعد من التشريعات الاقتصادية المهمة في النظام الإسلامي، من خلال إيجاد فرص العمل لدعم وتشجيع وتنمية القدرات الذهنية والمهنية لتلك الطاقات وتحويلها إلى طاقات فاعلة منتجة في مجتمعها[2].

كذلك الأحاديث النبوية الواردة في الميراث؛ «فعَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُنِي عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: لاَ فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: لاَ ثُمَّ قَالَ: الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي امْرَأَتِكَ»[3].

ففي الحديث إشارة إلى أهمية الإرث الذي يعمل على إعادة توزيع الدخول والثروات من خلال دورة الحياة على أساس القرابة وصلة الرحم، فالوصية للمورث بألا يتصدق بجميع ماله؛ خشية أن يدعهم فقراء، بل يترك لهم نصيبا من التركة يغنيهم عن السؤال، ويوفر لهم فرص العمل التي تغنيهم عن غيرهم.

ثانيا: أثر الصدقات والوقف في معالجة البطالة:

ترمي الشريعة الإسلامية إذ دعت إلى الصدقات والوقف نوع منها، إلى تحقيق العديد من الأهداف، ومنها معالجة البطالة، وتشتد الحاجة إليها في أزمنة الجوائح، كزمن وباء كورونا، الذي عرف العالم أجمع فيه قيمة الصدقة والوقف في المساهمة في علاج غير

1- د/ طالب حماد أبو شعر، البطالة وعلاجها في السنة النبوية، جامعة فلسطين، 2013م، (ص12).
2- نجاح أبو الفتوح، الاقتصاد الإسلامي النظام والنظرية، دار الموسوعة للنشر والتوزيع، 2016م، (ص199).
3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الهبات، باب الوصية بالثلث (3/1250) حديث رقم (1628).

القادرين على العلاج، كما أنهما مصدر من مصادر التمويل للمشروعات؛ من أجل حل مشكلة البطالة، وفي ظل مستجدات العصر لم تعد الدولة قادرة على علاج تلك المشكلة، فتمس الحاجة إلى أن تسهم الصدقات، والوقف في الإنفاق على تلك المشروعات، والإسهام في تنمية المجتمع، وتمويل تلك المشروعات من أموال الصدقات والوقف في ظل ضعف الإنفاق من قبل الدولة على تلك المشروعات، وحق على فقهاء العصر أن يقترحوا صورا جديدة للصدقات والوقف، يمكن أن تساهم في تحقيق التنمية لمجتمعات المسلمين، وأن يقوموا بعد ذلك بإصدار الأحكام عليها، انطلاقا من عنصر الاجتهاد، حيث إن فقه الوقف في الغالب قائم على الاجتهاد فهو فيما لم يرد فيه نص يتغير بتغير الزمان، وتغير الأعراف والتقاليد[1].

والمقصود من الصدقة والوقف هو أن يصل الوقف والصدقة إلى أكبر شريحة من المجتمع، وأن يسهم بشكل فعال في تنمية المجتمع، والارتقاء به وبالأخص في ظل انخفاض الإنفاق الرسمي على بعض المشروعات التي تحتاج إلى إنفاق دائم ومستمر ومنظم، ويعتبر الوقف الإسلامي من العقود المنظمة والتي أسهمت في الماضي، وتسهم في الوقت الحاضر بشكل فعال في الارتقاء بالمجتمع وسد احتياجات الناس، والقضاء على البطالة، أو المساهمة في الحد منها.

فالصدقات والوقف يستخدمان في إقامة المشروعات الخيرية، فهما تنشران الود والحب والوئام، نلمس ذلك في قول النبي ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ».[2]

إن المقصد من الوقف هو استمرار منفعته للأجيال القادمة، فهو عبارة عن حبس الأصل والتصدق بالمنافع، وهذه هي نقطة الانطلاق في استثمار الوقف ودوره في تنمية رؤوس الأموال الكبيرة وتثميرها[3].

1- د/ حسن محمد الرفاعي، وقف العمل المؤقت في الفقه الإسلامي، ورقة بحثية مقدمة إلى المؤتمر المقام بمكة المكرمة بعنوان" الصيغ التنموية والرؤى المستقبلية" سنة 2006م.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المظالم والغضب، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه (3/128) حديث رقم (2442).

3- د/ محمد الزحيلي، الاستثمار المعاصر للوقف (ص6).

قال الزحيلي: إن القصد من استثمار الوقف هو تحقيق أكبر عائد للوقف، أو تأمين أعلى ربح أو ريع من الأصل، وذلك بالبحث عن أفضل الطرقة المشروعة التي تؤمن ذلك، ليتمم صرفه على جهات الخير الموقوف عليها، ولحفظ قسم منها لعمارة الأصل، أو ترميمه، لضمان بقائه، واستمراره للعطاء[1].

والاستثمار للوقف؛ ليقوم بدوره في تنمية رؤوس الأموال وتنميتها ليس وليد هذا العصر، وإنما هو محل اهتمام العلماء من قديم، ويجتهد العلماء في جعل الوقف أكثر عطاء، ومواكبة للتطورات العصرية، والتحديات المعاصرة، وذلك من خلال ابتكار طرق جديدة في استثمار أموال الوقف، وتنميتها، بحيث تستطيع أن تفي بالاحتياجات المطلوبة منها، وذلك من أجل حل مشكلة البطالة، والقضاء عليها.

ويتضح مما سبق أن الصدقة والوقف لهما دور كبير في علاج مشكلة البطالة، من خلال استخدام تلك الأموال في إقامة مشروعات تفتح المجال أمام التوظيف للقوى العاملة، وبالتالي توظيف أكبر قدر من الشباب وغيرهم، وبالتالي المساهمة بصورة كبيرة في علاج مشكلة البطالة.

المطلب الثالث: دور المجتمع المدني في دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة:

ينبغي استثمار الثروة البشرية، وإيجاد فرص للقادرين، وتأهيل العاطلين، وإعدادهم لسوق العمل: وهذه استراتيجية مهمة لتوفير دعم المؤسسات الصغيرة والمتوسطة؛ ويمكن من خلالها أن تلعب المؤسسات الصغيرة والمتوسطة دورًا هامًا في خلق فرص عمل وتعزيز الاقتصاد المحلي.

وقد جعل الإسلام مهمة مكافحة البطالة موكلة للدولة باعتبارها المسؤولة عن الرعية لحديث رسول الله ﷺ كما دل عليه «ما رواه ابن عمر عن النبي ﷺ: كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالإِمَامُ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ فِي مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، قَالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلاَءِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَحْسِبُ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:

1- المصدر نفسه (ص7).

وَالرَّجُلُ فِي مَالِ أَبِيهِ رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»[1].

وهذه المسؤولية تقتضي الالتزام بأداء الواجبات، والعمل على إنجاز الأعمال والمكلف بها شرعا، وهو يعزز الإيجابية في حياة الإنسان، والفاعلية في المجتمع.

ودور المجتمع المدني في معالجة البطالة هنا يتمثل في الآتي:

1. المعالجة التربوية.
2. تمويل المشروعات من خلال ما سبق ذكره من تخصيص قدر من أموال الزكاة وغيرها لتمويل المشروعات الصغيرة بتوفير أدوات الصنعة أو رأس مال التجارة أو الأرض وأدوات الحرث والسقي لأصحاب الحرف والمهارات للذين لا يملكون القدر الكافي من المال لإنشاء هذه المشروعات مع وضع شروط ورقابة صارمة تضمن إقامة واستمرار هذه المشروعات[2].

من جهة أخرى ظهر في مطلع القرن الحالي مفهوم المشاريع المتناهية الصغر في الأدبيات الاقتصادية وهي التي يعمل فيها شخص واحد، حيث يعرف المشروع الصغير بأنه ذلك المشروع الذي يقل عدد العاملين فيه عن عشرة أشخاص.

وللتعرف على مدى قبول الإسلام لمعالجة البطالة بهذا الطريقة، وذلك من خلال الأحاديث النبوية الشريفة بقدر ما يتعلق بموضوع البحث؛ فقد تدرج الإسلام من خلال السنة النبوية المطهرة في معالجة البطالة وفق الآتي:

فقد ثبت أن الرسول ﷺ كان يوفر العمل للأفراد القادرين عليه؛ «عن أبي هريرة ﷺ، أن رجلين أتيا رسول الله ﷺ يسألانه فقال اذهبا إلى هذه الشعوب فاحتطبا فتبيعا فذهبا فاحتطبا ثم جاءا فباعا فأصابا طعاما ثم ذهب فاحتطبا أيضا فجاءا فلم يزلا حتى ابتاعا ثوبين ثم ابتاعا حمارين فقالا قد بارك الله لنا في أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»[3].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العتق، باب العبد راع في مال سيده ولا يعمل إلا بإذنه (3/151) حديث رقم (2558)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركه (3/1459) حديث رقم (20/1829).

2- د/ أحمد محمود بكري، أثر التوظيف الذاتي في معالجة الفقر والبطالة في ضوء السنة النبوية، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالإسكندرية، العدد (39)، 2023م، (ص623).

3- الهيثمي، مجمع الزوائد، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م، (3/94).

ونستنبط من هذا الحديث النبوي الشريف:

1. أمر النبي ﷺ للعاطلين بالعمل.
2. إرشادهما إلى عمل محدد، ومما لا يخفى أن التوجيه إلى عمل محدد له تأثير كبير في تشغيل العاطل، لأنه قد يرى أنه لا يصلح للعمل، أو لا يوجد عمل ملائم له، فيظل عاطلا لكنه حينما يوجه إلى عمل محدد ملائم له سرعان ما يشتغل، وهذا ما ظهر لمن أرشدهما عليه الصلاة والسلام إلى عمل محدد.

المطلب الرابع: تعزيز التنمية المستدامة بمحاربة التسول وأثره في معالجة البطالة.

وهنا لا بد من العلاقة المتينة والصلة الوثيقة بين التسول والبطالة: تلك التي تعد من أهم المشكلات التي يعاني العالم منها اليوم، وأكثرها ظهورا وأشدها خطرا على الأمة، وعلى كيانها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والأمني، فالبطالة تعتبر بابا رئيسيا ومعبرا خطيرا يعبر منه المتسولون، وربما جرتهم البطالة إلى الانحراف عن دين الله القويم، واقتراف الرذائل وسلوك سبيل المجرمين، والعبث بالأمن، وانتهاك الحرمات، والاعتداء على أملاك الناس بطرق غير مشروعة[1].

وقد عالج النبي ﷺ المسألة والبطالة، بتوجيه عملي ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَفْتَحُ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَابَ مَسْأَلَةٍ، إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ، يَأْخُذُ الرَّجُلُ حَبْلَهُ فَيَعْمِدُ إِلَى الْجَبَلِ، فَيَحْتَطِبُ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَأْكُلُ بِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ مُعْطًى أَوْ مَمْنُوعًا»[2].

فأرشد إلى استغلال الإمكانيات المادية والبدنية المتوفرة للشخص. إن الحبل وسيلة متوفرة لدى عامة الناس؛ وبإمكان الشخص الصحيح في بدنه أن يشتغل ذلك فيخرج إلى الخلاء حيث يحتطب، ويحمل الحطب على ظهره، ويذهب به إلى السوق أو أصحاب الحاجة؛ فيبيعه، ويكسب من ورائه.

وبذلك فإن الشخص العاطل عن العمل يجد له عملا بأقل الإمكانات، ويتحول من شخص عاطل إلى شخص عامل، ويتحول من شخصية استهلاكية إلى شخصية إنتاجية، ويفيد المجتمع بهذا العمل حيث يزيد بعمله الإنتاج القومي هو وأمثاله.

1- د نهال عبد الحليم، البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضعية المعاصرة، (ص71).

2- أخرجه أحمد في مسنده (15/246) حديث رقم (9421)، صححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (1/199).

وإن الحل يعتمد طريقة سهلة وبسيطة وميسورة لدى عامة العاطلين بحيث يفكر في استغلال ما لديه من إمكانات شخصية واستثمارها في الإنتاج.

وقد ضرب النبي ﷺ مثالا بهذا العمل لإفادة إكرام العاملين على العاطلين، وعدم الترفع عن بعض الأعمال ولو كان جمع الحطب فإنه خير من السؤال.

قال ابن حجر: «وأما قوله خير له فليست بمعنى أفعل التفضيل إذ لا خير في السؤال مع القدرة على الاكتساب»[1] ما دام العمل متوفرا، فذلك يقضي على بطالته، ويكون داعيا له إلى العمل الذي يحفظ عليه كرامته.

فكرامة العنصر البشري هي أساس الإنتاج، لذا حذر الرسول ﷺ من المسألة؛ «عن عبدِ الله بن عُمرَ قال: قال رسول الله ﷺ: ما يزالُ الرجلُ يسألُ الناسَ، حتى يأتيَ يومَ القيامةِ ليسَ في وَجهِهِ مُزعةُ لحمٍ[2] فلا بد أن يرتبط العمل الطيب والمنتج بالبعد عن مسألة الناس؛ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ بِعَطَاءٍ، فَرَدَّهُ عُمَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمَ رَدَدْتَهُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَيْسَ أَخْبَرْتَنَا أَنَّ خَيْرًا لأَحَدِنَا أَنْ لاَ يَأْخُذَ مِنْ أَحَدٍ شَيْئًا؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنَّمَا ذَلِكَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ، فَأَمَّا مَا كَانَ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، فَإِنَّمَا هُوَ رِزْقٌ يَرْزُقُكَهُ اللَّهُ فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ أَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا، وَلاَ يَأْتِينِي شَيْءٌ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ إِلاَّ أَخَذْتُهُ»[3].

وفي هذا تشجيع للفرد على البحث عن العمل مهما واجهته الصعوبات، مما يقضي على مشكلة البطالة. قال الإمام الغزالي: «السؤال حرام في الأصل وإنما يباح بِضَرُورَةٍ أَوْ حَاجَةٍ مُهِمَّةٍ قَرِيبَةٍ مِنَ الضَّرُورَةِ فإن كان عنها فهو حرام وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا ينفك عن ثلاثة أمور محرمة: الأول إظهار الشكوى من الله تعالى إذ السؤال إظهار للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه، الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه لغير الله تعالى وليس للمؤمن أن يذل نفسه لغير الله إلا لضرورة، والثالث أنه لا ينفك عن إيذاء المسئول غالبًا[4].

1- ابن حجر، فتح الباري (3/336).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرا (2/123) حديث رقم (1474).

3- أخرجه مالك في الموطأ، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ، كتاب الصدقة، باب ما جاء في التعفف عن المسألة (2/998)، صححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب (1/206).

4- الإمام الغزالي، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، ط. د.ت، (4/210).

الخاتمة

وتشتمل على:

أولا: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

1. وضوح المنهج النبوي العملي في معالجة قضايا البطالة التي تعني وجود العامل وعدم توافر فرص العمل.
2. براعة التكييف الشرعي لأحكام الزكاة والصدقات والميراث والوقف ودورهما الفعال في توفير العمل للعامل الذي يقدر على العمل ولكنه يجد صعوبة في الحصول عليه، وذلك من خلال دورهما الفعال في تنمية الاستثمار الآمن الذي تنجذب إليه النفوس الباحثة عن العمل.
3. يظهر من خلال الأحاديث النبوية العديد من الأفكار الداعمة لتنمية المشروعات الصغيرة والمتوسطة والتي لم تتوصل إليها القوانين الوضعية إلا في القرون المعاصرة.
4. معالجة السنة النبوية لمشكلة البطالة من خلال تصحيح المفاهيم الخاطئة عن العمل والمهن، واعتباره من العبادة والصدقة، والرفع من شأن العمل باعتباره من شأن الأنبياء.
5. إسهام القيادة في حل مشكلة البطالة، فقد وجه النبي ﷺ الصحابي المحتاج للعمل في الاحتطاب، وأشرف على قيامه بالمهمة.
6. تعزيز المسؤولية الجماعية في حل مشكلة البطالة من خلال التكافل الاجتماعي.

ثانيا: التوصيات:

1. التشجيع على إنشاء مؤسسات وقفية في جميع المجالات.
2. البحث عن آليات فعالة تسمح بتوسيع مصادر التمويل الإسلامي، وتشجع على الاستثمار في جميع المجالات للتخفيف من حدة البطالة في المجتمع.
3. إعادة بعث مؤسسات الزكاة وتفعيل دورها الاقتصادي والاجتماعي في المجتمعات الإسلامية بالصورة التي كانت عليها الأمة الإسلامية في مجد عهدها.

4. ضرورة الاهتمام بدراسة وتحليل مختلف الجوانب التي عالجها الاقتصاد الإسلامي والمستمدة من الشريعة الإسلامية عبر مختلف المراحل والتطورات التي مرت بها الأمة الإسلامية، وهذا راجع لمدى أهميته ومكانته في مختلف مجالات الحياة.

المصادر والمراجع

- الأبعاد الاجتماعية لمشكلة البطالة في المجتمع تداعياتها وأساليب مواجهتها رؤية مستقبلية، حلمي جلال، جامعة عين شمس، مصر، 2008م.
- أثر التسول في إهدار كرامة الإنسان ودور السنة النبوية في مواجهته، د/ عماد حمدي إبراهيم، مجلة الموئل، جامعة الوصل، كلية الدراسات الإسلامية، ع2، 2023م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1988 م.
- إحياء علوم الدين، الإمام الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ط. د.ت.
- إدارة الموارد البشرية، مدني عبد القادر، دار الموسوعة للنشر والتوزيع، 2009م.
- الإطار القانوني لحقوق الإنسان في القانون الدولي، عبد العزيز سرحان، دار الهنا للطباعة، القاهرة، ط1، 1987م.
- الاقتصاد الإسلامي النظام والنظرية، نجاح أبو الفتوح، دار الموسوعة للنشر والتوزيع، 2016م.
- الاقتصاد السياسي للبطالة تحليل لأخطر مشكلات الرأسمالية المعاصرة، رمزي زكي، عالم المعرفة، 1978م.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكاساني، دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ، 1986م.
- البطالة والتسول بين السنة النبوية الشريفة وبين القوانين الوضيعة المعاصرة، نهاد عبد الحليم، مجلس النشر العلمي، دولة الكويت، 1997م.
- البطالة وعلاجها في السنة النبوية، د/ طالب حماد أبو شعر، جامعة فلسطين، 2013م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، ط. د.ت.
- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البر، المحقق/ مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف، المغرب، 1387هـ.

- التنمية المستدامة ما بين أطر التنمية الاجتماعية والاقتصادية، وعلاقتها بالموارد البشرية، شهدان عادل عبد اللطيف، دار الفكر الجامعي، 2020م.
- الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وأيامه، للإمام البخاري، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1964 م.
- حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، ابن عرفة، دار الفكر، ط. د.ت.
- دور الزكاة في التصدي لظاهرة الفقر والبطالة، أسيل حسين كاظم السوداني، رسالة ماجستير، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، 2010م.
- دور الصكوك الإسلامية في تمويل المشروعات التنموية، فتح الرحمن علي محمد صالح، مجلة المال والاقتصاد، بنك فيصل الإسلامي السوداني، العدد 59، 2008م.
- رد المحتار على الدر المختار، لابن عابدين، دار الفكر، بيروت، ط2، 1992م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، د.ت.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، دار الرسالة العلمية، ط1، 2009م.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط. د.ت.
- سنن الترمذي، للإمام الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- السنن الكبرى، البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.
- السيرة النبوية، ابن هشام، المحقق/ طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ط. د. ت.

- شرح سنن أبي داود، بدر الدين العيني، المحقق/ أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط1، 1999م.
- صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.
- صحيح الجامع الصغير وزياداته، الألباني، المكتب الإسلامي، ط. د. ت.
- طرح التثريب في شرح التقريب، العراقي، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي، ط. د. ت.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة، دار الكتب العلمية، ط1، 1994م.
- كشاف القناع عن متن الإقناع، البهوتي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. د. ت.
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. د. ت.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط2، 1414هـ.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، الهيثمي، المحقق/ حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1994م.
- مختار الصحاح، للرازي الحنفي، المحقق/ محمد خاطر، دار الرسالة، بيروت، 1415هـ، 1995م.
- مدخل إلى الاقتصاد الإسلامي، محمد خير هيكل، دار الكتب والوثائق العراقية، 1995م.
- المستدرك على الصحيحين، للإمام الحاكم، المحقق/ مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ.
- مسند الإمام أحمد، للإمام أحمد بن حنبل، دار الحديث، القاهرة، ط1، 1995م.
- مسند البزار البحر الزخار، للبزار، المحقق/ محفوظ الرحمن زين الله، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط1، 1988م.

- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي (ت 255 ه)، المحقق/ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط1، 2000م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، للإمام مسلم، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط. د. ت.
- مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة بين الفقه والقانون، جمال حسن المراحنة، اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع دمشق، بيروت، ط1، 2000م.
- مشكلة البطالة وعلاجها، دراسة مقارنة بين الفقه والقانون، جمال حسن أحمد عيسى، مكتبة الرشد، اليمامة، 1420ه.
- المصباح المنير، الفيومي، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط. د. ت.
- المعجم الأوسط، الطبراني، دار الحرمين، القاهرة، ط. د. ت.
- المفردات في غريب القرآن، الأصفهاني، دار القلم، دمشق، بيروت، ط1، 1413ه.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.
- منطلقات الاقتصاد الإسلامي في مواجهة البطالة، محمود فاروق محمد، المجلة العلمية للاقتصاد، دمنهور، 2019م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ط2، دار السلاسل، الكويت، 1427ه.
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت748ه)، المحقق/ علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1963م.
- نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، الرملي، دار الفكر، بيروت، 1984م.
- الوجيز في اقتصاديات الزكاة والوقف، عبد الجبار السبهاني، مكتبة دار العلوم، اليرموك، ط1، 2013م.

التنميةُ المُستدامةُ في المجالِ الاقتصاديِّ في السنةِ النبويّةِ

د. أيمن جبرين جويلس
كلية الشريعة– جامعة الخليل – فلسطين

ملخص

تناول البحث منهج السنة النبوية في العناية بالتنمية المستدامة في المجال الاقتصادي من التأصيل الشرعي لها، وبيان التصور الفكري للمال، وكسبه، وإنفاقه، واستثماره، وتوظيفه، وتحقيق التكافل الاجتماعي، والقضاء على الفقر والبطالة.

كما تناول البحث معالم التنمية المستدامة في السنة النبوية في المجال الاقتصادي: كالانضباط الشرعي، والشمولية، والوسطيّة، والايجابيّة، والمسؤوليّة الاجتماعية، واستشراف المستقبل وصيانة حق الأجيال القادمة، وربط التنمية المستدامة بالآخرة.

كلمات مفتاحية: تنمية مستدامة - السنة النبوية - المجال الاقتصادي.

Abstract

The research dealt with the approach of the Prophetic Sunnah in caring for sustainable development in the economic field from its legal basis, explaining the intellectual concept of money, earning it, spending it, investing it, employing it, achieving social solidarity and eliminating poverty and unemployment.

The research also dealt with the features of sustainable development in the Prophetic Sunnah In the economic field such as legal discipline, comprehensiveness, moderation, positivity, social responsibility, anticipating the future and preserving the rights of future generations, and linking sustainable development to the afterlife.

Keywords: Sustainable development, Prophetic Sunnah, Economic field.

مقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه، وبعد:

فإن السنَّة النبويّة تُمثِّل مَصدرًا تشريعيًا تُستقى منه الأحكام، والتوجيهات التي ترتقي بالإنسان، والمجتمع، والبشرية في مختلف المجالات، ولا غرابة في ذلك؛ فالنَّبيُّ ﷺ مؤيَّدٌ بالوحي الإلهي الذي جاء لهداية العباد، وإسعادهم في المعاش والمعاد، ومن هذا الهدي النبَّوي: ذلك التوجيه الذي ينهض بالمجتمع في جانبه الاقتصادي بالتزامن مع مختلف الجوانب الإنسانية والفكرية والأخلاقية والقانونية؛ فالجانب الاقتصادي في كل مراحله، ومكوناته ركنٌ أساسيٌّ في استقرار المجتمع، وقوّته، وازدهاره، سواء من حيث التشجيع على العمل، والكسب، والإنتاج، ومحاربة الفقر والبطالة، أو من حيث توظيف المال وتداوله، أو من حيث تنميته واستثماره، أو من حيث صرفه وإنفاقه.

وقد زخَرَت السنَّة النبوية المطهرة بنصوصٍ، أو مواقف، أو ممارساتٍ عمليَّة مباركة تناولت الجانب الاقتصادي في مختلف مراحله بما يحقق التمكين الاقتصادي الذي يدوم أثره، ويستمر نفعه إلى الأجيال المتعاقبة، وبما يَضمن لها تحقيق الاكتفاء الذاتيّ، والاستغناء الماليّ، وبما يجعلها اليد العليا في المبادرة للعمل والكسب، وتنمية المال، واستثماره، وتوظيفه، وترشيد استخدامه، ومنع استغلاله، وفي تحقيق التكافل الاجتماعيّ، والتلاحم الإنسانيّ بما يصون الكرامة الآدمية للأفراد، والشعوب، والحكومات من الامتهان، أو الابتزاز، أو التبعية لأصحاب المصالح والنفوذ، وبما يحمي شبابَ الأمَّة من معاول الهَدْم، والتشرُّد، أو براثن الفقر، والبطالة.

ومن هنا كان هذا البحث الذي يُسَلِّطُ الضوء على هذه القضايا المتصلة بتحقيق تنمية مستدامة في مختلف المجالات، كان لها في منهج النُّبوة أصل أصيل قبل أن يتفطن لها علماء التنمية في العصر الحديث.

أهمية الموضوع:

1. إظهار دور السنة النبوية، وسبقها، وتفوّقها في تحقيق التنمية المستدامة في الجانب الاقتصادي.
2. إبراز العناية النبوية الاستشرافية بخصوص حقوق أجيال المستقبل.

3. بيان مقاصد الشريعة في تحقيق الازدهار الاقتصادي الدائم.

4. تفنيد دعاوى أعداء الدين، وجهلة المسلمين في عدم عناية الإسلام بالتنمية الاقتصادية الشاملة.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في الآتي:

1. بيان مدى وضوح الاهتمام والعناية النبوية بالتنمية المستدامة مقارنة بالمواثيق الدولية والأعراف الأممية.

2. محاولة تنزيل نصوص السنة الشريفة على الواقع المعاصر.

3. استنباط مرتكزات التنمية المستدامة من نصوص السنة النبوية.

4. بيان مدى انطباق التشريعات الإسلامية المتعلقة بالمال والاقتصاد على تحقيق الرفاهية، أو الاستقرار، أو الازدهار الاقتصادي بما يكفل دوامه واستمراره للأجيال المتعاقبة.

أسئلة البحث: يحاول البحث الإجابة على الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم التنمية المستدامة؟
- هل حفلت السنة بمضامين التنمية المستدامة المعاصرة؟
- هل يوجد تطبيقات اقتصادية في السنة النبوية تظهر جوانب التنمية المستدامة؟
- ما التوجيهات النبويّة الخاصة بأجيال المستقبل وصون حقوقهم؟

الدراسات السابقة:

1. التنمية المستدامة في السنة النبوية - رسالة ماجستير من إعداد الباحث بكر الخرمان جامعة آل البيت 2017/2018 تناول جوانب التأصيل للتنمية المستدامة وعرض لمظاهر الاهتمام بها في السنة في مختلف الجوانب البيئية والاقتصادية والاجتماعية، فكان بيان المجال الاقتصادي مقتصرًا ومحدودًا على بعض المظاهر، وفي هذا البحث يمكن التوسع في الجانب الاقتصادي سواء في التأصيل أو بيان المعالم والسمات للتنمية في المجال الاقتصادي وفق السنة النبوية.

2. دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة - د. عادل الدماك بحث مقدم لمجلة الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة 2022م تناول جوانب التنمية في السنة من حيث التنمية السياسية والبيئية والاقتصادية وكانت مقتصرة في ضوء الهدف الثامن من أهداف الأمم المتحدة للتنمية المستدامة والذي يعالج تحقيق الازدهار الاقتصادي والقضاء على الفقر، بينما في هذا البحث أتناول التنمية في المجال الاقتصادي سواء في التأصيل أو بيان المعالم والسمات للتنمية في المجال الاقتصادي وفق السنة النبوية.

3. التنمية الاقتصادية في السنة النبوية - د. ضياء المشهداني، بحث مقدم لملتقى دولي جامعة كالمه 2012م حول مقومات تحقيق التنمية الاقتصادية، وتركزت الدراسة على التنمية في الجانب الزراعي وأموال الزكاة والصدقات، بينما أتناول في هذا البحث منهجية السنة النبوية في تناول التنمية في المجال الاقتصادي من حيث المنطلق، والتصور والتأصيل، ومن حيث السمات والمعالم في الجانب الاقتصادي التنمية في السنة النبوية وعرض سماتها ومعالمها وفي الجانب الاقتصادي.

4. التنمية المستدامة من منظور إسلامي وتطبيقاتها التربوية - د. عبد الغني المقبلي بحث منشور في مجلة الجامعة الوطنية عدد 16 فبراير 2021 ركزت الدراسة على الجوانب التطبيقية التربوية لتنمية تربوية مستدامة وإعداد مصفوفة لذلك في مناهج التربية الإسلامية، بينما أركز في هذا البحث على التنمية في السنة النبوية في المجال الاقتصادي، وعرض أهم سمات التنمية الاقتصادية في السنة النبوية.

5. التنمية المستدامة من مقاصد الشريعة الإسلامية - د. أحمد محمد عزب موسي، بحث منشور في مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف - دقهلية العدد 23 سنة 2021م الجزء الرابع، وقد ركز في دراسته على تناول التنمية بشكل عام ومن خلال المقاصد الشرعية، بينما أركز في هذا البحث على التنمية في السنة النبوية وعرض سماتها ومعالمها وفي الجانب الاقتصادي.

6. الإسلام والتنمية المستدامة - د. مصطفى عطية جمعة، ط1، 2017م - القاهرة نشر شمس للنشر والإعلام، تناول التنمية بشكل عام ومن مختلف الجوانب من حيث ضرورة القيام بفرض الكفاية في نهضة الأمة والمجتمع في مختلف المجتمعات ومنها النمو الاقتصادي، بينما التركيز في هذا البحث على المجال الاقتصادي ومنهجية السنة النبوية في تناوله، وأهم سمات ومعالم التنمية في المجال الاقتصادي في السنة النبوية.

وهناك عدد من المقالات وبعض الدراسات المشابهة لما ذكر أعلاه، وفي هذا البحث ستكون الإضافة بتحقيق مناط الخطاب النبوي الاقتصادي على مفاهيم، ونظريات التنمية المستدامة من جهة، ومحاولة استنباط أهم معالم ومرتكزات التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي في الخطاب النبوي من جهة أخرى.

منهجية البحث:

اتبعت في كتابة البحث المنهجين الوصفي والاستقرائي مستفيدًا من المنهج الاستنباطي التحليلي ركزت فيه على نصوص السنة النبوية اقتباسًا واستدلالًا وتنزيلًا على الواقع بما يفيد الغاية من البحث، أما الآيات فنسبتها إلى موضعها في السور والآيات، خرّجت الأحاديث وتم الحكم على أغلبها من خلال مصادر الحديث المعروفة، أما ما كان في البخاري ومسلم فأكتفي بالعزو إليهما.

خطة البحث: وقد جاء هذا البحث في مقدمة وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي وتأصيلها الشرعي:

المطلب الأول: تعريف التنمية المستدامة.

المطلب الثاني: التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي.

المطلب الثالث: التأصيل الشرعي للتنمية المستدامة في المجال الاقتصادي.

المبحث الثاني: عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاقتصادي:

المطلب الأول: منهج السنة النبوية في التصور الفكري للمال.

المطلب الثاني: منهج السنة النبوية في كسب المال والقضاء على الفقر والبطالة.

المطلب الثالث: منهج السنة النبوية في ترشيد الإنفاق والتوظيف الأمثل للمال.

المطلب الرابع: منهج السنة النبوية في تحقيق التكافل الاجتماعي.

المطلب الخامس: تحريم بعض المعاملات المالية تجنبًا لمفسدة آنية أو مستقبلية.

المبحث الثالث: سمات التنمية المستدامة ومعالمها في السنة النبوية في المجال

الاقتصادي:

المطلب الأول: الانضباط الشرعي.

المطلب الثاني: الشمولية.

المطلب الثالث: الإرادة والإيجابية.

المطلب الرابع: الوسطية والاعتدال.

المطلب الخامس: المسؤولية الاجتماعية (الزكاة والصدقات).

المطلب السادس: استشراف المستقبل وصيانة حق الأجيال القادمة.

المطلب السابع: ربط التنمية المستدامة بمبدأ الثواب الأخروي.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: مفهوم التنمية المستدامة

المطلب الأول: تعريف التنمية المستدامة:

مصطلح التنمية المستدامة مركّبٌ من كلمتين: الأولى: التنمية، والثانية: الاستدامة، ويجدر بيان مفهوم كلٍّ منهما قبل بيان المعنى الاصطلاحي.

تعريف التنمية: يدور معنى الكلمة حول الزيادة، والكثرة، والارتفاع، والكلمة مصدر من نمّى ينمّي، نَمِّ، تنميةً، والمفعول مُنمَّى[1]، يقال: نمَّى إنتاجَه: زادَه وكثَّره، رفع معدَّله[2]، وأنميت الشيء، ونمّيته أي جعله ناميًا، والنَّماءُ: الزِّيَادَةُ، نَمَى يَنْمِي نَمْيًا ونُمِيًّا ونَماءَ: زَادَ وكثر، ونَمَى الحديثُ يَنْمِي: ارْتَفَعَ، ونَمَيْتُه: رَفَعْته[3].

والتنمية اصطلاحًا: عملية تغيير في البنية الاقتصادية والاجتماعية، وفي الأنشطة والسلوكيات الاجتماعية والاقتصادية، تغيير يمتد إلى جوانب متعددة من الحياة المجتمعية بناء وحركة[4]، ومنهم من عرَّفها بأنها عبارة عن: تحقيق زيادة سريعة تراكمية، ودائمة عبر فترة من الزمن[5].

تعريف الاستدامة: يدور معناها حول دوام الشيء، وثباته واستمراره، والمواظبة عليه، وعدم انقطاعه، والتأنّي فيه، وهي اسم مفعول من استدام يستديم واستدام الشيء: أي طلب دوامه، دام الشيء يدوم دومًا ودوامًا، وديمومة ثبت، واستدمت الأمر: ترفقت به وتمهلت، والديمة بالكسر: المطر يدوم أيامًا، وكان عمل رسول الله ﷺ دِيمة[6]، أي دائمًا

1- أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، د. ط، 1429ه، 2008م، (3/2288)، (5248)، (ن م و).

2- عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (3/2289)، (5250)، (ن م ي).

3- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، لسان العرب، دار صادر، بيروت ط3، 1414ه، (15/341) الواو والياء والنون.

4- انظر: كايد يوسف قرعوش، اهتمام السنة بالاستشراف والتخطيط في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، من أبحاث الندوة العليمة الدولية الخامسة (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية) المنعقدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 19، 20 أبريل 2011م بتنظيمها وندوة الحديث الشريف ط2 (ص532) نقلًا عن جمال عبده، دور المنهج الإسلامي في تنمية الموارد البشرية (ص41).

5- انظر: ضياء محمد محمود المشهداني، التنمية الاقتصادية في السنة النبوية، بحث مقدم للملتقى الدولي: مقومات تحقيق التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة 3، 4/12/2012م (ص347) نقلًا عن عادل فهمي في كتابه دراسات حول التنمية في الوطن العربي (ص95).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، صحيحه، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422ه، كتاب الرقائق، باب القصد والمداومة على العمل (8/98) حديث رقم (6466).

غير مقطوع، وداوم على الشيء مداومة: واظبه[1].

تعريف المعنى الاصطلاحي لـ (التنمية المستدامة):

ثمة عدة تعريفات أممية للتنمية المستدامة بوصفها أحد أهم مؤشرات التطور الإنساني، ومتطلبات الاستقرار البيئي والاقتصادي، والتعليمي، ومختلف المجالات، ومن هذه التعريفات:

1. **تعريف الأمم المتحدة:** التنمية المستدامة هي التنمية التي تلبي أو تفي باحتياجات الجيل الحاضر دون المساس أو الإضرار بقدرة الأجيال المستقبلية على تلبية احتياجاتها[2]، وتركز على التوازن بين الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية للتنمية.

2. **تعريف الاستدامة الشاملة:** التنمية المستدامة هي عملية شاملة تهدف إلى تحقيق الاستدامة في جميع جوانب الحياة، بما في ذلك البيئة والاقتصاد والمجتمع. وتركز على تحقيق التوازن بين الاحتياجات الحالية والقدرة على تلبية الاحتياجات المستقبلية[3].

3. **عرفها الباحث أحمد موسى:** عبارة عن عملية تنمية شاملة لمكونات المجتمع أفرادًا، وجماعات، وتطوير النشاط الاقتصادي، والاجتماعي، والبيئي بما يضمن حياة كريمة للأحياء، ومستقبلًا واعدًا للأجيال القادمة[4].

وأرى أن تعرّف التنمية المستدامة بأنها: عملية تنمية شاملة لتلبية احتياجات المجتمع بكل مكوناته في الحاضر وبما يراعي احتياجات أجياله في المستقبل.

1- ابن منظور، لسان العرب، حرف الميم، فصل الدال المهملة (12/213) كلمة دوم، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت (1/204) الدال مع الواو وما يثلهما (دوم).

2- انظر: موقع الأمم المتحدة الأسكوا https: //stage، unescwa.unescwa.org/ar/sd، glossary/ %D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9، %D8%A7 %D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9 وهو تعريف اللجنة العالمية المعنية بالبيئة والتنمية، 1987م وأيضا موقع الأمم المتحدة: // :https www.un.org/ar/122274

3- انظر: مقال بعنوان: التنمية المستدامة مفهوم تعريف وأبعاد ومكونات على الشبكة العربية للتميز والاستدامة، الشبكة العربية للتميز والاستدامة.

4- أحمد موسى، التنمية المستدامة من مقاصد الشريعة الإسلامية، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف الدقهلية العدد 23 ج4 2021م (ص3379).

المطلب الثاني: التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي:

من أهم مجالات التنمية المستدامة وأبعادها: المجال الاقتصادي الذي يعد عصب التنمية المستدامة وروحها؛ لاتصاله الوثيق بكل مجالات التنمية الأخرى.

والمقصود بالتنمية الاقتصادية: «تحقيق معدل سريع للتوسع الاقتصادي تنتقل به الدولة المتخلّفة من معيشة الكفاف إلى مستويات متقدمة من الرفاه الاقتصادي»[1]، وعرّفها آخرون بأنها: «عمليات استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة للمجتمع في تحقيق زيادات مستمرة في الدخل القومي تفوق معدلات النمو السكاني بما يؤدي إلى إحداث زيادات حقيقية في متوسط نصيب الفرد»[2].

ومفهوم التنمية الاقتصادية في الإسلام: عملية استخدام الموارد الاقتصادية المتاحة للمجتمع بحيث تؤدي لضمان حد الكفاية لكل أحد، والتوسع في الملكية بحسب العمل وعلاج مشاكل المجتمع الاقتصادية وفق المنظور الإسلامي[3]، والعلاقة بين الاقتصاد الإسلامي والتنمية المستدامة علاقة سببية واضحة؛ فإنَّ تطبيق النظام الإسلامي الاقتصادي يؤدي إلى نتائج ملموسة منها: التنمية المستدامة، فالتنمية أثرٌ، ونتيجة لتطبيق النظام الاقتصادي الإسلامي.

وفي ضوء ما تقدم أرى أن تُعرَّف التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي الإسلامي بأنها: عملية تنمية شاملة لمكونات المجتمع أفرادًا وجماعات، وتطوير للنشاط الاقتصادي من منظورٍ شرعيّ من حيث: الكسب والإنتاج، أو التوزيع والإنفاق والاستهلاك، أو التطوير والاستثمار بما يضمن حياةً كريمة للأحياء ومستقبلًا واعدًا للأجيال القادمة.

المطلب الثالث: التأصيل الشرعي لمفهوم التنمية الاقتصادية في المجال الاقتصادي:

جاءت الشريعة لتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد، والمتتبع لنصوص السنَّة النبوية وأحكامها، ومقاصدها الشرعية يدرك مدى عنايتها بالتنمية المستدامة في مجالها الاقتصادي، ومن هذه الأحكام والتشريعات:

1- انظر: قرعوش، اهتمام السنة بالاستشراف والتخطيط في التنمية الاقتصادية والاجتماعية (ص533).

2- انظر: المرجع السابق (ص533).

3- انظر: محمد شوقي الفنجري، الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، وزارة الأوقاف (ص-32 33)، محمد بن سعود العصيمي، الخلاصة في الاقتصاد، دار أصول المنهاج، د. ط، 1442هـ، (ص35.

1. **رعاية المقاصد الشرعية** تسهم في التنمية المستدامة، فإذا كان محور التنمية هو الإنسان، فإن الشريعة الإسلامية جاءت؛ لتكريمه، وحفظه، ورعايته من خلال حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، فكل ما يتضمَّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوّت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة[1]، وإذا حافظنا على مقصد المال بتشجيع أنواع المكاسب الطيبة، وتحريم الكسب الحرام، وحسن الإنفاق والتوزيع، ومنع التعدّي على أموال الناس فهذا يُسهم في حياةٍ كريمةٍ للمواطنين في حاضرهم، ومستقبلهم.

2. **الوصية: وهي:** تمليكٌ مضافٌ لما بعد الموت[2]، وقد وجّهت السنَّة النبوية التعامل مع الوصية بطريقة تُوازن بين الحاضر والمستقبل، فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النَّبي ﷺ: (الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ)[3]، وعليه فالوصيّة تمثل محور التنمية المستدامة؛ لاتصالها بما بعد الموت، كما أن تقييد الوصية بالثلث توجيه نبويّ؛ لتأمين حياة كريمةٍ لمستقبل الأبناء والأحفاد؛ حتى لا يحتاجوا غيرهم، قال ابن حجر: «وفيه النظر في مصالح الورثة»[4].

3. **نظام الميراث في الإسلام:** وهو انتقال مال الغير إلى الغير على سبيل الخلافة، فكأن الوارث لبقائه انتقل إليه بقية مال الميت[5]، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: (أَلْحِقُوا الفَرَائِضَ بِأَهْلِهَا، فَمَا بَقِيَ فَهُوَ لِأَوْلَى رَجُلٍ ذَكَرٍ)[6]، وعلاقة الميراث بالتنمية

1- انظر: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، المستصفى، المحقق/ محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية ط1، 1993م (ص174)، الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، الموافقات، المحقق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان ط1، 1997م، (3/236).

2- المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م، (ص338).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (7/62) حديث رقم (5354)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (3/1250-1251) حديث رقم (1628).

4- ابن حجر، فتح الباري رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379ه، (5/368).

5- عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي، الاختيار لتعليل المختار، عليها تعليقات: الشيخ/ محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي، القاهرة، وصورتها دار الكتب العلمية، بيروت، وغيرها، ط. ط، 1937م، (5/85).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ميراث الولد من أبيه وأمه (8/150) حديث رقم (6732)، ومسلم في صحيحه، كتاب الفرائض، باب ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر (3/1233) حديث رقم (1615).

المستدامة في المجال الاقتصادي جليّة؛ فانتقال مال الميت إلى ورثته؛ يؤدي لتداول المال، وتفتيت الثروة، وانتفاع عدة فئات في المجتمع منهم الجيل القادم، بل إن المتدبر لميزان التوزيع الرباني للميراث يدرك أن من أسس توزيع الميراث: موقع الجيل الوارث من التتابع الزمني للأجيال: فالأجيال الأصغر في العمر المستقبلة للحياة التي تستعد لتحمل أعبائها عادة ما يكون نصيبها من الميراث أكبر من نصيب الأجيال الأكبر في العمر.

4. **الوقف وهو:** تحبيس مال يمكن الانتفاع به مع بقاء عينه بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته يصرف في جهة خير تقربًا إلى الله تعالى[1]، وعرفه المعاصرون المختصون: (حبس مؤبد، ومؤقت لمال؛ للانتفاع المتكرر به أو بثمرته في وجه من وجوه البر العامة أو الخاصة)[2]، وقد جاء في السنة النبوية ما ينص صراحة على الوقف من خلال الصدقة الجارية، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[3]، وقد عرفها العلماء بأنها الوقف[4]، وعن ابن عمر، عن عمر ﷺ (أَنْ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ أَصَابَ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَأْمِرُهُ فِيهَا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ؟ قَالَ: (إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا) قَالَ: فَتَصَدَّقَ بِهَا عُمَرُ، أَنَّهُ لاَ يُبَاعُ وَلاَ يُوهَبُ وَلاَ يُورَثُ، وَتَصَدَّقَ بِهَا فِي الفُقَرَاءِ، وَفِي القُرْبَى وَفِي الرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، وَالضَّيْفِ لاَ جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالْمَعْرُوفِ، وَيُطْعِمَ غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ)[5]، وعلاقة الوقف بالتنمية المستدامة في المجال الاقتصادي وثيقة؛ فالوقف تحويلٌ للأموال عن الاستهلاك، والتوجّه باستثمارها في أصولٍ رأسماليةٍ إنتاجيةٍ تنتج المنافع، والإيرادات التي

1- النووي، تحرير ألفاظ التنبيه، المحقق/ عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق ط1، 1408ه (ص237)، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، دار الكتب العلمية ط1، 1994م، (3/522).

2- منذر قحف، الوقف الإسلامي، تطوره، إدارته، تنميته، دار الفكر المعاصر، دمشق الإعادة الثانية، 2006م، (ص62).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، صحيحه، كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته (3/1255) حديث رقم (1631).

4- انظر: النووي، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط2، 1392ه، (11/85).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الوقف (3/199) حديث رقم (2737)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوقف (3/1255) حديث رقم (1632).

تستهلك في المستقبل جماعيًا أو فرديًا، فالوقف طريقة تجمع بين الادِّخار والاستثمار معًا، فإنشاء وقْفٍ إسلاميٍّ يشبه إقامة مؤسسة اقتصادية ذات وجود دائم حال كان الوقف مؤبَّدًا أو وجود مؤقت إذا كان الوقف مؤقتًا، وبهذا المعنى تدخل أشكال حديثة في الوقف مثل وقف الأسهم، أو الحصص في الصناديق الاستثمارية، أو الودائع الاستثمارية في البنوك الإسلامية، ومن نماذج الوقف في عهد الصحابة ﷺ ما يشير لهذه الصور من الوقف مثل: وقف بئر رومة من قبل سيدنا عثمان ﷺ، ووقف أرض بستان في خيبر من قبل سيدنا عمر ﷺ، ثم أوقاف الصحابة ﷺ للأراضي والأشجار والمباني، والهدف من كل ذلك بناء ثروة إنتاجية تستفيد منها الأجيال المستقبلية، من غلتها ومنافعها[1].

5. **الصدقات المفروضة والمستحبة:** فعن عائشة (رضي الله عنها): (أنّ رَجُلًا قال للنَّبي ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا[2]، وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، أَفَأَتَصَدَّقُ عَنْهَا؟ قَالَ: (نَعَمْ تَصَدَّقْ عَنْهَا)[3]، ومقصود تشريع الزكاة هو قضاء مصالح الفقراء والمساكين وسد احتياجاتهم بما يغنيهم عن ذل السؤال، وهذا يسهم في تحقيق حياة كريمة لهم، ولهذا ذهب بعض الفقهاء إلى إعطاء الفقير بما يغنيه عامه كاملًا، وذهب بعضهم إلى إعطائه ما يغنيه العمر، وأن المقصود بالكفاية المالية للفقير هي: كفاية نفسه، ومن يعيل الكفاية اللائقة به وبهم عرفًا مأكلًا ومشربًا وملبسًا ومسكنًا وغيرها من سائر وجوه الكفايات[4]، وعليه فالزكاة والصدقات من أداوت توزيع الدخل والثروة في المجتمع، تؤدي لتداول المال، وعدم اكتنازه مما يحرك عجلة الاقتصاد في المجتمع، وينشِّط التجارة، والإنتاج، ويحارب البطالة والفقر، وفي هذا السياق أكّد الاقتصادي الإنجليزي

1- انظر: قحف، الوقف الإسلامي (ص72-66) بتصرف.

2- أَي استلبت نَفسهَا فلتة أَي فجاءة، وافتلت فلَان بِأَمْر كَذَا إِذا فوجئ بِهِ قبل أَن يستعد لَهُ انظر: الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، المحقق/ علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، د. ت، (3/137).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب ما يستحب لمن توفي فجاءة أن يتصدقوا عنه، وقضاء النذور عن الميت (4/8) حديث رقم (2760).

4- انظر: البلخي، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، الفتاوى الهندية، دار الفكر، ط2، 1310هـ، (2/387)، الشربيني، مغني المحتاج (4/176)، ابن حجر الهيتمي، الفتاوى الفقهية الكبرى، جمعها: تلميذ ابن حجر الهيتمي، الشيخ عبد القادر بن أحمد بن علي الفاكهي المكي، المكتبة الإسلامية (4/76)، المرداوي، علاء الدين، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار إحياء التراث العربي، ط2، (3/238).

المشهور دافيد ريكاردو أن الزكاة تؤثر في إعادة توزيع الدخل، والثروة بين طبقات المجتمع، وأنها نظام اجتماعي؛ لأنها تعمل على تأمين أبناء المجتمع ضد العجز الحقيقي والحكمي، وضد الكوارث والجوائح، كما تسهم في حل كثير من مشكلات المجتمع[1].

6. **النهي عن الضرر:** وهذا من أصول الشريعة الغرّاء، ومن الأحاديث الجامعة في ذلك قوله ﷺ: (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[2]، والمقصود بالضرر: إلحاق مفسدة بالغير مطلقًا، ومعنى الثاني إلحاق مفسدة بالغير على وجه المقابلة له[3]، وعلاقة «النهي عن الضرر» بالتنمية المستدامة علاقة مباشرة؛ فإن نجاح التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي متصل بمنع الفساد والضرر؛ فأيُّ نشاط اقتصادي يتضمن إلحاق الأذى بالناس من استغلال، أو غشٍّ، أو احتكار، أو ربا، أو قمار، أو غَرَر، أو نجش هو مُحرَّمٌ شرعًا؛ لأنه يؤدي إلى مفاسد تطال الحاضر والمستقبل، والنَّظر في مآلات الأفعال معتبرٌ مقصودٌ شرعًا.

1- انظر: العصيمي، محمد بن سعود العصيمي، الخلاصة في الاقتصاد، دار أصول المنهاج 1442هـ، (ص68-67).

2- أخرجه أحمد في مسند عبد الله بن عباس (رضي الله عنهم) (5/55) حديث رقم (2865) المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط1، 2001م، والحديث مروي عن عدد من الصحابة منهم ابن عباس وأبو سعيد الخدري ﷺ، قال ابن رجب الحنبلي عنه: حديث حسن، وله طرق يقوي بعضها بعضًا، ونقل ذلك عن الإمام النووي انظر: ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت ط7، 2001م، ورواه مالك مرسلًا عن عمرو بن يحيى مالك في كتاب الأقضية، باب القضاء في المرفق (2/745) حديث رقم (31)، مالك بن أنس، موطأ مالك، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1985م.

3- انظر: الزرقا، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، شرح القواعد الفقهية، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق، سوريا، ط2، 1989م، (ص165).

المبحث الثاني: عناية السنة النبوية بالتنمية المستدامة في المجال الاقتصادي

المطلب الأول: منهج السنة النبوية في التصور الفكري للمال:

يقوم التصور الإسلامي للمال على قواعد أساسية أهمها:

أولًا: المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه: وهذا يعني أن المالك الحقيقي لكل الأموال هو الله تعالى، وترتب على هذا أن الله سيحاسب عباده على تصرفهم في هذا المال، قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴾ التكاثر: [8] وترتب على هذا وجوب إعطاء العاجزين المحتاجين من هذا المال، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ النور: [33]، وقد حفلت السنة النبوية بالدعوة لتحمل المجتمع لمسؤولياته التكافلية الاجتماعية، ومن ذلك قوله ﷺ: (مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا زَادَ لَهُ، قَالَ الراوي: فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ)[1].

ثانيًا: ترسيخ مبدأ التوكل والأخذ بالأسباب: من أصول الإيمان اليقين أن الله هو الرازق، وأن الإنسان له أجلٌ معلوم، ورزقٌ مقسوم، وأن الله قدّر الأرزاق لعباده، ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ هود: [6]، وفي السنة تأكيد على هذا الأصل، قال ﷺ: (إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا)[2]، بل إن الرزق يصل العبد وإن أعيته الحيلة، قال ﷺ: (إِنَّ الرِّزْقَ لَيَطْلُبُ الْعَبْدَ كَمَا يَطْلُبُهُ أَجَلُهُ)[3]، وأثر ذلك في تعزيز الأمن النفسي، والشعور بالطمأنينة في ظل التنافس المحموم على المكاسب والأرزاق، هذا الشعور يردع صاحبَه عن الطمع، والتوسع في المكاسب، والمشاريع وإنْ على حساب الفضيلة، أو الشَّفافية، وبهذا تكون أي مشاريع تنمية مستدامة بعيدة عن

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللقطة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْمُؤَاسَاةِ بِفُضُولِ الْمَالِ (3/1354) حديث رقم (1728).

2- أخرجه القضاعي في مسنده، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م، تحت قوله ﷺ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي» (2/185) حديث رقم (1151)، وصححه الألباني، انظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته، المكتب الإسلامي، حرف الألف (1/419) حديث رقم (2085).

3- أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1974م، الطَّبَقَةِ الْأُولَى مِنَ التَّابِعِينَ، إِسْمَاعِيلُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ (رضي الله عنه) (6/86)، وحسنه الألباني، انظر: الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته (1/336) حديث رقم (1630).

أي تنافسية شرسة أو فاسدة، كما ينعكس هذا الشعور على تحقيق مبدأ الاستمرارية في العمل، والتخطيط، والتعمير، والاستثمار تحت عنوان التوكل والأخذ بالأسباب، فما من نهضةٍ إلا ولها مُقدّماتها، ومُقوّماتها، فالإنتاج، والعمل، وتأهيل العمال، والموارد البشرية، واستغلال الإمكانات المتاحة، وحسن التوزيع، ودعم المشاريع الإنتاجية، وبناء المشاريع المستقبلية الحيوية كلها تدخل في مفهوم التوكل الذي يُعدّ بحق رافعة النهضة في أيّ أمّة، ولهذا وجه النبي ﷺ الأمة للتوكل (حق التوكل)، فعن عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ أنه سَمِعَ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ: (لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا)[1].

ثالثًا: المسؤولية الدنيوية والأخروية عن المال: فالإنسان مسؤول عن مصدر ماله، أو استثماراته أن تكون وفق ما شرع الله تعالى، وعن نفقاته، أن تكون وفق ما أباح الله تعالى، قال ﷺ: (وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ)[2].

رابعًا: النظرة الإيجابية للمال: فالله تعالى يريد من عباده أن يتعاملوا مع المال بإيجابية ووسطية، وألا ينظروا للمال نظرة سلبية تقعدهم عن التنمية، والاستثمار تحت ذريعة التطلع للآخرة، بل يجب أن يكون المال أداةً للبناء والتعمير، فالآية: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ هود: [61] اختزلت المفروض(الإعمار المستمر)، وأبعدت المرفوض (ترك الإعمار)، وإذا كان التعمير واجبًا فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، وعليه فامتلاك المال- بالعمل والإنتاج وسائر أسباب التملك-؛ لتوظيفه في التعمير أصبح واجبًا على العموم، وقد جاء في السنة ما يدعو لتقدير المال الحلال، قال ﷺ: (يَا عَمْرُو، نِعْمًا بِالْمَالِ الصَّالِحُ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ)[3]، والتنعم بالمال الحلال مما يحبه الله تعالى، قال ﷺ: (إِنَّ اللَّه

1- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (1/332) حديث رقم (205)، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده قوي.

2- أخرجه الترمذي في سننه، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م، أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، باب في القيامة (4/612) حديث رقم (2417)، وقال الترمذي: هَذَا حديث حَسَنٌ صَحِيحٌ، وأخرجه الدارمي في سننه، المحقق/ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط1، 2000م، المقدمة، باب من كره الشهرة والمعرفة (1/452) حديث رقم (554)، وقال المحقق/ إسناده حسن من أجل أبي بكر بن عياش، والحديث صحيح.

3- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمرو بن العاص (رضي الله عنه) (29/298-299) حديث رقم (17763)، تحقيق شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 1989م، بَابُ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ (ص112) حديث رقم (299)، وصححه الألباني في صحيح الأدب، دار الصديق للنشر والتوزيع ط4، 1997م، بَابُ الْمَالُ الصَّالِحُ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ (ص126).

يُحِبَّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ)[1]، فالمال بهذه النظرة الإيجابية المتوازنة يمثل محرابًا من محاريب العبودية لله تعالى، ومما لا شك فيه أن امتلاك الإنسان أو الدولة للمال يعد من أسباب قوتها، وازدهار حضارتها، ورفاهية مواطنيها، وهذا ما فهمه الصحابة الكرام ﷺ من نهج النبي ﷺ، فانطلقوا للعمل، قال عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ لسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ ﷺ بعد أن عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ عقب المؤاخاة: (دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ..)[2].

المطلب الثاني: منهج السنة النبوية في كسب المال، والقضاء على الفقر والبطالة:

أولًا: التشجيع على العمل، والكسب، وتحقيق عناصر الإنتاج:

المفهوم الإسلامي للإنتاج يتمثل بأنه: استخدام للقدرات التي أودعها الله تعالى في الإنسان في معالجة الموارد المادية التي أودعها الله تعالى في الأرض من أجل إيجاد منفعة معتبره شرعًا بهدف توفير الحاجات التي تعين المسلم على عبادة الله تعالى[3]، وفي الدعوة للعمل والإنتاج ومحاربة الفقر والبطالة جاء قوله ﷺ: (لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَى ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ)[4]، بل أفضل طعام ما كان من عمل اليد، قال ﷺ: (مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ)[5]، وقد عدَّ النبيُّ ﷺ العمل أفضل أنواع الكسب، فعن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: (عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[6]، وقد أقر النبي ﷺ الحِرَف والصنائع المشتهرة، وهذا تشجيع منه ﷺ على ممارسة هذه الحِرَف، ومن ذلك عمل النجارة، قال ﷺ: (مُرِي غُلَامَكِ النَّجَّارَ، يَعْمَلُ

1- أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الأدب، بَابُ مَا جَاءَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ (5/124) حديث رقم (2819)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب مناقب الأنصار، بَابٌ: كَيْفَ آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ أَصْحَابِهِ (5/69) حديث رقم (3937).

3- انظر: خريس، إبراهيم خريس، الإنتاج والتنمية رؤية اقتصادية إسلامية (ص4) بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير، تنظيم المركز الجامعي بغرداية، الجزائر 23-24/2/2010م.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2074).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب كسب الرجل وعمله بيده (3/57) حديث رقم (2072).

6- أخرجه أحمد في مسنده، مسند رافع بن خديج (رضي الله عنه) (28/502) حديث رقم (17265)، وتحقيق الشيخ شعيب الأرناؤوط أنه حسن لغيره على خطأ في إسناده، وصححه الشيخ الألباني، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995م، (2/159) حديث رقم (607).

لِي أَعْوَادًا، أَجْلِسُ عَلَيْهِنَّ إِذَا كَلَّمْتُ النَّاسَ)[1]، ومن صور الكسب: التجارة، وقد جعلها النبي ﷺ من أفضل أنواع الكسب، قال ﷺ: (وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[2]، ومن أنواع البيوع: بيع السَّلَم[3]، فقد أجازه النبي ﷺ فقَالَ: (مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ، فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)[4]، وعلاقة السَّلَم بالتنمية المستدامة تتمثل بتمكين المزارع من امتلاك المال؛ لشراء البذور ومستلزمات الزراعة؛ لينتج محصولًا زراعيًا يسهم في النهضة الزراعية، ويحافظ على نشاطها وديمومتها، فضلًا عن تحريك عجلة الاقتصاد من خلال شراء المواد اللازمة، ولاحقًا ببيع المحصول؛ ليقوم المشتري التاجر بالبيع لآخر.

ثانيًا: تشريع أنواع الشركة وأحكامها:

سلكت الشريعة الإسلامية في تحقيق المنافع الدنيوية للعباد تشارك المال أو الخبرات، أو الأصول، أو الأعمال، أو الذمم أو المال والخبرة بحيث يستفيد من عوائدها المؤسسون وأجيالهم، ومن هذه الشركات: المزارعة[5]، فقد: (عامل رَسُولُ اللهِ ﷺ أَهْلَ خَيْبَرَ بِشَطْرِ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا مِنْ ثَمَرٍ أَوْ زَرْعٍ)[6]، وجاء في صحيح البخاري: «مَا بِالْمَدِينَةِ أَهْلُ بَيْتِ هِجْرَةٍ إِلَّا يَزْرَعُونَ عَلَى الثُّلُثِ وَالرُّبُعِ»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الأَسْوَدِ: «كُنْتُ أُشَارِكُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ يَزِيدَ فِي الزَّرْعِ» وَعَامَلَ عُمَرُ «النَّاسَ عَلَى إِنْ جَاءَ عُمَرُ بِالْبَذْرِ مِنْ عِنْدِهِ فَلَهُ الشَّطْرُ، وَإِنْ جَاءُوا بِالْبَذْرِ فَلَهُمْ كَذَا»[7]، ومنها: المساقاة[8]، حيث قَالَتِ الْأَنْصَارُ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب النجار (3/61) حديث رقم (2094).

2- سبق تخريجه ص399.

3- السلم: وهو أن يسلم عوضًا حاضرًا، في عوض موصوف في الذمة إلى أجل، انظر: ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، د. ط. ت، (4/207).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب السلم، باب السلم في كيل معلوم (3/85) حديث رقم (2239)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب السلم (3/1226) حديث رقم (1604) واللفظ لمسلم.

5- المزارعة: دفع الأرض إلى من يزرعها، ويعمل عليها، والزرع بينهما، انظر: الزيلعي، تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط1، 1313هـ (5/278)، ابن قدامة، المغني (5/309).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، بَابُ إِذَا لَمْ يَشْتَرِطِ السِّنِينَ فِي المُزَارَعَةِ (3/105) حديث رقم (2329)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، بَابُ الْمُسَاقَاةِ، وَالْمُعَامَلَةِ بِجُزْءٍ مِنَ الثَّمَرِ وَالزَّرْعِ (3/1186) حديث رقم (1551).

7- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، بَابُ المُزَارَعَةِ بِالشَّطْرِ وَنَحْوِهِ (3/104).

8- المساقاة: معاقدة على دفع الأشجار إلى من يعمل فيها على أن الثمر بينهما، انظر: الزيلعي، تبيين الحقائق (5/284).

(اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا النَّخِيلَ، قَالَ: «لاَ»، فَقَالَ: (تَكْفُونَا المَئُونَةَ وَنُشْرِكُكُمْ فِي الثَّمَرَةِ)، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)[1]، وعلاقة المزارعة والمساقاة بالتنمية المستدامة اقتصاديًا وثيقة جدًا؛ فمن جهة «منفعة الزرع» يتتابع أثرها لأجيال، وما ينتج عنه من نشاط صناعي لصنع مستلزمات الزراعة أو السقي، وما يتطلبه من عمال ومزارعين، وما يستتبعه من تجار، وموزِّدين ومصدِّرين، ومن جهة أخرى: يتعدد المنتفعون من المزارعة، والمساقاة بين صاحب الأرض والمزارع، أو صاحب الزرع والمعتني بها سقاية وعناية.

ومن الشركات: المضاربة[2]، فقد بُعث ﷺ والناس يتعاملون بها، فأقرهم عليها، وتعامل بها الصحابة [3]ﷺ، وعلاقة المضاربة بالتنمية المستدامة اقتصاديًا جلية، فحين يدفع رب المال ماله لصاحب الجهد فإن المزيج من المال والخبرة ينتج سلعة، أو صنعة، أو منفعة، أو يشتري بها بضاعة؛ بغرض المتاجرة فينتفع منها الطرفان، ويحركان بها الأسواق، وينمو بها المال الذي ينتفعان به، وينتفع المجتمع من ذلك بإخراج الزكاة، وينتفع الأبناء بوراثة مال الشراكة.

ثالثًا: إحياء المَوَاتْ[4]:

من التشريعات النبوية لعمارة الأرض، واستغلال الموارد: الدعوة لإحياء الأرض التي لا صاحب لها، ويعتبر ذلك من أسباب التملك، عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ)[5]، ومسألة إذن الدولة من عدمه مسألة خلافية، والراجح في هذا العصر مع كثرة الناس، وتوسع العمران والطلب المتزايد، وشُحِّ الأراضي القول باشتراط إذن الإمام أو الدولة التي تتولى الرعاية، والرقابة، والإشراف.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في المعاملة (3/190) حديث رقم (2719).
2- المضاربة: المضاربة عقد شركة بمال من أحد الشريكين وعمل من الآخر، أو دفع المال إلى غيره ليتصرف فيه ويكون الربح بينهما على ما شرطا، انظر: الزيلعي، تبيين الحقائق (5/52).
3- الزيلعي، تبيين الحقائق (5/52).
4- إحياء الموات أن يعمد الشخص لأرض لا يعلم تقدم ملك عليها لأحد فيحييها بالسقي، أو الزرع أو الغرس أو البناء فتصير بذلك ملكه، انظر: ابن حجر، فتح الباري (5/18).
5- أخرجة البخاري في كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضًا مواتًا (3/106) حديث رقم (2335).

المطلب الثالث: منهج السنة النبوية في ترشيد الإنفاق، والتوظيف الأمثل للمال:

أولا: النهي عن الإسراف والتبذير[1]: وقد وجه النبي ﷺ سلوكيات المسلم فقال: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَالبَسُوا وَتَصَدَّقُوا، فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلاَ مَخِيلَةٍ)[2]، وعليه فأيُّ تنمية تهدف لتحقيق الكفاية للمجتمع يجب أن تكون بعيدةً عن الإسراف، أو التبذير سواء في مجال الغذاء، أو الكساء، أو العقار، وأن تكون المشاريع ذات أهدافٍ حيوية، ومركّزية للمجتمع، وتخدم الأجيال اللاحقة في شتى المجالات، وهذا يتطلب دراسة أيّ مشروع؛ تجنُّبًا لشبهة محرَّمة، أو هدْرٍ للمال.

ثانيًا: الإنفاق الحلال: فقد أباحت الشريعة الإسلامية أن يُنفق العبدُ كيفما شاء دون إسراف، أو تبذير، أو إنفاق في وجوه محرَّمة، وأساس هذا المنهج قوله ﷺ: (وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ)[3] وتحرّي الحلال، واجتناب الحرام واجب، قال ﷺ: (إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ النَّارُ، أَوْلَى بِهِ)[4]، والله لا يقبل إلا الطيب، وفي رد الكسب المحرّم روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ، أن رَسُولُ اللهِ ﷺ قال: (أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا..)[5].

ثالثًا: الاعتدال في الإنفاق: جاء التوجيه النبوي؛ ليكون الإنسان متوازنًا بين حقّ نفسه، وحقّ المجتمع، قال النبي ﷺ لكعب بن مالك ﷺ: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)[6]، فالتبرع إنما يكون بعد الغنى، قال ﷺ: (وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى)[7].

1- الإسراف إنفاق فيما لا نبغي وزيادة على ما ينبغي، والتبذير إنفاق المال في الحرام، انظر: أبو حيان، البحر المحيط في التفسير، المحقق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت، (8/128).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ ﴾ [الأعراف: 32] (7/140-141).

3- سبق تخريجه (ص398).

4- أخرجه أحمد في مسنده، مسند جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) (22/332) حديث رقم (14441) وتحقيق الشيخ شعيب ومن معه: إسناده قوي على شرط مسلم، رجاله ثقات غير ابن خثيم، وهو عبد الله بن عثمان، فصدوق لا بأس به.

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا (2/703) حديث رقم (1015).

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا تصدق، أو أوقف بعض ماله، أو بعض رقيقه، أو دوابه، فهو جائز (4/8) حديث رقم (2757).

7- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (2/112) حديث رقم (1427).

رابعًا: العناية بالأولويات في الإنفاق: فلا يعقل أن ينفق الإنسان على المجتمع، ويترك أهله جياعًا، وعلى مستوى المجتمع لا يقبل شرعًا أن تُشيَّد الملاعب، والنوادي، والملاهي على حساب إنشاء المصانع، وإقامة المشاريع الحيوية، وبناء المدارس والمستشفيات، والمختبرات والمراكز البحثية والجامعات، فهذا يدمّر المجتمع، ويؤخر الأمة عن النهوض والتقدم، ويحرم الأجيال القادمة من الحياة الكريمة؛ بسبب إهمال الأولويات، وسُلَّم الأولويات هي أقسام المصالح من حيث قصدِ الشارع وهي: المصالح الضروريَّة، والحاجِيَّة، والتحسينيَّة[1]، ومن الإشارات النبوية للأولويات في الإنفاق من حيث الجهة المستفيدة: عَنْ جَابِرٍ ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا) يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ)[2]، وقال ﷺ: (وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ)[3].

خامسًا: الدعوة لاستثمار المال: من وسائل الشريعة في حفظ المال: استثماره وفق الشريعة، ومن ذلك قوله ﷺ: (وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ)[4] فالبيع المبرور تجارة، تتطلب وجود رأس مال، وحتى يستمر البيع يجب الحفاظ على رأس المال؛ لشراء بضاعة جديدة، وبيعها وهكذا، وهذا يفهم من إشارة النص بلغة الأصوليين[5]، ومن ذلك: الدعوة لاستثمار أموال اليتامى؛ خوفًا من تآكلها مع الزمن، قال ﷺ: (ابْتَغُوا فِي مَالِ الْيَتِيمِ أَوْ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تُذْهِبُهَا أَوْ لَا تستهلكها الصَّدَقَةُ)[6]، ومن شواهده: قول عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ ﷺ: «ابْتَغُوا فِي

1- انظر: الشاطبي، الموافقات (2/17).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ الِابْتِدَاءِ فِي النَّفَقَةِ بِالنَّفْسِ، ثُمَّ أَهْلِهِ ثُمَّ الْقَرَابَةِ (2/692) حديث رقم (997).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (2/112) حديث رقم (1427).

4- سبق تخريجه ص399.

5- المراد بما يفهم من إشارة النص المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه، ولا يقصد من سياقه، ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظه، فهو مدلول اللفظ بطريق الالتزام، انظر: خلاف، عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر، عن الطبعة الثامنة لدار القلم، (ص145).

6- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، المحقق/ محمد عبد القادر عطا دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م، كتاب الزكاة في بَابُ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ (4/179) حديث رقم (7338)، وقال البيهقي: وَهَذَا مُرْسَلٌ، وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ مَرْفُوعًا، وقال الإمام النووي: «وقد أكد الشافعي (رحمه الله) هذا المرسل بعموم الحديث الصحيح في إيجاب الزكاة مطلقا وبما رواه عن الصحابة في ذلك ورواه البيهقي عن عمر بن الخطاب ﷺ موقوفا عليه»، ينظر: النووي، المجموع شرح المهذب، دار الفكر، د. ط. ت، (5/329).

أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تَأْكُلُهَا الصَّدَقَةُ»[1].

المطلب الرابع: منهج السنة النبوية في تحقيق التكافل الاجتماعي وأثره الاقتصادي:

من توجيهات السنة النبوية تعزيز البُعدِ الاجتماعي التكافلي بما يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية؛ حيث يؤدي التكافل الاجتماعي لتداول المال، وسدّ احتياجات الفئات الفقيرة، أو العاجزة، وفي سبيل تأكيد هذا المبدأ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى)[2]، ومن ذلك حديث الأشعريين الذي يمثل نموذجًا رائعًا في التكافل، فعَنْ أَبِي مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ الْأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا[3] فِي الْغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ، بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي، وَأَنَا مِنْهُمْ)[4]، وحَرَصت السنَّة النبوية على تحقيق البُعد الاجتماعي من خلال تشريع الصدقات المفروضة، والمستحبة الدائمة، والمؤقتة، كالزكاة المفروضة، وكالصدقة الجارية بوقف الأعيان، أو الأسهم، أو العقارات المؤجرة التي يُستفاد من غلَّتِها أو دخْلها، أو أرباحها لصالح الفقراء، قال ﷺ: (إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ)[5]، وكالوقف الأهلي، أو العائلي بتأمين احتياج الأقارب من خلال الوقف، وأصل ذلك: قول النبي ﷺ لأبي طلحة ﷺ: (وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ)، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: «أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ»، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ)[6].

1- أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، بَابُ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ (4/179) حديث رقم (7340) وقال: «هَذَا إِسْنَادٌ صَحِيحٌ وَلَهُ شَوَاهِدُ عَنْ عُمَرَ ﷺ».

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (4/1999) حديث رقم (2586).

3- نَفِدَ زادُهم، وأصلُه مِنَ الرَّمْلِ، كأنَّهم لَصِقوا بالرَّمْل، كَمَا قِيلَ للفَقِير التَّرِبُ، انظر: ابن حجر، فتح الباري (1/125)، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (2/265).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشركة، باب الشركة في الطعام والنهد والعروض (3/138) حديث رقم (2486)، ومسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأشعريين (رضي الله عنه) (4/1944) حديث رقم (2500).

5- سبق تخريجه ص394.

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (2/119) حديث رقم (1461).

المطلب الخامس: تحريم المعاملات المالية والتجارية؛ تجنبًا لمفسدة آنية أو مستقبلية:

من أصول المعاملات في الإسلام تحريم ما فيه مفسدة آنية أو مستقبلة، تحمي المجتمع من مفاسد خطيرة، من أبرزها:

أولًا: الربا[1]: وقد حرمت الشريعة الربا بكل أنواعه وأشكاله القديمة والحديثة، وأعلنت الحرب عليه؛ لما فيه من مفاسد تطال الحاضر والمستقبل، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ (البقرة: 279)، وعن جابر ﷺ، قال: (لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبَا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ)[2]، ومن مفاسد الربا[3]:

- انهيار أخلاق المجتمع؛ لانعدام التعاون بين أفراده، وإغلاق باب الإحسان بين الناس.
- يؤدي إلى تضخم أموال الأغنياء على حساب الفقراء.
- فيه تعطيل للمكاسب، والتجارة، والصناعة، وما يحتاجه الناس.
- انعدام التقابل بين الجهد والثمرة؛ حيث الدائن لا يبذل جهدًا، ولا يقدم عملًا، ولا يتحمّل خسارة فيما يحصل عليه من كسب، فيترك التجارة والمصالح فتفسد الحياة، ويضطرب الأمن، وترتفع الأسعار.
- انقسام المجتمع إلى طبقتين متنازعتين: طبقة المستغلين والمتحكمين برؤوس أموالهم، وطبقة الفقراء والمستضعفين، وبالنظر في هذه الحكمة نجد أن المفاسد المترتبة على التعامل بالربا تمثل تهديدًا وجوديًا حقيقيًا على التنمية المستدامة في جميع المجالات، ومنها المجال الاقتصادي، فحين تتعطل المكاسب والاستثمارات الحقيقية في الصناعة، أو التجارة، أو الزراعة تتراجع التنمية المستدامة التي ينتفع منها الناس في المجتمع، سواء في حاضرهم أو مستقبلهم، وهذا يؤدي لانهيار

1- الربا: عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما، انظر: الشربيني، مغني المحتاج (2/363).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب لعن آكل الربا ومؤكله (3/1219) حديث رقم (1598).

3- انظر: التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية ط1، 2009م، (3/474-475) السدلان، صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان، رسالة في الفقه الميسر، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية ط1، 1425هـ، (ص106-105) وكلاهما بتصرف.

الاقتصاد؛ لأن المرابي لا يريد أن يبذل ماله في الإنتاج، كما أن بقاء المال في يد فئة قليلة دون تشغيله يؤدي لعدم تداول المال في المجتمع، فيحرم قطاعات واسعة من بناء مستقبلهم، أو تطوير أعمالهم، كما أن إغراق المدين بالدين، ومضاعفة الدين عليه عند العجز يقصم ظهره، وظهر أبنائه من بعده فيحرمهم من الحياة الكريمة؛ لاستمرارهم في سداد الديون، وهذا ما ينعكس أيضًا على البلدان التي تعتمد في ميزانيتها على الدين الداخلي أو الخارجي، ومن أسباب استمرار فقر بعض الدول العربية أو الأجنبية اعتمادها على الاقتراض الربوي، ومما يؤكد خطر هذه السياسة على إحداث تنمية مستدامة: تصريح الأمين العام للأمم المتحدة، حيث أفاد أن نصف البشرية يعيشون في بلدان مجبرة على الإنفاق على خدمة الديْن أكثر مما تنفق على الصحة والتعليم، وهو ما يجعل نصف العالم يغرق في كارثة تنموية، وحذّر الأمين العام من أن 3.3 مليار شخص في العالم يعانون بسبب وضع حكومات بلدانهم سداد فوائد الدين كأولوية بدلًا من الاستثمارات الأساسية في أهداف التنمية المستدامة، أو التحوّل في مجال الطاقة، وأن هذه الدول تجد نفسها مضطرة للاقتراض من أجل بقائها الاقتصادي، وقال الأمين العام: «إن الدين تحول من أداة مالية مهمة إلى فخٍّ يخلق المزيد من الديون»[1].

ثانيًا: القمار[2] وقد حرّمته الشريعة؛ لما فيه من خطرٍ كبير على المجتمع، ﴿إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ المائدة: [90]، وقد جاء في السنة النهي عن تعاطيه حتى مجرد الكلام في ممارسته، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (...وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ[3]، فَلْيَتَصَدَّقْ)[4]، ومفاسده الدينية والأخلاقية والاقتصادية

1- انظر: مقال بعنوان: «كارثة إنمائية»: 3.3 مليار شخص في العالم يعانون بسبب الديون، موقع الأمم المتحدة، الرباط: https: //news.un.org/ar/story/2023/07/1121892

2- القمار عقد يقوم على المراهنة، انظر: وزارة أوقاف الكويت، الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت ط2، دار السلاسل، الكويت (من 1427-1404هـ) (16/168).

3- قامره يقامره قمارا إذا طلب كل واحد أن يغلب صاحبه في عمل أو قول ليأخذ مالًا جعلاه للغالب، وهو حرام بالإجماع، انظر: العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت، (19/202).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ﴾ [النجم: 19] (6/141) حديث رقم (4860)، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من حلف باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله (3/1267) حديث رقم (1647).

والاجتماعية والنفسية كثيرة، فمن الاقتصادية[1]:

- المخاطرة بالمال والأهل؛ حيث يكون المال في خطر الزوال، والأهل والأولاد ومستقبلهم بين تشرد أو تسديد ديون والدهم، أو تسخيرهم، واستغلالهم من قبل الرابحين، وهذا خطر حقيقي على أيّ تنمية مستمرة أو حتى مؤقتة في المجتمع، قال ابن عباس ﷺ: "كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله، فأيّهما قمر صاحبه- غلبه في القمار- ذهب بأهله وماله"[2].
- القمار من مفرزات النظام الرأسمالي؛ يعوّد الناس على الكسب من طريق غير إنتاجي.
- القمار نشاط غير اقتصادي، إذ لا يضيف شيئًا إلى ثروة الأمة، إنَّما تتحوّل الثروة فيه من شخص لآخر.

ثالثًا: الاحتكار[3]: وقد نهى عنه النبي ﷺ؛ لما فيه من مفاسد اقتصادية، وغيرها على المجتمع، قال رسول الله ﷺ: (لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ [4] [5])، وقال رسول الله ﷺ: (وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ)[6]، ومن مفاسد الاحتكار: التضييق على الناس في أقواتهم[7]، والاحتكار من مظاهر الرأسمالية اليوم؛ حيث يستحوذ المحتكرون على سلع معينة فيتحكّمون في أسعارها، ما يمثل تهديدًا على التجار الصغار الراغبين بتقديم منتجات مشابهة، وهذا يحرِم الأجيال القادمة من الحريّة المالية في إنتاج سلعٍ منافسة، ومن تداعيات ذلك: البطالة والتضخم،

1- انظر: المصري، رفيق المصري، التمويل الإسلامي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 2012م، (ص32-30).

2- انظر: الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري (جامع البيان)، المحقق/ أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م، (4/324).

3- الاحتكار: اشتراء طعام ونحوه وحبسه إلى الغلاء، انظر: ابن عابدين، الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار) دار الفكر، بيروت، ط2، 1992م، (6/398).

4- (إلا خاطئ) أي عاص أو آثم اسم فاعل من أخطأ يخطئ إذا أثم ومنه قوله تعالى: {إن قتلهم كان خطئًا كبيرًا} والاسم منه الخطيئة، انظر: المناوي، زين الدين محمد، فيض القدير شرح الجامع الصغير، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356هـ، (6/446).

5- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم الاحتكار في الأقوات (3/1228) حديث رقم (1605).

6- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د. ط. ت، كتاب التجارات، بَابُ الْحُكْرَةِ وَالْجَلْبِ (2/728) حديث رقم (2153)

7- انظر: المناوي، فيض القدير (6/446)، ابن القيم، إعلام الموقعين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م، (3/122).

والغش، وقتل روح المنافسة الشريفة، كما يدفع الاحتكار القائم به إلى تبديد جزء من الموارد، والتخلّص منها إما حرقًا أو رميًا في البحر أو غير ذلك؛ خوفًا من انخفاض الأسعار في السوق العالمية[1].

المبحث الثالث: سمات التنمية المستدامة في السنة النبوية في المجال الاقتصادي

المطلب الأول: الانضباط الشرعي:

وأقصد بالانضباط الشرعي: أنَّ أيَّ نشاط اقتصاديّ يجب أن يكون منضبطًا بأحكام الشريعة الغراء؛ لأن المؤمن مُستأمَن على هذا المال، ومستخلف فيه وفق توجيهات الشرع، سواء من حيث كسب المال، أو استثماره، أو إنفاقه، أو ادخاره، أو توريثه، أو إقامة المشاريع للأجيال الحاضرة أو المستقبلية ومن توجيهات النبوة في تعزيز هذه السمة:

أولًا: تحمل المسؤولية الدينية: فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ)[2]، ومحل الشاهد من التوجيه النبوي يتمثل بقوله ﷺ: (وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ)، فهذا يؤصِّل لضبط مصادر المال، وتقنين المكاسب؛ حفظًا للمال؛ وتحقيقًا لمصالح التنمية، والاستثمار والتطوير، ودفعًا لأيّ مفاسد جرّاء الكسب غير المشروع كالربا، أو القمار، أو الاحتكار، أو الغش، أو الغرر؛ لأنَّ القول بشرعية الكسب المحرَّم يُفضي لمفاسد تضر بأيّ تنمية اقتصادية في المجتمع.

كما يتمثل التوجيه النبوي بقوله ﷺ: (وَفِيمَ أَنْفَقَهُ)، فهذا يؤصِّل لضبط مصارف المال المكتسب بالحلال أن يكون في وجوه الحلال؛ حفظًا للمال من الإهدار، وتحقيقًا لترشيد الإنفاق، وتوظيفًا أمثل للمال، ودفعًا لمفاسد الإسراف والتبذير، واللهو الفاسد المفضي لتآكل المال، أو هلاكه مما يُضعف أو يعيق أيّ تنمية مستدامة في المستقبل.

1- انظر: موقع الخليج الالكتروني، مقال بعنوان: الاحتكار ظاهرة يحاربها الإسلام، رابط المقال https://www.alkhaleej.ae/%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%82/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%83%D8%A7%D8%B1، %D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9، %D9%8A%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D9%87%D8%A7، %D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85

2- سبق تخريجه (ص398).

ثانيًا: النهي عن الكسب الحرام: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِكَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ ﷺ: (إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ[1] النَّارُ أَوْلَى بِهِ)[2]، ومن هنا حرَّم النبيُّ ﷺ بعض البيوع؛ إما لاشتمالها على الرِّبا، أو على القمار، أو الغرر، أو الغش، أو النجاسة، فمن ذلك: النهيُّ عن الغشِّ بكل أشكاله سواء في التجارة، أو الصناعة، أو البناء، أو المقاولة، أو تقديم الخدمات بمواصفات مخالفة، قال ﷺ: (مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي)[3]، وعلاقة الضَّبط الشَّرعيّ للكسب ضروريّة للتنمية؛ لأنَّ أيَّ تبرع، أو وقف، أو مشروع اقتصاديّ اشتمل على أيِّ نوع من الغشّ يشمله النهي الشرعي، ويضرُّ قطعًا بالمستفيدين في الحاضر أو المستقبل.

المطلب الثاني: الشمولية:

جاءت الشريعة؛ لتحقيق مصالح العباد الشاملة للضروريّات، والحاجيّات، والتحسينيّات، وفي سبيل ذلك وجّهت الشريعة المكلّفين بالحفاظ على الأرض، وثرواتها البيئيّة، والحيوانية والنباتية؛ لدرء المفاسد، والأخطار عن حاضر المجتمع ومستقبله من خلال التوجيهات الشاملة للتنمية الاقتصادية المستدامة، ومنها:

- **شمولية من حيث الجهة المستفيدة من التنمية:** فعن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)[4]، فمنفعة الزرع هنا منفعة شاملة يستفيد منه الإنسان، والحيوان، والطير، ومن المعلوم أن الغرس يدوم، وأن الزرع يستمر؛ لأن ثماره إنما تبدأ بعد فترة من الزمن، ولهذا قال شرّاح الحديث بأن هذه الأحاديث تدل على فضيلة الغرس

1- يُقَال: مَال فلَان سُحْت أي لَا شيء على من اسْتَهْلكهُ، وَدَمه سحت: أي لَا شيء على من سفكه، واشتقاقه من السَّحْتِ وَهُوَ: الإهلاك والاستئصال، والسُّحْت لما لَا يحل كَسبه؛ لِأَنَّهُ يَسْحَت الْبركَة، انظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، الفائق في غريب الحديث، المحقق/ علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان، ط2، د. ت، (2/158).

2- سبق تخريجه (ص402).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) (1/99) حديث رقم (102).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (3/103) حديث رقم (2320)، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (3/1189) حديث رقم (1553).

والزرع، وعمارة الأرض[1].

- **شمولية من حيث مجالات التنمية:** فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)[2]، فإعداد المواطن الصالح تنمية، ونقل العلم، والمعرفة، والخبرة للأجيال تنمية، والصدقات الجارية التي يدوم نفعها للأجيال القادمة تنمية.

المطلب الثالث: الإرادة والإيجابية[3]

إن الإرادة الفردية، والجماعية على تحقيق الاكتفاء الذاتي، والاستغناء المادي، والنهوض الاقتصادي هي حجر الزاوية في تحقيق التنمية المستدامة، والإرادة الفردية، أو الجماعية هي التي تولّد الروح الإيجابية تجاه المال، وكسبه، وادخاره، واستثماره، وتنميته، وتوزيعه، في مختلف المجالات الدينية والدنيوية، وقد علَّمنا النبيُّ ﷺ الاستعاذة من الآفات التي تُعيق أيّ تقدم، فقد كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يدعو: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ وَالبُخْلِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ)[4]، وفي السنة النبوية نجد دعوة صريحة للإرادة والإيجابية في الاستمرار بالعمل والإنتاج مهما كانت الظروف أو المخاوف، قال ﷺ: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ)[5]، وفي السنة النبوية نجد مدحًا للمعطي على الآخذ، قال ﷺ: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)[6]، فهذه توجيهات نبوية يقصد منها بناء إيجابية الإنسان بالانطلاق للحياة وبذل الجهد؛ ليكون غنيًا قادرًا على البذل والعطاء، بما يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية.

1- انظر: ابن حجر، فتح الباري (5/4)، النووي، شرح النووي على مسلم (10/213).

2- سبق تخريجه (ص394).

3- الإيجابية تعني: المسؤولية والمبادرة والانخراط بفاعلية في المجتمع حسب طاقاته، وإمكاناته، ومواهبه، واجتناب أي سلوك يدل على التواكل والتخاذل والتباطؤ والتكاسل، وأن يكون المسلم مؤثرًا في محيطه، انظر: العمري، نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الاسلامية، مؤسسة الرسالة، ط9، 2001م، (ص36)، بتصرف.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الدعوات، باب التعوذ من الجبن (8/79)(حديث رقم (6369).

5- أخرجه أحمد في مسنده، مسند أنس بن مالك (رضي الله عنه) (20/296) حديث رقم (12981)، وإسناده صحيح على شرط مسلم كما أفاد الشيخ شعيب الأرناؤوط ومن معه.

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (2/112) حديث رقم (1427).

المطلب الرابع: الوسطية والاعتدال:

من أهم سمات الشريعة: التوسط والاعتدال، وينعكس هذا على التنمية المستدامة في الاقتصاد، فلا هي تجبر العباد على التخلّي عن تعلّقهم بالمال، ولا هي ترضى أن يكنزوا ثرواتهم، ويحرموا المجتمع من سريان أموالهم في التنمية؛ والمقصد الشرعي من هذا التوازن تحقيق التداول للمال؛ لأنه أصلًا مال الله تعالى، والعباد مستخلفون فيه، ولهذا كان التوجيه النبوي بأن يعطوا كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ومن أجل ذلك كان تقييد الوصية، قال ﷺ: (الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ)[1]، وهذا لأجل الموازنة بين حق الموصي وذريته، وبين حق المجتمع وأجياله القادمة، ولهذا قال النبي ﷺ، لكعب بن مالك رضي الله عنه لما أراد التصدق بماله كله: (أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ)[2]، وفي هذا السياق قال النبي ﷺ: (وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى)[3].

المطلب الخامس: المسؤولية الاجتماعية (الزكاة والصدقات):

من أهم سمات التنمية المستدامة أنها ذات أبعاد اجتماعية تحقق معنى التكافل الاجتماعي فلا يَقبل الإسلام من المسلمين أن يتمتع بعضهم بالخيرات، ويكتوي آخرون بالجوع والحرمان، والدعوة لتحمل مسؤولية المحتاجين في السنة النبوية واضحة، وقد سبق الإشارة لبعضها، منها حديث الأشعريين، ومنها قول الراوي: (حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ)[4]، ومنهج السنَّة النبوية في تحقيق البعد الاجتماعي للتنمية يتمثل بتشريع الصدقات المفروضة والمستحبة الدائمة والمؤقتة، كالصدقة الجارية بوقف الأعيان أو الأسهم أو العقارات المؤجرة، وسبق الحديث عنها، والوقف الأهلي أو العائلي وسبق الحديث عنه، والحث على الصدقات، وفرض الزكاة، والمقصد منها: تحقيق الكفاية الاقتصادية للفئات المستحقة في المجتمع.

1- سبق تخريجه (ص393).
2- سبق تخريجه (ص402).
3- سبق تخريجه (ص402).
4- سبق تخريجه (ص397).

المطلب السادس: استشراف المستقبل[1] وصيانة حق الأجيال القادمة:

من مقاصد الشريعة الغراء النَّظر في مآلات الأفعال[2]، فإذا أدى فعل، أو سلوك، أو ممارسة ماليّة لمفسدة منعها الشارع، وهذا يدل على رؤية شرعية استشرافية للمستقبل، ومن تلك التشريعات:

أولًا: نظام الميراث في الإسلام: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (..وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ)[3]، في الحديث إشارة واضحة لحفظ حق الورثة، ومعظم من يستشرف الحياة أكثر ممن يستدبرها، وقد نظمت الشريعة حالات الميراث بما يسهم في نقل المال للأجيال المتعاقبة، وسبق الإشارة لهذا التشريع في المبحث الأول في سياق التأصيل.

ثانيًا: تقييد التبرع بحالة اليسار والغني: فقد بيّن النبي ﷺ أن التبرع إنما يكون بعد الغنى، فالأصل في التنمية المستدامة أن تبدأ بصاحبها، وبأهله ثم بالمجتمع، قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى..)[4]، ففي هذا الحديث إشارات واضحة للتنمية المستدامة من وجوه:

- قوله ﷺ: (اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى) دعوة للعمل والكسب والأخذ بالأسباب؛ لتكون اليد العليا المنفقة خير من الآخذة، وهذا جزء من مفهوم التنمية المستدامة.
- قوله ﷺ: (وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ): بيان لأولوية الإنفاق أن يكون في الأهل تمكينًا لهم من العيش الكريم، وهذا نظر واقعي لمستقبل أولاد المتبرع.
- قوله ﷺ: (وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى) بيان أن التبرع إنما يكون بعد تحقق الغنى، وهذا نظر مستقبلي لحالة المتصدق، وذريته في عدم البقاء تحت حالة الفقر.

1- مصطلح استشراف المستقبل: (فن التفكير في الاتجاهات المستقبلية المحتملة ومحاولة استكشافها والسعي لقراءة عواقبها، ورصد تأثيرها على القرار، في مجالات الحياة المختلفة، على المدى القريب أو المتوسط، أو البعيد، وذلك من خلال تحليل معطيات الواقع المعاصر، وفهم سنن التغيير) انظر: البشير، محمد بشير البشير، أهمية استشراف المستقبل وضوابطه: دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، من أبحاث الندوة العليمة الدولية الخامسة (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية) المنعقدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 19، 20 أبريل 2011م بتنظيمها وإدارة ندوة الحديث الشريف ط2 (ص178).

2- انظر: الشاطبي، الموافقات (5/177).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ) (8/150) حديث رقم (6731).

4- سبق تخريجه (ص410).

ثالثًا: تقييد الوصية بالثلث: فعن سعد بن أبي وقاص ﷺ، أن النبي ﷺ قال له حين أراد الوصية بكل ماله أو نصفه: (الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ، أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ)[1]، وقد تضمّن الحديث توجيهات نبوية استشرافية متصلة بمستقبل الأجيال، منها:

- **الوصية:** وهذا محور التنمية المستدامة؛ لاتصالها بما بعد الموت.
- **تقييد الوصية بالثلث:** وهذا توجيه نبوي؛ لتأمين حياة كريمة لمستقبل الأبناء والأحفاد.

رابعًا: الحفاظ على أموال اليتامى، واستثمارها: ومن مقاصد ذلك؛ أن هذا المال ذخيرتهم في قادمات أيامهم، ومن هنا وجّهت السنَّة النبوية أوصياء اليتامى لاستثمار أموالهم؛ حفظًا لها من النقصان، أو التآكل مع الزمن؛ بسبب الاستهلاك، أو أيّ التزامات أخرى كالصدقة، قَالَ ﷺ: (ابْتَغُوا فِي مَالِ الْيَتِيمِ أَوْ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى لَا تُذْهِبُهَا أَوْ لَا تَسْتَهْلِكُهَا الصَّدَقَةُ)[2].

خامسًا: النهي عن التبرع بكل المال: من مقاصد الشريعة في النَّهي عن التبرع بكل المال إبقاء الكفاية للمتصدق وذريَّتِه، قال النَّبيُّ ﷺ للمتبرع بكل ماله: (يَجِيءُ أَحَدُكُمْ بِمَالِهِ - أَوْ كَمَا قَالَ - لَا يَمْلِكُ غَيْرَهُ يَتَصَدَّقُ بِهِ، ثُمَّ يَقْعُدُ بَعْدَ ذَلِكَ يَتَكَفَّفُ النَّاسَ؟ إِنَّمَا الصَّدَقَةُ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، خُذْ عَنَّا مَالَكَ لَا حَاجَةَ لَنَا بِه)[3].

1- سبق تخريجه (ص393).

2- سبق تخريجه (ص403).

3- أخرجه الدارمي في سننه، أبواب الزكاة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الصَّدَقَةِ بِجَمِيعِ مَا عِنْدَ الرَّجُلِ (2/1032) حديث رقم (1700)، والبيهقي في السنن الكبرى، كتاب الزكاة، بَابُ مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: (خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى)...الخ (4/304) حديث رقم (7777)، وأبو يعلى في مسنده، المحقق/ حسين سليم أسد دار المأمون للتراث، دمشق ط1، 1984م، مسند جابر (رضي الله عنه) (4/65) حديث رقم (2084)، وقال حسين سليم أسد: «رجال ثقات».

المطلب السابع: ربط التنمية المستدامة بمبدأ الثواب الأخروي:

من سمات التنمية المستدامة في الإسلام اتصالها بمفهوم الأجر الأخروي، وبهذا فإنها تتفوّق على جميع نظريات التنمية المستدامة، وهذا يؤدي لتنمية الإحساس الديني تجاه قضايا التنمية، وقد حفلت السنة النبوية بهذه المواقف، ومنها: قول أبي طلحة ﷺ لرسول الله ﷺ: (وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللَّهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللَّهُ)[1]، ومنها: قول النبي ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ: (وَلَسْتَ تُنْفِقُ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ، إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى اللُّقْمَةُ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»[2]، ومنها: الصدقة عن الميت، قال سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ ﷺ: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمِّي تُوُفِّيَتْ وَأَنَا غَائِبٌ عَنْهَا، أَيَنْفَعُهَا شَيْءٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ بِهِ عَنْهَا؟ قَالَ: نَعَمْ)[3]، ومنها: أن النبي ﷺ لما أمر ببناء المسجد، قال: (يَا بَنِي النَّجَّارِ ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ هَذَا»، قَالُوا: لَا وَاللَّه لَا نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إِلَّا إِلَى اللَّهِ»[4]، وقيمة هذه الدوافع أنها تبعث القوّة والحياة، والكفاءة، والجودة، والإتقان في أعمال التنمية المستدامة؛ لأنها تستند إلى دوافع إيمانيّة، عَنْ عَائِشَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ)[5].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب (2/119) حديث رقم (1461).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، باب الوصية بالثلث (3/1250-1251) حديث رقم (1628).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا قال: أرضي أو بستاني صدقة لله عن أمي فهو جائز، وإن لم يبين لمن ذلك (4/7) حديث رقم (2756).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب إذا أوقف جماعة أرضا مشاعا فهو جائز (4/12) حديث رقم (2771).

5- أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ط2، د. ت، باب السين، سِيرِينُ أُخْتُ مَارِيَةَ سَرِيَّةُ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (24/306) حديث رقم (776)، وأبو يعلى في مسنده، مسند عائشة (رضي الله عنها) (7/349) حديث رقم (4386)، وصححه الشيخ الألباني انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة (3/106) حديث رقم (1113) وقال: «وللحديث شاهد يقويه بعض القوة وهو بلفظ: (إن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن) أخرجه البيهقي في «الشعب» أ.ه الألباني.

الخاتمة

(أهم النتائج والتوصيات)

حاولتُ في هذا البحث الوصول إلى نصوص نبوية شريفة تتضمن إشارات، أو إيماءات، أو تعليلات، تساعد في تنزيل هذه النصوص على مفهوم التنمية المستدامة، وأبعادها ومجالاتها، وهذه مشكلة البحث: تأصيل التنمية في السنة، ومحاولة تنزيل نصوصها على الواقع المعاصر، واستنباط سمات التنمية من نصوص السنة النبوية.

وقد تضمن البحث جملة من النتائج والتوصيات من أبرزها:

1. مفهوم التنمية المستدامة: عملية تنمية شاملة لتلبية احتياجات المجتمع بكل مكوناته في الحاضر وبما يراعي احتياجات أجياله في المستقبل.
2. العلاقة بين الاقتصاد الإسلامي والتنمية المستدامة علاقة سببية، فتطبيق الاقتصاد الإسلامي يؤدي إلى التنمية المستدامة
3. التنمية المستدامة في المجال الاقتصادي الإسلامي تعني: عملية تنمية شاملة لمكونات المجتمع أفرادًا وجماعات، وتطوير للنشاط الاقتصادي من منظور شرعي من حيث: الكسب والإنتاج، أو التوزيع والإنفاق والاستهلاك أو التطوير والاستثمار بما يضمن حياة كريمة للأحياء ومستقبلًا واعدًا للأجيال القادمة.
4. نظام الميراث ينقل المال للورثة مما يسهم في توفير حياة كريمة لأجيال متعاقبة.
5. الوقف «الصدقة الجارية» يعني تحويل للأموال عن الاستهلاك، إلى أصول رأسمالية إنتاجية تنتج المنافع والإيرادات التي تستهلك في المستقبل جماعيًا أو فرديًا، فهو طريقة تجمع بين الادخار والاستثمار معًا.
6. «الزكاة والصدقات» من أداوت توزيع الدخل، والثروة في المجتمع، تؤدي لتداول المال، وتحارب البطالة والفقر، وتعمل على تأمين أبناء المجتمع ضد العجز الحقيقي أو الحُكمي.
7. إرادة الإنسان أهم أساس حضاري للاقتصاد، والإرادة تولّد الروح الإيجابية تجاه المال، وكسبه، وادخاره، واستثماره وتنميته وتوزيعه.

8. محور التنمية المستدامة هو الإنسان، ومن مقاصد الشارع: تكريمه وحفظه وتحقيق مصالحه في الدارين، وجوهر الاستدامة تحقيق الاستخلاف في الأرض وعمارة الكون بما يفيد الناس في حاضرهم، ومستقبلهم.

9. تتفوق السنة النبوية في مفهوم الاستدامة على كل النظريات، ففي السنة تتصل التنمية بالإنسان لما بعد موته، بل ويجد أثر ما قدم في معاده عند ربه.

10. المحافظة على مقصد الدين يوجّه الإنسان للفضيلة التي تدفع الإنسان للتفكير بمصالحه الحاضرة، والتطلع لمنفعة الأجيال القادمة، والمحافظة على مقصد العقل بإعماله ومنع كل ما يؤذيه أو يعطل دوره يوفر بيئة علمية للمسلمين وللأجيال القادمة تسهم في النهضة والازدهار، والمحافظة على مقصد المال بتشجيع أنواع المكاسب، ومنع التعدي على أموال الناس يؤدي لحياة آمنة كريمة للناس وأجيالهم.

11. نجاح التنمية المستدامة متصل بمنع الضرر، فأي نشاط اقتصادي يتضمن إلحاق الأذى بالناس محرم شرعًا؛ لأنه يؤدي إلى مفاسد تطال الحاضر والمستقبل.

12. من أصول التصور الإسلامي للمال في السنة النبوية أن: المال مال الله، والإنسان مستخلف فيه، وترسيخ مبدأ التوكل والأخذ بالأسباب، والمسؤولية الدنيوية والأخروية عن المال، والنظرة الإيجابية له.

13. من طرق القضاء على الفقر والبطالة في السنة: التشجيع على العمل، والكسب، وإباحة البيوع، والشركات مثل: المزارعة، المساقاة، المضاربة، وإحياء الأرض الموات.

14. من تدابير السنة النبوية في التوظيف الأمثل للمال: النهي عن الإسراف والتبذير، والإنفاق الحلال، والاعتدال في الإنفاق، والعناية بالأولويات في الإنفاق، والدعوة لاستثمار المال.

15. من أصول المعاملات في الإسلام تحريم ما فيه مفسدة آنية أو مستقبلة، تحمي المجتمع من مفاسد خطيرة، من أبرزها الربا والقمار والاحتكار.

16. من سمات التنمية المستدامة في السنة النبوية: الانضباط الشرعي، التوسط والاعتدال، الرؤية الاستشرافية للمستقبل واتصالها بمفهوم الأجر الأخروي.

أهم التوصيات:

1. دعوة الباحثين والمختصين في الفقه والاقتصاد الإسلامي لبحث قضايا التنمية المستدامة المتعددة، تأصيلًا وتأطيرًا وتنزيلًا وتطويرًا من خلال المؤتمرات واللقاءات الدولية والمحلية؛ لأن ميدانها رحب وواسع.
2. دعوة الجامعات وكليات الشريعة لإدراج مساقات أكاديمية في خططها الدراسية تتناول (التنمية المستدامة في الإسلام) سواء في مجالها الاقتصادي أو البيئي أو الاجتماعي.
3. إعداد منهج أو ميثاق (التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي) بإشراف نخبة من المختصين في الاقتصاد والشريعة، وتقديمه لمؤسسة التنمية في جامعة الدول العربية.
4. ترجمة الميثاق المذكور للدول الأجنبية وجامعتها ومراكزها البحثية ومجلاتها العليمة، والعمل على رفعه لأمانة الأمم المتحدة وطلب اعتماده كمرجع للدول والحكومات الإسلامية والعربية.
5. التشبيك والشراكة مع مؤسسات التنمية والأوقاف؛ للتوعية بالتنمية المستدامة وأهميتها الملحة لعموم الناس.

المصادر والمراجع

- الاختيار لتعليل المختار، عبد الله بن محمود بن مودود الموصلي مجد الدين أبو الفضل الحنفي مطبعة الحلبي، القاهرة، وصورتها دار الكتب العلمية، بيروت، وغيرها، د. ط، 1937م.
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط3، 1989م.
- الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول، محمد شوقي الفنجري، وزارة الأوقاف، د. ط. ت.
- أضواء على الثقافة الإسلامية، نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، ط9، 2001م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق/ محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1991م.
- الإنتاج والتنمية رؤية اقتصادية إسلامية، إبراهيم خريس، بحث مقدم إلى الملتقى الدولي الأول لمعهد العلوم الاقتصادية التجارية وعلوم التسيير، تنظيم المركز الجامعي بغرداية، الجزائر، 23-24/2/2010م.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي، دار إحياء التراث العربي، ط2، د. ت.
- أنيس الفقهاء في تعريفات الألفاظ المتداولة بين الفقهاء، قاسم بن عبد الله بن أمير علي القونوي الرومي الحنفي، دار الكتب العلمية، د. ط، 2004م.
- اهتمام السنة بالاستشراف والتخطيط في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كايد يوسف قرعوش، من أبحاث الندوة العليمة الدولية الخامسة (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية) المنعقدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي 19-20 أبريل 2011م بتنظيمها وندوة الحديث الشريف ط2.
- أهمية استشراف المستقبل وضوابطه: دراسة تأصيلية في ضوء السنة النبوية، محمد

بشير البشير، من أبحاث الندوة العليمة الدولية الخامسة (الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية) المنعقدة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي بدبي 20-19 أبريل 2011م بتنظيمها وإدارة ندوة الحديث الشريف ط2.

- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق/ صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت.
- تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، القاهرة، ط1، 1313هـ.
- تحرير ألفاظ التنبيه، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار القلم دمشق ط1، 1408ه.
- تفسير الطبري (جامع البيان)، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق/ أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 2000م.
- التمويل الإسلامي، رفيق المصري، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 2012م.
- التنمية الاقتصادية في السنة النبوية، ضياء محمد محمود المشهداني، بحث مقدم للملتقى الدولي: مقومات المحقق/ التنمية المستدامة في الاقتصاد الإسلامي، جامعة قالمة 3-4/12/2012م.
- التنمية المستدامة من مقاصد الشريعة الإسلامية، أحمد موسى، مجلة كلية الشريعة والقانون بتفهنا الأشراف الدقهلية العدد 23، ج4، 2021م.
- التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1990م.
- جامع العلوم والحكم، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي، المحقق/ شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 2001م.

- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، المحقق/ محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط1، 1422هـ.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، السعادة بجوار محافظة مصر، 1974م.
- الخلاصة في الاقتصاد، محمد بن سعود العصيمي، دار أصول المنهاج للنشر، 1442هـ.
- الدر المختار وحاشية ابن عابدين (رد المحتار)، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي، دار الفكر، بيروت ط2، 1992م.
- رسالة في الفقه الميسر، صالح بن غانم بن عبد الله بن سليمان بن علي السدلان، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف، المملكة العربية السعودية ط1، 1425هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1995م.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د. ط. ت.
- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى، المحقق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1975م.
- السنن الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.
- شرح القواعد الفقهية، أحمد بن الشيخ محمد الزرقا، صححه وعلق عليه: مصطفى أحمد الزرقا، دار القلم، دمشق ط2، 1989م.

- شرح النووي على مسلم، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط2، 1392هـ.
- صحيح الأدب للإمام البخاري، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4، 1997م.
- صحيح الجامع الصغير وزيادته، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني، المكتب الإسلامي، د. ط. ت.
- علم أصول الفقه، عبد الوهاب خلاف، مكتبة الدعوة، شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت.
- الفائق في غريب الحديث، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله المحقق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، لبنان ط، د. ت.
- الفتاوى الفقهية الكبرى، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس، المكتبة الإسلامية، د. ط. ت.
- الفتاوى الهندية، لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر ط2، 1310هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، دار المعرفة، بيروت، د. ط، 1379ه.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط1، 1356ه.

- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، دار الفكر، د. ط. ت.
- المستصفى، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، دار الكتب العلمية، ط1، 1993م.
- مسند أبي يعلى، أحمد بن علي بن المثُنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، المحقق/ حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط1، 1984م.
- مسند أحمد، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة ط1، 2001م.
- مسند الدارمي (سنن الدارمي)، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، المحقق/ حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية ط1، 2000م.
- مسند الشهاب، أبو عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر بن علي بن حكمون القضاعي المصري، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ط. ت.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت.

- معجم اللغة العربية المعاصر، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، د. ط، 2008م.
- معجم لغة الفقهاء، محمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1988م.
- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، دار الكتب العلمية ط1، 1994م.
- المغني، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، الشهير بابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، د. ط. ت.
- الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، المحقق/ أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط1، 1997م.
- موسوعة الفقه الإسلامي، محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري، بيت الأفكار الدولية، ط1، 2009م.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت ط2، دار السلاسل، الكويت (من 1404، 1427هـ).
- موطأ مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، د. ط، 1985م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط. ت، 1979م.
- الوقف الإسلامي تطوره، إدارته، تنميته، منذر قحف، دار الفكر المعاصر، دمشق، الإعادة الثانية، 2006م.

مراجع إلكترونية:

الشبكة العربية للتميز والاستدامة

- مقال بعنوان: «كارثة إنمائية»: 3.3 مليار شخص في العالم يعانون بسبب الديون، موقع الأمم المتحدة، الرباط: https://news.un.org/ar/story/2023/07/1121892
- موقع الأمم المتحدة: https://www.un.org/ar/122274
- موقع الأمم المتحدة الأسكوا: https://stage-unescwa.unescwa.org/ar/sd-glossary/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%86%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D8%AA%D8%AF%D8%A7%D9%85%D8%A9
- موقع الخليج الالكتروني، مقال بعنوان: الاحتكار ظاهرة يحاربها الإسلام، رابط المقال: https://www.alkhaleej.ae/%D9%85%D9%84%D8%AD%D9%82/%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AD%D8%AA%D9%83%D8%A7%D8%B1-%D8%B8%D8%A7%D9%87%D8%B1%D8%A9-%D9%8A%D8%AD%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D9%87%D8%A7-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85

التوجيهاتُ النبويّةُ نحوَ مُواجهةِ الأمراضِ النفسيّةِ المُتعلقةِ بالمالِ وأثرها فِي تحقيقِ التنميةِ المُستدامةِ

د. مصطفى ضاحي عبد الرؤوف

واعظ عام بالأزهر الشريف – مصر

ملخص

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، أما بعد، فقد اهتمت السنة النبوية بتحقيق التنمية المستدامة من خلال معالجة القضايا التي تقف عائقا دون تحقيقها، ولعل الأمراض النفسية المتعلقة بالمال؛ تعد من أخطر الآفات التي تهدد تحقيق التنمية المستدامة، وإن المتأمل في نصوص السنة النبوية يجد فيها منهجا رائعا في معالجة قضايا الأمراض النفسية المتعلقة بالمال كالشح والإسراف من خلال حرص النبي ﷺ على مواجهته لها بكافة الوسائل التربوية والعقدية، للحد من خطورتها على الفرد والمجتمع، والسعي نحو تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة، يستفيد منها المجتمع بكافة طوائفه. ولعل أهم ما يميز هذا المنهج النبوي في معالجته لهذه الظاهرة، هو الجمع في آن واحد بين سبل وآليات المواجهة؛ فتارة يحث على النفقة، وتارة يحذر من البخل.

الكلمات المفتاحية: الأمراض، النفسية، المال التنمية، المستدامة، السنة النبوية.

Abstract

Praise be to God. We praise Him, seek His help, and seek His forgiveness. We seek refuge in God from the evils of ourselves and from the evils of our deeds. Whoever God guides is the right one, and whoever He leads astray, you will never find for him a guardian or guide. The Sunnah of the Prophet was concerned with achieving sustainable development by addressing the issues that stand in the way of achieving it.

Perhaps psychological illnesses related to money; It is considered one of the most dangerous pests that threaten the achievement of sustainable development, and one who meditates on the texts of the Prophet's Sunnah will find in it a wonderful approach in dealing with issues of psychological illnesses related to money, such as scarcity and extravagance, through the keenness of the Prophet, may God bless him and grant him peace, to confront them with all educational and doctrinal means.

To reduce its danger to the individual and society, and to strive towards achieving sustainable economic development that benefits society in all its sects. Perhaps the most important thing that distinguishes this prophetic approach in dealing with this phenomenon is the combination of ways and mechanisms of confrontation at the same time. Sometimes he encourages spending, and sometimes he warns against miserliness.

Keywords: Diseases, psychology, money, development, sustainable development, the Sunnah of the Prophet.

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، وبعد،

فإن المال يشكل أهمية كبيرة في حياة البشر ونشاط التعامل بينهم، أفرادًا وجماعات ودولا، ولكن يجب العلم أنه وسيلة وليس غاية في ذاته؛ وقد برز دور السنة النبوية جليا في نبذ الانحرافات السلوكية عامة، والمالية خاصة، وبيان اشتمالها على مجموعة المبادئ التي تضبط السلوك المالي للفرد والمجتمع، وتسليط الضوء على دوام صلاحية هذا الدور بالرغم من تغير الزمان والمكان، واختلاف أشكال المعاملات والظروف المحيطة بها؛ لضمان تحقيق الهدف المرجو من وجود المال، وهو تحقيق التنمية المستدامة.

فسيكولوجيا الأمراض النفسية المتعلقة بالمال تتنوع إلى أقسام؛ منها: الأمراض النفسية التي تتعلق بالبخل والإمساك؛ وهو عائق أمام الأفراد من القيام بالغرض المرجو من وجود المال في أيديهم، كالقيام بعمل مشروعات اقتصادية يستفيد منها المجتمع؛ مما يعوق تحقيق التنمية المستدامة، وقد حذرت السنة النبوية منه حتى أخبر الرسول ﷺ أنه لا يَجتمع الشحُّ مع الإيمان في قلب مسلم؛ فعن أبي هريرة ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ فِي مَنْخَرَيْ مُسْلِمٍ، وَلَا يَجْتَمِعُ شُحٌّ وَإِيمَانٌ فِي قَلْبِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ»[1].

فالشُّحُّ وكمالُ الإيمان بالله لا يمكن أن يجتمعا في قلب إنسان أبدًا، فالمؤمن يعلم المالكَ الحقيقيّ للمال الذي جعله اللهُ بين يديه، فيحمِلُهُ إيمانُه على وضع المال في المكان الذي أراده الله، أمَّا المنافق فيظنُّ أنَّه المالك الحقيقي، فتضنُّ نفسُه بما في يديه.

وهناك فئة ثانية من سيكولوجيا الأمراض النفسية المتعلقة بالمال وهي: الأمراض النفسية التي تتعلق بالإسراف والتبذير والإفراط في المال؛ فيجعله يضيع المال فيما لا نفع للناس به، مما يعوق الشخص الذي يملكه من تحقيق التنمية المستدامة فيه، وقد حذرت

1- أخرجه النسائي في سننه (المجتبى)، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ، كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (6/14) حديث رقم (3114)، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن النسائي، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1409هـ، 1988م، ومسند أحمد، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط1، 2001م، (12/450) حديث رقم (7480)، قال شعيب الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

السنة النبوية منه أيضا؛ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خمس: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ[1].

وهناك حالة نفسية نادرة وهي؛ الزهد في المال، تتمثل في الإعراض عن المال، وكذلك عدم الإقبال عليه، وهذا من شأنه أن يوقف الحركة التنموية للمال والاقتصاد في المجتمع، فلا نجد من يتولى المسؤولية الاقتصادية والاجتماعية للإنفاق في مجتمعاتنا، وقد نبهت إليه السنة النبوية؛ عن موسى بن علي، قال: سمعت أبي أنه، سَمِعَ عَمْرَو بْنَ الْعَاص ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالح لِلرَّجُلِ الصَّالح»[2] فالمال خادم صالح، يصان به العرض، ويُتقرَّب به إلى الرب، وهو سلاح المؤمنين في هذا الزمان.

وكل هذه الأنماط السابقة تتنافي مع تحقيق التنمية المستدامة، لذا قامت السنة النبوية بمواجهتها؛ لتحقيق الغرض الذي من أجله وجد المال، وهو تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة.

أهداف البحث:

1. إبراز الدور الرائد للسنة النبوية في نبذ الانحرافات السلوكية المتعلقة عامة، والمتعلقة بالمال خاصة.
2. بيان اشتمال السنة النبوية على مجموعة المبادئ التي تضبط السلوك المالي للفرد والمجتمع.
3. علاج مظاهر الاضطرابات المالية المتفشية في المجتمعات المعاصرة، والتي تعد من نتائج البُعد عن الضوابط والمبادئ التي جاءت بها الشريعة الإسلامية.
4. يمثل العلاج خطوة واسعة على طريق التخلص من هذه الأمراض، التي من شأنها أن

1- أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395ه، كتاب أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب في القيامة (4/612) حديث رقم (2416)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لَا نَعْرِفُهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ الحُسَيْنِ بْنِ قَيْسٍ، وَحُسَيْنُ بْنُ قَيْسٍ يُضَعَّفُ فِي الحَدِيثِ مِنْ قِبَلِ حِفْظِهِ.

2- أخرجه البخاري في الأدب المفرد، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419 ه، باب المال الصالح للمرء الصالح (1/112) حديث رقم (299).

تؤثر سلبا في استقرار الأحوال المالية للفرد والمجتمع.

منهج البحث: لقد اعتمدت في بحثي على كل من:

المنهج الاستقرائي: باستقراء النصوص النبوية التي تواجه الأمراض النفسية المتعلقة بالمال.

والمنهج التحليلي: وذلك من خلال تحليل النصوص النبوية لإبراز الأوجه الإعجازية في ضوء السنة النبوية.

الدراسات السابقة:

لم أجد بحثا في الحديث عن التوجيهات النبوية نحو مواجهة الأمراض النفسية للمال، وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة، وإن وجدت بعض الأبحاث التي تتحدث عن اضطرابات المال بصفة عامة سواء من الناحية الشرعية أو القانونية، فلا يمكن إنكار الإشارة إلى مثل هذه الأبحاث، وأذكر منها:

1. التوجيهات النبوية في الاضطرابات المالية دراسة تحليلية، عدنان محمد الخياري، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية، قسم التمويل الإسلامي، معهد الاقتصاد الإسلامي.
2. منهج القرآن الكريم في علاج الأمراض النفسية، د/ نارمين لطفي محمد، مجلة الدراية، العدد الخامس عشر، 2015م، قسم الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة المنصورة.
3. القرآن الكريم ودوره في علاج الأمراض الاجتماعية المعاصرة، د/ سعيد بن ناصر آل مقبل، جامعة الطائف، كلية الشريعة والأنظمة، المملكة العربية السعودية، مجلة الدراسات الإسلامية والفكر للبحوث، المجلد4، العدد1، 2018م.
4. آثار المرض النفسي في الحكم بالمسؤولية دراسة فقهية، د/ إبراهيم علي عبد الحفيظ، كلية دار العلوم، جامعة الفيوم.
5. الضوابط المقاصدية في استخدام المال في الإسلام، دراسة تطبيقية تحليلية، د/ عبد الكريم القاسم الحداد.

الجديد في بحثي: وإن كانت هذه الأبحاث قد تعرضت في بعضها للأمراض النفسية المتعلقة بالمال من جانب الشريعة الإسلامية والقوانين الوضعية، ولكن لم أجد بحثا عن دور السنة النبوية في مواجهة هذه الأمراض النفسية المتعلقة بالمال، وكيف يمكن لهذه المواجهة من تحقيق للتنمية المستدامة؛ لذا جاء بحثي يناقش الموضوع من هذه الزاوية؛ وهي: التركيز على إبراز دور السنة النبوية في علاج الأمراض النفسية المتعلقة بالمال؛ للحد من خطورتها على الفرد والمجتمع، والسعي نحو تحقيق تنمية اقتصادية مستدامة، يستفيد منها المجتمع بكافة طوائفه.

خطة البحث: تتكون الخطة من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث.

المبحث الأول: الأمراض النفسية المتعلقة بالمال وعلاقتها بالتنمية المستدامة، وفيه:

المطلب الأول: ضوابط استخدام المال في الإسلام على تحقيق التنمية المستدامة.

المطلب الثاني: صور الأمراض النفسية المتعلقة بالمال في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

المطلب الثالث: أثر التنمية المستدامة في حفظ مقصد المال في ضوء السنة النبوية.

المبحث الثاني: استراتيجيات السنة النبوية في مواجهة الأمراض النفسية للمال وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة، وفيه:

المطلب الأول: ذم الأمراض النفسية المتعلقة بالمال.

المطلب الثاني: بيان أن الاكتناز والبخل والشح ثلاثي مدمر للاقتصاد.

المطلب الثالث: الحث على النفقة للمال.

المطلب الرابع: تقديم الحلول والعلاج للأمراض النفسية للمال.

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.

التمهيد:

التعريف بمصطلحات البحث

أولا: المرض النفسي لغة واصطلاحا.

المرض لغة:

هو السقم نقيض الصحة، قال ابْنُ الأَعرابي: أَصل المرَضِ النُّقْصانُ، وَهُوَ بدَنٌ مَرِيضٌ ناقِصُ الْقُوَّةِ، وَقَلْبٌ مَريضٌ ناقِصُ الدِّينِ[1].

وقال الجرجاني المرض: هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن الاعتدال الخاص[2].

المرض في الاصطلاح: المعنى الاصطلاحي للمرض لا يخرج كثيرا عن المعنى اللغوي، وقد عرف بتعريفات كثيرة اتفقت في معانيها، وإن اختلفت في ألفاظها، ومن هذه التعريفات: المرض: هو ما يعرض للبدن فيخرجه عن حالة الاعتدال الخاص[3].

النفسي لغةً واصطلاحًا:

النفس لغة: (النفس): الروح، يقال: خرجت نفسه[4]، ورجل ذو نَفْس أي خُلُق[5]، وقد تكون النفس بمعنى الذات، ومنه قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [6]. فالنفس: هي الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية، فهو جوهر مشرق للبدن[7].

النفس اصطلاحا: اختلف العلماء في تحديد ماهية النفس وفقًا لاختلاف تصوير

1- ابن منظور، لسان العرب، مادة (مرض) دار صادر، بيروت، ط2، 1414ه، (7/232).
2- الجرجاني، التعريفات، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403ه، 1983م، (1/368).
3- د/ أحمد محمد كنعان، الموسوعة الطبية الفقهية، دار النفائس، لبنان، ط1، (1420ه، (ص845)، وانظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (36/353)، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط1، 1417ه، 1996م.
4- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، مادة (نفس)، المحقق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407ه، (3/984).
5- ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، مادة (نفس)، المحقق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421ه، 2000م، (8/526).
6- سورة المائدة، آية(116).
7- الجرجاني، التعريفات (ص242).

النفس بين الاتجاه المادي والروحي.

النفس لدى أصحاب الاتجاه المادي:

جسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة، يجذب ويخرج وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السماء يعرج، لا يموت ولا يفنى، وهو مما له أول وليس له آخر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيبة وخبيثة[1].

النفس وفق التصور الروحي:

عرفها ابن سينا: بأنها الكمال الأول لجسم طبيعي آلي من جهة ما يفعل الأفاعيل بالاختيار العقلي والاستنباط بالرأي، ومن جهة ما يدرك الأمور الكلية[2].

فالنفس: هي شيء داخلي في كيان الإنسان لا تدرك ماهيته، جامع لكثير من الصفات الإنسانية التي لها آثار ظاهرة في السلوك الإنساني.

وعليه فإن تعريف المرض النفسي:

هو حالة نفسية تصيب تفكير الإنسان أو مشاعره او حكمه على الأشياء أو سلوكه وتصرفاته إلى حد يستدعي التدخل لرعاية هذا الإنسان، ومعالجته في سبيل مصلحته الخاصة، أو مصلحة الآخرين من حوله[3] ومن ثم فمعالجته تحتاج إلى دراسة متأنية لاستئصاله من أساسه، ومعالجة أسبابه، وعدم نقل آثارها للآخرين.

ثالثا: المال لغة واصطلاحا:

في اللغة: قال ابن منظور: المال معروف، ما ملكته من جميع الأشياء[4]

1- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م، (15/262).

2- ابن سينا، أحوال النفس (ص57)، المحقق/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، ط. ط، 1952م.

3- د/ أنور حمودة البنا، الأمراض النفسية والعقلية، دار الفكر العربي، ط1، د. ت، (ص-17 18)، وانظر: د/ عبد الفتاح عبد الغني، و د/ محمد عبد العزيز الجريسي، الدلالات العلاجية النفسية في القرآن الكريم وممارسة علماء الغرب لها، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، العدد الثامن، يناير 2005م، (1/61).

4- ابن منظور، لسان العرب، 11/ 635.

وقال ابن الأثير: المال في الأصل: ما يُمْلك من الذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما يُقتنى ويُملك من الأعيان[1].

والمال في اصطلاح الفقهاء: يطلق على كل ما له قيمة، بحيث لا يزهد عامة الناس فيه، قال الشافعي رحمه الله: لا يقع اسم مال إلا على ما له قيمة يباع بها وتلزم متلفه، وإن قلت وما لا يطرحه الناس، مثل الفلس وما أشبه ذلك[2].

رابعا: التنمية المستدامة لغة واصطلاحا:

مفهوم التنمية لغة: يعد معناه الزيادة والكثرة، والنماء وأيضًا المضاعفة[3].

مفهوم التنمية اصطلاحًا: إنها عبارة عن التغييرات الإرادية التي تقوم بالحدوث ليساعد على الانتقال من الوضع الحالي إلى وضع أفضل والذي يُستحب أن يكون عليه؛ بواسطة استغلال جميع الموارد المتاح استخدامها في المكان المناسب لتحقيق التكافؤ[4].

المستدامة لغة: من الفعل دَوَم أي دوام الشيء يدوم ويُدام، واستدمت الأمر إذا تأنيت فيه، والمداومة على الأمر: المواظبة عليه، واستدام الرجل غريمه: رفق به، والدائم من دوام الشيء يدوم إذا طال زمانه[5].

ويشير المعنى اللغوي إلى دوام الشيء واستمراريته دون انقطاع، مع مراعاة التأني والرفق؛ فأي مورد حتى يستدام لا بد من الترفق في التعامل معه، والتأني في استعماله حتى يبقى مستداما.

المستدامة اصطلاحا: فتطلق كلمة الاستدامة على جميع جوانب الحياة التي يرجى بقاؤها وللحيلولة دون نضوبها ونفادها كالموارد الطبيعية[6].

1- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، (4/373).
2- السيوطي، الأشباه والنظائر، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م، (ص327).
3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (نما) (12/210).
4- أبو زنط وغنيم، التنمية المستدامة دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، مجلة المنارة الأردن، م12، ط1، 2006م، (ص154).
5- ابن منظور، لسان العرب (12/210).
6- أبو زنط وغنيم، التنمية المستدامة دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى (ص154).

فتعني الاستدامة بذلك الاستمرارية والدوام للشيء المضاف له. وبذلك فإن مفهوم التنمية المستدامة إشباع حاجيات الأجيال الحالية وتحقيق رفاهيتهم دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على إشباع حاجياتهم، وهذا المفهوم هو أساس التنمية المستدامة التي تتعالى بها أصوات دول العالم.

المبحث الأول:
الأمراض النفسية المتعلقة بالمال وعلاقتها بالتنمية المستدامة.

وفيه:

المطلب الأول: ضوابط استخدام المال في الإسلام على تحقيق التنمية المستدامة.

المال هو عماد اقتصاد الأمة وقوتها، فلا اقتصاد بلا مال، ولا مال بلا اقتصاد منظم قوي فيه العدل والاستقرار؛ لذا المقصد الأهم الذي يجب أن يراعى في كافة التصرفات المالية هو حفظ الأموال، ويشمل حفظ أموال الأفراد، وكذا أموال الأمة، وإن المقاصد الخاصة أو الجزئية للتصرفات المالية تتضافر جميعها لتحقيق هذا المقصد.

ويلمح إلى هذا ابن عاشور حيث قال: إن المقصد الأهم هو حفظ مال الأمة وتوفيره لها، وأن مال الأمة كان كُلًّا مجموعيًا فحصول حفظه يكون بضبط أساليب إدارة عمومه، وبضبط أساليب حفظ أموال الأفراد وأساليب إدارتها. فإن حفظ المجموع يتوقّف على حفظ جزئياته، وإن معظم قواعد التشريع المالي متعلقة بحفظ أموال الأفراد إلى حفظ مال الأمة، لأن منفعة المال الخاص عائدة إلى المنفعة العامة لثروة الأمة[1].

وعليه فإن رواج الأموال وانتقالها بين أيدي الناس يعد مقصدا شرعيا عظيما دلت عليه الأوجه المختلفة للترغيب في المعاملة بالمال؛ فالنص القرآني أشار إلى أهمية مقصد انتشار المال المأخوذ من قوله تعالى ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ﴾ [2].

قال الشنقيطي: أي كي لا يكون الفيء الذي حقه أن يعطى الفقراء ليكون لهم بلغة يعيشون بها بين الأغنياء[3].

1- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، المحقق/ محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425هـ، 2004م، (3/460).

2- سورة الحشر، الآية 7.

3- الشنقيطي، أضواء البيان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415 هـ، 1995م، (8/32).

وهذه القاعدة تمثل جانبا كبيرا من أسس النظرية الاقتصادية في الإسلام؛ فالاقتصاد الإسلامي ينظر إلى المال في المقام الأول كوسيلة للمعاملات، بينما يعرفه الاقتصاد التقليدي كوسيلة للمعاملات وتخزين الثروة. هذه الاختلافات لها آثار كبيرة في الممارسة الاقتصادية، وعليه يكون الفرق بين الأنظمة؛ فالنظام الاقتصادي الإسلامي يحظر الربا ويشجع القرض الحسن، في حين أن الاقتصاد التقليدي يسمح بالفائدة وليس لديه مفهوم الزكاة[1].

المطلب الثاني: صور الأمراض النفسية المتعلقة بالمال في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية.

أولا: الأمراض النفسية المتعلقة بإمساك المال وعدم إنفاقه:

البخل: هو المنع لغةً، وحدّه إمساك المقتنيات عما لا يحل حبسها عنه، وهو شرعا: منع الواجب[2]، حيث لا توجد قيمة المال إلا عند إنفاقه، فإن المال هو وسيلة للتبادل لا قيمة لها إذا لم يتم إنفاقها بمعنى آخر لا يمكن للمال أن يولد أرباحا مباشرة، ولكن لا يمكن الاستمتاع بالفوائد إلا بعد إنفاقها أو توجيهها إلى أنشطة إنتاجية[3].

فالبخل صفة ذميمة ونقيصة كان العربي يخشى الاتصاف بها كونها عارا يلازم صاحبه، لذلك حاول الأغنياء والبخلاء تجنبها من خلال أساليب فضحها القرآن الكريم من خلال بيان أن الوسيلة التي أرادوا بها اتصافهم بالكرم وهي الفخر، حيث أنهى الآية بقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٣٧ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَهُۥ قَرِينٗا فَسَآءَ قَرِينٗا﴾[4].

وفي ذلك توضيح دقيق من السياق القرآني لمن بخلوا على محيطهم وأهلهم، من خلال ترفعهم عنهم والفخر عليهم، فهم تملصوا من مسؤولياتهم تجاه أقربائهم، وقطعوا صلاتهم بهم؛ كي لا يكون لهم عليهم حقوق تلزمهم بصلتهم، وتفضح حقيقة بخلهم.

1- الدكتور بيلي إبراهيم العليمي، السياسة الاقتصادية الإسلامية لترشيد الاستهلاك الفردي للسلع والخدمات، بحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد24، 1415هـ، (ص179).

2- الزبيدي، تاج العروس، مادة (بخل)، (28/63).

3- حمد العبد الرحمن الجنيدل، نظرية التملك في الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت (ص13).

4- سورة النساء، الآيات 36 - 38.

وهذا من أسوأ أصناف البخلاء أولئك الذين لا يقفُ بخلُهم عندَ أنفسهم، بل يَتَعَدّون ذلك ليصبحوا دُعاةً للبخل، فيأمرون النَّاس به، ويبخلون بمال غيرهم، فهُم كمن أبغض الجود حتى لا يحبون أن يُجَاد، وهي النِّهاية في الحِرص والبخل، ولا يكتفون بذلك بل يتظاهرون بالحاجة والفقر والمسكنة مع الغنى واليسار، ويُخْفُون نِعَمَ الله التي أنعَمَ بها عليهم[1].

وقد أكد السياق القرآني على ذلك في مواضع عدة في معرض الحديث عن البخل، فقد ورد التعريف نفسه للمحتال الفخور في سياق سورة الحديد، وكذلك جاء الحديث عن السخرية من المتصدقين؛ فقال تعالى ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [2] وقوله تعالى ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [3] وكذلك ما رأينا في الوقوف عند مصطلحي الهمزة واللمزة اللذين عرّاهما السياق القرآني بوصفهما بقوله ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [4]. فالبخل مرض نفسي؛ وهو عائق أمام الأفراد من القيام بالغرض المرجو من وجود المال في أيديهم، كالقيام بعمل مشروعات اقتصادية يستفيد منها المجتمع مما يعوق تحقيق التنمية المستدامة.

كذلك حذرت منه السنة النبوية في العديد من الأحاديث النبوية:

1. لأنه سبب قطع العلاقات والأرحام:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْفُحْشَ، فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا،...»[5].

1- د/ طه فارس، البخل في ضوء الكتاب والسنة، دار الفكر، 1437هـ، 2016م، (ص13).

2- سورة التوبة، الآيات 75 - 76.

3- سورة التوبة، الآية79.

4- سورة الهمزة، الآيات 2 - 3.

5- أخرجه أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهم) (11/26) حديث رقم (6487) وقال محققه: إسناده صحيح.

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، لَا أَعْلَمُهُ إِلَّا رَفَعَهُ قَالَ: «صَلَاحُ أَوَّلِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالزَّهَادَةِ وَالْيَقِينِ، وهَلَاكُهَا بِالْبُخْلِ وَالْأَمَلِ[1].

ففي إمساك المال والبخل به عن بذله فسادُ ذاتِ البين، ممَّا يؤدي إلى التهاجر والتقاطع، الذي يورث العداوة والتَّشاجر، فينتج عن ذلك سفكُ الدِّماء واستباحة ما حرَّم الله تعالى؛ فيعوق حركة التنمية المستدامة في المجتمعات، وقد عالج النبي ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة فاستعاذ منه: عَنْ عُمَرَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ خَمْسٍ: مِنَ الْبُخْلِ، وَالْجُبْنِ، وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَسُوءِ الْعُمُرِ[2]؛ وما ذلك إلا لعلم النبي ﷺ أن إمساك المال مانع لكل خير، وجالب لكل شر، فوجوده يمنع تقدم المجتمعات بأكملها.

2. لأن الحبُّ للمال والحِرص عليه هو الذي يدفعه للمنع، مُغترًا بنسبة المال لنفسه، ظانًا أنَّ الخيرَ في إمساكه، والحقيقةُ غير ذلك، فالذي ينفع الإنسان من ماله هو ما ينفقه لا ما يمسكه:

لأنه صفة ذميمة يمرض المال في يد صاحبه ويمنعه من العطاء؛ وذلك في العديد من الأحاديث النبوية:

عَنْ عُمَرَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ جُبَيْرٍ، قَالَ: أَخْبَرَنِي جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ عَلِقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَعْطُونِي رِدَائِي، لَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هَذِهِ الْعِضَاهِ نَعَمًا لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونَنِي بَخِيلا، وَلا كَذُوبًا، وَلا جَبَانًا[3].

1- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط. ت، (7/332) حديث رقم (7650)، وقال: لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ زَافِرِ بْنِ سُلَيْمَانَ إِلَّا عِصْمَةُ بْنُ الْمُتَوَكِّلِ «، وأخرجه البيهقي، في شعب الإيمان، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1433ه، كتاب الجود والسخاء (13/290) حديث رقم (10351)، قَالَ: هَكَذَا وَجَدْتُهُ فِي كِتَابِي مُرْسَلًا، وَأخرجه سَعِيدُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ مَوْصُولًا.

2- أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) (1/290) حديث رقم (145)، وأبو داود كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة (1539). والنسائي في سننه (المجتبى)، كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من البخل (8/255-266).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، عناية: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ. كتاب الجهاد والسير، باب الشجاعة في الحرب والجبن (4/22) حديث رقم (2821).

فنفى النبي ﷺ البخل عن نفسه؛ لأن البخيل ليس لديه حياء مطلقًا، كما أنه يؤدى إلى فساد العلاقة مع كل شيء في محيطه.

قال الماوردي: «وقد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة، وإن كان ذريعة إلى كل مذمة، أربعة أخلاق ناهيك بها ذما وهي: الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق... وإذا آل البخيل إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المذمومة، والشيم اللئيمة، لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول»[1].

ثانيا: الأمراض النفسية المتعلقة بالإسراف والتبذير في المال:

التبذير: التفريق، ومنه بذرت الحب في الأرض أي فرقته فيها، وأصله من إلقاء البذر في الأرض وطرحه فيها، فاستعير لكل مضيعٍ ماله، لأن التبذير في الأرض بالنسبة إلى ظاهر الصورة تضييع للبذر لولا ما ترجاه الباذر. والتبذير في العرف: السفه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [2]، النهي في الحقيقة لأمته، وإنما خاطبه؛ لأنه هو سيد خلقه[3]. ويستبعد أن يكون التبذير في هذه الآية مقصودا به تبذير المال في معصية، فالنهي عن التبذير موجه للنبي ﷺ ولا يمكن أن يصرف ﷺ مالا في معصية الله، وإنما سياق الآية يوحي بأن الغرض هنا لفت الانتباه إلى ما هو أهم وهو أداء الحقوق والالتفات إلى الطبقة المحتاجة من المجتمع دون الأمور الأخرى؛ حيث إن الإسراف والتبذير سيؤثران سلبا على مقدرات المجتمع الحالية والأجيال بالمستقبل بسبب استنزاف الموارد الطبيعية، وهذا ما تدعو إليه مفاهيم التنمية المستدامة[4].

فالتبذير مرض نفسي ذميم؛ وهو عبارة عن تفريق المال دون الوصول لجهة أخرى تستحقه، فالمبذر هو من يصرف ماله فيما يراه من وجهة نظره، لا فيما أمر الله.

1- الماوردي، أدب الدنيا والدين، دار مكتبة الحياة، ط 1986م، (ص186).

2- سورة الإسراء، جزء من الآيات 26 - 27.

3- السمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، المحقق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1996م، (1/171).

4- سالم مأمون يوسف، إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في القرآن والسنة، المركز القومي للبحوث، غزة، 2019م، (ص13).

جاء في تفسير ابن كثير(774هـ): «لما أمر بالإنفاق نهى عن الإسراف فيه، بل يكون وسطا»[1]. وقال البيضاوي(685هـ): «ولا تبذر تبذيرا» بصرف المال فيما لا ينبغي وإنفاقه على وجه الإسراف»[2] وجاء عند ابن حزم (456هـ) في سياق حديثه عن الإسراف والتبذير: «هذه الأعمال المحرمة معناها كلها واحد، ويجمعه أن كل نفقة أباحها الله تعالى وأمر بها كثرت أو قلت فليست إسرافا ولا تبذيرا ولا بسط اليد كل البسط... وكل نفقة نهى الله تعالى عنها قلت أم كثرت فهي الإسراف والتبذير وبسط اليد كل البسط»[3].

يقول الدكتور خالد أبو جندية أستاذ اللغة العربية بجامعة الأزهر: «إن الإسراف مرض يصيب الإنسان، وهو من الصفات والأفعال المذمومة التي نهى عنها الشرع، فكل ما أنفق في غير طاعة الله سرف حتى ولو قليلا[4].

كذلك حذرت السنة النبوية من الإسراف والتبذير فيما لا فائدة فيه: عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ، وَلَا مَخِيلَةٍ[5].

وعن ابن عباس: قالَ: كُلْ ما شِئْت، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ مَا خَطِئَتْكَ اثْنَتَانِ سَرَفُ أَوْ مَخِيلَةٌ[6].

1- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط، 12014م، (3/63).

2- البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المحقق/ محمد المرعي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418هـ، (3/253).

3- ابن حزم، المحلى بالآثار، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت، (7/135).

4- خالد أبو جندية، الحروف معانيها واستعمالاتها (ص34).

5- أخرجه النسائي، في السنن الكبرى، المحقق/ حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م، كتاب الزكاة، باب الاختيال في الصدقة (5/79) حديث رقم (2559)، قال محققه: حسن.

6- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب قَوْلِ اللهِ تَعالَى: (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ) (سورة الأعراف آية 33) (4/32)، حديث رقم (2261).

وعن الْمِقْدَامَ بْنَ مَعْدِي كَرِبَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ، فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ»[1].

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ»[2].

قال الدكتور بيلي إبراهيم العليمي: «فالمال هو عصب الحياة وقوام الأبدان، ووسيلة خير للوصول إلى الغايات والأهداف النبيلة، فإن هو حاد عنه صار المال عليه وبالا وبيلا[3].

فالإسراف يؤدى إلى صرف الأموال الطائلة فيما لا يعود بالنفع إلا على صاحبها، وهو نفع هدر لأنه يزيد عن حاجته، وقد ينفق هذه الأموال فيما فيه ضرره وضرر الجماعة، بينما لو وجهت هذه الأموال لبناء المدارس أو الجامعات والمستشفيات لعاد النفع على الأمة بأسرها[4]. ناهيك عن الأضرار الصحية والأخلاقية والتربوية للإسراف، وهي كثيرة، ومن هنا فإن الإسلام يعتبر الجماعة كلها مسؤولة عن ظاهرة السرف، فهو يعتبر عيبا من عيوب النظام الاقتصادي والاجتماعي في الأمة، لا مجرد عيب خلقي فردى، ولذا فإنه يكون من واجب الجماعة وضع القيود التي تكفل منع هذه الظاهرة.

المطلب الثالث: أثر التنمية المستدامة في حفظ المال في ضوء السنة النبوية:

المال من زينة الحياة الدنيا؛ فهو قد يحقق السعادة للإنسان إذا استعمله في مواضعه

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م، كتاب أبواب الأطعمة، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْأَكْلِ وَكَرَاهِيَةِ الشِّبَعِ (4/448) حديث رقم (3349)، وقال محققه: حديث صحيح بطرقه، وهذا إسناد ضعيف لجهالة أم محمَّد بن حرب وأمها، وهذا الطريق انفرد به ابن ماجه. وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في كَرَاهِيةِ كثرَةِ الأكْلِ (4/391) حديث رقم (2537) من طرق عن يحيى بن جابر، عن المقدام بن معدي كرب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، 1374هـ، 1955م، كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة. والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه (3/1340) حديث رقم (10/1715).

3- الدكتور بيلي إبراهيم العليمي، السياسة الاقتصادية الإسلامية لترشيد الاستهلاك الفردي للسلع والخدمات، بحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 24، 1415هـ، (ص179).

4- د/ محمد عبد الرحمن، بين الإسراف والتبذير، مؤسسة المنارة، مصر، (ص3).

الشرعية، وقد يكون من أسباب الشقاء إذا عدل به عن مقاصده الشرعية[1].

وقد حث الإسلام على الادخار[2]، وهو من أهم ما يواجه به الفقر ويحد من انتشاره؛ كما أن البطالة، والاكتئاب، والفساد، والخوف، والقلق، وعدم الانتماء، وتلون الفكر والهوية، كلها وغيرها من أمراض الفقر، التي تقوض خطط التنمية في البلدان الفقيرة[3]، وقد ظهر ذلك جليا في ضوء الأحاديث النبوية:

1. حث الإسلام على التوفير لمصادر الطاقة حفاظا عليها؛ لأنها من المال، عن جَابِر بْن عَبْدِ اللَّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ أَوْ أَمْسَيْتُمْ فَكُفُّوا صِبْيَانَكُمْ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنْ اللَّيْلِ فَخَلُّوهُمْ وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا وَأَوْكُوا قِرَبَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَخَمِّرُوا آنِيَتَكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا وَأَطْفِئُوا مَصَابِيحَكُمْ[4]، فإن الكهرباء هي العامل الأساسي لاستمرار التقدم والرخاء، فقد دخلت الكهرباء كل أنماط الحياة وازدادت الحاجة إليها، والاستفادة منها والاعتماد عليها في المنازل والمدارس والمكاتب والمتاجر وفي وسائل النقل والمواصلات والطب والتبريد والتدفئة وفي شتى مجالات الحياة[5].

2. حث الإسلام على استخدام الوسائل الصديقة للبيئة للانتقال من مكان إلى مكان، كالمشي؛ ورتب الأجر على المشي للصلاة خصوصا؛ حفاظا على المال، عن أَوْسُ بْنُ أَوْسٍ الثَّقَفِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ غَسَّلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، وَبَكَّرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنْ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ، كَانَ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»[6].

1- ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية (ص167)، الخطيب، أثر الأدعية المأثورة في حفظ مقاصد الشريعة (ص202).

2- رحاب كامل، التنمية المستدامة في القرآن الكريم، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس عشر، السنة العاشرة. 18، 2023م، (ص33).

3- زكريا طاحون، الإنسان المعاصر صانع الأزمات، المكتب المصري للمطبوعات، د. ط. ت، (ص146).

4- أخرجه البخاري، كتاب الأشربة، باب تغطية الإناء (7/111) حديث رقم (3304)، ومسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء، وإغلاق الأبواب...، (3/1594) حديث رقم (2012).

5- عبد الله محمد الشعلان، ترشيد استهلاك الكهرباء، جامعة الملك سعود، وكالة الجامعة للتبادل المعرفي ونقل التقنية، 2010م، (ص23).

6- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة (2/188)، حديث رقم (1087)، قال محققه: إسناده صحيح.

3. منع الإسلام الوصية بأكثر من الثلث؛ وذلك حفاظا على مال الورثة، عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، قَالَ: «جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُنِي وَأَنَا بِمَكَّةَ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ يَمُوتَ بِالْأَرْضِ الَّتِي هَاجَرَ مِنْهَا قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ ابْنَ عَفْرَاءَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أُوصِي بِمَالِي كُلِّهِ قَالَ: لَا. قُلْتُ: فَالشَّطْرُ قَالَ: لَا. قُلْتُ: الثُّلُثُ قَالَ: فَالثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ إِنَّكَ أَنْ تَدَعَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَدَعَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ فِي أَيْدِيهِمْ وَإِنَّكَ مَهْمَا أَنْفَقْتَ مِنْ نَفَقَةٍ فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ حَتَّى اللُّقْمَةُ الَّتِي تَرْفَعُهَا إِلَى فِي امْرَأَتِكَ وَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَكَ فَيَنْتَفِعَ بِكَ نَاسٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ»[1].

4. دعا الإسلام إلى حفظ الحيوانات والرفق بها؛ لأنها من المال الذي يستفاد منه عبر الأجيال، فالحفاظ عليها يضمن استمرارية تناسلها، وبالتالي الاستفادة من لحومها، وألبانها، وأصوافها، والاستفادة من خدماتها كالحراسة والصيد ونحوها، وكلها مفيدة لتحقيق التنمية المستدامة للمجتمع المسلم، والأحاديث الواردة في ذلك كثيرة؛ عن أبي هريرة ﷺ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «بينما رجل يمشي بطريقٍ، فاشتدّ عليه العطشُ، فوجد بئرًا، فنزلَ فيها، فشَرِبَ ثم خرجَ فإذا كلبٌ يَلْهثُ يأكلُ الثَّرى من العطشِ، فقال الرجلُ: لقد بلغَ هذا الكلبُ من العطشِ مثلَ الذي كانَ بلغَ بي، فنزلَ البئرَ، فملأ خُفَّه فأمسكه بفيه حتى رَقِيَ، فسقى الكلبَ، فشكرَ اللهُ له، فغفَرَ له» فقالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم لأجرًا؟ قال: «في كل ذاتِ كبدٍ رَطْبةٍ أجْرٌ»[2]، وعن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ رَحِمَ وَلَوْ ذَبِيحَةً، رحمه الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[3].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ إِنْسَانٍ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا، إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ ﷻ عَنْهَا"، قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا حَقُّهَا؟ قَالَ: «يَذْبَحُهَا

1- أخرجه البخاري، كتاب الوصايا، باب: أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس (4/3) حديث رقم (2742).

2- أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغضب، باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ بها (2/870) حديث رقم (2466)، ومسلم، كتاب السلام، باب فضل ساقي البهائم المحترمة (4/1761) حديث رقم (153/2244).

3- أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، باب في رحم الصغير وتوقير الكبير (13/415) حديث رقم (10559)، والطبراني في المعجم الكبير، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت، (8/234)، حديث رقم (7915)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1422هـ، 2002م، (1/65).

فَيَأْكُلُهَا، وَلَا يَقْطَعُ رَأْسَهَا يَرْمِي بِهَا»[1].

قال الحافظ ابن حجر: «فلو لم يقصد الانتفاع به حرم لأنه من الفساد في الأرض بإتلاف نفس عبثا»[2].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة: أما قتله لمجرد اللعب واللهو فممنوع؛ لما فيه من ضياع المال، مع تعذيب الحيوان، وقد نهى النبي ﷺ عن ذلك[3].

5. دعم الشارع الحكيم المحافظة على التنوع الحيوي؛ حيث دعت السنة النبوية إلى عدم إفناء أمم الطير والحيوان، نظرا لأهمية ذلك في تحقيق التوازن البيئي، إذ أن التنوع الحيوي يوفر القاعدة الأساسية للحياة على الأرض، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُغَفَّلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ لأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا كُلِّهَا، وَلَكِنِ اقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بَهِيمٍ[4].

6. حث الإسلام على المحافظة على البيئة؛ وذلك عن طريق تشكيل المحميات الطبيعية، التي تدعم التنمية المستدامة في المحافظة على الثروة الحيوانية والنباتية عن طريق حمايتها من سلوك الإنسان الذي قد يضر؛ كصيد الحيوانات، والاحتطاب الجائر، فجعل ﷺ منطقة الحرم بمثابة محمية طبيعية يحرم على المحرم الاعتداء عليها، فكان من محظورات الإحرام التي على كل من أهل بالإحرام بالنسك متوجها للبيت العتيق، قتل الصيد وقطع الشجر في منطقة الحرم، عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ، فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، لَا يُخْتَلَى خَلَاهَا، وَلَا يُعْضَدُ شَجَرُهَا، وَلَا يُنَفَّرُ صَيْدُهَا»[5].

1- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الصيد والذبائح، باب إباحة أكل العصافير (7/206) حديث رقم (4349) وقال الألباني: ضعيف. ضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ، 1990م.

2- ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، (9/602).

3- أحمد بن عبد الرزاق الدويش، فتاوى اللجنة الدائمة، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض (22/512).

4- أخرجه الترمذي، كتاب الأحكام والفوائد، باب ما جاء في قتل الكلاب (4/78) حديث رقم (1486)، وأبو داود، كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد ونحوه (4/467) حديث رقم (2845)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (2/941).

5- أخرجه البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا ينفر صيد الحرم (1/33) حديث رقم (1833).

المبحث الثاني:

استراتيجيات السنة النبوية في مواجهة الأمراض النفسية للمال وأثرها في تحقيق التنمية المستدامة

وفيه:

المطلب الأول: ذم الأمراض النفسية المتعلقة بالمال.

وورد عن أبي أمامة ﷺ عن رسول الله ﷺ: «المؤمن يأكل بشهوة عياله، والمنافق يأكل أهله بشهوته»[1]، ومعنى ذلك أن المؤمن يأكل مما يشتهي عياله، فيعطيهم وفق رغبتهم، أما المنافق فيبدأ بنفسه ولا عليه من غيره، فالذي يشتهيه هو؛ يفرض على أولاده أن يأكلوا منه، وهذا خطأ كبير، إذ على الإنسان أن يحسب حسابا لرغبات من حوله.

وورد عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ السَّرَفِ أَنْ تَأْكُلَ كُلَّ مَا اشْتَهَيْتَ»[2].

لا شك أن للمال مكانة خاصة في حياة الإنسان، ويحتل حيّزًا كبيرًا من خريطته النفسيّة والاجتماعية، ويعود ذلك لصميم فطرتنا في حب تملك الأشياء وحيازتها، وأيضًا لأن الإنسان صاحب رغبات متعددة وحاجات مختلفة تُلحُّ عليه فمنها ماديّة كالمطعم والمشرب والمسكن، ومنها معنويّة كالسلطة والمكانة الاجتماعية وتحقيق الذات وكثير غيرها، والمال كفيل في تسهيل تحصيل تلك الرغبات والحاجات، إلى هنا الأمر طبيعي وليس فيه مشكلة بتاتًا، لكن المشاكل تحدث حينما يتجاوز الإنسان إنسانيّته ويصبح «المال هو كل شيء في الوجود» أو «أن يزهد فيه كلية ويقلل من شأنه»، وبين ذلك وذلك

1- أخرجه الديلمي في مسند الفردوس (3/78) عن أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «المؤمن يأكل بشهوة عياله والمنافق يأكلُ أَهْلُهُ بِشَهوتِه»، وفي سنده عمرو بن الحصين العقيلي وهو متروك كما في «التقريب» (357).

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب أبواب الأطعمة، باب النهي عن إلقاء الطعام (4/450) حديث رقم (3352)، قال البوصيري في «الزوائد»: «هذا إسناد ضعيف، أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الجوع والبيهقي وقد صحح الحاكم إسناده لمتن غير هذا، وحسنه غيره، وأورده ابن الجوزي في «الموضوعات» من طريق يحيى بن عثمان عن بقية بن الوليد به، وضعفه بنوح بن ذكوان كما تقدم». اهـ. وذكر الشيخ الألباني أن فيه علتين أخريين وهما عنعنة الحسن وهو مدلس، وكون يوسف بن أبي كثير من شيوخ بقية المجهولين كما قال الحافظ في «التهذيب». وبهذه العلل حكم عليه بالوضع وتعقب على من صححه. انظر: «الضعيفة» رقم (241).

تكون الاضطرابات والمشاكل التي تتعلق بالمال والتي يطلق عليها «أمراض المال[1].

قال أحد السلف قال: «من ادعى بغض الدنيا أو المال فهو عندي كذّاب، إلا أن يثبت صدقه، فإذا ثبت صدقه فهو مجنون»[2] وقال ابن الجوزي رحمه الله: «للنفس قوة بدنية عند وجود المال، وهو معدود عند الأطباء من الأدوية[3].

ولكن ما تفسير ما يحدث مع الكثير من الناس المتزهّدين والرّافضين للدّنيا ومباهِجها بشكل مبالغ فيه؛ بينما تراهم غير قانعين بحياتهم ومتجهّمين طوال الوقت، إذن ما الأمر؟ إنهم يعيشون حالة تسمى «فوبيا المال» أو «الخوف من المال»، وهو نتيجة لخبرات سلبيّة حدثت معه في صغره تتعلق بالمال، فهو يرتبك عند تحصيله أو صرفه، فيجد راحته بالابتعاد عن الأمر كلية[4].

ووجد الباحثون أن «فوبيا المال» ليست كراهية للمال في الحقيقة، بل هي حُبّ شديدٌ له فانقلبت به الأمور رأسًا على عقب وتحول حُبّ المال المبالغ فيه إلى كراهية، ووجدوا أن هذه الكراهية ليست موجهة للمال نفسه وإنما موجهة للأجواء والأدوار التي يعيشها وهو مالك للمال[5].

المطلب الثاني: بيان أن الاكتناز والبخل والشح ثلاثي مدمر للاقتصاد.

الاكتناز هو اضطراب عاطفي نحو الممتلكات يشمل اكتساب الأشياء والاحتفاظ بها مع التطرف والمبالغة في سلوك الادخار، وينظر إلى الاكتناز على أنه أحد أعراض الوسواس القهري أو اضطراب الشخصية الوسواسية القهرية، لذلك صنف كمرض عقلي، ويرتبط كذلك باضطراب القلق، وفرط الحركة، ونقص الانتباه، والفُصام، والانطواء، واضطرابات الأكل، والرهاب الاجتماعي، والخَرَف، والاكتئاب والقلق[6].

فإن اكتناز الأموال له تأثير على الحد من تداول الأموال في المجتمع، بحيث أن الأموال

1- ماهر العتيبي، أمراض المال (ص22).
2- ابن الجوزي، صيد الخاطر، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م، (1/167).
3- المصدر نفسه (1/166).
4- ماهر العتيبي، أمراض المال (ص22).
5- مورجان هاوسل، سيكولوجية المال، ترجمة كنان القرحالي، دار عصير الكتب، مصر، 2021م، (ص23).
6- د/ عبد الكريم القاسم الحداد، الضوابط المقاصدية في استخدام المال دراسة تطبيقية تحليلية، (ص13).

التي يجب أن يتمتع بها المجتمع الأوسع تنتمي إلى عدد صغير من الناس يكتنزونه، والنتيجة هي أن إنتاجية الأعمال تنخفض بسبب انخفاض المال في المجتمع، مما يؤدي إلى إعاقة تداول الأموال.

وفي السنة تكثر الأحاديث التي تذم الاكتناز وتحث على الإنفاق، ومنها ما يروى عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ، قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَبَيْنَا أَنَا فِي حَلْقَةٍ فِيهَا مَلَأٌ مِنْ قُرَيْشٍ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ أَخْشَنُ الثِّيَابِ، أَخْشَنُ الْجَسَدِ، أَخْشَنُ الْوَجْهِ، فَقَامَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: بَشِّرِ الْكَانِزِينَ بِرَضْفٍ يُحْمَى عَلَيْهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُوضَعُ عَلَى حَلَمَةِ ثَدْيِ أَحَدِهِمْ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ نُغْضِ كَتِفَيْهِ، وَيُوضَعُ عَلَى نُغْضِ كَتِفَيْهِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنْ حَلَمَةِ ثَدْيَيْهِ يَتَزَلْزَلُ، قَالَ: فَوَضَعَ الْقَوْمُ رُءُوسَهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا مِنْهُمْ رَجَعَ إِلَيْهِ شَيْئًا، قَالَ: فَأَدْبَرَ، وَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى جَلَسَ إِلَى سَارِيَةٍ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ هَؤُلَاءِ إِلَّا كَرِهُوا مَا قُلْتَ لَهُمْ، قَالَ: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، إِنَّ خَلِيلِي أَبَا الْقَاسِمِ ﷺ دَعَانِي فَأَجَبْتُهُ، فَقَالَ: «أَتَرَى أُحُدًا؟» فَنَظَرْتُ مَا عَلَيَّ مِنَ الشَّمْسِ وَأَنَا أَظُنُّ أَنَّهُ يَبْعَثُنِي فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَقُلْتُ: أَرَاهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي مِثْلَهُ ذَهَبًا أُنْفِقُهُ كُلَّهُ إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ» ثُمَّ هَؤُلَاءِ يَجْمَعُونَ الدُّنْيَا، لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا، قَالَ: قُلْتُ: مَا لَكَ وَلِإِخْوَتِكَ مِنْ قُرَيْشٍ، لَا تَعْتَرِيهِمْ وَتُصِيبُ مِنْهُمْ، قَالَ: لَا، وَرَبِّكَ، لَا أَسْأَلُهُمْ عَنْ دُنْيَا، وَلَا أَسْتَفْتِيهِمْ عَنْ دِينٍ، حَتَّى أَلْحَقَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ[1].

وعن أَبُي هُرَيْرَةَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ[2].

نشير هنا إلى التشريع الإسلامي في استغلال رأس المال؛ وفقًا لبعض المعايير والضوابط. والحث على استثمار المال؛ يرتكز على عدة أسس منها تحريم الاكتناز، وتحريم الفوائد الربوية، وأيضًا دور الزكاة؛ وكيف أن إخراج زكاة المال هو حث على استثمار الأموال حتى لا تأكلها الزكاة والصدقة.

وفي المقابل نجد أن النظريات الغربية تبرر الفائدة؛ حيث ابتكر الاقتصاديون الغربيون نظريات لتبرير الفائدة، حيث إن الفائدة وجدت أولًا في الميدان العملي تحايلًا على الربا، ثم وضعت النظريات لتدعيمها وتبريرها، وهذه النظريات؛ كالآتي: نظرية الريع؛ وهو تشبيه

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، بَابٌ فِي الْكَنَّازِينَ لِلْأَمْوَالِ وَالتَّغْلِيظِ عَلَيْهِمْ (2/689) حديث رقم (992).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب أداء الدين (3/116)، حديث رقم (2389).

الفائدة بريع الأرض، ونظرية الربح؛ على أساس أن معدل الربح في العادة أعلى من معدل الفائدة، ونظرية المخاطر؛ وهي أن الفائدة عبارة عن تعويض عن المخاطر التي يتعرض لها الدائن؛ مثل عجز المدين عن السداد، ونظرية تحويل رأس المال النقدي إلى رأس مال عقاري، ونظرية أجر الزمن، ونظرية التضحية والانتظار، ونظرية تفضيل السيولة، ونظرية الاستعمال، ونظرية العمل المتراكم، ونظرية الأجير أو بخس المستقبل[1].

وعن تقييم هذه النظريات ومدى صلاحيتها؛ فإن النظريات المبررة للفائدة على اختلاف تعبيراتها تتلاقى على أن الفائدة هي ثمن أو أجرة للنقود مثل أي سلعة أخرى مقابل بقاء الدين في ذمة المدين إلى أجل أو مقابل التضحية، أو مقابل الانتظار أو جزاء الادخار أو جزاء عدم الاكتناز[2].

إن النظم الاقتصادية تحاول منع اكتناز الأموال بالعديد من الإجراءات والسياسات، في حين أن فرض نسبة (2.5%) على الفائض عن الحاجات؛ فيه إعجاز؛ حيث يؤدي إلى البحث عن وسائل مشروعة تمنع تآكل قيمة النقود بسبب التضخم، وتحقيق عائد يكون مناسبا وأعلى من نسب التضخم، مما يؤدي إلى وجود حافز على تشغيل المال، والبحث في المشروعات المختلفة بالصيغ الإسلامية والعمل على المشاركة في تنمية المجتمع اقتصاديًا واجتماعيًا؛ كما أمر الرسول ﷺ بالإتجار في أموال اليتامى حتى لا تأكلها الزكاة هو حث على الاستثمار، وهي من الاعجاز الاقتصادي في منع الاكتناز[3].

المطلب الثالث: الحث على النفقة للمال.

وتؤيد الأحاديث النبوية اتجاه القرآن الكريم في الحث على الإنفاق واجتناب الإمساك والبخل،

وترغّب في التنافس في الخيرات، جاء في الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ

1- مجدي محمد مدني، الإعجاز الاقتصادي في الادخار والاستثمار في ضوء القرآن والسنة (ص12).
2- المستشار د. فتحي السيد لاشين، فوائد البنوك بين الاستغلال الربوي والاستثمار الإسلامي، البصائر للبحوث والدراسات، الجيزة، مصر، 2009م، (ص23).
3- علي عبد الكريم حسين، إشكالية المنحدر المالي، دراسة في الآثار السياسية والاقتصادية، رسالة دكتوراه، جامعة النهرين، 2015م.

أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»[1].

وهذا دعاء من أحد الملائكة للمنفق في الواجبات والمندوبات بإعطائه البدل أو العوض في الدنيا والآخرة، ودعا على البخيل الممتنع من الإنفاق مطلقًا بإهلاك ماله أو هلاك نفسه، مما يدل على الحضِّ على الإنفاق الممدوح.

ويؤيده حديث آخر متفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أيضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللَّهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»[2] أي: أنفق أيها المؤمن في وجوه الخير المأذون بها شرعًا إيمانًا واحتسابًا يوسع الله عليك ويعوِّضك بدلًا عنه.

وامتدح النبي ﷺ التنافس والتسابق في أعمال الخير والإنفاق في سبيل الله وتمني الصعود إلى درجة المحسنين الأبرار، فقال في الحديث المتفق عليه عن ابن مسعود ﷺ عن النبي ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا»[3].

أي: إن الحسد: وهو تمني زوال ما لدى غيرك، مذموم، والغبطة: وهي تمني ما يكون لديك مثل ما في يد غيرك من غير تمني زوال النعمة عنه، ممدوحة. ويدل الحديث على أمرين: فضل الغني الشاكر الذي ينفق جودًا ماله في مرضاة الله تعالى، وفضل العلم بأحكام الشرع وتعليمه للناس. والنفقة في سبيل الله يثاب عليها المسلم وتقيه عذاب النار، قال ﷺ في حديث متفق عليه عن عدي بن حاتم ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[4] وهو حث على الصدقة ولو بالشيء اليسير.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾، (سورة الليل الآيات 5-10) اللهم أعط منفق مال خلفا» (2/115) حديث رقم (1442)، ومسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، باب في المنفق والممسك (2/700) حديث رقم (1010).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل (7/62) حديث رقم (5352).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، باب الاغتباط في العلم والحكمة (1/25) حديث رقم (73)، وأخرجه مسلم في صحيحه، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا (1/558) حديث رقم (815).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب: اتقوا النار ولو بشق تمرة والقليل من الصدقة (2/109) حديث رقم (1417)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الكسوف، بَابُ الْحَثِّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ (2/703) حديث رقم (1016).

والنفقة المفضلة: أن تكون وأنت غني صحيح موسر ولا تنتظر حتى يصير المال مال الورثة، روى البخاري عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ»[1].

المطلب الرابع: تقديم الحلول والعلاج للأمراض النفسية للمال.

ينظر الاقتصاد الإسلامي إلى المال في المقام الأول كوسيلة للمعاملات، بينما يعرفه الاقتصاد التقليدي كوسيلة للمعاملات وتخزين الثروة، وهذه الاختلافات لها آثار كبيرة في الممارسة الاقتصادية، ويمكننا بيان ذلك في النقاط الآتية:

أولا: عالجت السنة النبوية الفئة التي تعاني من الإمساك للمال والبخل به في أحاديث عديدة:

أ- التحذير من العقوبات الدنيوية:

أن الله يمنع فضله على البخيل: فعن أَسْمَاء ابْنَة أَبِي بَكْرٍ (رضي الله عنهما) ما قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لِي شَيْءٌ إِلَّا مَا يُدْخِلُ عَلَيَّ الزُّبَيْرُ، أَفَأُنْفِقُ مِنْهُ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعطي وَلَا تُوكِي، فَيُوكِيَ عَلَيْكِ[2]، أي: لا تدَّخِري وتمنعي فضلَ الزاد عمَّن افتقر إليه، فيمنعُ اللُّه عنكِ فضله، ويسدُّ عليك بابَ المزيد، وهو إعلام بأنَّ الإنفاق سببٌ للإخلاف والتعويض، والإمساك سبب للمنع[3].

كذلك يمكننا الاستنباط من الأحاديث النبوية للعديد من التحذيرات من هذا المرض منها أنها سبب لكشف عيوب المرء، وإظهارها للخلق: قال ابن قدامة المقدسي: «وأشد درجات البخل أن يبخل الإنسان على نفسه مع الحاجة، فكم من بخيل يمسك المال،

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب ما قدم من ماله فهو له (8/93) حديث رقم (6442).

2- أخرجه أبو داود، كتاب الزكاة، باب في الشح (3/124) حديث رقم (1699)، والترمذي، كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في السخاء (4/342) حديث رقم (1960) وقال: حديث حسن صحيح.

3- ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م، (9/352)، والطيبي، شرح المشكاة، المحقق/ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م، (5/1523)، والصنعاني، التنوير شرح الجامع الصغير، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م، (2/479).

ويمرض فلا يتداوى، ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل. فكم بين من يبخل على نفسه مع الحاجة، وبين ما يؤثر على نفسه مع الحاجة، فالأخلاق عطايا يضعها الله ﷻ حيث يشاء[1].

ونقل ابن القيم عن بعض الحكماء: «فإن الإحسان المتوقع من العبد إما بماله وإما ببدنه؛ فالبخيل مانع لنفع ماله والجبان مانع لنفع بدنه، والمشهور عند الناس أن البخل مستلزم الجبن من غير عكس؛ لأن من بخل بماله فهو بنفسه أبخل والشجاعة تستلزم الكرم من غير عكس لأن من جاد بنفسه فهو بماله أسمح وأجود[2].

ب- التحذير من العقوبات الأخروية:

يحرم البخيل من جوار الله يومَ القيامة في الجنَّة: فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَلَقَ اللَّهُ جَنَّةَ عَدْنٍ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ فِيهَا ثِمَارَهَا، وَشَقَّ فِيهَا أَنْهَارَهَا، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَكَلَّمِي، فَقَالَتْ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾، فَقَالَ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَا يُجَاوِرُنِي فِيكِ بِخَيْلٌ»[3].

لأنه يترتب عليه الحرمان من الأجر المترتب على الإنفاق في أبواب الخير، كما أنه سبب في ضعف الإيمان واضمحلاله؛ لما فيه من سوء الظنِّ بالله، وكراهية الناس له، فهو مبغوض مكروه حتى من أقرب الناس إليه كزوجته وأبنائه وأقربائه، بل قد يصل بهم الحد إلى أن يدعوا عليه، ويتمنوا موته؛ حتى يستطيعوا التنعم بما حرمهم منه من أموال، كما أنه سبب لحرمان الرزق، فكما أن الإنفاق سبب في زيادة الرزق وسعته، فإنَّ البخل والشح سبب في تضييقه، والوقوع في الإثم بسبب منعه لما يجب عليه من حقوق وواجبات، وحرمان البخيل الشحيح لنفسه ولغيره من لذائذ الدُّنيا المباحة.[4]

1- ابن قدامة، مختصر منهاج القاصدين، مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، ط1، 1398هـ، 1978م، (1/205).
2- ابن القيم، مفتاح دار السعادة، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت، (1/114).
3- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (5/349) حديث رقم (5518) وفي الكبير (12/147) حديث رقم (12754)، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب (3/258) حديث رقم (3942) وقال: أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط بإسنادين، أحدهما جيد، وأخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة من حديث أنس بن مالك، وذكره الهيثمي في المجمع (10/731) حديث رقم (18637) وقال مثل قول المنذري.
4- سلطان المالكي، الشح والبخل (ص3).

ثانيا: عالجت السنة النبوية الفئة التي تعاني من الإسراف والتبذير للمال في أحاديث عديدة:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ[1].

يقول الأستاذ أحمد علي الجرجاوي(1340ه): إن من الحكم الجميلة الجليلة الفائدة حكمة الحجر، وذلك أن الشارع الحكيم رأى أن من يصاب بخلل في عقله كجنون أو عته تكون أمواله معرضة للضياع؛ لأنه لا يحسن التصرف، فقرر الشارع الحكيم الحجر عليه حتى تكون الأموال مصونة من الأيدي التي تسلب أموال الناس بالباطل والغش والتدليس، وتكون مصونة أيضا من سوء تصرف المالك[2].

ثالثا: تكوين مؤسسات عملية تعمل على مواجهة هذه الظواهر المرَضية في مجتمعاتنا المعاصرة:

ينبع تكوين هذه المؤسسات من وجهة النظر الاقتصادية للمال، فنظرا لأهمية المال والمحافظة عليه من الضياع قرر الإسلام الحجر على السفهاء؛ قال تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا ﴾ [3]. فعلى المستوى الاقتصادي، يكون دور هذه المؤسسات التوعية بأن كلا من الإسراف والتبذير يؤدي إلى التوسع في الاستهلاك، ما يعنى اتجاه معظم الدخل للأغراض الاستهلاكية، والتي يمكن للفرد أن يشبعها بطريقة أقل تكلفة، إذا وضع في الاعتبار مبدأ الرشد الاقتصادي، الذي يؤثر بدوره على قدرة المجتمع في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية[4].

فالإسراف والتبذير يؤديان إلى زيادة النقد المتداول، وإذا لم يقابل هذه الزيادة إنتاج اقتصادي جديد، يقابل عمليات الإنفاق الزائدة عن الحاجة، أدى ذلك إلى التضخم، فيرتفع مستوى الأسعار وتنخفض قيمة النقود. أما على المستوى الاجتماعي، يكون دور هذه

1- سبق تخريجه (ص442).
2- أحمد علي الجرجاوي، حكمة التشريع وفلسفته، دار الفكر، د. ط. ت، (2/257 - 258).
3- سورة النساء، الآية 5.
4- د/ أحمد خالد عكاشة، نظرية التفضيل الشرعي في الاقتصاد الإسلامي، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الاقتصادية، مج 21، ع 1، يناير 2013م، (ص345).

المؤسسات التوعية بأن البخل في المال إنما يكون على حساب التزاماتهم الاجتماعية وحقوق الجماعة في المال، ما يؤدى إلى تأكيد التمايز والتفاوت بين فئات المجتمع في مجال الاستهلاك، وذلك يترك أثرًا سيئًا في نفوس الفقراء الذين لا يحصلون على قوتهم الضروري إلا بجهد. ولهذا جاء الإسلام محددًا لوجوه الإنفاق المشروعة وناهيا عما عداها، بل ووضع الضوابط والحدود التي تكفل عدم صرف الأموال فيما لا ينفع.[1]

قال ابن الجوزي: العاقل يدبر بعقله عيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا؛ اجتهد في كسب وصناعة تكفه عن الذل للخلق، وقلل العلائق، واستعمل القناعة، فعاش سليمًا من منن الناس عزيزًا بينهم. وإن كان غنيًّا، فينبغي له أن يدبر في نفقته، خوف أن يفتقر، فيحتاج إلى الذل للخلق[2].

وبذا تصان أموال الأمة على المستوى الفردي والجماعي، فلا يعبث بها سفيه، ولا تستغل فيما يضر الأمة، وبذلك تؤتى الأموال أكلها الطيبة وثمارها النافعة، ونصل بالاقتصاد إلى أعلى درجة ممكنة من الازدهار الناتج عن الاستغلال الأمثل لموارد المجتمع.

1- سلطان المالكي، الشح والبخل (ص3).

2- ابن الجوزي، صيد الخاطر (1/498).

الخاتمة

أولًا: أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث:

1. إنَّ المنهج الرائد الذي اتبعته السنة النبوية في مواجهة الأمراض النفسية المتعلقة بالمال، صالح لتطبيقه ليومنا هذا، برغم ما طرأ عليها من تغيرات.
2. أن ما لم تتناوله السنة النبوية من هذه الأمراض بالنقد بصورة مباشرة، تناولته بصورة غير مباشرة من خلال نقد النتائج المترتبة عليه.
3. أن الشريعة الإسلامية أكدت على ضرورة حفظ المال وصيانته من الهلاك والتلف؛ لكونه أحد مقومات الحياة، ولأنه تفوت بانعدامه عدد من شرائع الدين.
4. أن السنة النبوية متمثلة في أحاديث النبي ﷺ لم تغفل عن التعرض للأمراض النفسية المتعلقة بالمال في زمن النبوة.
5. أن ما يصنفه خبراء العلوم النفسية والمالية من المشكلات الخطيرة الواجب تجنبها والتحذير منها نهت عنه السنة النبوية قبل قرون عدة.
6. ينظر الاقتصاد الإسلامي إلى المال في المقام الأول كوسيلة للمعاملات، بينما يعرفه الاقتصاد التقليدي كوسيلة للمعاملات وتخزين الثروة، وهذه الاختلافات لها آثار كبيرة في الممارسة الاقتصادية.

ثانيا: التوصيات:

1. إجراء العديد من الدراسات حول منهج القرآن الكريم والسنة النبوية في علاج الاضطرابات المالية والانحرافات السلوكية من واقع عملي.
2. تكوين مؤسسات عملية تعمل على مواجهة هذه الظواهر المرَضية في مجتمعاتنا المعاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

- أحوال النفس، ابن سينا، المحقق/ أحمد فؤاد الأهواني، دار إحياء الكتب العربية، 1952م.
- إدارة الاستدامة والتنمية المستدامة في القرآن والسنة، سالم مأمون يوسف، المركز القومي للبحوث، غزة، 2019م.
- أدب الدنيا والدين، الماوردي، دار مكتبة الحياة، 1986م.
- الأدب المفرد، للبخاري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1419هـ، 1998م.
- الأشباه والنظائر، السيوطي، دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ، 1990م.
- أصول علم النفس الحديث، فرج عبد القادر طه، دار المعارف، القاهرة، 1994م.
- أضواء البيان، الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، لبنان، 1415هـ، 1995م.
- الأمراض النفسية والعقلية، د/ أنور حمودة البنا، دار الفكر العربي، ط1، د. ت.
- الإنسان المعاصر صانع الأزمات، زكريا طاحون، المكتب المصري للمطبوعات، د. ط. ت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، المحقق/ محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، ط1، 1418ه.
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د. ط. ت.
- ترشيد استهلاك الكهرباء، عبد الله محمد الشعلان، جامعة الملك سعود، وكالة الجامعة للتبادل المعرفي ونقل التقنية، 2010م.
- التعريفات، الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ، 1983م.

- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، المحقق/ محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ.
- التنمية المستدامة دراسة نظرية في المفهوم والمحتوى، أبو زنط وغنيم، مجلة المنارة الأردن، م12، ع1، 2006م.
- التنمية المستدامة في القرآن الكريم، رحاب كامل، مجلة البحوث والدراسات القرآنية، العدد السادس عشر، السنة العاشرة. 18، 2023م.
- التنوير شرح الجامع الصغير، الصنعاني، المحقق/ د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، 1432هـ، 2011م.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، المحقق/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ، 1964م.
- حكمة التشريع وفلسفته، أحمد علي الجرجاوي، دار الفكر، د. ط. ت.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم، السعادة، بجوار محافظة مصر، 1394هـ، 1974م.
- الدلالات العلاجية النفسية في القرآن الكريم وممارسة علماء الغرب لها، د/ عبد الفتاح عبد الغني، ود/ محمد عبد العزيز الجريسي، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، العدد الثامن، يناير 2005م.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط1، 1422هـ، 2002م.
- سنن ابن ماجه، لابن ماجه، دار الرسالة العالمية، ط1، 2009م.
- سنن أبي داود، للإمام أبي داود، المحقق/ محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط. ت.
- سنن الترمذي، للإمام الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط2، 1395هـ.

- السنن الكبرى، البيهقي، المحقق/ محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2003م.
- السنن الكبرى، للنسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م.
- السياسة الاقتصادية الإسلامية لترشيد الاستهلاك الفردي للسلع والخدمات، الدكتور بيلي إبراهيم العليمي، بحث في مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، العدد 24، 1415هـ.
- الشرح الكبير على متن المقنع، ابن قدامة، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع، د. ط. ت.
- شرح المشكاة، الطيبي، المحقق/ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م.
- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط1، 1415هـ، 1494م.
- شعب الإيمان، البيهقي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، ط1، 1433هـ.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، الجوهري، المحقق/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح من أمور رسول الله ﷺ وأيامه، للإمام البخاري، عناية/: د. محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.
- صحيح سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ط1، 1409هـ، 1988م.
- صحيح مسلم = الجامع الصحيح، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، ثم صورته دار إحياء التراث العربي ببيروت، وغيرها، 1374هـ، 1955م.
- صيد الخاطر، ابن الجوزي، دار القلم، دمشق، ط1، 1425هـ، 2004م.

- ضعيف سنن النسائي، لمحمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ، 1990م.
- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، المحقق/ محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417 هـ، 1996م.
- فتاوى اللجنة الدائمة، أحمد بن عبد الرزاق الدويش، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الإدارة العامة للطبع، الرياض.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- فوائد البنوك بين الاستغلال الربوي والاستثمار الإسلامي، المستشار د. فتحي السيد لاشين، الجيزة، البصائر للبحوث والدراسات، 2009م.
- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، ط7، 2001م.
- لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط2، 1414ه.
- المجتبى من السنن، للإمام النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، دار الوفاء، ط3، 1426هـ، 2005م.
- المحكم والمحيط الأعظم، ابن سيده، المحقق/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 2000م.
- المحلى بالآثار، ابن حزم، دار الفكر، بيروت، د. ط. ت.
- مختصر منهاج القاصدين، ابن قدامة، مكتبة دار البيان، دمشق، ط1، 1398هـ، 1978م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م.
- مسند الفردوس لأبي منصور الدَّيلَمي، جمعية دار البر، دبي، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1439هـ، 2018م.

- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- المعجم الأوسط، الطبراني، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، د. ط. ت.
- المعجم الكبير، للطبراني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت.
- المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، وآخرون، دار الدعوة، د. ط. ت.
- مفتاح دار السعادة، ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ط. ت.
- مقاصد الشريعة الإسلامية، ابن عاشور، المحقق/ محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1425هـ، 2004م.
- منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله، د/ أنس أحمد كرزون، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 1995م.
- مورجان هاوسل، سيكولوجية المال، ترجمة كنان القرحالي، دار عصير الكتب، مصر، 2021م.
- الموسوعة الطبية الفقهية، د/ أحمد محمد كنعان، دار النفائس، ط1، 1420هـ.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الكويت، ط1، 1417هـ، 1996م.
- النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.

الحياةُ الزوجيّةُ في السنةِ النبويّةِ، عوامل البناء ووسائل الاستدامة

أ. د. عوض إبراهيم منصور بابكر

الأستاذ بقسم الدراسات الإسلامية،

بكلية الشريعة والقانون بالغاط، جامعة المجمعة – السعودية

ملخص

خلقَ الله تعالى هذا الكون من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها، وتعينه على خلافة الأرض، ومن هنا تكونت أول نواة للمجتمع ثم تعاقبت الذرية وحملت الراية جيلًا بعد جيل، مستعينة بما أنزل الله لها تعالى من هدى، فمن استمسك به السنة النبوية بالمداومة على هذا الهدي، لأن الديمومة عليه تكون سببًا في نماءه وبقائه، وهو ما يسمونه الآن بالتنمية المستدامة، وقد جاء هذا البحث ليسهم في إبراز دور السنة النبوية في جانب من جوانب الحياة المجتمعية، وهو الحياة الزوجية، وعلاقة ذلك بالتنمية المستدامة، وأسميته: (الحياة الزوجية في السنة النبوية، عوامل البناء ووسائل الاستدامة)، فنسأل الله أن ينفع به.

كلمات مفتاحية: الحياة الزوجية، التنمية المستدامة، عوامل البناء.

Abstract

God Almighty created this universe from one soul and made from it its mate to live with it and help it in the succession of the earth, and from here the first nucleus of society was formed, then the offspring followed one another and carried the banner generation after generation, aided by what God Almighty revealed to them of guidance, so whoever adheres to the Sunnah of the Prophet by continuing adherence to this guidance, because continuity on it is a reason for its growth and survival, which is what they now call it sustainable development, and this research came to contribute to highlighting the role of the Sunnah of the Prophet in one aspect of societal life, which is marital life, and its relationship to sustainable development, and I named it: (Marital Life in the Sunnah of the Prophet, Factors of Establishment and Means of Sustainability), so we ask God to benefit from it.

Keywords: Marital Life, Sustainable Development, Factors of Establishment.

مقدمة

خلقَ اللّٰهُ تعالى هذا الكونَ وجعل الإنسان خليفة فيه، يأتمر بأمره ويحتكم بشرعه، جيلًا بعد جيل، وحتى تستقيم حياته جعل له زوجًا من نفسه يسكن إليها وتعينه على نوائب الحق، ومن هنا تتكون أول نواة للمجتمع ثم تتعاقب الذرية في خلافة الأرض مستعينة بما أنزل الله تعالى لها من هدى، فمن اتبع هذا الهدى فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عنه فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا.

وتحقق الرغد وطيب العيش للناس في الدنيا، والفوز والفلاح في الآخرة، مرتبط بتمسكهم بالشرع والديمومة عليه، كما قال ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ»[1]، فالمداومة على الشيء تحقق نماءه وتطوره، وهو ما يسمونه الآن بالتنمية المستدامة، وقد جاء هذا البحث ليسهم في إبراز دور السنة النبوية في جانب من جوانب الحياة المجتمعية، وعلاقة ذلك بالتنمية المستدامة، وأسميته: (الحياة الزوجية في السنة النبوية، عوامل البناء ووسائل الاستدامة)، وهو يتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

مشكلة البحث:

لما كانت الحياة الزوجية هي اللبنة الأولى لتكوين الأسرة، وهي إحدى دعائم بناء المجتمع؛ لذا كانت عناية السنة بالدعوة إلى النكاح وإلى الترغيب فيه، حتى ينتج أسرة صالحة تكون مجتمعا متماسكًا مترابطًا يسهم في عمارة الكون وتقدمه، مستصحبًا تعاليم السنة، ناشدًا الاستدامة على النماء والازدهار.

لذلك جاء هذا البحث ليجيب على الأسئلة الآتية:

- هل اهتمت السنة النبوية بقضية التنمية المستدامة من خلال العناية بالحياة الزوجية؟

1- أخرجه البخاري في صحيحه، المحقق/ د. مصطفي ديب البغا، بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3، 1407ه، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ (8/98) حديث رقم(6464)، ومسلم في صحيحه، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت، كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضِيلَةِ الْعَمَلِ الدَّائِمِ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَغَيْرِهِ (1/478) حديث رقم (783) كلاهما من حديث عائشة (رضي الله عنها).

- ما الآليات التي أرشدت إليها السنة في تطبيق التنمية المستدامة من خلال دعوتها لإقامة الحياة الزوجية؟
- هل إقامة الحياة الزوجية وفق تعاليم السنة يسهم في التقدم والازدهار الحضاري والحياة الآمنة للناس؟

أهداف البحث:

1. إبراز عناية السنة النبوية من خلال الدعوة للزواج إلى تحقيق التنمية المستدامة.
2. بيان الآليات التي دعت إليها السنة النبوية لتحقيق التنمية المستدامة من خلال الزواج.
3. إثبات أن إقامة الحياة الزوجية وفق تعاليم السنة يسهم في التقدم والازدهار الحضاري والحياة الآمنة للناس.

منهج البحث:

اعتمدت الدراسة على المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي وذلك من خلال تتبع نصوص السنة الدالة على عناية السنة النبوية بالدعوة للزواج إلى تحقيق التنمية المستدامة، واستنباط دلالتها وسبر معانيها.

الدراسات السابقة:

لم أقفْ على بحث مستقل يتناول خدمة المجتمع من خلال الحياة الزوجية وربطها بالتنمية المستدامة في السنة النبوية، وإنما وقفت على بحوث عامة في التنمية المستدامة وفي الأسرة في الكتاب والسنة، ومن ذلك:

1. التنمية المستدامة في السنة النبوية، دراسة تأصيلية، إعداد الطالب/ بكر عبد الله الخرمان، الأردن، جامعة آل البيت كلية الشريعة، رسالة لنيل درجة الماجستير، الفصل الأول من عام 2017/2018م.
2. الأسرة ودورها في بناء الفرد والمجتمع أسرة إبراهيم عليه السلام نموذجًا، دراسة موضوعية، رشا بسيوني يوسف الدسوقي، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ، المجلد 32، العدد 3، يوليو 2020م.

3. دور السنة النبوية في تحقيق التنمية المستدامة، د. عادل راشد مناحي الدماك، مصر، الجمعية المصرية للقراءة والمعرفة، مجلة القراءة والمعرفة، المجلد 22، العدد 254، الجزء الأول ديسمبر 2022م.

ولعل هذا البحث يكون حلقة وصل بين ما سبق من الكلام عن الحياة الزوجية كنواة للأسرة ودورها في التنمية المستدامة وفق السنة النبوية.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة.

المبحث الأول، عوامل البناء، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول، معرفة أهداف الحياة الزوجية.

المطلب الثاني، الهدي النبوي في اختيار الزوجين.

المطلب الثالث، تحديد مهام وحقوق كل زوج على الآخر.

المبحث الثاني، وسائل الاستدامة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول، احتساب الأجر في المعاملات الزوجية.

المطلب الثاني، تنوع الحلول عند الاختلاف.

المطلب الثالث، البناء على اليقينيات وسد أبواب الظن والريبة.

المطلب الرابع، الحرص على التعامل بالشرع وعدم اتباع العواطف.

المطلب الخامس، القناعة بالمعطيات والاستعاضة بالبدائل.

الخاتمة: وتحتوي على النتائج والتوصيات.

تمهيد

عرَّفت الأمم المتحدة التنمية المستدامة على أنها: «التنمية التي تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة»[1].

ومن خلال التعريف نجد أن الإنسان ليس هدفًا للتنمية فحسب، بل هو محورها ورحاها الذي تدور حوله ولأجله، وعمارة الكون لا تتأتى إلا بوجود إنسان راشد يتحمل مسؤولية بناء المجتمع، واستدامة نمائه، ولما كانت الأسرة هي أولى تلك اللبنات اهتمت السنة ببنائها وتلاحمها، وعلى النقيض نجد أن أغلى وأعلى غايات الشيطان وجنده من الإنس والجن هي هدم الأسرة وشرخ تماسكها وتشتت أفرادها، وقد فضحهم النبي ﷺ بقوله: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ» قَالَ الْأَعْمَشُ- راوي الحديث-: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ»[2]..

ولما كان هذا الصراع ممتدًا على مدار الحياة الإنسانية فقد بينت السنة النبوية عوامل بناء الفرد الذي يكون حصنًا حصينًا وجدار صد لمعاول الهدم ودعاة الفتنة واستئصال الفضيلة، متسلحًا بوسائل الثبات والنماء والاستدامة، حتى يتحقق مراد الله تعالى في الأرض.

1- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda/

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا (4/2167) حديث رقم (2813).

المبحث الأول، عوامل البناء، وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول، معرفة أهداف الحياة الزوجية:

حثت السنة النبوية على الزواج، لتعدد فوائده، وتنوع مصالحه على الفرد والمجتمع، فمن ذلك:

الفرع الأول، إقامة الشرع والخلافة في الأرض:

خلق الله تعالى الخلق لعبادته، فأرسل الرسل وأنزل الكتب، فبلغ كل رسول ما أنيط به من رسالة وشرع، وعلى كثرة الأتباع سيتباهى الأنبياء يوم القيامة، لذلك أمرنا النبي ﷺ بالزواج فقال: «تزوجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمم»[1]، وهذه الكثرة ليس المقصود منها غثائية العدد، وإنما الفرد الرباني الذي يقيم الشرع ويحقق الخلافة في الأرض، لذلك يقول النبي ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2]، وبين النبي ﷺ أن الزواج من وسائل إيجاد هذا الصنف من الأفراد، فقال: «مَنْ تَزَوَّجَ فَقَدِ اسْتَكْمَلَ نِصْفَ الْإِيمَانِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي النِّصْفِ الْبَاقِي»[3].

1- أخرجه أبو داود في سننه، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، كتاب النكاح، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَزْوِيجِ مَنْ لَمْ يَلِدْ مِنَ النِّسَاءِ (2/220) حديث رقم (2050)، والنسائي في سننه، حلب، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1406ه، كتاب النكاح، باب: كَرَاهِيَةُ تَزْوِيجِ الْعَقِيمِ (6/65) حديث رقم (3227)، وابن حبان في صحيحه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414ه، 1993م، (9/363) حديث رقم (4056)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411ه، 1990م)، (2/176) حديث رقم (2685) كلهم من حديث مَعْقِلِ بنِ يسارٍ ﷺ... به، وإسناده حسن، وقال الحاكم: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ".

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ 9/92) ﷺ) حديث رقم (7280) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

3- أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، المحقق/ طارق بن عوض الله، وعبد المحسن الحسيني، القاهرة، دار الحرمين، 1415هـ، (7/332) حديث رقم (7647)، (8794)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (2/175) حديث رقم (2681) كلهم من حديث أنس بن مالك ﷺ ولفظ الحاكم: "مَنْ رَزَقَهُ اللَّهُ امْرَأَةً صَالِحَةً، فَقَدْ أَعَانَهُ عَلَى شَطْرِ دِينِهِ، فَلْيَتَّقِ اللَّهَ فِي الشَّطْرِ الثَّانِي"، وقال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، قلت: إسناده حسن لغيره.

الفرع الثاني، المحافظة على نقاء الأنساب وبقاء النوع الإنساني وتكاثره:

الزواج هو الوسيلة الوحيدة لتشكيل الأسرة - وهي أصغر نواة في بناء المجتمع- وهذه النواة هي السبيل الوحيد التي يعترف الشرع بمخرجاتها كطريق للتناسل ومن ثَمَّ الحفاظ على الجنس البشري من الانقراض، وتقوية الروابط الأسرية، لتحقيق مجتمع متضامن، يحمل الأمانة ويحفظ الكون، فلذلك اعتنت به السنة وحاربت جميع السلوكيات التي تهدف إلى اختلاط الأنساب بطريقة غير شرعية أو تحول دون الإنجاب بالطرق الشرعية.

فأما من حيث عناية السنة النبوية بنقاء النسب فقد بينت السنة الجهة التي ينتسب إليها المولود، ويكون منها عمود النسب والانتماء، وهي جهة الأب لا الأم، فعندما جاء الْأَشْعَث بْن قَيْسٍ، فِي وَفْدِ كِنْدَةَ، وقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَسْتُمْ مِنَّا؟ وفي لفظ: إِنَّا نَزْعُمُ أَنَّكُمْ مِنَّا، فقال له النبي ﷺ: "نَحْنُ بَنُو النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، لَا نَقْفُو أُمَّنَا[1]، وَلاَ نَنْتَفِي مِنْ أَبِينَا»[2].

ففي هذا الحديث أراد الأشعث رضي الله عنه أن يجعل نسب النبي ﷺ في قبيلة كندة اليمنية لأن إحدى جدات النبي ﷺ منهم[3]، فبين له النبي ﷺ أن النسب إنما يكون من جهة الأب - النضر - لا من جهة الأم.

قال الشيخ محمد الأمين الأثيوبي: «(لا نَقْفُوا أُمَّنا) أي: لا نَتْبَعُ أُمَّنا بالانتساب إليها، ولا نقطع شرفَها وفضلَها، بل نعرف فضلَها وشرفَها في حق نفسها ولا نَنْتَسِبُ إلى نَسبِها (ولا

1- لَا نَنْتَفي مِنْ أَبِينَا وَلَا نَقْفُو أُمّنا: أَيْ لَا نتَّهمها وَلَا نَقْذِفُها. يُقَالُ: قَفَا فُلانٌ فُلانًا إِذَا قَذَفَه بِمَا لَيْسَ فِيهِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَا نَتْرك النَّسَب إِلَى الْآبَاءِ ونَنْتَسِب إِلَى الأمَّهات، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، بيروت، المكتبة العلمية، 1399هـ، 1979م، (4/95).

2- أخرجه ابن ماجه في سننه، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، دار الرسالة العالمية، ط1، 1430هـ، 2009م، أَبْوَابُ الحدود، بَابُ مَنْ نَفي رَجُلًا مِنْ قَبِيلَتِهِ (3/633) حديث رقم (2612)، والإمام أحمد في مسنده، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ، 2001م، (36/160) حديث رقم (21839) كلاهما من حديث الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ...به، وإِسْنَاده حسن، قال البوصيري: «هَذَا إِسْنَاد صَحِيح، رِجَاله ثِقَات لِأَن عقيل بن طَلْحَة وَثَّقَهُ ابْن معِين وَالنَّسَائِيّ وذكره ابْن حبَان فِي الثِّقَات وَبَاقِي رجال الْإِسْنَاد على شَرط مُسلم»، البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، 3/119، المحقق/ محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403ه.

3- قال ابن القيم (رحمه الله): «وَلِلنَّبِيِّ ﷺ جَدَّةٌ مِنْ كِنْدَةَ مَذْكُورَةٌ، وَهِيَ أم كلاب بن مرة، وَإِيَّاهَا أَرَادَ الأشعث". ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت: مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط27، 1415هـ، 1994م، (3/540).

نَنْتَفِي) أي: ولا نقطع نسبَنا (من أبينا) بل نجعلُ نسبنا من نسبِ أبينا، وننتسبُ إليه»[1].

بل حذر النبي ﷺ من الانتساب لغير الآباء وجعله من أعظم الكذب، ولعن فاعله، فقال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ»[2]، وقال: «وَمَنِ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا، وَلَا عَدْلًا»[3].

قال ابن القيم: «وَفِيهِ: أَنَّ مَنِ انْتَسَبَ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، فَقَدِ انْتَفي مِنْ أَبِيهِ، وَقَفي أُمَّهُ، أَيْ: رَمَاهَا بِالْفُجُورِ»[4].

ومن وسائل الهدي الذي أمرت به السنة النبوية لتحقيق ذلك الهدف:

الوسيلة الأولى، الترغيب في الزواج:

رغبت السنة النبوية في الزواج من المرأة الولود ونهت عن الزواج من المرأة العقيم، كما جاء عن مَعْقِلِ بنِ يسارٍ ﷺ قال: جاء رجل إلى النبيِّ ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ وجَمَالٍ، وأنها لا تَلِدُ، أفأتزوجُها؟ قال: «لا» ثم أتاهُ الثانيةَ فنهاه، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: «تزوجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمم»[5].

ففي هذا الحوار بين النبي وبين صاحبه الذي أراد أن يستشيره في زواجه من امرأة عقيم - لا تلد - ومنعه النبي ﷺ عن الزواج منها، رغم كثرة محاولاته، مما يدل على أن الغاية من الزواج طلب الولد لكثرة الأمة، وليس الحسب والجمال فقط، ورحم الله النسائي حينما بوَّب لهذا الحديث بقوله: «كَرَاهِيَةُ تَزْوِيجِ الْعَقِيمِ».

1- الأثيوبي، مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1439هـ، 2018م، (15/247).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ المَنَاقِبِ، (4/180) حديث رقم (3509).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْعِتْقِ، بَابُ تَحْرِيمِ تَوَلِّي الْعَتِيقِ غَيْرَ مَوَالِيهِ (2 /994) حديث رقم (1370).

4- ابن القيم، زاد المعاد في هدي خير العباد، 3/541.

5- تقدم تخريجه ص (469) وقد أخرجه أبو داود في سننه، والنسائي في سننه، بإسناد حسن.

الوسيلة الثانية، النهي عن التبتل:

فقد نهت السنة النبوية عن التَّبَتُّلَ[1] واعتزال النساء، كما جاء عن سَعْد بْن أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قال: «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ، وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لاَخْتَصَيْنَا»[2]، وزجر الرهطَ الثلاثةَ الذين جاؤوا إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِه ﷺ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَتهَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[3].

وكما نهى النبي ﷺ المرأة أن تشتغل بالعبادات - غير المفروضة - إذا كانت تفوت حق زوجها، كذلك نهى الرجل أن يشتغل بالعبادات النوافل، حتى لا يغفل أو يعجز عن أداء حق زوجته، كما جاء عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ ﷺ قَالَ: آخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً[4]، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ، فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ، فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ، قَالَ سَلْمَانُ: قُمِ الآنَ، قَالَ: فَصَلَّيَا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى

1- التَّبَتُّلُ: هُوَ الِانْقِطَاعُ عَنِ النِّسَاءِ وَتَرْكُ النِّكَاحِ انْقِطَاعًا إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ. النووي، شرح النووي على مسلم، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ، (9/176).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ التَّبَتُّلِ وَالخِصَاءِ (7/4) حديث رقم (5073). ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (2/1020) حديث رقم (1402) كلاهما من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي النِّكَاحِ (7/2) حديث رقم (5063)، ومسلم في صحيحه، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (2/1018) حديث رقم (1401) كلاهما من حديث أنس بن مالك ﷺ.

4- مُتَبَذِّلَةً: بِفَتْحِ الْمُثَنَّاةِ وَالْمُوَحَّدَةِ وَتَشْدِيدِ الذَّالِ الْمُعْجَمَةِ الْمَكْسُورَةِ أَيْ لَابِسَةً ثِيَابَ الْبِذْلَةِ بِكَسْرِ الْمُوَحَّدَةِ وَسُكُونِ الذَّالِ وَهِيَ الْمِهْنَةُ وَزْنًا وَمَعْنًى وَالْمُرَادُ أَنَّهَا تَارِكَةٌ لِلُبْسِ ثِيَابِ الزِّينَةِ، ابن حجر، فتح الباري، بيروت دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392ه، (4/210).

النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»[1].

قال ابن الملقن: «ولما ذكر البخاري (رحمه الله) في الباب السالف حق الزوج على المرأة ترجم حقها عليه، وأنه لا ينبغي أن يجحف نفسه في العبادة حتى يضعف عن القيام بحق أهله من جماعها والكسب عليها»[2].

وقال ابن حجر العسقلاني: «وَفِيهِ مَشْرُوعِيَّةُ تَزَيُّنِ الْمَرْأَةِ لِزَوْجِهَا وَثُبُوتُ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ فِي حُسْنِ الْعِشْرَةِ وَقَدْ يُؤْخَذُ مِنْهُ ثُبُوتُ حَقِّهَا فِي الْوَطْءِ لِقَوْلِهِ وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا ثُمَّ قَالَ وَائْتِ أَهْلَكَ وَقَرَّرَهُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ذَلِكَ، وَفِيهِ: جَوَازُ النَّهْيِ عَنِ الْمُسْتَحَبَّاتِ إِذَا خَشِيَ أَنَّ ذَلِكَ يُفْضِي إِلَى السَّآمَةِ وَالْمَلَلِ وَتَفْوِيتِ الْحُقُوقِ الْمَطْلُوبَةِ الْوَاجِبَةِ أَوِ الْمَنْدُوبَةِ الرَّاجِحِ فِعْلُهَا عَلَى فِعْلِ الْمُسْتَحَبِّ الْمَذْكُورِ»[3].

الوسيلة الثالثة: النهي عن الاختصاء[4].

فقد نهت السنة النبوية عن الاختصاء، وذلك فيما رواه ابْنُ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ النَّبِيِّ ﷺ لَيْسَ لَنَا نِسَاءٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ نَسْتَخْصِي؟ «فَنَهَانَا عَنْ ذَلِكَ» وفي رواية لمسلم أطلق فيها النهي ولم يقيده بالغزو فقال: «كُنَّا وَنَحْنُ شَبَابٌ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نَسْتَخْصِي؟ «وَلَمْ يَقُلْ: نَغْزُو[5].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ صُنْعِ الطَّعَامِ وَالتَّكَلُّفِ لِلضَّيْفِ (8/33) حديث رقم (6139).

2- ابن الملقن، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، المحقق/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، إصدار وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط2، 1392ه (25/28).

3- ابن حجر، فتح الباري (4/212).

4- َالْخَصِيُّ: هُوَ الْمُنْتَزَعُ الْأُنْثَيَيْنِ قَالَ صَاحِبُ الْعَيْنِ: الْخِصَاءُ سَلُّ الْأُنْثَيَيْنِ وَرَجُلٌ خَصِيٌّ إِذَا اشْتَكَى أُنْثَيَيْهِ وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ عَنْ أَبِي زَيْدٍ: الْخِصَاءُ أَنْ تُسَلَّ أُنْثَيَاهُ سَلًّا، فَإِنْ رُضَّتْ وَلَمْ تُخْرَجْ فَهُوَ الْوَجُّ، وَإِنْ شُقَّ الصَّفَنُ فَأُخْرِجَتْ فَهُوَ الْمَشْقُّ، فَإِنْ شُقَّتْ حَتَّى تَسْقُطَ فَهُوَ الْعَصْبُ، وَالْمَجْبُوبُ الْمَقْطُوعُ الذَّكَرِ، الباجي، المنتقى شرح الموطأ، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1332ه، (4/118).

قلت: اختصره الباجي وزاد عليه، انظر: غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام، المحقق/ د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، ط1، 1384ه، 1964م، (4/45).

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ تَزْوِيجِ المُعْسِرِ الَّذِي مَعَهُ القُرْآنُ وَالإِسْلاَمُ (7/4) حديث رقم (5071)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ نِكَاحِ الْمُتْعَةِ، وَبَيَانِ أَنَّهُ أُبِيحَ، ثُمَّ نُسِخَ، ثُمَّ أُبِيحَ، ثُمَّ نُسِخَ، وَاسْتَقَرَّ تَحْرِيمُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (2/1022) حديث رقم (1404) كلاهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ.

قال القاضي عياض: «فيه ما تقدم من النهى عن الخصاء والتبتل والانقطاع عن النكاح، وترك النسل الذي حض ﷺ على تكثيره، وإبطال الحكمة في خلق ذلك العضو، وتركيب الشهوة فيه لبقاء النسل، وعمارة الأرض، وذرء عباد الله فيها ليبلوا كيف يعملون، وليعبدوه جل اسمه، وتغيير خلق عباد الله، وإفساد خاصية الذكورية»[1].

وقال ابن حجر: «وَالْحِكْمَةُ فِي مَنْعِهِمْ مِنَ الِاخْتِصَاءِ إِرَادَةُ تَكْثِيرِ النَّسْلِ لِيَسْتَمِرَّ جِهَادُ الْكُفَّارِ، وَإِلَّا لَوْ أَذِنَ فِي ذَلِكَ لَأَوْشَكَ تَوَارُدُهُمْ عَلَيْهِ فَيَنْقَطِعُ النَّسْلُ فَيَقِلُّ الْمُسْلِمُونَ بِانْقِطَاعِهِ وَيَكْثُرُ الْكُفَّارُ فَهُوَ خِلَافُ الْمَقْصُودِ مِنَ الْبعْثَة المحمدية»[2].

الوسيلة الرابعة، النهي عن الإتيان في غير موضع الحرث:

فقد نهت السنة النبوية عن الإتيان في غير موضع الحرث كاللواط، وإتيان النساء في أدبارهن، لأنهما ليسا مظنة للإنجاب وليسا محلًا للحرث، فقال ﷺ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى رَجُلٍ أَتَى رَجُلًا أَوِ امْرَأَةً فِي الدُّبُرِ»[3]، وكذلك فإن هذا الصنيع فحش يتنافى مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وجناية على حق نفسه وحق زوجه وقطع على نفسه السبيل القويم في الإنجاب وتكوين الأسرة.

الفرع الثالث، العفاف والإحصان:

المجتمع المسلم يقوم على العفاف ويحرم على أفراده إقامة علاقة بين الجنسين خارج حِمَى الزوجية، لذلك أمر النبي ﷺ بالزواج، فقال ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»[4]، وقال: «ثَلَاثَةٌ حَقٌّ عَلَى اللَّهِ عَوْنُهُمْ: المُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَالمُكَاتَبُ الَّذِي يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالنَّاكِحُ

1- القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم، المحقق/ د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، مصر، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1419هـ، 1998م، (4/533).

2- ابن حجر، فتح الباري (9/118).

3- أخرجه الترمذي في سننه، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ط. ت، أبواب الرضاع عن رسول الله ﷺ، باب: ما جاء في كراهية إتيان النساء في أدبارهن (3/461) حديث رقم (1165)، وقال حسن، وهو كما قال.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابٌ: الصَّوْمُ لِمَنْ خَافَ عَلَى نَفْسِهِ العُزْبَةَ (3/26) حديث رقم (1905)، ومسلم في صحيحه، كتاب النكاح، بَابُ اسْتِحْبَابِ النِّكَاحِ لِمَنْ تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ، وَوَجَدَ مُؤَنَهُ، وَاشْتِغَالِ مَنْ عَجَزَ عَنِ الْمُؤَنِ بِالصَّوْمِ (2/1018) حديث رقم (1400) كلاهما من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ.

الَّذِي يُرِيدُ العَفَافَ»[1].

فالمتزوج إن غلبته شهوته وجد من يعفه ويقضي عندها وطره ويكون ذلك سببًا لسد أبواب الشيطان وقطعًا لخطوات إغوائه، وبذلك يتعافى المجتمع من الرذائل والفواحش، وينمو بالطرق الشرعية، كما روى جَابِر ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَى امْرَأَةً، فَأَتَى امْرَأَتَهُ زَيْنَبَ، وَهِيَ تَمْعَسُ مَنِيئَةً[2] لَهَا، فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمَرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، فَإِذَا أَبْصَرَ أَحَدُكُمُ امْرَأَةً فَلْيَأْتِ أَهْلَهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[3].

قال ابن العربي المالكي: «وجاء إلى الزوجة ؛ ليقضي فيها حق الإعجاب والشهوة الآدمية بالاعتصام والعفة[4].

الهدف الرابع: الانتفاع بالذرية في الدنيا وبعد الممات.

فقد حرصت السنة على الإنجاب وضبطه في منظومة الأسرة لضمان إيجاد ذرية معروفة الهوية تتوارث فيها وشائج الأبوة والبنوة، وتتناسخ صفات القبيلة الحسية والمعنوية، فيكون فيها الولاء والنصرة في الدنيا والشفاعة وامتداد العمل الصالح ورفع الدرجات في الآخرة، ومن أنواع هذا الانتفاع:

الأول: الانتفاع الدنيوي من النصرة وقرة العين والعون وزيادة الكسب وتنوع مصادر الدخل، كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ: أن رجلًا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ،

1- أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَابُ مَا جَاءَ فِي الْمُجَاهِدِ وَالنَّاكِحِ وَالْمُكَاتَبِ وَعَوْنِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ (4/184) حديث رقم (1655)، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، بَابُ: مَعُونَةِ اللَّهِ النَّاكِحَ الَّذِي يُرِيدُ الْعَفَافَ (6/61) حديث رقم(3218)، وابن ماجه في سننه، كتاب العتق، بَابُ الْمُكَاتَبِ (3/561) حديث رقم(2518)، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ»، وهو كما قال، وقد اختلف في رفعه ووقفه، ورجح الدارقطني الرفع، فقال: «ورفعه صحيح»، الدارقطني، العلل الواردة في الأحاديث النبوية، تحقيق وتخريج/ د. محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة الرياض، شارع عسير، ط1، 1405هـ، 1985م، (10/351).

2- تمعس: أي تدبغ، وأصل المعس الدَّلك، والجلد أَوَّلِ الدِّبَاغِ مَنِيئَةٌ ثُمَّ أَفِيقٌ بِفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِ الْفَاءِ وَجَمْعُهُ أُفُقٌ كَقَفِيزٍ وَقُفُزٌ ثُمَّ أَدِيمٌ، انظر: المازري، المعلم بفوائد مسلم، المحقق/ فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر...ط2، 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م، (2/130).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ نَدْبِ مَنْ رَأَى امْرَأَةً فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ امْرَأَتَهُ أَوْ جَارِيَتَهُ فَيُوَاقِعَهَا (2/1021) حديث رقم (1403) من حديث جابر ﷺ.

4- ابن العربي، عارضة الأحوذي، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، (5/86).

إن لي مالًا وولدًا، وإن والدي يَجْتَاحُ مالي، قال: «أنت ومالُكَ لِوالدك، إنَّ أولادَكم مِن أطيبِ كَسْبِكُم، فَكُلُوا مِن كَسْبِ أولادِكم»[1].

الثاني: امتداد العمل بعد الممات، فقد قَالَ ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَتُرْفَعُ دَرَجَتُهُ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ: أَنَّى هَذَا؟ فَيُقَالُ: بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ»[2].

الثالث: أن الولد يكون شفيعًا لوالديه وسببًا لدخولهما الجنة، كما جاء عن قُرَّةَ بن إياس ﷺ، أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَمَعَهُ ابْنٌ لَهُ فَقَالَ لَهُ: «أَتُحِبُّهُ؟» فَقَالَ: أَحَبَّكَ اللَّهُ كَمَا أُحِبُّهُ، فَمَاتَ، فَفَقَدَهُ، فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: «مَا يَسُرُّكَ أَنْ لَا تَأْتِيَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ إِلَّا وَجَدْتَهُ عِنْدَهُ يَسْعَى يَفْتَحُ لَكَ؟»[3].

وكما قال ﷺ: «إِنَّهُ يُقَالُ لِلْوِلْدَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ حَتَّى يَدْخُلَ آبَاؤُنَا وَأُمَّهَاتُنَا، قَالَ: فَيَأْبَوْنَ، قَالَ: فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَا لِي أَرَاهُمْ مُحْبَنْطِئِينَ[4]، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ آبَاؤُنَا، قَالَ: فَيَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ»[5].

ففي هذين الحديثين نجد أن المؤمن إذا مات ابن له واحتسبه، لا يرضى ذلك الابن بدخول الجنة إلا بصحبة والديه، فيكون شفيعًا لهما وسببًا لدخولهما الجنة.

1- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب: في الرجل يأكل من مال ولده (5/390) حديث رقم (3530)، وابن ماجه في سننه، أبواب التجارات، بَابُ مَا لِلرَّجُلِ مِنْ مَالِ وَلَدِهِ (3/390) حديث رقم (2290)، كلاهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، وإسناده حسن، وقال البوصيري: «هَذَا إِسْنَاد صَحِيح رِجَاله ثِقَات على شَرط البُخَارِيّ وَله شَاهد من حَدِيث عَائِشَة»، البوصيري، مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه (3/37).

2- أخرجه أبو داود في سننه، كتاب البيوع، باب: في الرجل يأكل من مال ولده (5/390) حديث رقم (3530)، وابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ الْأَدَبِ، بَابُ بِرِّ الْوَالِدَيْنِ (4/631) حديث رقم (3660) من حديث أبي هريرة ﷺ، وإسناده حسن.

3- أخرجه النسائي في سننه، كتاب الجنائز، باب: الأمر بالاحتساب والصبر عند نزول المصيبة (4/22) حديث رقم (1870)، وابن حبان في صحيحه (7/209) حديث رقم (2947)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (1/541) حديث رقم (1417) كلهم من حديث قرة بن إياس ﷺ وقال الحاكم: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ"، وهو كما قال.

4- المُحْبَنْطِئُ: - بِالْهَمْزِ وتَرْكه- المُتغضِّب المستبطىء لِلشَّيْءِ. وَقِيلَ هُوَ الممتَنِع امْتناع طَلِبَة، لَا امْتِنَاع إِبَاءٍ. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر (1/331).

5- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (28/174) حديث رقم (16971)، وإسناده حسن، وقال العراقي: «إِسْنَاده جيد»، العراقي، المغني عن حمل الأسفار، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م، (ص462).

المطلب الثاني، الهدي النبوي في اختيار الزوجين:

كفلت السنة النبوية للزوجين حق اختيار كل واحد منهما قرينه الآخر بالمواصفات والميزات التي تناسبه حتى يكون ذلك أدوم للعلاقة بين الزوجين، وصادر عن قناعة.

فأهم صفات الزوج التي حرصت عليها السنة:

1. الدين والخلق: فقال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ؟ قَالَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَأَنْكِحُوهُ»[1].
2. الغِنَى أو المقدرة على الاكتساب: لأن المقدرة على الإنفاق تكون بها القوامة، كما قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ﴾ [النساء: 34]، وعندما استشارت فاطمة بنت قيس النبي ﷺ في رجلين تقدما لخطبتهما أحدهما فقير والثاني ضراب للنساء، أمرها بتركهما جميعًا وأن تتزوج أسامة ﷺ، فعَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ، قَالَتْ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ، وَأَبَا جَهْمٍ خَطَبَانِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَمَّا أَبُو جَهْمٍ، فَلَا يَضَعُ عَصَاهُ عَنْ عَاتِقِهِ[2]، وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ، انْكِحِي أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ» فَكَرِهْتُهُ، ثُمَّ قَالَ: «انْكِحِي أُسَامَةَ»، فَنَكَحْتُهُ، فَجَعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، وَاغْتَبَطْتُ بِهِ[3].

وأما صفات اختيار الزوجة، فكثيرة لكن أهمها:

1. الدين: كما قال ﷺ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ»[4].

1- أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ فَزَوِّجُوهُ (3/387) حديث رقم (1085)، وابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، بَابُ الْأَكْفَاءِ (3/140) حديث رقم (1967)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (2/179) حديث رقم (2695) كلهم من حديث أبي هريرة، ﷺ وقال الترمذي عقبه: وقال حسن غريب، وقال الحاكم: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، قلت: إسناده حسن لغيره.

2- قيل المُرَاد أَنه كثير الْأَسْفَار وَقيل أَنه كثير الضَّرْب للنِّسَاء قَالَ النَّوَوِيّ هَذَا أصح والعاتق مَا بَين الْعُنُق والمنكب، السيوطي، الديباج على مسلم بن الحجاج، المحقق/ أبو اسحق الحويني الأثري، السعودية، الخبر، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، ط1، 1416هـ، 1996م، (4/108).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الْمُطَلَّقَةِ ثَلَاثًا لَا نَفَقَةَ لَهَا (2/1114) حديث رقم (1480)، من حديث فَاطِمَةَ بِنْتِ قَيْسٍ ﷺ.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الأَكْفَاءِ فِي الدِّينِ (7/7) حديث رقم (5090)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الرِّضَاعِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ ذَاتِ الدِّينِ (2/1086) حديث رقم (1466) كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

فاختيار الزوجة المتدينة فيه امتثال أمر الرسول ﷺ بقوله: (فاظفر بذات الدين تربت يداك)، وفيه أمن خيانتها لزوجها في ماله وفي عرضها، والمتدينة معينة لزوجها على الطاعة ووجوه الخير، وتربي أولادها التربية الصالحة، وتقنع بما تيسر لها وعدم تكليف زوجها ما يشق عليه.

2. الجمال: ومن الصفات المرغوبة في الزوجة الجمال، لأن المرأة الجميلة تعين زوجها على عفاف نفسه، وأنها تشبع رغبته فلا ينظر إلى غيرها، كما ذكر المُغِيرَة بْن شُعْبَةَ، أَنَّهُ خَطَبَ امْرَأَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «انْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ[1]، بَيْنَكُمَا»[2]، ولحديث أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَنَظَرْتَ إِلَيْهَا؟»، قَالَ: لَا، قَالَ: «فَاذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ فِي أَعْيُنِ الْأَنْصَارِ شَيْئًا»[3].

3. البِكْر: ولما كانت البكر لم يسبق لها زواج ولم يمسسها أحد من قبل زوجها، كانت مرغوبة وأكثر ملائمة وتعلقًا بالزوج؛ لأنها لم تجرب غيره، وتقنع باليسير فلا تشق على الزوج بكثرة الطلبات، وتكون أطيب نفسًا وجسدًا وأكثر ولادة، كما قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالْأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهًا، وَأَنْتَقُ أَرْحَامًا[4]، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ»[5]، وأوصى

1- قال الترمذي عقبه: «وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «أَحْرَى أَنْ يُؤْدَمَ بَيْنَكُمَا»، قَالَ: أَحْرَى أَنْ تَدُومَ المَوَدَّةُ بَيْنَكُمَا».

2- أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، بَابُ مَا جَاءَ فِي النَّظَرِ إِلَى المَخْطُوبَةِ (3/389) حديث رقم (1087)، والنسائي في سننه، كتاب النكاح، إِبَاحَةُ النَّظَرِ قَبْلَ التَّزْوِيجِ (6/69) حديث رقم (3235) كلاهما عن المغيرة بن شعبة ﷺ، وأخرجه ابن ماجه في سننه، أبواب النكاح، بَابُ النَّظَرِ إِلَى الْمَرْأَةِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا (3/66) حديث رقم (1866)، وابن حبان في صحيحه (9/351) حديث رقم (4043)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (2/179) حديث رقم (6297) كلهم من حديث أنس أن المغيرة بن شعبة، وقال الترمذي: «حسن»، وقال الحاكم: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، قلت: وإسناده صحيح.

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ نَدْبِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْمَرْأَةِ وَكَفَّيْهَا لِمَنْ يُرِيدُ تَزَوُّجَهَا (2/1040) حديث رقم (1424) من حديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

4- أنتق أرحاما: أَي أَكثر أولادًا يُقَال للْمَرْأَة الْكَثِيرَة الْأَوْلَاد ناتق لِأَنَّهَا ترمي بالأولاد رميًا والنتق الرَّمْي، السندي، حاشية السندي على سنن ابن ماجه المحقق/ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1416ه، 1996م، (2/416).

5- أخرجه ابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ النِّكَاحِ، بَابُ تَزْوِيجِ الْأَبْكَارِ (3/64) حديث رقم (1861) من حديث عُتْبَةَ بْنِ عُوَيْمِ بْنِ سَاعِدَةَ الْأَنْصَارِيُّ ﷺ، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، (د. ت)، (10/140) حديث رقم (10244) من =

بذلك صاحبه جابر بن عبد الله، عندما سأله: «تَزَوَّجْتَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «بِكْرًا أَمْ ثَيِّبًا؟» قُلْتُ: بَلْ ثَيِّبًا، قَالَ: «أَفَلاَ جَارِيَةً تُلاَعِبُهَا وَتُلاَعِبُكَ»، وفي رواية أنَّه ﷺ قَالَ له: «فَأَيْنَ أَنْت من العذارى ولِعَابها»، وَفِي رِوَايَة لمُسلم: «تضاحكها وتضاحكك»[1].

4. الودود الولود: ومن الصفات أيضًا المرغوبة في الزوجة أن تكون ودودًا ولودًا، فعَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ ﷺ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ، وَإِنَّهَا لَا تَلِدُ، أَفَأَتَزَوَّجُهَا، قَالَ: «لَا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ، ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ[2] فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ»[3].

وقَيَّدَ بِهَذَيْنِ القيدين - الولود والولود - لِأَنَّ الْوَلُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَدُودًا لَمْ يَرْغَبِ الزَّوْجُ فِيهَا، وَالْوَدُودَ إِذَا لَمْ تَكُنْ وَلُودًا لَمْ يَحْصُلِ الْمَطْلُوبُ وَهُوَ تَكْثِيرُ الْأُمَّةِ بِكَثْرَةِ التَّوَالُدِ، فيكون سببًا في انقطاع الزواج وعدم ديمومته.

ومن خصائص المرأة الودود، رعايتها لأطفالها وزوجها، كما قال ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ صَالِحُ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، أَحْنَاهُ عَلَى وَلَدٍ فِي صِغَرِهِ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ»[4].

قال ابن بطال: «ونساء قريش من العرب، فنساء قريش خير نساء العرب، وقد أخبر ﷺ بما استوجبن ذلك، وهو حنوهن على أولادهن، ومراعاتهن لأزواجهن، وحفظهن

= حديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود ﷺ، وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه المحقق/ مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل، القاهرة، ط1، 1436هـ، 2015م، (5/227) حديث رقم (11077)، وابن أبي شيبة في مصنفه، المحقق/ محمد عوامة، دار القبلة، السعودية، جدة، ط1، 1427ه، 2006م، (4/52) حديث رقم (17696) كلاهما من حديث مكحول بن أبي مسلم الشامي، مرسلًا، وهذه الأسانيد كلها ضعيفة ولكنها تقوي بعضها بعضًا، وترتقي إلى الحسن لغيره.

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ شِرَاءِ الدَّوَابِّ وَالحُمُرِ...(3/62) حديث رقم (2097)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، بَابُ اسْتِحْبَابِ نِكَاحِ الْبِكْرِ (2/1087) حديث رقم (715)، كلاهما من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

2- الودود الولود: يُعْرَفُ هَذَانِ الْوَصْفَانِ فِي الْأَبْكَارِ مِنْ أَقَارِبِهِنَّ إِذِ الْغَالِبُ سِرَايَةُ طِبَاعِ الْأَقَارِبِ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ، ابن القيم، عون المعبود وحاشية ابن القيم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط2، 1415هـ، (6/33).

3- تقدم تخريجه ص (465) وقد أخرجه أبو داود في سننه، والنسائي في سننه، بإسناد حسن، وصححه ابن حبان والحاكم.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ إِلَى مَنْ يَنْكِحُ، وَأَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ، وَمَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَتَخَيَّرَ لِنُطَفِهِ مِنْ غَيْرِ إِيجَابٍ (7/6) حديث رقم (5082). ومسلم في صحيحه، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ (4/1958) حديث رقم (2527) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

لأموالهم، وإنما ذلك لكرم نفوسهن، وقلة غائلتهن لمن عاشرهن وطهارتهن من مكايدة الأزواج ومشاحنتهن. وفيه: جواز مدح الرجل نساء قومه ووليا‌ته بفضائلهن، ومعنى هذا الحديث الحض على نكاح أهل الصلاح والدين وشرف الآباء؛ لأن ذلك يمنع من ركوب الإثم وتقحم العار، ولهذا المعنى قال ﷺ: (عليك بذات الدين تربت يداك)[1].

فقَوْلُهُ أَحْنَاهُ: أَكْثَرُهُ شَفَقَةً وَالْحَانِيَةُ عَلَى وَلَدِهَا هِيَ الَّتِي تَقُومُ عَلَيْهِمْ فِي حَالِ يُتْمِهِمْ فَلَا تَتَزَوَّجُ فَإِنْ تَزَوَّجَتْ فَلَيْسَتْ بِحَانِيَةٍ، وقَوْلُهُ وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ: أَي أحفظ وأصون لما لَهُ بِالْأَمَانَةِ فِيهِ وَالصِّيَانَةِ لَهُ وَتَرْكِ التَّبْذِيرِ فِي الْإِنْفَاقِ[2].

المطلب الثالث، تحديد مهام وحقوق كل زوج على الآخر:

تنظيم الحقوق والمهام ومعرفة كل واحد من الزوجين بما له وبما عليه تسهم في بناء أسرة يؤدي كل واحد منهما الدور المنوط به على الوجه الذي حددته السنة النبوية، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا...»[3].

فمن مهام الزوج: الإنفاق على زوجته، كالنفقة على الكسوة، أو السكنى أو غيرها من النفقات التي تقوم بها الحياة، كما قال ﷺ: «وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[4].

ومنها المعاشرة بالمعروف وحسن الخلق، فقد قال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[5]، وقوله ﷺ لمعاوية القُشيريّ ﷺ عندما سأله قائلًا: يا رسولَ الله، ما حق زوجة أحدِنا عليه؟ قال: «أن تُطعمَها إذا طَعِمتَ، وتكسُوَها

1- ابن بطال، شرح صحيح البخاري، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ط2، 1423هـ، 2003م)، (7/175).

2- انظر: ابن حجر، فتح الباري (9/125).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجُمُعَةِ، بَابُ الجُمُعَةِ فِي القُرَى وَالمُدُنِ (2/5) حديث رقم (893)، من حديث عَبْد اللَّهِ بْن عُمَرَ ﷺ.

4- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (2/889) حديث رقم (1218)، من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ.

5- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الوَصَاةِ بِالنِّسَاءِ (7/26) حديث رقم (5186)، ومسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ (2/1091) حديث رقم (1468) كلاهما من حديث أبي هريرة ﷺ.

إذا اكتَسَيْتَ - أو اكتسبْتَ - ولا تضربَ الوجهَ، ولا تُقبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلا في البيت»[1].

هذه الأحاديث فيها وصية النبي ﷺ للأزواج بمعاملة زوجاتهم بالمعروف مع تذكيرهم بأن المرأة لا تستقيم على حال، وفيها الإشارة إلى التغاضي عنهن ما لم يكن إثمًا، قال القاضي عياض: «فيه الحض على الرفق بهن، ومداراتهن، وألا يتقصّى عليهن في أخلاقهن، وانحراف طباعهن، لقوله: «إن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته استمتعت به»[2].

وقال ابن هبيرة: «وقوله: (لن تستقيم لك على طريقة)، يعني ﷺ أنها كثيرة التلون والتقلب في أي طريقة أردت من سلوكها لم تستقم عليها كل الاستقامة، وهذا ينصرف إلى الغالب منهن والأكثر فيهن، ولا يمتنع مع ذلك أن تبرز فيهن الصالحات الحافظات بالغيب بما حفظ الله»[3].

ومن مهام الزوجة: الطاعة في المعروف، وصيانة عرضها والمحافظة على مال زوجها، ورعاية ولده، وألا تدخل بيته من يكره، كما قال ﷺ: «فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ»[4]، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ[5]، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ، فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ»[6]، وكما قال: «لو كنتُ آمرًا أحدًا أن

1- أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب النكاح، باب في حق المرأة على زوجها (3/476) حديث رقم (2142)، وابن ماجه في سننه، أبواب النكاح، بَابُ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى الزَّوْجِ (3/56) حديث رقم (1850) كلاهما من حديث مُعَاوِيَةَ بْنِ حَيدة الْقُشَيْرِيِّ ﷺ، وإسناده حسن.

2- القاضي عياض، إكمال المعلم بفوائد مسلم (4/680).

3- ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح، المحقق/ فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، 1417هـ، (7/160).

4- أي: بعهده، عهد إليكم بالرفق بهن والشفقة عليهن، البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، المحقق/ لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433هـ، 2012م، (2/140).

5- قوله: (واستحللتم فروجهن بكلمة الله) قيل: إن كلمة الله كلمة: لا إله إلا الله، ومعنى هذا عند هذا القائل: إنه لولا الإسلام للزوج لما حلت له. وقيل: هي كلمة النكاح التي يستحل بها الفرج. وهي الصيغ التي ينعقد بها النكاح، وأشبه من هذه الأقوال: أنها عبارة عن حكمه تعالى بحليّة النكاح، وجوازه، وبيان شروطه»، أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م، (3/334).

6- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ حَجَّةِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (2/889) حديث رقم (1218) من حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ.

يَسجُدَ لأحدٍ لأمرتُ النِّساءَ أن يسجُدْنَ لأزواجِهِنَّ، لِمَا جَعَل الله لهم عليهنَّ من الحق»[1].

نهي النبي ﷺ النساء أن يتحدثن مع الأجانب وأن يقفن مواقف الريبة أو يأذن في دخولهم في بيوتهن في غياب أزواجهن حتى لا يكون ذلك سببًا في تعكير صفو حياتهن وبغض أزواجهن لهن، واضطرارهم لعقوبتهن على هذا الصنيع، قال الخطابي: «وليس المراد بوطء الفرش هاهنا نفس الزنا لأن ذلك محرم على الوجوه كلها فلا معنى لاشتراط الكراهية فيه ولو كان المراد به الزنا لكان الضرب الواجب فيه هو المبرح الشديد والعقوبة المؤلمة من الرجم دون الضرب الذي ليس بمبرح[2].

وقال النووي: «مَعْنَاهُ أَنْ لَا يَأْذَنَّ لِأَحَدٍ تَكْرَهُونَهُ فِي دُخُولِ بُيُوتِكُمْ وَالْجُلُوسِ فِي مَنَازِلِكُمْ سَوَاءٌ كَانَ الْمَأْذُونُ لَهُ رَجُلًا أَجْنَبِيًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَحَدًا مِنْ مَحَارِمِ الزَّوْجَةِ فَالنَّهْيُ يَتَنَاوَلُ جَمِيعَ ذَلِكَ وَهَذَا حُكْمُ الْمَسْأَلَةِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ أَنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَأْذَنَ لِرَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ وَلَا مَحْرَمٍ وَلَا غَيْرِهِ فِي دُخُولِ مَنْزِلِ الزَّوْجِ إِلَّا مَنْ عَلِمَتْ أَوْ ظَنَّتْ أَنَّ الزَّوْجَ لَا يَكْرَهُهُ لِأَنَّ الْأَصْلَ تَحْرِيمُ دُخُولِ مَنْزِلِ الْإِنْسَانِ حَتَّى يُوجَدَ الْإِذْنُ فِي ذَلِكَ مِنْهُ أَوْ مِمَّنْ أَذِنَ لَهُ فِي الْإِذْنِ فِي ذَلِكَ أَوْ عُرِفَ رِضَاهُ بِالطِّرَادِ الْعُرْفِ بِذَلِكَ وَنَحْوِهِ وَمَتَى حَصَلَ الشَّكُّ فِي الرِّضَا وَلَمْ يَتَرَجَّحْ شَيْءٌ وَلَا وُجِدَتْ قَرِينَةٌ لَا يَحِلُّ الدُّخُولُ وَلَا الْإِذْنُ»[3].

المبحث الثاني، وسائل الاستدامة، وفيه خمسة مطالب

المطلب الأول، احتساب الأجر في المعاملات الزوجية:

الحياة الزوجية في السنة النبوية لا تقوم على المعاوضة أو المعاملة بالمثل، بحيث تطيع الزوجة زوجها إذا أعطاها وتعصيه إذا منعها وكذلك الزوج، وإنما هي قائمة أيضًا على احتساب الأجر وابتغاء وعد الله تعالى لكل من استوصى بالآخر خيرًا، كما قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[4]، ففي شأن الزوج قال النبي ﷺ أيضًا لسَعْدٍ

1- أخرجه أبو داود في سننه، أول كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة (3/475) حديث رقم (2140)، من حديث قَيْس بن سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ الأَنْصَارِيّ ﷺ، وإسناده صحيح لغيره.

2- الخطابي، معالم السنن (2/201).

3- النووي، شرح النووي على مسلم (8/184).

4- أخرجه الترمذي في سننه، أَبْوَابُ المناقب، بَابٌ فِي فَضْلِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) (5/707) حديث رقم (3895)، من حديث عائشة (رضي الله عنها)، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ، قلت: وهو كما قال.

ﷺ: «وَمَهْمَا أَنْفَقْتَ فَهُوَ لَكَ صَدَقَةٌ، حَتَّى اللُّقْمَةَ تَرْفَعُهَا فِيْ فِيِّ امْرَأَتِكَ»[1]، وقال في شأن الزوجة: «إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»[2].

المتأمل في هذه الأحاديث يجد أن السنة النبوية جعلت من المباحات والعادات عبادات، إذا احتسب صاحبها الأجر والثواب، كاللقمة يرفعها الرجل في فيِّ امرأته، وكالزوجة تسعى لمرضاة ربها بقيامها بما افترض عليها من فرائض، وبحرصها على طاعة زوجها، فأقام طاعة الزوج مقام النوافل والصدقات، وما ذلك إلا للحرص على الْأُلْفَةُ وديمومة المحبة بين الزوجين.

وجعلت ميزان التسابق في الخيرية وطلب ذروتها في خيرية معاملة الزوجين بعضهما بعضًا، فأكثرهم صنعًا للخير لأهله أعلاهم منزلة عند ربه.

المطلب الثاني، تنوع الحلول عند الاختلاف:

لا تخلو الحياة الزوجية من كدر أو ملل يصيب أحد الزوجين، ومن هذه الحلول:

1. أن يتذكر الزوج وقت الكدر مع زوجه ما سبق منها أو بما فيها من خصال حميدة وقد أشار ﷺ إلى ذلك بقوله «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ»[3].

قال النووي: «الْفَرْكُ بِفَتْحِ الْفَاءِ وَإِسْكَانِ الرَّاءِ الْبُغْضُ، والمعنى: يَنْبَغِي أَنْ لَا يُبْغِضَهَا لِأَنَّهُ إِنْ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا يُكْرَهُ وَجَدَ فِيهَا خُلُقًا مَرْضِيًّا بِأَنْ تَكُونَ شَرِسَةَ الْخُلُقِ لَكِنَّهَا دَيِّنَةٌ أَوْ جَمِيلَةٌ أَوْ عَفِيفَةٌ أَوْ رَفِيقَةٌ بِهِ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ»[4].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النَّفَقَاتِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الأَهْلِ (7/62) حديث رقم (5354)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ (3/1250) حديث رقم (1628) كلاهما من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ.

2- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (3/199) حديث رقم (1661) من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ﷺ، وابن حبان في صحيحه (9/471) حديث رقم (4163)، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، والبزار في مسنده (14/46)، من حديث أنس ﷺ، وإسناده حسن لغيره.

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الرضاع، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ (2/1091) حديث رقم (1469) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

4- النووي، شرح النووي على مسلم (10/58).

وقد كان من خلقه ﷺ كما قالت عَائِشَة (رضي الله عنها): «مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، وَلَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ، فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ ﷻ»[1].

وقد جاء في الكتاب العزيز ذكر لبعض الحلول، قال تعالى: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ وَٱضۡرِبُوهُنَّۖ فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيّٗا كَبِيرٗا ٣٤ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحٗا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرٗا﴾ [النساء: 34، 35]، وقد بينت السنة أن القصد من الضرب هو التأديب وليس الانتقام بأن يكون غير مبرح وألا يكون في مكان حساس تتأذى منه المرأة، كما تقدم في قوله ﷺ: «فَإِنْ فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ»[2]، وقوله: «ولا تضربَ الوجهَ، ولا تُقبِّحَ، ولا تَهْجُرَ إلا في البيت»[3].

علمًا أن النبي ﷺ ما ضرب امرأة قط، وأما الضرب المؤذي فمنهي عنه بقوله ﷺ: «لاَ يَجْلِدُ أَحَدُكُمُ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ، ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ»[4].

قال ابن حجر: «وَفِي الْحَدِيثِ جَوَازُ تَأْدِيبِ الرَّقِيقِ بِالضَّرْبِ الشَّدِيدِ وَالْإِيمَاءُ إِلَى جَوَازِ ضَرْبِ النِّسَاءِ دُونَ ذَلِكَ وَإِلَيْهِ أَشَارَ الْمُصَنِّفُ بِقَوْلِهِ غَيْرَ مُبَرِّحٍ وَفِي سِيَاقِهِ اسْتِبْعَادُ وُقُوعِ الْأَمْرَيْنِ مِنَ الْعَاقِلِ أَنْ يُبَالِغَ فِي ضَرْبِ امْرَأَتِهِ ثُمَّ يُجَامِعَهَا مِنْ بَقِيَّةِ يَوْمِهِ أَوْ لَيْلَتِهِ وَالْمُجَامَعَةُ أَوِ الْمُضَاجَعَةُ إِنَّمَا تُسْتَحْسَنُ مَعَ مَيْلِ النَّفْسِ وَالرَّغْبَةِ فِي الْعِشْرَةِ وَالْمَجْلُودُ غَالِبًا يَنْفِرُ مِمَّنْ جَلَدَهُ فَوَقَعَتِ الْإِشَارَةُ إِلَى ذَمِّ ذَلِكَ وَأَنَّهُ إِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَلْيَكُنِ التَّأْدِيبُ بِالضَّرْبِ الْيَسِيرِ بِحَيْثُ لَا يَحْصُلُ مِنْهُ النُّفُورُ التَّامُّ فَلَا يُفْرِطُ فِي الضَّرْبِ وَلَا يُفْرِطُ فِي التَّأْدِيبِ»[5].

2. تغيير الحال أو الزمان أو المكان والاستعانة ببعض المباحات، كأماكن الترفيه، أو العبادة كالمساجد وغيرها، كما فعل علي بن أبي طالب ﷺ عندما غاضب فاطمة

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ مُبَاعَدَتِهِ ﷺ لِلْآثَامِ وَاخْتِيَارِهِ مِنَ الْمُبَاحِ، أَسْهَلَهُ وَانْتِقَامِهِ لِلَّهِ عِنْدَ انْتِهَاكِ حُرُمَاتِهِ (4/1814) حديث رقم (2328) من حديث عَائِشَةَ (رضي الله عنها).

2- تقدم تخريجه ص (481)، وقد أخرجه مسلم في صحيحه.

3- تقدم تخريجه ص (481)، وقد أخرجه أبو داود في سننه، وإسناده حسن.

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنْ ضَرْبِ النِّسَاءِ (7/32) حديث رقم (5204)، ومسلم في صحيحه، كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ (4/2191) حديث رقم (2855) كلاهما من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَمْعَةَ ﷺ.

5- ابن حجر، فتح الباري (9/303).

ﷺ، فعن سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ الأنصاري ﷺ، قال: جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتَ فَاطِمَةَ فَلَمْ يَجِدْ عَلِيًّا فِي البَيْتِ، فَقَالَ: «أَيْنَ ابْنُ عَمِّكِ؟» قَالَتْ: كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي، فَخَرَجَ، فَلَمْ يَقِلْ عِنْدِي فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِإِنْسَانٍ: «انْظُرْ أَيْنَ هُوَ؟» فَجَاءَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ فِي المَسْجِدِ رَاقِدٌ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، قَدْ سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ شِقِّهِ، وَأَصَابَهُ تُرَابٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَمْسَحُهُ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ»[1].

هذا الحديث يعتبر مدرسة في الأخلاق، ووسائل المحافظة على الحياة الزوجية وتماسكها، ولكل من النبي ﷺ وعلي وفاطمة ﷺ دور في ذلك؛ فالنبي ﷺ لم يعاتب عليًا لأنه غاضب ابنته فِلْذَة كبده، بل ذهب إليه ولاطفه وهون عليه الخطب، وهذا فيه إشارة إلى عدم تدخل النسيب أو النسيبة في حياة ابنتهما ومشاكلها الخاصة مع زوجها، وتأجيج نار الفتنة بينهما، بل عندما سألها عن عليﷺ لم يسألها بصفة الزوجية إنما سألها عنه بالرحم التي تجمعهما تذكيرًا باللُحمة الجامعة بينهما، قبل رابطة الزوجية، فقال: «أين ابنُ عمك»، قال الكرماني: «فإن قلت لم اختار هذه العبارة ولم يقل أين زوجك أو أين علي. قلت لعله ﷺ فهم أنه جرى بينهما شيء فأراد استعطافها عليه بذكر القرابة النسبية التي بينهما»[2].

وقال ابن بطال: «وفيه: الرفق بالأصهار وإلطافهم، وترك معاتبتهم على ما يكون منهم لأهلهم، لأن النبي ﷺ لم يعاتب عليًا ﷺ على مغاضبته لأهله، بل قال له: قم. وعرض له بالانصراف إلى أهله»[3].

وما أجمل ما فعل عليﷺ حينما خرج من البيت ساعة المغاضبة وحضور الشيطان، وكان أمامه كثير من الحلول منها استخدام قوامته في الهجر والضرب، ومنها اللجوء إلى حَكَمٍ من أهلها وغير ذلك.

وأما فاطمة (رضي الله عنها) فقد ضربت المثل الأعلى في الأخلاق والتسامي، فلم ترسل لأبيها لتشتكي عليًا، بل عندما حضر أبوها ﷺ لم تجعل عليًا في مقام الظالم المتعدي عليها

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ نَوْمِ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ (1/96) حديث رقم (441)، ومسلم في صحيحه، كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ ﷺ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (رضي الله عنه) (4/1874) حديث رقم (2409) كلاهما من حديث عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ.

2- الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ، 1937م، (4/101).

3- ابن بطال، شرح صحيح البخاري (9/58).

وذرفت دموع الأسى والحزن استعطافًا لوالدها لينتقم لها، بل اختارت أنقى وأعف عبارة، فقالت: «كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ شَيْءٌ، فَغَاضَبَنِي»، فاختيارها (رضي الله عنها) لكمة (شيء)، هكذا - نكرة- فيه تهوين وتصغير للمشكة، ومحافظة على أسرار بيت الزوجية، واستخدامها لكلمة (غاضبني) تدل على الاشتراك في الفعل وأنه لم يصدر من جهة واحدة.

المطلب الثالث، البناء على اليقينيات وسد أبواب الظن والريبة:

من أكثر الأمور التي تكون سببًا في هدم البيوت وتكون مدخلا للشيطان سوء الظن، وكثرة الشكوك بين الزوجين، لذلك عالجت السنة النبوية هذا الداء قبل صدوره، وقطعت أسبابه، وذلك في مواضع شتى:

1- قطع الريبة إذا لم يوجد دليل ظاهر عليه فمنها: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وُلِدَ لِي غُلَامٌ أَسْوَدُ، فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «مَا أَلْوَانُهَا؟» قَالَ: حُمْرٌ، قَالَ: «هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنَّى ذَلِكَ؟» قَالَ: لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ، قَالَ: «فَلَعَلَّ ابْنَكَ هَذَا نَزَعَهُ»[1].

قال ابن حجر (رحمه الله): «وَفِيهِ أَنَّ الزَّوْجَ لَا يَجُوزُ لَهُ الِانْتِفَاءُ مِنْ وَلَدِهِ بِمُجَرَّدِ الظَّنِّ وَأَنَّ الْوَلَدَ يَلْحَقُ بِهِ وَلَوْ خَالَفَ لَوْنُهُ لَوْنَ أُمِّهِ»، وقال أيضًا: «وَفِيهِ الِاحْتِيَاطُ لِلْأَنْسَابِ وَإِبْقَائِهَا مَعَ الْإِمْكَانِ وَالزَّجْرُ عَنْ تَحْقِيقِ ظَنِّ السُّوءِ[2].

2- النهي عن طرق الرجل الباب على أهله ليلًا إذا قدم عليهم من سفر: فقد جاء عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: «نَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا يَتَخَوَّنُهُمْ، أَوْ يَلْتَمِسُ عَثَرَاتِهِمْ»[3].

قال النووي (رحمه الله): «وَمَعْنَى يَتَخَوَّنُهُمْ: يَظُنُّ خِيَانَتَهُمْ وَيَكْشِفُ أَسْتَارَهُمْ وَيَكْشِفُ هَلْ خَانُوا أَمْ لَا»[4].

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ إِذَا عَرَّضَ بِنَفْيِ الوَلَدِ (7/53) حديث رقم (5305)، ومسلم في صحيح، كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ(2/1137) حديث رقم (1500) كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

2- ابن حجر، فتح الباري (9/444).

3- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ كَرَاهَةِ الطُّرُوقِ، وَهُوَ الدُّخُولُ لَيْلًا، لِمَنْ وَرَدَ مِنْ سَفَرٍ (3/1528) حديث رقم (715) من حديث جَابِرِ بن عبد الله ﷺ.

4- النووي، شرح النووي على مسلم (13/71).

3- النهي عن الدخول عَلَى المُغِيبَةِ[1]: ،فإنَّ نَفَرًا مِنْ بَنِي هَاشِمٍ دَخَلُوا عَلَى أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَهِيَ تَحْتَهُ يَوْمَئِذٍ، فَرَآهُمْ، فَكَرِهَ ذَلِكَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: لَمْ أَرَ إِلَّا خَيْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَرَّأَهَا مِنْ ذَلِكَ» ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «لَا يَدْخُلَنَّ رَجُلٌ، بَعْدَ يَوْمِي هَذَا، عَلَى مُغِيبَةٍ، إِلَّا وَمَعَهُ رَجُلٌ أَوِ اثْنَانِ»[2].

كانت أسماء بنت عميس ﵂ زوجة لجعفر بن أبي طالب ﵁ فلما مات خلفه عليها أبو بكر الصديق ﵁، ولما كانت هنالك وشائج علاقة بين أسماء وأصهارها من بني هاشم - قرابة جعفر- كانوا يزورونها، ولم تنقطع الوشائج بينهم بعد موت جعفر ﵁، وزواجها من أبي بكر الصديق ﵁، فجاء يومًا ووجدهم عندها، فلم تألف نفسه صنيعهم هذا وشكاهم إلى النبي ﷺ ليس شكًا في زوجته، ولكن غيرة على بيته، خاصة أن الزيارة تمت في غيبته، وبدون إذنه، وسدًا للذريعة فقد منع النبي ﷺ دخول الرجال على النساء مطلقًا، وعلى المغيبة خاصة، إلا بشروط ومنها؛ وجود المحرم أو كثرة العدد، وذلك رفعًا للريبة وإزالة للشكوك، وسلامة من غل الصدور، قال أبو العباس القرطبي: «سدًّا لذريعة الخلوة، ودفعًا لما يؤدِّي إلى التهمة. وإنَّما اقتصر على ذكر الرَّجل والرَّجلين لصلاحية أولئك القوم؛ لأنَّ التهمة كانت ترتفع بذلك القدر. فأما اليوم: فلا يكتفي بذلك القدر، بل بالجماعة الكثيرة لعموم المفاسد»[3].

المطلب الرابع، الحرص على التعامل بالشرع وعدم اتباع العواطف:

تعترض الحياة الزوجية أحيانًا بعض الإخفاقات من أحد الزوجين، فيكون علاجها فيه شطط وتجاوز، وذلك جريًا وراء الهوى أو العاطفة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ ﵁: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ وَجَدْتُ مَعَ أَهْلِي رَجُلًا لَمْ أَمَسَّهُ حَتَّى آتِيَ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَعَمْ»، قَالَ: كَلَّا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ كُنْتُ لَأُعَاجِلُهُ بِالسَّيْفِ قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا إِلَى مَا يَقُولُ سَيِّدُكُمْ، إِنَّهُ لَغَيُورٌ، وَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ

1- الْمُغْيِبَةُ: بِضَمِّ الْمِيمِ وَكَسْرِ الْغَيْنِ الْمُعْجَمَةِ وَإِسْكَانِ الْيَاءِ وَهِيَ الَّتِي غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَالْمُرَادُ غَابَ زَوْجُهَا عَنْ مَنْزِلِهَا سَوَاءٌ غَابَ عَنِ الْبَلَدِ بِأَنْ سَافَرَ أَوْ غَابَ عَنِ الْمَنْزِلِ وَإِنْ كَانَ فِي الْبَلَدِ. النووي، شرح النووي على مسلم (14/155).

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب السَّلَامِ، بَابُ تَحْرِيمِ الْخَلْوَةِ بِالْأَجْنَبِيَّةِ وَالدُّخُولِ عَلَيْهَا (4/1711) حديث رقم (2173)، من حديث عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﵄.

3- أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (5/503).

مِنِّي»[1].

قال النووي: «فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَأَدَّبَ الْإِنْسَانُ بِمُعَامَلَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِعِبَادِهِ فَإِنَّهُ لَا يُعَاجِلُهُمْ بِالْعُقُوبَةِ بَلْ حَذَّرَهُمْ وَأَنْذَرَهُمْ وَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ وَأَمْهَلَهُمْ فَكَذَا يَنْبَغِي للعبد أن لا يُبَادِرَ بِالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُعَاجِلْهُمْ بِالْعُقُوبَةِ مَعَ أَنَّهُ لَوْ عَاجَلَهُمْ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى[2].

وقد دلت السنة العملية على التزام الحل الشرعي والوقوف عليه وإن رأى الحاكم أن العاصي يستحق من العقوبة ما هو أردع مما حكم عليه به، وجاء ذلك في قصة امرأة هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ، عندما طلب منها الملاعنة، قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الخَامِسَةِ وَقَّفُوهَا، وَقَالُوا: إِنَّهَا مُوجِبَةٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأَتْ وَنَكَصَتْ، حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لاَ أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ اليَوْمِ، فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوهَا، فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ العَيْنَيْنِ، سَابِغَ الأَلْيَتَيْنِ، خَدَلَّجَ السَّاقَيْنِ، فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَحْمَاءَ»، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَوْلاَ مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ»[3].

قال البيضاوي: وقوله: «لولا ما مضى من كتاب الله» أي: من حكمه بدرء الحد عن المرأة بلعانها، «لكان لي ولها شأن» في إقامة الحد عليها، وفي ذكر الشأن وتنكيره تهويل وتفخيم لما كان يريد أن يفعل بها، أي: لفعلت بها - لتضاعف ذنبها - ما يكون عبرة للناظرين، وتذكرة للسامعين، وفي الحديث: دليل على أن الحاكم لا يلتفت إلى المظنة والأمارات، وإنما يحكم بظاهر ما يقتضيه الحجج والأيمان»[4].

المطلب الخامس، القناعة بالمعطيات والاستعاضة بالبدائل:

ربَّى النبي ﷺ أصحابه على القناعة بما وهبهم الله تعالى، وألا يمدوا أعينهم إلى ما متع الله به بعضهم على بعض، وأن يتصرفوا وفق ما رزقهم الله، وذلك في مجالات شتى، ولكن

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ (2/1135) حديث رقم (1498) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

2- النووي، شرح النووي على مسلم (10/132).

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [النور: 8] (6/100) حديث رقم (4747)، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، بَابُ انْقِضَاءِ عِدَّةِ الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَغَيْرِهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ (2/1135) حديث رقم (1497) كلاهما من حديث ابن عباس ﷺ.

4- البيضاوي، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة (2/401).

نريد هنا الحديث عما جاء في جانب التعامل مع الزوجة، ففي القناعة بالمعطيات، قال ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ» أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ»[1].

قال السيوطي: «المُرَاد الْإِخْبَار بِأَن المؤمنة لَا يتَصَوَّر فِيهَا اجْتِمَاع كل القبائح بِحَيْثُ إِن الزَّوْج يبغضها البغض الْكُلِّي، وبحيث إنه لَا يحمد فِيهَا شَيْئًا أصلًا، هَذَا هُوَ معنى الفرك، وَوُقُوع هَذَا مُسْتَحِيل، فَإِنَّهُ إِن كره قبح وَجهَهَا مثلًا قد يحمد سمن بدنهَا وعبالة أعضائها وَثقل أردافها وأوراكها، أَو كره رقتها، قد يحمد حلاوة منظرها، أَو كره الْأَمريْنِ قد يحمد جِمَاعهَا، أَو كره الْكل قد يحمد دينهَا أَو قناعتها أَو حفظهَا لمَاله وحرمته أَو شفقتها عَلَيْهِ أَو خدمتها لَهُ فَلَا تَخْلُو المؤمنة من خلة حَسَنَة يحمدها الزَّوْج»[2].

وقال ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ، فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ»[3]، وفي رواية: «إِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ لَنْ تَسْتَقِيمَ لَكَ عَلَى طَرِيقَةٍ، فَإِنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَبِهَا عِوَجٌ، وَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهَا، كَسَرْتَهَا وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا»[4].

قال ابن حجر: «وَفِيهِ سِيَاسَةُ النِّسَاءِ بِأَخْذِ الْعَفْوِ مِنْهُنَّ وَالصَّبْرِ عَلَى عِوَجِهِنَّ وَأَنَّ مَنْ رَامَ تَقْوِيمَهُنَّ فَاتَهُ الِانْتِفَاعُ بِهِنَّ مَعَ أَنَّهُ لَا غِنَى لِلْإِنْسَانِ عَنِ امْرَأَةٍ يَسْكُنُ إِلَيْهَا وَيَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى مَعَاشِهِ فَكَأَنَّهُ قَالَ الِاسْتِمْتَاعُ بِهَا لَا يَتِمُّ إِلَّا بِالصَّبْرِ عَلَيْهَا[5].

قلت: ففي هذين الحديثين أوصى النبي ﷺ الزوج بالتأقلم مع النقص البشري لزوجه بأن لا يبغضها كل البغض وإنما يتحمل قبيح أخلاقها بحسنها، وأن يستصحب الأصل الذي خلقت منه.

وأما في الاستعاضة بالبدائل، فقد ندب النبي ﷺ أمته إذا راموا شيئًا وعجزوا عن نيله أن يستعيضوا ببديل يقوم مقامه، سواء في العمل أو الأجر، كما ثبت عن عَلِيٍّ ﷺ، أَنَّ

1- تقدم تخريجه ص (483)، وقد أخرجه مسلم في صحيحه.
2- السيوطي، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (4/80).
3- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ خَلْقِ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَذُرِّيَّتِهِ (4/133) حديث رقم (3331)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الرَّضَاعِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ (2/1091) حديث رقم (1468) كلاهما من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.
4- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الرَّضَاعِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالنِّسَاءِ(2/1091) حديث رقم (1468) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.
5- ابن حجر، فتح الباري (9/254).

فَاطِمَةَ (رضي الله عنها)، شَكَتْ مَا تَلْقَى مِنْ أَثَرِ الرَّحَا، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ سَبْيٌ، فَانْطَلَقَتْ فَلَمْ تَجِدْهُ، فَوَجَدَتْ عَائِشَةَ فَأَخْبَرَتْهَا، فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَخْبَرَتْهُ عَائِشَةُ بِمَجِيءِ فَاطِمَةَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْنَا وَقَدْ أَخَذْنَا مَضَاجِعَنَا، فَذَهَبْتُ لِأَقُومَ، فَقَالَ: «عَلَى مَكَانِكُمَا». فَقَعَدَ بَيْنَنَا حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى صَدْرِي، وَقَالَ: «أَلاَ أُعَلِّمُكُمَا خَيْرًا مِمَّا سَأَلْتُمَانِي، إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا تُكَبِّرَا أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، وَتُسَبِّحَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَتَحْمَدَا ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمَا مِنْ خَادِمٍ»[1].

قال ابن هبيرة: «وفيه أن التسبيح خير من خادم، لأنه جمع لها بين تسبيح الله ثلاثًا وثلاثين، وحمده ثلاثًا وثلاثين، وتكبيره أربعًا وثلاثين يكمل ذلك مائة، فيكتب الله به ألف حسنة، ولقد عوضها رسول الله ﷺ بنعم العوض»[2].

وقال الطيبي: «ثم علمها ما هو الأهم بحالها من التسبيح والتحميد والتكبير من طلبها الرقيق، فهو من باب تلقي المخاطب بغير ما يتطلب، إيذانا بأن الأهم من المطلوب هو التزود للمعاد، والتجافي من دار الغرور، والصبر على مشاقها ومتاعبها»[3].

وقال الكرماني: «فإن قلت لا شك أن للتسبيح ونحوه ثوابًا عظيمًا لكن كيف يكون خيرًا بالنسبة إلى مطلوبها وهو الاستخدام قلت لعل الله تعالى بالتسبيح يعطي للمسبح قوة يقدر على الخدمة أكثر مما يقدر عليه الخادم أو يسهل الأمور عليه بحيث يكون فعل ذلك بنفسه أسهل عليه من أمر الخادم»[4].

المبحث الثالث: الحياة الزوجية ودورها في التنمية المستدامة

الحياة الزوجية القائمة على تنفيذ تعاليم السنة النبوية بناءً وتأسيسًا، والمتحصنة بوسائل الاستدامة انقيادًا وتأسيًا، تكون خيرَ رافد لمجتمعها وبَضعةَ منه، تسعد لسعادته وتسعى لذلك، وتأسى لمساءته، وتجتنب ذلك، كما وصفهم النَّبِيّ ﷺ بذلك، فقَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ مَنَاقِبِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ القُرَشِيِّ الهَاشِمِيِّ أَبِي الحَسَنِ (رضي الله عنه) (5/19) حديث رقم (3705)، ومسلم في صحيحه، كِتَابُ الذِّكْرِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ التَّسْبِيحِ أَوَّلَ النَّهَارِ وَعِنْدَ النَّوْمِ (4/2091) حديث رقم (2727) كلاهما من حديث عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ.

2- ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (1/256).

3- الطيبي، شرح المشكاة = الكاشف عن حقائق السنن، المحقق/ د. عبد الحميد هنداوي، (مكة المكرمة، الرياض)، مكتبة نزار مصطفي الباز، ط1، 1417هـ، 1997م، (6/1876).

4- الكرماني، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري (20/11).

أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا «[1].

وَهَكَذَا إِقَامَةُ الْحُدُودِ يَحْصُلُ بِهَا النَّجَاةُ لِمَنْ أَقَامَهَا وَأُقِيمَتْ عَلَيْهِ وَإِلَّا هَلَكَ الْعَاصِي بِالْمَعْصِيَةِ وَالسَّاكِتُ بِالرِّضَا بِهَا.

فالزوج الذي يكفي زوجته وأولاده حاجتهم، والزوجة التي تشارك زوجها تربية أولاده ورعايتهم، يسهم ذلك في إيجاد مخرجات يتكون منها مجتمع معافي يعرف حقوقه ويلزم حدوده، ففي قوله ﷺ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»[2]، إرشاد إلى ما يكون به امتداد العمل بعد الممات، وهو الصدقة الجارية، والعلم الذي ينفع الناس، والولد الصالح، وثلاثتها من أهداف التنمية المستدامة[3].

وفي توصيته ﷺ لسعد عندما قال له: إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ وَأَنَا ذُو مَالٍ، وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لاَ» فَقُلْتُ: بِالشَّطْرِ؟ فَقَالَ: «لاَ» ثُمَّ قَالَ: «الثُّلُثُ وَالثُّلُثُ كَبِيرٌ - أَوْ كَثِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فِي امْرَأَتِكَ»[4].

ففي هذا الحديث أراد سعد أن يتصدق بماله لأنه لا وريث له غير ابنة واحدة، ولكن النبي ﷺ منعه من ذلك مستشرفًا مستقبل سعد وأنه سيحيى ويكون له ذرية غير هذه البنت الوحيدة، وأنهم عندما يجدوا مال أبيهم لن يضطروا أن يكونوا عالة على المجتمع ويتكففون الناس، وهذا هو لبُّ المراد بالتنمية المستدامة، وقد مرَّ في بداية البحث أن الأمم

1- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَاب الشَّرِكَةِ، بَابٌ: هَلْ يُقْرَعُ فِي القِسْمَةِ وَالِاسْتِهَامِ فِيهِ (3/139) حديث رقم (2493) من حديث النُّعْمَان بْن بَشِيرٍ ﷺ.

2- أخرجه مسلم في صحيحه، كِتَابُ الْوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ الثَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ (3/1255) حديث رقم (1631) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

3- انظر أهداف التنمية المستدامة (https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/gender-equality/).

4- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ رِثَاءِ النَّبِيِّ ﷺ سَعْدَ بْنَ خَوْلَةَ (رضي الله عنه) (2/81) حديث رقم (1295)، ومسلم في صحيحه، كتاب الوصية، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالثُّلُثِ(3/1253) حديث رقم (1628) كلاهما من حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ.

المتحدة عرَّفت التنمية المستدامة بأنها: (تلبية احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال القادمة على تلبية احتياجاتها الخاصة).

وكذلك فإن هذه الوصية تحقق ثلاثة أهداف من أهداف التنمية المستدامة؛ وهو القضاء على الفقر، والقضاء على الجوع، ومن ثم جلب الرفاه لأفراد المجتمع[1].

والوصية ذاتها أوصى بها النبي ﷺ كَعْب بن مالك ﷺ، عندما قال: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ ﷺ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»[2].

وهذا كان ديدن النبي ﷺ في توصيته لكل من أراد صدقة أن يتصدق بما زاد عن كفايته وكفاية من يعول بحيث لا تؤثر الصدقة على وضعه الاجتماعي وتجعله عالة بعد أن كان مكتفيًا بما عنده، كما قَالَ ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[3].

قال ابن حجر: «وَمَعْنَى الْحَدِيثِ أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ مَا وَقَعَ مِنْ غَيْرِ مُحْتَاجٍ إِلَى مَا يَتَصَدَّقُ بِهِ لِنَفْسِهِ أَوْ لِمَنْ تَلْزَمُهُ نَفَقَتُهُ»، وقال أيضًا: «وَقَالَ الْبَغَوِيُّ الْمُرَادُ غِنًى يَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى النَّوَائِبِ الَّتِي تَنُوبُهُ[4].

وكذلك نصح النبي ﷺ الأنصاري الذي استضافهم وأراد أن يذبح لهم، بأن لا يذبح الحلوب، كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ - أَوْ لَيْلَةٍ - فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَقَالَ: «مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هَذِهِ السَّاعَةَ؟» قَالَا: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا، قُومُوا»، فَقَامُوا مَعَهُ، فَأَتَى رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ، قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيْنَ فُلَانٌ؟» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا مِنَ الْمَاءِ، إِذْ جَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ

1- أهداف التنمية المستدامة (https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/gender-equality/).

2- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الوَصَايَا، بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ، أَوْ أَوْقَفَ بَعْضَ مَالِهِ، أَوْ بَعْضَ رَقِيقِهِ، أَوْ دَوَابِّهِ، فَهُوَ جَائِزٌ (4/7) حديث رقم (2757)، ومسلم في صحيحه، كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ (4/2120) حديث رقم(2769) كلاهما من حَدِيثِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ.

3- أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لاَ صَدَقَةَ إِلَّا عَنْ ظَهْرِ غِنًى (2/112) حديث رقم (1426) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

4- ابن حجر، فتح الباري (3/296).

وَصَاحِبَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، قَالَ: فَانْطَلَقَ، فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا مِنْ هَذِهِ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكَ، وَالْحَلُوبَ»[1].

فانظر كيف نهى النبي ﷺ الأنصاري أن يذبح شاة يعتمد على لبنها، حتى لا يؤثر ذلك على مؤونته ومؤونة أهله وعياله مستقبلًا، قال ابن هبيرة: «وفيه أيضا: جواز أن يمنع صاحب المنزل من ذبح حلوبه، وهي ذات الدر واللبن إذا كانت الضرورة يسدها لبنها فحسب»[2].

وقال أبو العباس القرطبي: «الحلوب: - بفتح الحاء -: الشاة التي تحلب لبنًا كثيرًا. وإنَّما نهاه عنها؛ لأنَّ ذبحها تضييعٌ للبنها، مع أن غير ذات اللبن تتنزل منزلتها عند الضيف، ويحصل بها المقصود»[3].

وقال ابن علان: «وإنما نهى عن ذبحها شفقة على أهله بانتفاعهم بلبنها مع حصول المقصود بغيره»[4].

فمن هذه الأحاديث نجد أن السنة النبوية اعتنت بالتنمية المستدامة، حيث أمرت بأن يستمتع المرء بماله، وينفقه على احتياجاته في حاضره، ولا يبدده فيما لا ينفعه ومن ثم لا يجد ما يقتات به في مستقبله، ومستقبل عياله، ويقعد ملومًا محسورًا.

1- أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الْأَشْرِبَةِ، بَابُ جَوَازِ اسْتِتْبَاعِهِ غَيْرَهُ إِلَى دَارِ مَنْ يَثِقُ بِرِضَاهُ بِذَلِكَ، وَبِتَحَقُّقِهِ تَحَقُّقًا تَامًّا، وَاسْتِحْبَابِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى الطَّعَامِ (3/1609) حديث رقم (2038) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ.

2- ابن هبيرة، الإفصاح عن معاني الصحاح (8/126).

3- أبو العباس القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (5/306).

4- ابن عَلَّان البكري، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، بيروت، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ط4، 1425هـ، 2004م، (4/439).

الخاتمة

مما تقدَّمَ نجد أن السنة النبوية تهدف من بناء الحياة الزوجية بهذه الإرشادات إلى تحقيق التنمية المستدامة، وتلخيص ذلك فيما يلي من نتائج:

1- تكوين أسرة صالحة مصلحة، تكون نواة لمجتمع راشد.

2- بيان دور الزوج والزوجة في هذه الأسرة في تحمل المسؤولية المجتمعية، كهدف مهم لتنمية مستدامة، ابتداء من تمسكهم هم في أنفسهم بالشرع، ثم ذراريهم، ثم إصلاح من حولهم من مجتمعهم.

3- بيان التعامل الأمثل في التعامل مع كدر الحياة وعند وقوع الشقاق بينها حتى لا تنهدم الأسرة.

4- بيان أن الأسرة سبب لامتداد النفع الدنيويّ والأخرويّ.

5- بيان أن التمسك والاعتصام بحبل الله القويم في الحفاظ على الأسرة هو السبب الركين في ديمومة نعم الله تعالى على خلقه، كما قال ﷺ: «يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا. وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ، إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ، وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا، وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ، إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ، فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ، إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ»[1].

1- أخرجه ابن ماجه في سننه، أَبْوَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الْعُقُوبَاتِ (5/149) حديث رقم (4019)، والطبراني في المعجم الأوسط (5/61) حديث رقم (4671)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (4/582) حديث رقم (8623) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ، وقال الحاكم: «صحيح الإسناد»، قلت: إسناده حسن لغيره.

التوصيات:

1- الاهتمام بنصوص الكتاب والسنة لمعرفة ما فيهما من الحرص على بناء المجتمع السليم.

2- حث أفراد المجتمع المسلم بالالتزام بالسنة النبوية حتى ينشأ جيل يحافظ على دينه ومجتمعه.

3- ألا يغتر المسلمون ببعض المصطلحات البراقة كالتنمية المستدامة ويظنون أنها وليدة العصر، بينما سبقتهم الشريعة في بيانها أو الإشارة إليها.

قائمة المصادر والمراجع

- الإفصاح عن معاني الصحاح، لأبي المظفر يحيى بن هُبَيْرَة الشيبانيّ، المحقق/ فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن، (1417هـ).
- إِكمَالُ المُعْلِمِ بفَوَائِدِ مُسْلِم، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي، المحقق/ د. يحْيَى إِسْمَاعِيل، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، مصر، 1419هـ، 1998م.
- تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي، المحقق/ لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، الكويت، 1433هـ، 2012م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لسراج الدين عمر بن علي ابن الملقن، المحقق/ دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، إصدار: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، لمحمد بن عبد الهادي، أبي الحسن، نور الدين السندي، المحقق/ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1416ه، 1996م.
- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، لمحمد علي بن محمد بن علان البكري الصديقي الشافعي، اعتنى بها: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط4، 1425هـ، 2004م.
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المحقق/ أبي اسحق الحويني الأثري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، السعودية، الخبر، ط1، 1416هـ، 1996م.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط27، 1415هـ، 1994م.
- سنن ابن ماجه، لأبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 1430هـ، 2009م.
- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني، المحقق/ شعَيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العالمية، بيروت، ط1، 1430هـ، 2009م.

- سنن الترمذي = الجامع الصحيح، لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، المحقق/ أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سنن النسائي، المجتبى من السنن، لأحمد بن شعيب النسائي، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط2، 1406هـ.
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، للحسين بن عبد الله الطيبي، المحقق/ د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفي الباز، مكة المكرمة، الرياض، ط1، 1417هـ، 1997م.
- شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2، 1392هـ.
- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطال، المحقق/ أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط2، 1423هـ، 2003م.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لأبي حاتم محمد بن حبان التميمي، البُستي، المحقق/ شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1414هـ، 1993م.
- صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المحقق/ د. مصطفي ديب البغا، اليمامة، دار ابن كثير، بيروت، ط3، 1407هـ.
- صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المحقق/ محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- عارضة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي، لأبي بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري، ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- العلل الواردة في الأحاديث النبوية، لأبي الحسن علي بن عُمَر ابن أحمد بن مهدي الدارقطني، تحقيق وتخريج/ د. محفوظ الرحمن زين الله، دار طيبة الرياض، شارع عسير، ط1، 1405هـ، 1985م.

- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لأبي عبد الرحمن محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1415هـ.
- غريب الحديث، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم الهروي، المحقق/ د. محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط1، 1384هـ، 1964م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، المحقق/ محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز ابن باز، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ، 1937م.
- مرشد ذوي الحجا والحاجة إلى سنن ابن ماجه، لمحمد الأمين بن عبد الله بن يوسف بن حسن الأُرمي العَلَّوي الأثيوبي الهَرَري، مراجعة لجنة من العلماء برئاسة: الأستاذ الدكتور هاشم محمد علي حسين مهدي، دار المنهاج، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1439هـ، 2018م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع، المحقق/ مصطفي عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، 1990م.
- مسند الإمام أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، المحقق/ شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421هـ، 2001م.
- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري، المحقق/ محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط2، 1403هـ.
- مُصَنَّف ابن أبي شيبة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي، المحقق/ محمد عوامة، دار القبلة، المملكة العربية السعودية، جدة، ط1، 1427هـ، 2006م.

- مصنف عبد الرزاق، لعبد الرزاق بن همام الصنعاني، المحقق/ مركز البحوث بدار التأصيل، دار التأصيل، القاهرة، ط1، 1436هـ، 2015م.
- المعجم الأوسط، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المحقق/ طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، 1415هـ.
- المعجم الكبير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، المحقق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط2، د. ت.
- المُعْلم بفوائد مسلم، لأبي عبد الله محمد بن علي التَّمِيمي المازري المالكي، المحقق/ فضيلة الشيخ محمد الشاذلي النيفر، الدار التونسية للنشر، المؤسّسة الوطنية للكتاب بالجزائر، المؤسّسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدّراسات بيت الحكمة، ط2، 1988م، والجزء الثالث صدر بتاريخ 1991م.
- المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار - مطبوع بهامش إحياء علوم الدين - لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ، 2005م.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، لأبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي، المحقق/ محيي الدين ديب ميستو وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط1، 1417هـ، 1996م.
- المنتقى شرح الموطأ، لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد القرطبي الباجي الأندلسي، مطبعة السعادة، بجوار محافظة مصر، ط1، 1332 هـ.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات، المبارك بن محمد ابن الأثير الجزري، المحقق/ طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ، 1979م.

المواقع الإلكترونية:

- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/development-agenda/
- https://www.un.org/sustainabledevelopment/ar/gender-equality/

أهداف التنمية المستدامة

دبي - الكرامة - شارع زعبيل - ص.ب: 50106
الإمارات العربية المتحدة
هاتف : 3961777 4 971 + - فاكس 3961314 4 971 +
الموقع الإلكتروني : www.alwasl.ac.ae